((فهرسة الجزء الثاني من نتائج الافكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية))

((تمت))

الجزء الثاني من حاشية العالم العلامة الحبر البحر الفهامة امام الفضلاء الفخام وشيخ مشايخ الاسلام مظهر الفيض القدوسي الاستاذ السيد مصطفى العروسي المسماة

بنتائج الافكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام زكريا الانصاري نفعنا الله بها كما نفع بأصلها

آمين

٢

«(وبهامشها الشرح المذكور)»

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله ومنهم ابو محمد جعفر بن محمد بن نصير) أى الخواص البغدادى ويعرف بالخلدى امام ثم فضل متسع وشمل معرفته مجتمع أخذ عن سمنون والجنيد وتلك الطبقة كان ملجأ القوم فى فهم كلامهم وحكاياتهم حتى قال عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية وحج خمسين حجة وكتب اليه أبو الخير التيناتى وزر جهل الفقراء عليكم لانكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم فبقوا بجهالهم وترجمه الخطيب فى تاريخه وقال هو شيخ الصوفية وذكر أنه سمع الحديث من جماعة كثيرين أجلاء من اهل الفرات ومكة ومصر وقال انه رحل ولقى المشايخ الكبراء من المحدثين والصوفية ثم عاد ببغداد وروى بها علما كثيرا قال وكان ثقة صدوقا ثبتا دينا صوفيا نام فى ابتداء أمره فسمع هاتفا يقول امض الى موضع كذا واحفر تجد هناك شيأ ففعل فوجد صندوقا فيه دفاتر فيها اسماء ستة آلاف شيخ من اهل الحقائق والاصفياء والاولياء من آدم الى زمنه ونعوتهم وصفاتهم وكلامهم فكان يقرؤها ثم دفنها فلم تظهر لاحد ومن كلامه لا يقدح فى الاخلاص حتى يكون المريد يعمل ليصل للمقامات العلية وقال من أخلص لله فى المعاملة اراحه من الدعاوى الكاذبة وقال المحب يجتهد فى كتمان حبه وتأبى المحبة الا اشتهارا وقال العقل ما يبعدك عن مواطن الهلكات مات ببغداد سنة ثمان واربعين وثلاثمائة (قوله لا يجد العبد الخ) اى فذوق لذة المعاملة لله تعالى لا يتم مع وجود لذة حظوظ النفس اذ لا يجتمع نور وظلمة فى محل واحد (قوله اذا امتلأ بشئ الخ) اى لان المشغول لا يشغل (قوله انما بين العبد وبين الوجود) أى حضور القلب ووجدان لذة المناجاة أن تسكن التقوى قلبه حتى لا تتكدر فيه الا اذا

تقرع

(ومنهم ابو محمد جعفر بن محمد بن نصير بغدادى المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وصحب النورى ورويما وسمنون والطبقة) أى ومن فى طبقتهم وحج قريبا من ستين حجة (مات ببغداد سنة ثمان واربعين وثلثمائة قال جعفر لا يجد العبد لذة المعاملة) مع الله (مع لذة النفس لأن اهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق) قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وذلك لان القلب اذا امتلأ بشئ شغل به عن غيره فلا يجد أحد اللذة مع الله والانس به والتنعم بمناجاته الا اذا تفرغ له بالكلية ومن كان كذلك أعرض عن شهوات نفسه (سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت جعفرا يقول انما بين العبد وبين الوجود) أى وجود الحق تعالى بأن يديم نظره اليه ويعبده كأنه يراه (أن تسكن التقوى) بفعل المأمورات وترك المنهيات (قلبه فاذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبة الدنيا) لما يراه من لذة المناجاة

*(ومنهم أبو العباس السيارى) نسبة الى سيار جده (واسمه القاسم بن القاسم من مرو صحب الواسطى وانتمى اليه فى علوم هذه الطائفة وكان عالما مات سنة اثنتين واربعين وثلثمائة سئل ابو العباس السيارى بماذا يروض المريد نفسه فقال بالصبر على) فعل (الاوامر واجتناب النواهى وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء) فلا يروضها الا بالامور الشرعية لا بما زعمه بعضهم من أنه يروضها بما شاء حتى بالغناء والشبابة ونحوهما (وقال) ابو العباس (ما التذ عاقل بمشاهدة قط لان مشاهدة الحق) الكاملة بان يفقد العبد فيها احساسه بنفسه (فناء ليس فيها لذة) فالمراد فناء الفناء لان العبد متى كمل شغله بربه حتى فنى عن ذكر غيره من قلبه كان فناء وان قوى شغله به حتى نسى نفسه كان فناء الفناء فالمشاهدة مقولة بالتشكيك لان فيها الاعلى وهو المسمى بفناء الفناء كما ذكر وادنى أن يكون العبد مشاهدا لمولاه قليل الغفلة عنه ناظرا لما يرد عليه من فضله وهو مدرك لنفسه ومولاه وتفضله عليه فهذا فناء فيه لذة قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء فى الافعال لا فاعل الا الله وفناء فى الصفات لا حى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله وفناء فى الذات لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا فى ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى
فكان فناؤه عين البقاء

*(ومنهم ابو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالدقى أقام بالشام وعاش اكثر من مائة سنة مات بدمشق بعد الخمسين) قال السراج بن الملقن سنة ستين (وثلثمائة صحب ابن الجلاء والزقاق قال ابو بكر الدقى المعدة موضع يجمع الاطعمة فاذا طرحت فيها الحلال صدرت الاعضاء بالاعمال الصالحة) لاجراء عادة الله تعالى بان من أكل الحلال نشط لعمل الطاعات (واذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق الى الله تعالى واذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين امر الله حجاب) لان الشهوة غلبت على القلب فأعمته

تفرغ من غيرها من ملاعبات النفوس (قوله ومنهم أبو العباس السيارى) قال المناوى اسمه القاسم بن القاسم بن مهدى من اهل مرو كان فقيها محدثا صوفيا متحليا بالزهد والورع بعيدا عن الحرص والطمع صحب الواسطى وغيره * ومن كلامه كيف السبيل الى ترك ذنب كان عليك فى اللوح المحفوظ محفوظا والى صرف قضاء كان بك مربوطا وقال حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف وقال ظلمة الطبع تمنع انواع المشاهدة وقال لباس الهيبة للعارفين ولباس التقوى للمقربين ولباس التقوى ذلك خير وقال ما التذ عاقل بمشاهدة قط لان مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة وقال انما يروض المريد نفسه بالصبر على الاوامر وتجنب النواهى وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء مات سنة اثنتين واربعين وثلثمائة

(قوله فقال بالصبر على فعل الاوامر الخ) اى فلا سبيل الا سبيل الهدى المحمدى وطريقه المتابعة والموافقة والله اعلم (قوله والشبابة) بتخفيف الباء آلة من آلات الملاهى (قوله ما التذ عاقل الخ) اى لان اللذة من لوازم النفس وهى فى هذا المقام يفنى عنها صاحبها فيفنى لازمها معها (قوله فناء ليس فيها لذة) أى ولا غيرها الفناء الاحساس بفناء النفس فى هذا المقام الذى هو مقام فناء الفناء كما اشار اليه الشارح وذلك أعلى اوجه الفناء الآتى بيانها فى كلامه (قوله فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء) فقوله يفنى أولا فهو عن الفعل بذوق والله خلقكم وما تعملون وقوله ثم يفنى ثانيا فهو عن الوصف بذوق وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقوله ثم يفنى ثالثا أى عن الذات بذوق كان الله ولا شئ معه ويبقى الله ولا شئ معه وقوله فكان فناؤه عين البقاء المراد الفناء باوجهه الثلاثة المتقدمة عين البقاء وذلك لانه بفنائه المذكور يبقى به سبحانه وتعالى ولا بعد فى كون العدم من اسباب الوجود حيث المؤثر الرب المقصود (قوله ومنهم ابو بكر محمد بن داود الدينورى الخ) قال المناوى امام تقدم فى جامع الطاعة وسبق فى حلبة الزهد والقناعة وسار بالورع والصلاح وطار على آفاق اجنحة النجاح صحب ابن الجلاء والدقاق وعمر مائة سنة * ومن فوائده علامة القرب الى الله الانقطاع عمن سواه وقال من عرف الله لم ينقطع رجاؤه ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله ومن عرف ربه لجأ اليه ومن نسى ربه لجأ الى المخلوق وقال اهل المعرفة أحسن اجتماعا معروفهم وغيرهم لاحيا لهم الا الجاز وقال لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة شيأ وقال كم من مسرور بسروره بلاؤه وكم من مغموم غمه نجاته مات سنة ثلاث وستين وثلثمائة عن نحو

مائة سنة ودفن بالقرافة (قوله ومن كلامه من عرف ربه) أي بسبق رحمته وكرمه لم ينقطع رجاؤه بل يقوى وقوله من عرف نفسه أي بميلها للشهوات وطمعها على الخبث والدسائس وعجزها عن فعل شيء أو تركه لم يعجب بعمله لانه والحالة هذه قل أن يصفو له عمل وقوله ومن ذكر الله أي تذكر وتفكر في أنه هو الفاعل المختار لا فاعل غيره لجأ اليه أي لم يعتمد على شيء سواه وقوله ومن نسي الله أي غفل عن كونه الفاعل المختار لجأ الى المخلوقين أي اعتمدهم بسبب جهله وغفلته وقوله والمؤمن لا يسهو الخ اي فسهوه ينشأ عن غفلته واذا تذكر حالا يرجع ويندم ويحزن ويطلب الاقالة والعفو من ذنبه (قوله ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد الرازي) أي المعروف بالحداد كان عن حظه حائدا ولشهوده عابدا مشاهدا ذا رتبة في التصوف ركنها رفيع ومنزلة عالية طودها شامخ بديع * ومن كلامه العبارة تعرفها العلماء والاشارة تعرفها الحكماء واللطائف تقف عليها السادة النبلاء وقال علامة الصبر ترك الشكوى وكتمان الضر والبلوى ومن علامات الاقبال على الله تعالى صيانة الاسرار عن الالتفات الى الاغيار واحسن العبيد حالا من رأى نعمة الله عليه بأن أهله لمعرفته وأذن له في قربه وأباح له سبيل مناجاته وخاطبه على لسان اعز أنبيائه وعرف تقصيره عن القيام بواجب أداء شكره وقال كنت أتأدب بابي عمران الاصطخري فاذا خطر لي شيء لم أحضره فيجيبني من غير مسئلة ثم اشتغلت عن حضوره فكنت اذا خطر على سري أجابني من اصطخر بجواب مخاطبته وأنا بنيسابور نفعنا الله ببركة أوليائه (قوله فقال لانهم اشتغلوا بالمباهاة الخ) محصله ان دوام التلوث بالاقذار المعنوية سبب قساوة القلوب بترك آدابها والاقتصار على اصلاح الظاهر مباهاة وتصنعا ومن العجب شدة النكير على عيب الغير والعمى عن عيب النفس مع أنه لو انصف لبدأ بنفسه فطهرها من ذلك بدوام الذكر والفكر وسؤال العافية للغير والله اعلم (قوله الا وان في الجسد الخ) الصلاح وعدمه في ذلك باعتبار اللطيفة الربانية المودعة فيه التي بها الادراكات والمعارف (قوله ومنهم ابو عمرو اسمعيل بن نجيد) أي السلمي شيخ عصره في التصوف وامام وقته في فنون التعرف كان ذا براعة وفصاحة وصيانة وسماحة وكان شافعي المذهب صحب الجنيد والحيري وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل والرازي روى عنه سبطه ابو عبد الرحمن السلمي والحاكم والقشيري وحكى هو عن نفسه قال اختلفت الى مجلس الحيري في بدايتي فأثر في قلبي كلامه فتبت ثم وقعت في فترة فكنت أهرب من الحيري اذا رأيته فنظر بي فقال يابني لا تصحب من لا يحبك الا معصوما انما ينفعك أبو عثمان في مثل هذه الحالة فتبت وعدت الى الارادة وذكر أن شيخه الحيري من الاوتاد * ومن كلامه من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه وقال كل من لم تهذب رؤيته فهو غير مهذب وقال لا يصفو لاحد قدم في العبودية حتى يشهد أفعاله كلها رياء وأحواله دعاوى وقال اذا أراد الله بعبد خيرا رزقه صحبة الصالحين والعمل بما يشيرون به عليه وقال الدعاوي انما

ومن كلامه من عرف ربه لم ينقطع رجاؤه ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله ومن ذكر الله لجأ اليه ومن نسي الله لجأ الى المخلوقين والمؤمن لا يسهو حتى يغفل فاذا تذكر حزن واستغفر اي اذا سها لا يستمر سهوه حتى يغفل بل اذا سها يعقبه التذكر فاذا تذكر حزن واستغفر * (ومنهم ابو محمد عبد الله ابن محمد الرازي مولده ومنشؤه نيسابور صحب أبا عثمان الحيري والجنيد ويوسف بن الحسين ورويما وسمنون وغيرهم مات سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازي يقول وقد سئل ما بال) اي حال (الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون الى الصواب فقال لانهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله) أي بالعمل به (واشتغلوا بالظواهر) أي بآدابها (ولم يشتغلوا بآداب البواطن فاعمى الله قلوبهم وقيد جوارحهم عن العبادات) لان العبد انما يرجع عن خطئه وزلله بكمال خوفه من ربه وشدة حذره من مقته وانما يحصل له ذلك بدوام فكره في وعده ووعيده الناشئ عن صلاح القلب الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله * (ومنهم ابو عمرو اسمعيل بن نجيد

قوله

صحب أبا عثمان ولقي الجنيد وكان كبير الشان آخر من مات من أصحاب أبي عثمان في سنة ست وستين وثلثمائة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول كل حال لا يكون عن نتيجة علم فان ضرره على صاحبه أكثر من نفعه) لان العلم بالاشياء هو الذي يفيد القلوب الاحوال كالعلم بالخوف فانه يفيد القلب الهرب وكالعلم بالرجاء فانه يفيد القلب شدة الطلب وكالعلم بالنعم فانه يفيد القلب محبة المنعم وكل حال لا يكون عن علم فهو مذموم لان فاعله عن الله متشبع بما لم يناله (قال) اي الشيخ عبد الرحمن (وسمعته) اي ابا عمرو بن نجيد (يقول من ضيع في وقت من اوقاته فريضة افترضها) وفي نسخة افترض الله عليه بان تركها ٥

بالكلية أو أتى بها مختلة الشروط (حرمه الله لذة الانس ويقول) وفي نسخة الا (بعد حين) المعنى على النسخة الاولى انه يزيل الانس من قلبه بأن يحجبه ولو تاب عنه وان قضاها وعلى الثانية انه يزيل الانس الا ان يعقبه تحفة في الانس (قال وسئل عن التصوف فقال) هو (الصبر تحت الامر والنهي) هذا تفسير باللازم فان التصوف هو التخلق باخلاق الصوفية وذلك انما يحصل بالصبر المذكور (قال) وفي نسخة سمعت السلمي يقول سمعت جدي يقول (آفة المريد رضاه من نفسه بما هو فيه) من المقامات اي عدم امتناعه من طلب زيادة عليه والا فهو حسن فلم يزل العلماء الراضون بقضاء الله تعالى الواقفون يسألونه الزيادة وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما وفي نسخة آفة المريد قوله بما هو فيه فهو تحفة المحبين الحسنين بقوله ذلك ﴿ (ومنهم

أبو الحسن علي بن احمد بن سهل البوشنجي) بضم الموحدة وفتح المعجمة وبالجيم نسبة الى بوشنج بلدة على سبعة فراسخ من هراة (احد فتيان خراسان لقي ابا عثمان وابن عطاء والجريري وابا عمرو الدمشقي مات سنة ثمان واربعين وثلثمائة) بنيسابور وكان اعلم اهل وقته بالتوحيد والطريق واحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد (وسئل البوشنجي عن المروءة فقال ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الملائكة الكرام الكاتبين ككشف العورة) في الخلوة والمروءة الكاملة ان يحفظ العبد في جميع حركاته وسكناته وجوارحه حتى لا يكون منها ما يكرهه مولاه ولا غيره من خلقه (وقال له انسان ادع الله لي فقال اعاذك الله من فتنتك)

تقول من فساد الابتداء فمن صحت بدايته صحت نهايته ومن فسدت بدايته هلك في احواله وقد قال أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير الآية وقال التصوف الصبر تحت الامر والنهي وقال الملامتي لا دعوى له لانه لا يرى لنفسه شيأ يدعي به وقال من قدر على اسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الاعراض عن الدنيا واهلها وقال من اجهل اظهار العبد محاسنه لمن لا يملك نفعه ولا ضره وله غير ذلك من الفوائد (قوله كل حال الخ) محصله الحث على العلم والعمل به وعلى دوام اتهام النفس وحينئذ فلا يثق الانسان بالواردات الا اذا وافقت علم الظاهر والله اعلم (قوله فانه يفيد القلب محبة المنعم) أي واذا احبه شكره عليها واذا تم شكره زادت نعم الله عليه والله اعلم (قوله فهو مذموم) أي لجهل صاحبه بالقواطع والاسباب المهلكة (قوله أو أتى بها مختلة الشروط الخ) أي سواء كانت شروط صحة أو كمال وقوله حرمه لذة الانس الفريضة بل ربما استحق مع ذلك العتاب الشديد (قوله فقال هو الصبر الخ) أي حبس النفس على فعل المأمورات واجتناب المنهيات فالمراد بالامر والنهي ما فيهما وعيد شديد لا يقبل التأويل والصرف اولم يكونا كذلك وبذلك يتم له معنى الاستقامة على حسب الطاقة (قوله والا فهو حسن) أي والا يكون معه الامتناع المذكور فهو حسن للامتثال بطلب الزيادة وهذا لا ينافي الوقوف مع مرادات الحق تعالى لما أشار له الشارح بقوله فلم يزل العلماء الخ فتدبر (قوله أحد فتيان خراسان) أي لزيادة سماحته بالبذل وكرم اخلاقه (قوله واحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد) اي التحقق بقوة البذل والتجريد أي تجريد نفسه عن الحظوظ والعادات (قوله فقال هي ترك الخ) اي فلا تتحقق المروءة للانسان الا بترك ما يلام عليه بوجه الشرع مما يحصى من حركاته وسكناته في ديوان الحفظة الكاتبين من الملائكة وذلك اقل رتبة مما ذكره الشارح بعد (قوله والمروءة الكاملة الخ) اي وهذه لا تتم الا بالخروج عن جميع الشهوات البشرية ودوام المراقبة لتكامل الحركات والسكنات كما افاده الشارح (قوله فقال اعاذك الله من فتنتك الخ) أقول ظاهره عموم

لان العبد قد يفتتن بالمال والولد والبلاد وغيرها مما يحب ويشتغل به عن دينه قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة فدعاله

بالسلامة من كل فتنة (وقال) البوشنجي (ايضا) اول الايمان منوط

الفتنة فتنة الوجود وفتنة المفقود وانما قصرها الشارح على فتنة الوجود دلالة الآية الكريمة وهي قوله سبحانه وتعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى (قوله فدعاله بالسلامة من كل فتنة الخ) اي باعتبار ظاهر المتن او المراد من كل فتنة تنشأ عن الوجود على ما مشى عليه الشارح (قوله اول الايمان منوط بآخره) اي لان اوله الاقرار مع الاذعان القلبي فاذا دام لهذا الثاني اثر في دوام العمل مع المراقبة على طريق المتابعة حتى يصل الى مقام الاحسان ويحصل ذلك ان التصديق والاذعان الواقع من المكلف اولا يتعلق بآخره تعلق تأثير في دوام الاعمال مع المراقبات الموصل الى درجة الاحسان فاول الايمان علم وآخره قوة يقين والله اعلم (قوله الاولياء) اي وهم العلماء بعلم الشرع وعلم الذوق وقوله العلماء اي بعلم الشرع فقط وقوله والجهال اي وهم من تخلى عن العمل وان كانوا علماء (قوله ومنهم ابو عبد الله بن خفيف) هو محمد بن خفيف الضبي الشيرازي الشافعي شيخ المشايخ وذو القدم الراسخ علما ودينا وجمعا بين الحقيقة والشريعة كان له بدايات كالنهايات واحوال عاليات ورياضات ومجاهدات صحب من ارباب الاحوال احبارا واخيارا وشرب من منهل الطريق كؤسا كاملا وسافر مشرقا ومغربا وصابر النفس حتى انقادت بعد الاباء فاصبح لسان الشناء عليها معربا قد الزم قلبه المراقبة حتى لا يدري القرار وهيكله المجاهدة حتى لا يعرف من الماوى الا القفار وكان ذا كرا باجتماع ووجد مع استماع وعمل على الاتباع كان من ابناء اكابر الامراء فتفقه ثم تصوف وتزهد حتى صار يجمع الخرق من المزابل ويستتر بها اخذ عن ابن شريح الاشعري والواسطي والجريري وابن عطاء والقدسي ولقي الحلاج واخذ عنه القاضي الباقلاني وغيره قال ابو نعيم كان شيخ الوقت علما وحالا وقال الذهبي بلغ ما لم يبلغه احد في العلم والحال التام عند الخاص والعام وصنف ما لم يصنفه احد مقصودا من الآفاق متفننا بكل فن من الفنون وبقي في بدايته اربعين شهرا يفطر بكف باقلاء حتى يضعف بدنه ويقرأ القرآن في كل ركعة ويصلي كل يوم الف ركعة ودخل بغداد وبقي بها اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب ثم خرج فوجد ظبيا على راس بئر في البرية وهو يشرب وكان عطشانا فدنا من البئر فولى الظبي واذا بالماء اسفل البئر فقال يا سيدي ما لي عندك مثل هذا الظبي فسمع قائلا يقول جربناك فلم تصبر ان الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وانت جئت بهما فرجع فاذا بالبئر ملآن فشرب وتطهر وملأ ركوته فدخل على الجنيد فلما وقع بصره عليه قال له لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك ومن كلامه القرب طي المسافة بلطف المداناة وقال قربك بملازمة الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق وقال لي قال لي المصطفى في النوم من عرف طريقا الى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين وقال عليك بحفظ اللسان فاله لا لسان قوله وله غير ذلك (قوله الارادة الخ) مرادهم بها

بآخره) لان اوله الشهادتان بالنطق مع التصديق بالقلب واذا عمل بمقتضى ذلك افرد ربه بالقصد والعمل وعموما بالحق مما قال وفعل فاذا كمل في ذلك حتى لم ير غير ربه فقد وصل الى غاية الايمان وهو مقام الاحسان وهو ان يعبد العبد ربه كانه يراه فاوله نطق وتصديق وآخره شغل بربه عن غيره ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون ما سبق للعبد في الازل هو ما يجري عليه في الابد من ايمان او كفر او طاعة او معصية ويحتمل وجها آخر في الاعتراض عن المال باوائل الامور حتى يحققوا ما يختم لهم به من المقدور ومن كلام البوشنجي الناس على ثلاث منازل الاولياء وهم الذين باطنهم افضل من ظاهرهم والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء والجهال وهم الذين علانيتهم بخلاف اسرارهم لا ينصفون من انفسهم ويطلبون الانصاف من غيرهم (ومنهم عبد الله بن خفيف الشيرازي) بكسر الشين المعجمة نسبة الى شيراز قصبة فارس (صحب رويما والجريري وابا العباس بن عطاء وغيرهم مات) في رمضان (سنة احدى وسبعين وثلثمائة) بشيراز عن مائة واربع سنين (وهو شيخ الشيوخ واوحد وقته) شافعي المذهب (وقال ابن خفيف

الارادة) دوام التعب (استدامة الكد وترك الراحة) لان الوصول الى المطلوبات العلا انما يحصل بذلك

ويكون مع ذلك متبرئا من ارادته ولهذا قالوا المريد من لا ارادة له (وقالوا ليس شيء اضر بالمريد من مسامحة النفس في ركوبها الرخص) اى ارتكابها (وقبول التأويلات) المفضية الى الراحات والبطالات لان ذلك يضاد اجتهاده في الخيرات (وسئل عن القرب فقال قربك منه) تعالى (بملازمة الموافقات) لاوامره ونواهيه التي منها استشعار قلبك نظره اليك وقلة غفلتك عنه (وقربه منك بدوام التوفيق لك) وتوالى نعم الله عليك فليس القرب هنا بالتداني والمسافة لان ذلك من لواحق الاجسام والله تعالى منزه عنه (سمعت اباعبد الله الصوفي يقول سمعت اباعبد الله بن خفيف يقول ربما كنت اقرأ في ابتداء امرى في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ في ركعة واحدة القرآن كله ٧ وربما كنت اصلي من الغداة الى العصر الف ركعة)

الارادة المعبرة لنيل(?) المشاهدات والاولى تحقق بالعمل على طريقة المتابعة (قوله متبرئا من ارادته) اى بشهود الفضل لله تعالى (قوله قالوا المريد من لا ارادة له) اى من لا ارادة له ترجع الى الشهوة (قوله وتوالى نعم الله عليك) اى بافاضة الانوار وقوة الاسرار (قوله ربما كنت اقرأ الخ) اقول ذلك كله ميسر بالعناية والتوفيق فالفضل لله سبحانه وتعالى ويشير الى ذلك خبر كل ميسر لما خلق له (قوله فقال الشيخ مهدى الخ) اى ويدل له سيرانه(?) خلل في العقل او نقص في الدين (قوله للخبر الصحيح الخ) اقول بل ربما كان اجره تاما لان جاوبه(?) لعذر الضعف والحديث في غير اصحاب العذر كما ذكره الشارح (قوله الاكل مع الفقراء قربة الخ) اى سبب في القربة لما فيه من التواضع والجبر وادخال المسرة على الفقراء ولاسيما ان كان الاكل من المترددين (قوله ومنهم ابو الحسين بندار الخ) كان الفقيه الشافعي عارف خبير بحسن التربية والتدبير سكن ارجان وكان عالما بالاصول وله اللسان المشهور في علم الحقائق وكان الشبلي يعظمه جدا سئل عن الفرق بين الصوفي والمتصوف فقال الصوفي من صافاه الحق واختاره من غير تكلف ولا اجتهاد والمتصوف المزاحم على المراتب مع تكلف وكون رغبة في الدنيا وقال صحبة اهل البدع تورث الاعراض عن الحق وقال من لم يجعل قبلته ربه فسدت صلاته وقال الدنيا ما نامن(?) القلب وشغل عن الحق وقال من اقبل على الدنيا احرقته بنيرانها يعني الحرص لما قاله الامام الرازي ومن اقبل على الآخرة احرقته بنورها يعني الخوف فصار سبيكة ذهب ومن اقبل على الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا يقابل بثمن وقال من مشى في الظلم الى ذوي النعم اجلسه على بساط الكرم ومن قطع لسانه بشفرة السكوت بني له بيت في الملكوت ومن واصل اهل الجهالة البس ثوب البطالة ومن اكثر ذكر الله شغله عن ذكر الناس ومن هرب من الذنوب هربت منه ومن وجاشيا طلبه(?) (قوله لا تخاصم لنفسك) اى بل خاصم

قال ذلك لمريديه اجتهدوا واعملوا انتم في [illegible]
(قوله ترجع الى الشهوة) اى كائن تكون مشهودة مقصودة اليها اه مؤلفه
يدعون سلوكه (سمعت اباعبد الله ابن باكويه الشيرازي رحمه الله يقول سمعت ابا احمد الصغير يقول سأل يوما من الايام فقال الشيخ ابي عبد الله بن خفيف ... فقال الشيخ مهدى
(قوله فقال الخ) تأمل في المقال تعلم ان القائل قد شرب من ابحر الوصال فسبحان الله المنعم على من احبه المقرب له من ادناه وقربه اه مؤلفه
(قوله من غير تكلف الخ) يحتمل ان المراد المجذوب الى الله تعالى بالاحسان ... قبل المشاهدة بعناية الرحمن ويحتمل ان المراد العامل للطاعات بسهولة(?) وقال والله اعلم اه مؤلفه

بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر بهم) لان النفوس انما يتسلط عليها الوسواس من الشيطان بسبب تعلقها بالمحبوبات ورجاهم وافتتانهم في ذلك وهذا حاله مع الضعفاء اما المتقون فلا يتأثرون به بل يسخرون به لغفلته عنهم فيما دعاهم اليه من الخسران وشدة رغبتهم في الخيرات (وسمعته) اى ابن باكويه (يقول سمعت) ابا العباس الكرخي يقول سمعت (اباعبد الله بن خفيف يقول ضعفت عن القيام في النوافل فجعلت) وفي نسخة وقد جعلت (بدل كل ركعة من اورادي ركعتين قاعدا) للخبر الصحيح صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم وفي ذلك دلالة على كمال اجتهاده وبذل الطاقة على ظاهر واحتياطا ورغبة في الاجر والافضل من الفقهاء مساواة على القادر فالعاجز يساويه في الاجر ومن كلامه الاكل مع الفقراء قربة الى الله تعالى (ومنهم ابو الحسين بندار) بضم الموحدة (ابن الحسين الشيرازي كان عالما بالاصول كبيرا في الحال صحب الشبلي مات بارجان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة قال بندار بن الحسين لا تخاصم لنفسك فانها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها ما يريد)

فيه اشارة للامر بترك الاخلاق الذميمة اذ العبد انما يخاصم عن ملكه فاذا علم ان نفسه وما ملكه ملك لربه اعتمد عليه واكتفى
بحسن نظره اليه فانه القادر على جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها عنها وحصل له التوكل والرضا بما يجري به الحق عليه في السعة
وغيرها (وقال بئس الصحبة اهل البدع تورث الاعراض عن الحق) لان النفوس تأنس بما ترى وتسمع

له تعالى في طلب رضاه اتكون ممن تخلق بالخلق المحمدي حيث كان لا يغضب لنفسه
صلى الله عليه وسلم (قوله اذ العبد انما يخاصم عن ملكه) اقول وفي ذلك تسلية
للانسان واطفاء لنار غضبه بالالتفات والرجوع الى مصدر الكائنات وخالق الحركات
والسكنات وان ذلك منه تعالى لحكمة علية واسرار الهية لو اطلع عليه المرء لاختاره
كما يشير اليه خبر لو اطلع احدكم على الغيب لاختار الواقع (قوله لان النفوس تأنس
الخ) اي شأنها سرعة التأثر والاستيلاء بما يناسب الشهوات (قوله اترك ما تهوى) اي
ما تميل اليه من شهوات النفس لما تامل اي للذي ترجوه مما وعدت به مبدع الكائنات وذلك
انما يكون بدوام المجاهدة في العبادة مع اخلاصها فيثمر قوة اليقين حتى يصير الوعد
كنصب العين (قوله ليس من الادب الخ) اي ويؤيده خبر من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه (قوله وقال من اقبل على الدنيا) أي بالانهماك على تحصيلها واخذ شهواته
منها احرقته نيرانها قال الرازي يعني حرص ومنع الحقوق وذلك يوصله الى نار
التطهير ان لم يصادفه عفو الله وقوله ومن اقبل على الآخرة اي بتفرغه لاعمالها ودوام
جهده واجتهاده فيما يناسبها احرقته بنورها اي الذي هو نتيجة اعمالها حتى يفني عن
الكائنات باسرها وذلك بتأثير دوام انوار التجليات بسبب تخلصه من رق الشهوات وقوله
ومن اقبل على الله اي على مراقبته في عبادته احرقه التوحيد اي نوره حتى يفنى عن فنائه
بالترقي الى مقام جمع الجمع وحينئذ فهو سر من الجواهر المجردة عن الآفات لا قيمة له اي
لا يعلم مقدار ما هو عليه الا عدله والله اعلم (قوله ومنهم أبو بكر الطمستاني الخ) قال
الاستاذ المناوي هو العالم الرباني كان فصيح اللسان كثير المعروف والاحسان ماهرا
في طريق القوم عذب الكلام حافظا للعهد وافيا بالذمام تقدم على صوفية وقته ونظرائه
وتميز بين اعيان العصر وكبرائه وحسل وطاف وهام وصحب الاعيان والاعلام وكان
الشبلي يعظمه جدا ومن فوائده خير الناس من رأى الخير في غيره وقال اركان الطريق
الاربع ترجع الى الجوع فان من جاع قل كلامه ونومه واحب العزلة وقال من صدق في
اقباله على الله تعالى لم يشغله الخلق عن الله تعالى وقال النعمة العظمى الخروج من
النفس اي الاخلاق الذميمة والشهوات الردية والنفس اعظم حجاب بينك وبين الله
تعالى وقال النفس كالنار اذا اطفئت في موضع تأججت في آخر وقال لا يمكن الخروج من
النفس بالنفس انما الخروج منها بالله وقال من لم يكن الصدق وطنه ففي فضول الدنيا سكنه
ونحو ذلك من الفوائد (قوله النعمة العظمى) اي التي لا تنال الا بسابق العناية
الالهية هي الخروج من النفس اي مما طبعت عليه وألفته واعتادته وذلك بدوام
الرياضة بانواع العبادة حتى يتلاشى ناسوتها ويقوى لاهوتها فيحصل قرع الباب والقرب

(قوله لتكون ممن تخلق الخ) اي عملا
بقوله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين
والله اعلم اه مؤلفه

(قوله ويؤيده خبر من حسن اسلام
المرء الخ) ومن ذلك قيل ان الامام
مالكا رضي الله تعالى عنه تكلم
بكلمة لا تعنيه فصام عاما كفارة
لها اه مؤلفه

فرحم الله من اتبع افعال المتبع واقواله
طالما تتصل بها (وقال بئس الدار
اترك ما تهوى لما تامل) لان من
لم يكن كذلك لم يصل لآخرته ولم
يتقلل من دنيويته في دنياه وسالته
فانه مامور بأن يترك ما يهواه
في دنياه ومجازاته على عمله الصالح
في اخراه فان ما له افضل مما يتركه
وانفع له في اخراه ودنياه لما له من
خير الله كما جاء به او لاوفي دنياه
ومن كلامه ليس من الادب ان
تسأل رفيقك الى اين او في ايش
وقال من اقبل على الدنيا وسكن
اليها احرقته بنيرانها وصار رمادا
لا قيمة له ولا قدر ومن اقبل على
الآخرة وسكن اليها احرقته بنورها
وصار سبيكة من ذهب ينتفع
بها ومن اقبل على الله احرقه
التوحيد وصار جوهرا لا قيمة له
(ومنهم ابو بكر الطمستاني) قال
الجماعة ولهذا البلد نسبة بفتح المهملة وكسر الميم واسكان النون نسبة الى طمستان قرية من قرى ماريدان العبد
فاشتهر بها المكاتب (صحب ابراهيم الدباغ وغيره وكان اوحد وقته علما وحالا ومات بنيسابور بعد سنة اربعين وثلثمائة قال ابو بكر
الطمستاني النعمة العظمى الخروج) اي البعد (من النفس) وهي عندهم الاخلاق الذميمة والشهوات الردية كما مر

(وقال ابو العباس الدينورى) فى حق المتشبهين بالصوفية وليسوا منهم (نقضوا اركان التصوف وهدموا سبيلها) اى طريقها (وغيروا معانيها باسامى أحدثوها) بان اخذوا الاسامى الدالة على الاخلاق الحميدة فوضعوها للاخلاق الذميمة ليظن الجاهل أنهم متصفون بمعانيها الاصلية وليس كذلك فالمراد باحداثهم الاسماء احداثهم معانيها حيث (سموا الطمع زيادة) وهى تعلق انفسهم بالمحبوبات وتشوقها لما بايدى غيرهم والزيادة المحمودة انما هى التعلق بالله وزوال الغفلة عنه وفى نسخة زيارة بالراء وهى أن يمضى احدهم لشخص المرتفع عليه فى دنياه لينال منه ما يرجوه منها ويتعلل بالزيارة لله تعالى (و) سموا (سوء الادب اخلاصا) بان يتكلم احدهم بين يدى ذوى الفضل بما يقبح النطق به ويتعلل بأنه مخلص لا يخفى خلاف ما يظهر والاخلاص المحمود انما هو افراد الله بالقلب وعدم الرياء فى الطاعات (و) سموا (الخروج عن الحق شطحا) بان يجرى على السنتهم كلمات لا تشهد لها الشريعة بالصحة والشطح المحمود انما هو ما يجرى على السنتهم وقت غلبة الاحوال عليهم والحفظ عن ذلك اكمل (و) سموا (التلذذ بالمذموم طيبة) بان يتحدث بما جرى له فى صبوته متلذذا بذلك مع أقرانه من أهل غفلته والطيبة المحمودة ذكر كرامات الاولياء وقد قيل للجنيد ما فائدة هذه الحكايات التى يتداولها المريدون بينهم فقال يقوى الله بها قلوبهم فقيل له فما الدليل عليه من كتاب الله قال قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك (و) سموا (اتباع الهوى) من حب الشهوة كحب امرأة ونحوها (ابتلاء) حتى اذا عوتب فيه فيقول أنا مبتلى والابتلاء المحمود انما هو ما يصيب الله به العبد مما يحصل به الثواب مع الصبر كالفقر والمرض

الاحساس وذلك وقت غلبات الحقيقة على العبد الان بقال هى وان كانت تخريبا فى حكم الظاهر فهى موافقة فى حكم الباطن لو فرض كشف الغطاء عنها ويكفى فى الاعتبار ما ورد عن موسى والخضر والله اعلم (قوله كنت سمعه الخ) المراد بذلك حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من الخروج عما يوافق ما جاء عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (قوله نقضوا اركان التصوف) أى التى هى التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار (قوله فى حق المتشبهين بالصوفية الخ) اى وذلك بسبب قوة شهواتهم وعدم عقولهم اذ العقل هو اللب المنور بنور القدس الصافى عن قشور الاوهام والتخيلات فبدولته العلوم المتعالية عن ادراك القلب المتعلق بالكون المحجوب بالعلم الرسمى (قوله باسامى احدثوها) أى وذلك بسبب حياة نفسهم التى لا تميل الا الى مقتضيات الطبيعة البدنية حيث مالت الى الجهة السفلية فجذبت القلب الذى هو النفس الناطقة عن مركزه فماتوا عن الحياة الحقيقية العلمية بالجهل ولو اماتوها عن هواها لانصرف القلب بالطبع والمحبة الاصلية الى عالمه عالم القدس والنور والحياة الذاتية التى لا تقبل الموت اصلا ولهذا المعنى اشار افلاطون حيث قال مت بالارادة تحى بالطبيعة (قوله سموا الطمع زيادة) أى حيث موهوا بالاسماء فقطع تجردها عن مسمياتها تلبيسا على الجهال وزيادة فى طرق الضلال (قوله وسموا سوء الادب) اى اساءة الادب بقولهم قبيح العبارات مما لا يصح معناه فى أحكام النبوات اخلاصا وعدم اخفاء شئ (قوله والاخلاص المحمود انما هو افراد الله بالقلب) أى بان يشهده فى كل متعين بلا تعين به فانه تعالى وان كان مشهودا فى كل مقيد باسم او صفة أو اعتبار غير أنه لا ينحصر فيه ولا يتقيد به فهو المطلق المقيد والمقيد المطلق المنزه عن التقييد والاتقييد والاطلاق واللااطلاق فمن تحقق بالحق يرى أن كل مطلق فى الوجود له وجه الى التقييد وكل مقيد له وجه الى الاطلاق بل يرى الوجود كله حقيقة واحدة وله وجه واحد مطلق وآخر مقيد بكل قيد فافهم (قوله وسموا الخروج عن الحق) أى عما يجب فى مقام العبودية الى ما لا يليق الا بمقام الربوبية فيسمون ذلك شطحا اذا سئلوا عنه فيقولون قد أجراه الحق على ألسنتنا ولم نشعر وهو خلاف الحق والكمال بل هو من تسويل الشيطان وتحسينه وربما قد يجر ذلك الى الكفر والعياذ بالله تعالى (قوله طيبة) أى شيأ يتطيب به ويتفكه به حيث هو من متعلقات الزمن الماضى فى وقت الشباب والقوة (قوله فقال يقوى الله بها قلوبهم) أى فيدومون على العبادات والمجاهدات وما ذكره من الدليل يفيد ثبوت ذلك بالقياس على مورد النص القرآنى (قوله وسموا اتباع الهوى الخ) أى فيقصدون بذلك تلبيس ما يعرض من ملاغات النفوس بما يعرض مما لا يلائمها كفقر

(و) سموا (الرجوع الى الدنيا وصولا) بان يوصل الناس من اشتهر بالخير والزهد مما في أيديهم من الاموال والوصول المحمود انما هو انقطاع قلب العبد عن الخلق شغلا بربه فضلا عما في ايديهم (و) سموا (سوء الخلق) بان يتنمر العبد ويتغير على من خالفه في غرضه أو عاتبه في غيبته (صولة) والصولة المحمودة انما هي تغيير المنكر والاعراض عما لا يرضى الله تعالى (و) سموا (البخل) بان يشح العبد على السائل بما طلبه منه (جلادة) من حيث لا ينخدع بسؤال سائل والجلادة المحمودة انما هي صبر العبد على مشاق الاعمال وما ينزل به من ربه فيتحمل ذلك ولا يتضجر (و) سموا (السؤال) بان يدور العبد في الاسواق بزنبيل ونحوه يسأل الناس ليكسر به نفسه (عملا) وهو مذموم اذ لا يليق بمن ترك الدنيا زهدا ان يتعاطى ما ذمته الشريعة من السؤال من غير حاجة تلجئه والاخبار الدالة على ذم السؤال كثيرة كخبر ان المسئلة في وجه صاحبها يوم القيامة كدوح أو خموش والعمل الممدوح انما هو فعل المأمورات وترك المنهيات (و) سموا (بذاءة اللسان) وهي ان يذكر العبد عيوب اخيه (ملامة) بان يتعلل بكونه يلومه ليرجع عن نقائصه والملامة المحمودة ان يذكر لما فيه على وجه النصيحة خفية أو بحضرة من يعرف ذلك ليساعده على رجوعه عما هو عليه لانه قصد بذلك النصيحة ولم يكشف عنه ما هو مستور (وما) اى وليس (هذا) أى ما ذكر من المذمومات (كان طريق القوم) فلا يغتر عنه العبد ويتبع ما ذكر من العيوبات وتكلم ابو العباس يوما فصاحت عجوز في المجلس صيحة فقال لها موتي فقامت وخطت خطوات ثم التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة (ومنهم ابو عثمان سعيد بن سلام المغربي) القيرواني البغدادي ثم النيسابوري (واحد عصره) في الورع والزهد والصبر على العزلة (لم يوصف) بذلك (مثله) الا قليل

ومرض والفرق واضح اذ صاحب الحال الاول مأزور وصاحب الثاني بفضل الله مأجور فشتان ما بين المنزلتين (قوله وسموا الرجوع الى الدنيا الخ) اى اظهروا ان ما يصلهم من الناس انما هو بسبب كونهم من الواصلين الى الله مع أنهم لو صدقوا لانقطعوا عن جميع الخلق باشتغالهم بالاله الحق (قوله وسموا سوء الخلق الخ) أى بالظهور بالقهر والغضب والغلبة على من خالفهم بفعل ما لا يلائمهم بداعى قوة ناموس الوجود الشهواني الحيواني (قوله بما طلبه منه) أى مما فضل عن حاجته ومن تلزمه مؤنته (قوله وسموا السؤال الخ) اى التعرض الى نوال الحادث بسبب شهوات النفس الطبيعية وقوله عملا اى اشتغالا بطريق كسر النفس وهضمها مع ان ذلك من الجهل والدناءة بشاهد خبر اليد العليا خير من اليد السفلى والله اعلم (قوله وسموا بذاءة اللسان) أى فحشه بذكر عيب الغير مع العمى والغفلة عن عيب النفس وقوله ملامة أى تصاممع انهم بجهلهم وعماهم عن طرق النصيحة قد اخطؤا (قوله وما اى وليس الخ) أى بل كانت طريقهم متابعة سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم (قوله ووقعت ميتة) اقول يدل ذلك على غاية صدقها وقيامها بالله واستقامتها عند البقاء بعد الفناء والعبور على المنازل كلها والسير من الله بالله في الله والانخلاع عن الرسوم كلها بالكلية (قوله ومنهم ابو عثمان سعيد بن سلام المغربي) قال العلامة المناوي صوفي جليل كبير عارف عرف نسيمه الطيب من البعيد له الاحوال المأثورة والكرامات المذكورة صحب الزجاجي والنهرجوري والدينوري وغيرهم ولم ير مثله في علو الحال وصون الوقت وصحة الحكم بالفراسة وقال التصوف سير السر مع الله سبحانه وتعالى ومن كلامه الاعتكاف حفظ الجوارح تحت الاوامر وقال أبى الملك الجبار ان يحتبر اولياءه ويتسلط عدوهم عليهم وقال من اشتغل باحوال الناس ضيع حاله ومن مد يده الى طعام غني بشره لا يفلح ابدا وقال عاص نادم خير من طائع مدع لان العاصي يطلب طريق توبته ويعترف بنقصه والمدعي يتخبط في حال دعواه وقال من لم يسمع من نهيق الحمار ما يسمع من صوت العود ودواخل النغمين فسماعه معلول وقال التقوى الوقوف مع الحدود وقال لا تصحب الا أمينا أو معينا فان الامين يحملك على الصدق والمعين يعينك على الطاعة وقال العارف وقت تضيء له انوار العلم فتبصر عجائب الغيب وقال اذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الادب وقال من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم انس الذكر وقال من ادعى السماع ولم يسمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدع وله غير ذلك من الفوائد (قوله والصبر على العزلة) يفيد انها امر شاق على النفوس ولا يقدر عليها الا من منح الثبوت وهو

صحب ابن الكاتب وحبيبا المغربي وأبا عمرو الزجاجي ولقي النهرجوري وابن الصائغ وغيرهم) وجاور بمكة سنين (مات
بنيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وأوصى بأن يصلي عليه الامام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى ودفن بجانب أبي
عثمان الحيري (سمعت الاستاذ الامام أبا بكر بن فورك رحمه الله يقول كنت عند أبي عثمان المغربي حين قرب أجله وعلى القوال
الصغير يقول) أي ينشد (شيأ) من كلام القوم (فلما تغير عليه الحال) من شدة ألم نزع روحه وغمض عينيه (أشرنا على
علي) المذكور (بالسكوت) فسكت (ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه فقال ١٣ لم لا يقول علي) المذكور (شيأ فقلت لبعض
الحاضرين سلوه) وقولوا له (على أي وجه يسمع المستمع) أي على أي وجه يسمع العبد من الوجوه الفاضلة (فاني استحي) واستحي منه ان أساله (في تلك الحالة) التي اشتد عليه فيها الالم (فسألوه) عن ذلك (فقال) لهم (انما يسمع) المستمع (من حيث يسمع) أي من حيث يسمعه الله تعالى لاختلاف مقامات الناس ومعرفتهم بالله وتعظيمهم له فقد يسمع العبد من الخوف وقد يسمع من الرجاء وقد يسمع من المحبة وكل منهم على درجات وفيما نقل عنه ما يدل على كمال شغله بربه اذ الوصي اذا ناله الم ... وعلم انتقاله لما هو فيه من الموت فانه انما غرض نفسه بالشفقة مما هو فيه حتى قد يسمع الحاضرون موته فأمروا القوال بالسكوت (وكان أبو عثمان في الرياضة كبير الشأن) وكمالها يكون بكمال التقوى فان المتقي يروض نفسه حتى تستأنس بالله تعالى (وقال أبو عثمان التقوى هو الوقوف مع الحدود) التي
شرعها الله تعالى (لا يقصر فيها العبد ولا يتعداها) بل يأتي بها على وجهها (وقال من آثر صحبة الاغنياء على مجالسة الفقراء
ابتلاه الله بموت القلب) لانه لا يؤثر صحبة الاغنياء الا لمحبته للدنيا وهي تشغل القلب عن الآخرة وتغفله عنها ويعبر عن هذا
بموت القلب لان حياته انما هي بحركته واشتغاله بما خلق له فاذا لم يحصل به اشبه الميت وقد قال تعالى في حق الغافلين أموات
غير أحياء ومن كلامه من اشتغل باحوال الناس ضيع حاله ومن مد يده الى طعام الاغنياء بشره وشهوة لا يفلح ابدا
(ومنهم أبو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذي) بفتح النون وبالذال المعجمة نسبة الى نصراباذ محلة من محال نيسابور

كذلك (قوله كنت عند أبي عثمان الخ) في ايراد هذه القصة تنبيه على بلوغ هذا الاستاذ
اعلى مقام في الثبوت حيث مرض الموت الذي اصابه لم يشتغل قلبه بل بقي على مراقباته
ومعارفه (قوله أي على أي وجه يسمع) أي فالسماع له وجوه فاضلة بحسبها من الاشتغال
بامر الدين مع أنه تقدم عن بعضهم أنه من نوع البطالة ينافي الجد والاجتهاد في العبادة
فلعله بحسب اختلاف الواردات على القلوب والله اعلم (قوله أي من حيث يسمعه الله
تعالى) اقول لعل قصره على الاوجه الفاضلة التي ذكرها باعتبار السؤال والا فعبارة
الجواب كما تصدق بذلك تصدق أيضا بالاوجه المذمومة (قوله فقد يسمع العبد من
الخوف) أي من اجل الخوف لكون الغالب عليه الرجاء وقوله من الرجاء أي من أجله اذا
غلب عليه الخوف ومثله يقال في قوله وقد يسمع من المحبة وحاصل ذلك أنه يحصل خلاف
ما غلب عليه من الاحوال المذكورة لكون معتدلا على جميعها ومتوسطا بينها اذ حيث
الشأن لطالب الحق ان لا يقف مع حال أو مقام خشية ضرره تدبره والله أعلم (قوله
وكان في الرياضة الخ) أي فكان قائما على نفسه وحاملا لها على الجد في العبادة
بسياستها حتى تخلص من الشواغل والآفات (قوله هو الوقوف) ذكر الضمير باعتبار
الخبر والا فكان حقه التأنيث (قوله من آثر الخ) أي من غلب على قلبه الميل للاغنياء
ومجالستهم ابتلاه الله تعالى بموت قلبه لانه انما ينشأ له ذلك من اشتغال النفس بشهواتها
الدنيوية وترك ما خلقت له من العبادة وحاصله ان الميل للاغنياء من حيث غناهم مذموم
اما من جهة علمهم أو صلاحهم أو كرمهم فلا بأس به (قوله اشبه الميت) أي بجامع عدم
الانتفاع في كل على ان الميت حقيقة انقطع عمله واستراح بخلاف هذا على ما لا يخفى
(قوله ضيع حاله) أي مع ان الاولى في حقه الاشتغال بحال نفسه وترك حال الناس
(قوله لا يفلح ابدا) أي لان ذلك يدل على قوة شهوانيته (قوله ومنهم أبو القاسم ابراهيم
ابن محمد النصراباذي الخ) قال المناوي هو شيخ خراسان علما وحالا كان في علم التصوف
اماما وفي فن التعريف لمن تقدم ختاما عاكفا للزهد والورع مخالفا لمن زاغ عن
الطريق وابتدع كاشف الفهم عاطل الاستمام حسن الاخلاق لطيف الكلام فصيح

(شيخ خراسان في وقته صحب الشبلي وابا على الروذبادي والمرتعش جاور بمكة سنة ست وستين وثلثمائة ومات بها سنة سبع وستين وثلثمائة وكان عالما بالحديث كثير الرواية) قال السلمي لما هم بالحج صحبته فكان كل منزلة او بلدة يقصد سماع الحديث فيها

فرد على قارئه مرة ثم أخرى فقال له ان كنت تحسن القراءة فتقدم واقرأ فاخذ الجزء

ولما دخل بغداد جاء الى القطيعي منه وقرأ قراءة تحير منها القوم ثم قرأ في مجلس واحد ما كان يريد ان يقرأ في خمسة ايام (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت النصراباذي يقول اذا بدا لك شئ من بوادى الحق فلا تلتفت معها الى جنة ولا الى نار فاذا رجعت عن تلك الحال فعظم ماعظمه الله) أي ينبغي للعبد اذا فتح الله عليه بابا لاحظ فيه كمال مولاه وكمال صفاته واشتغل به ان لا يلتفت في وقت شغله به الى غيره لئلا يتكدر عليه حاله فاذا رجع الى ادراك نفسه وغيره من الخلق وخطابه فليعظم ماعظمه الله من نبي وملك وولي وغيرهم ليقوم بما يجب عليه له فانه تعالى عظم الجنة والنار وكررهما في كتابه ليحصل الخوف والرجاء منه فمن عرف ان غير الله لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع فلا يحمله ذلك على الاعراض عما سواه من امر الله بتعظيمه ومما خوف منه كالنار (وسمعت محمد ابن الحسين يقول قيل للنصراباذي ان بعض الناس يجالس النسوان ويقول انا معصوم في رؤيتهن

اللسان عن ذنب العبارة لا يلهيه عن ذكر الله بيع ولا تجارة أخذ الحديث عن ابن ابي حاتم والطحاوي وغيرهما وعنه الحاكم وغيره (قوله ثم قرأ في مجلس واحد الخ) فيه دلالة على زيادة تقربه ومداواته ورغبته في الحديث (قوله اذا بدا لك شئ الخ) يشير بذلك الى ان للمقربين تجليات وواردات ترد على قلوبهم بقوة صفائها وجلائها ومن اجلها يرد على قلوبهم الفناء عن الكائنات بشهود خالق النور بكمالاته وصفاته المقدسة فاذا تحقق له هذا الوارد لم يلتفت عنه لغيره الادنى منه فاذا فقد الحق الى الوجود والاحساس اشتغل بتعظيم ماعظمه الله ليدوم له شرف الوارد الاول وحسن الوارد الثاني والله اعلم (قوله من بوادى الحق) جمع بادية وهي ما يفجأ قلب العبد من الغيب فتوجب له بسطا او قبضا ويحل تلك البادية انما هو القلب الذي هو بيت الحكمة والبيت الحرام لكونه حرم على غير الحق فافهم (قوله فلا تلتفت معها الى جنة الخ) أي لتكون من الموفين بالعهد المشار اليه بقوله حيث قال الله تعالى الست بربكم والوفاء بالعهد بالنسبة للعامة بالرغبة في الوعد والرهبة في الوعيد وللخاصة بالوقوف مع الامر لنفس الامر لا لرغبة ولا لرهبة ولخاصة الخاصة بالوقوف مع التبري من الحول والقوة ولصحب بصون قلبه عن الاتساع لغير محبوبه فاخترلنفسك ما يحلو ثم ومن لازم الوفاء بالعهد ان ترى كل نقص بك ومنك راجعا اليك ولا ترى كمالا لغير ربك (قوله فلا تلتفت الخ) أي لتكون من الجناب وهم السائرون الى الله المسافرون عن منازل النفس الحاملون لزاد التقوى والطاعة حتى يصلوا الى منازل القلب ومقامات القرب فيكون سيرهم في الله فافهم (قوله اي ينبغي للعبد اذا فتح الله الخ) أي ولذلك أشار عارف وقته قدس الله سره حيث قال في تائيته

بدت فرأيت الحزم في نقض توبتي ... وقام بها عند النهى عذر محنتي

فراده رضي الله عنه انه لما قاسى من شدائد المجاهدة ومحن المكابدة ما أنكره عقله عليه واوقعه منه في الندم قد جنح الى التوبة بملاحظة العقل فلما تجلت له المحبوبة أنسته كل هم وازاحت عنه كل غم فرأى ان الرأى المتقن المحكم في نقض تلك التوبة الفاسدة التي لا تسوغ اصلا وهنالك قام بها أي ببدوها وتجليها عند النهى وهو العقل عذر ارتكاب المحنة فافهم (قوله ويقول انا معصوم في رؤيتهن) أي محفوظ فيها اذ العصمة لا تكون الا للنبي (قوله فقال ما دامت الاشباح الخ) اي فالاوفق بحال العبد ان يدوم على الوقوف مع الامر والنهي واتهام النفس ولو ثبتت على قدم المجاهدات والرياضات اذ الصورة محكم الحقيقة وتغيير الحال ليس من المحال والبعد عن الشبهات نوع من الكرامات

فقال ما دامت الاشباح) أي الاشخاص (باقية) في الدنيا (فان الامر والنهي باق) كل منهما (والتحليل والتحريم على مخاطب به) أي بكل منهما (ولن يتجرى على الشبهات الا من تعرض للمحرمات) وفي نسخة الامن هو متعرض للمحرمات اي عرضة او الاذا العبد وان كان محترزا في وقته فهو منهي عن التعرض للشبهات في استبرأها سلم ومن تعرض لها التعرض لها الا لا

(والنفس اعظم حجابا بينك وبين الله) فما دام العبد واقفا مع شهواته

فهو بامتثالها فهو بقيد
من الخيرات (سمعت اباعبد
الله الشيرازى رحمه الله يقول
سمعت منصور بن عبد الله
الاصبهانى يقول سمعت ابابكر
الطمستانى يقول اذا هم) اى
عزم (القلب) على مالا يرضى الله
(عوقب فى الوقت) فانه اذا تفطن
لذلك من علمه وتيقنه ويجد أثر
ذلك فى قلبه من الوحشة وعدم
الحضور وتاب منه وفيه دلالة على
ان العبد يؤاخذ بعزمه على
الافعال وان لم يفعلها خلافا لمن
زعم أنه لا يؤاخذ به حتى يفعلها
والمراد العزم المصمم (وقال)
الطمستانى (الطريق واضح
والكتاب والسنة) اى الدليل
عليه منهما (قائم بين اظهرنا) اى
بيننا (وفضل الصحابة) على غيرهم
(معلوم) وان بالغ غيرهم فى
الاجتهاد (لسبقهم الى الهجرة)
والجهاد مع النبى صلى الله عليه
وسلم (واصحبتهم) له واما نحن (فمن
صحب منا الكتاب والسنة) اى
عمل بمافيهما (وتغرب) اى بعد
عن نفسه (و) عن (الخلق وهاجر
بقلبه الى الله تعالى فهو الصادق
المصيب) دون غيره ۞ ومنهم ابو
العباس احمد بن محمد الدينورى
صحب يوسف بن الحسين وابن
عطاء والجريرى وكان عالما فاضلا
ورد نيسابور وأقام بها مدة وكان
يعظ الناس بها ويتكلم على لسان
المعرفة ثم ذهب الى سمرقند ومات بها بعد الاربعين وثلاثمائة

العبد من رحمة رب الارباب (قوله النعمة العظمى الخروج من النفس) اى من حظها وما ألوفاتها التى جبلت عليها فهى الحجاب الاكبر المانع من الوصول ولذلك قيل لمن رام الوصال من الرجال فارق نفسك وتعال فافهم (قوله والنفس اعظم حجابا الخ) أى ويقال اصاحبها الكنود وهو فى الشريعة تارك الفرائض وفى الطريقة هو تارك الفضائل وفى الحقيقة هو من اراد شيأ لم يرده الله تعالى حيث ينازع الله فى مشيئته ولم يعرف حق نعمته (قوله فما دام العبد واقفا مع شهواته الخ) اى واما اذا خرق حجاب النفس وغبة فى الكنز الخفى وهو حضرة الاحدية والهوية المكنونة فى غيب الغيب فقد يفتح له كوكب الفتح وهو اول ما يبدو من التجليات وقد يطلق على من تحقق بظهور بالنفس الكلية المأخوذة من قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا (قوله اذا هم القلب الخ) أقول الذى يظهر من كلامهم وتشديدهم حمل الهم على مجرد الخاطر القلبى وان لم يصل الى درجة العزم ويكون من قبيل حسنات الابرار سيآت المقربين غير ان الشارح نفعنا الله به مشاه على ماهو المقول فى احكام الفروع وهو الاليق بالرفق (قوله اذا هم القلب الخ) اى فكيمياء السعادة فى تطهير النفس باجتناب الرذائل واكتساب الفضائل وهذا من أخلاق العامة واما كيمياء سعادة الخواص فهى تخليص القلب عن الكون اشتغالا بالمكون (قوله الطريق واضح الخ) يفيد بذلك ان الطريق الموصل الى الحق محصور فى متابعة سيد المرسلين وامام المرشدين عليه الصلاة والسلام من رب العالمين وهو الحق الذى لا محيد عنه (قوله الطريق واضح) اى بالنسبة لمن تخلص من لبس الصور العنصرية التى تلبس الحقائق الروحانية قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (اقول) ومن ذلك لبس خواص البشرية بالصور الانسانية المشار اليه بخبر اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى فافهم (قوله وتغرب عن نفسه) اى ارتحل عنها الى الافق المبين الذى هو نهاية مقام القلب فهذا هو السفر الاول على طريقتهم والسفر الثانى هو السير فى الله بالاتصاف بصفاته والتحقق باسمائه الى الافق الاعلى وهو نهاية مقام الروح والحضرة الواحدية والسفر الثالث هو السير مع الله بالترقى الى عين الجمع والحضرة الاحدية وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الاثنينية فاذا ارتفعت فهو مقام أو ادنى الذى هو مقام الولاية والسفر الرابع هو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع فافهم (قوله وعن الخلق) اى الشاغلين له عن طريق الوصول الى الله (قوله وهاجر بقلبه الخ) أى بعد مفارقة جميع مألوفاته (قوله فهو الصادق المصيب) اى الواقف مع مراد ربه المصيب طريق السعادة الابدية وكان حينئذ عمر زمانه كله ليلة القدر التى يخص الله فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة الى محبوبه وهى وقت ابتداء وصول السالك الى عين الجمع ومقام البالغين فى المعرفة والله أعلم (قوله ومنهم ابو العباس احمد بن محمد الدينورى) قال الشيخ المناوى

قال ابو العباس الدينوري أدنى الذكر أن تنسى ما دونه) أي غيره ويعبر عنه بالفناء (ونهاية الذكر ان يغيب الذاكر في) حالة (الذكر عن الذكر) ويعبر عنه بفناء الفناء فاذا لم يبق في قلب العبد حالة ذكره لله شئ من المخلوقات غير ذكره له فقد فنى عن غير الله وان كان مدركا لفنائه ونفسه فان قوى اشتغاله بالله حتى غاب في ذكره عن شعوره بذكره ونفسه فقد فنى عن فنائه ونفسه ايضا ولم يبق عنده الا الله قال الجنيد رضى الله عنه اول المقامات فناء العبد عن غيره من المخلوقات واعلاها فناؤه عن نفسه أيضا شغلا بمذكوره وسيأتي ذلك في محله (وقال أبو العباس) الدينوري (لسان الظاهر) وهو الدليل الشرعي المثبت للاحكام الخاصة (لا يغير) أي لا ينافي (حكم الباطن) الصحيح وهو ما وقع في القلب من مواهب الله تعالى وخوارق العادات بل يعضده ويشهد بصحته وفيه رد على من يزعم ان العبد يصل الى حالة لا يمكنه مخالفة ما يقع له لكونه عن ربه صحيحا حقا الان من لم يزن ما يقع له بميزان الشرع بل يزعم أنه تلقاه عن ربه فقد كذب واخطأ وليس بمحفوظ لان أحكامه تعالى انما يتلقاها عنه الانبياء وغيرهم انما يعرف صحة ما وقع له بشهادة الادلة الشرعية ويكون ذلك دالا على حفظ الله له كما قال في خبر كنت سمعه الذي يسمع به

كان من أحسن المشايخ طريقة وأمثلهم سيرا في علم الحقيقة الطاعة الصوفية وساعدته وتأخرت عنه الخطوب وباعدته أخذ عن الخراز وغيره ومن كلامه لسان الظاهر لا يغير اي لا ينافي حكم الباطن يعني ما يقع في القلب من المواهب وخوارق العادات بل يعضده وقال العلماء مترتبون في مشاهدات الاشياء وله غير ذلك من الفوائد (قوله أدنى الذكر الخ) اي بالنسبة للمقربين ممن رام حقيقة الطريقة وقوله أن تنسى ما دونه اى ماسواه وذلك بدوام الاخلاص مع حضور القلب وقوله ويعبر عنه بالفناء اى فكانه لبعده عن غير الذكر والمذكور أشبه من يعد بالفناء حقيقة ومثله يقال في الفناء عن الفناء (قوله ويعبر عنه بالفناء الخ) اعلم ان الفناء والفناء عن الفناء يعبر عنه بالجمع وجمع الجمع كما أن الفرق وفرق الفرق يعبر عنه بالبقاء وبقاء البقاء وهذا كله لا يعلمه الا ارباب الكمال والاذواق كما قيل لا يعلم الشوق الا من يكابده ۞ ولا الصبابة الا من يعانيها والله اعلم (قوله أن يغيب الذاكر الخ) اى لان ذكره قد ادخل نفسه في حظائر صوامع الذكر التي هي الاحوال والمواطن المعنوية التي تصون الذاكر عن التفرق عن مذكوره وتجمع همه عليه بالكلية واعلم ان نهاية الذكر هو ذكر الذات بالاسماء الذاتية دون الوصفية والفعلية مع المعرفة بها او شهودها وذلك لان اصل الذات المطلقة هو اصل لجميع الاسماء فاجل وجوه تعظيمها هو التعظيم المطلق المتناول لجميع أوصافه فان الذاكر اذا أثنى عليه بعلمه او وجوده أو قدرته مثلا فقد قيد تعظيمه بذا الوصف اما اذا أثنى عليه باسمائه الذاتية كالقدوس والسلام والسبوح والحق والعلي وامثالها فقد عمم تعظيمه بجميع كمالاته ذكره تدبرتفهم والله بالحال اعلم (قوله ان يغيب الذاكر الخ) أي ويعبر عن ذلك بالمحو وهو انواع محو أرباب الظواهر وهو رفع اوصاف العادة ويقابله الاثبات الذي هو اقامة احكام العبادة ومحو ارباب السرائر وهو ازالة العلل والآفات ويقابله اثبات المواصلات وذلك برفع اوصاف العبد ورسوم اخلاقه المشار اليه بخبر كنت سمعه الحديث (قوله قال الجنيد رضي الله عنه اول المقامات الخ) اى ويعبر عنه عندهم بالجمع وعن المقام الثاني بجمع الجمع ويعبر عنه بمقام البقاء والله اعلم (قوله لسان الظاهر الخ) محصله ان الوصول الى الحقيقة لما لم يكن له طريق غير المتابعة لزم ان لا ينشأ عنه في حقيقة الطريقة الا ما يشهد له ذلك الظاهر بالموافقة والصحة والله اعلم (قوله لسان الظاهر) محصله ان الشريعة والحقيقة واحدة انما الاختلاف في التعبير فلا شريعة الا بحقيقة ولا حقيقة الا بشريعة كما يدل على ذلك قصة موسى والخضر عليهما السلام (قوله لا يغير الخ) اى لكون حكم الباطن انما حصل بنور القدس الذي هو العلم المقدس للنفس عن دنس الطباع وعن رجس الرذائل بل هو بالشهود الحقيقي بواسطة تجلي القديم الرافع لحكم الحدث كله وذلك من نتائج لسان الظاهر وثمراته والله اعلم (قوله وفيه رد على من يزعم الخ) انظره مع ما تقدم من حالات الغريب التي تفعل قصد الاجل الرجوع الى

الاستدلال

في الخبر الصحيح الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات
فقد حام حول الحمى ومن حام حول
الحمى يوشك ان يقع فيه (وسمعت
محمد بن الحسين رحمه الله يقول
قال النصراباذي اصل التصوّف
ملازمة الكتاب والسنة) لانهما
اصل في كل طاعة (وترك الاهواء
والبدع) لانه نجاة من كل سوء
(وتعظيم حرمات المشايخ) الذين
كمل لهم العلم والعمل واعرضوا
عن المشغلات من المباحات فضلا
عن غيرها لانه ينبغي تعظيم من
عظمه الله تعالى كامر (ورؤية
اعذار الخلق) أى قبولها منهم
لدلالتها على كمال المعرفة بانفراد
الحق بالافعال وعلى خروج غيره عن
القدرة على احداث شيء فاذا علم
العبد ذلك عذر الخلق فيما يقصرون
فيه لعلمه بعجزهم عما يصلحهم ويدفع
عنهم ما يؤذيهم ومع هذا يقيم عليهم
الحدود وينكر عليهم ما لا ينبغي
فعله امتثالا لامر الله تعالى وهذا
هو الصراط المستقيم الذى هو
ادق من الشعر واحد من السيف
اثبات الكسب للعبد وتبريه من
الافعال (والمداومة على الاوراد)
التى رتبها لاعبادة قربة لانها اصل
عظيم في توالى الالطاف وسبب
التقريب كما قال تعالى على لسان
نبيه ولا يزال عبدى يتقرب الى
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
الحديث (وترك ارتكاب الرخص)
من الميل الى الراحات والتنعم بانواع
المذوقات

على ان الشارع بالحقائق اعلم وقد ابرم الاحكام واحكم (قوله الحلال بين والحرام بين) اى كل منهما ظاهر واضح دليله من الكتاب والسنة وغيرهما من ادلة الاحكام وقوله وبينهما مشتبهات اى لعدم دليل واضح يخصها بحكم ما قوى شبهها به وقوله فمن اتقى الشبهات اى تجنبها وقوله فقد استبرأ لدينه وعرضه اى اتخذ لدينه وعرضه براءة بذلك التجنب وقوله ومن وقع في الشبهات اى فعلها وقوله فقد حام حول الحمى أى الحمى وقوله ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه اى يقرب ان يقع فيه واذا وقع فيه جوزى بما رتب عليه والله اعلم (قوله اصل التصوّف) اى اساسه الذى يبنى عليه امره ملازمة الكتاب والسنة اى ملازمة (العمل على ما دلا عليه اللازم له ترك الاهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ فعطف قوله وترك الاهواء والذى بعده من عطف اللازم على الملزوم لغرض الايضاح (قوله وترك الاهواء والبدع) انما نص عليهما مع دخولهما فيما قبلهما للاهتمام لكونهما اصل المفاسد الدينية (قوله وتعظيم حرمات المشايخ) اى الذين هم لسان الحق اذ بهم يقع الافصاح الالهى للآذان الواعية بما يريد أن يعلمهم به على لسان ولى او صديق فهم المتحققون بمظهرية الاسم المتكلم فهم العمد المعنوية المأخوذة من حقيقة الانسان الكامل المشار اليه بقوله لولاك لما خلقت الافلاك وقد ذكر ابو طالب المكى في قوت القلوب ان الافلاك تدور بأنفاس بنى آدم والله بحقيقة الحال اعلم (قوله الذين كمل لهم العلم والعمل الخ) اى فوصلوا الى مقام الحرية وهى انواع حرية العامة عن رق الشهوات والخاصة عن رق المرادات وخاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلى نور الانوار (قوله اى قبولها منهم) اى ولو تحقق كذبها عملا بسنته صلى الله عليه وسلم (قوله لدلالتها الخ) اى لدلالة رؤية اعذارهم على كمال معرفة من رأى ذلك لهم بانفراد الحق بالافعال ولذلك قيل من نظر الى الخلق بعين نفسه مقتهم ومن نظر اليهم بعين الحق عذرهم لكونهم محلا لتصريف القدرة العلية ولا يسأل تعالى عما يفعل (قوله وهذا هو الصراط المستقيم) الاشارة الى اعتقاد عجز الخلق عما يصلحهم وفيه ان ذلك انما يجرى على مذهب الاشعرية ومن تبعهم وفيه ما لا يخفى على ذى لب واذا اردت علم ذلك فارجع الى رسالتنا المسماة بالقول الفصل (قوله الذى هو ادق من الشعر واحد من السيف) يشير بذلك الى انه من خفاء الكسب باعتبار دليل شبه بدقة الشعر وخطره بعدم القول بالكسب شبه بحد السيف بل قد أثبت له الاحدية نفسه وذلك لما يؤدى اليه من تعطيل الاحكام الشرعية (قوله اثبات الكسب للعبد) أى عملا بمقتضى التكليف بظاهر الشرع وقوله وتبريه من الافعال أى رجوعا الى باطن الحقيقة فسبحان من لا يسئل عما يفعل (قوله والمداومة على الاوراد) اى الواجب منها والمندوب وان أفهم الشارح تخصيصه بالمندوب لغرض ايراد الحديث القدسى الذى ذكره (قوله وترك ارتكاب الرخص) أى اخذ ذلك عادة على حسب حظ النفس والاقتصار دون التعب

(و) ترك (ارتكاب التأويلات) في هذه الامور بان يتأول المبتدئ لنفسه انه لا اثم عليه في فعلها ولا في تركها ويغفل عن كونها صرفا فيها او في تركها النيل الدرجات العلية وكمال القرب من خالق البرية ﴿(ومنهم ابو الحسن علي بن ابراهيم الحصري) بضم الحاء واسكان الصاد المهملتين نسبة الى عمل الحصر وبيعها (البصري سكن بغداد صحب الحال واللسان شيخ وقته ينتمي) أي ينتسب بصحبة (الى الشبلي مات ببغداد سنة احدى وسبعين وثلثمائة قال الحصري الناس يقولون الحصري لا يقول بالنوافل أي لا يعتني بها (وعلي اوراد) منها أي رتبتها على (من حال الشباب لو تركت) منها (ركعة لعوتبت) فيه دلالة على كمال اجتهاده وحرصه على زيادته وتقدمه اذ لا يدرك العتاب من الحق عند التقصير الا خواص الخلق كما قال بعضهم انى لاعصى الله تعالى فاعرف ذلك في خلق حماري وخادمي (وقال الحصري (من ادعى بشيء في شيء من الحقيقة) أي نيل شيء منها ولم يظهر عليه دلائل صدقه (كذبته شواهد كشف البراهين) فيما ادعاه فمن ادعى الزهد في الدنيا مثلا وكان ظاهره مشغولا بالتنعم والتلذذ بالمطعومات والملبوسات ودائم الكسل والراحات واصرار الحرص على اقامة الجاه ونفوذ الكلمات كذبته شواهد الحال فيما ادعاه ﴿(ومنهم ابو عبد الله احمد بن عطاء الروذبادي ابن اخت الشيخ ابي علي الروذبادي شيخ الشام في وقته مات بصور سنة تسع وستين وثلثمائة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت علي ابن سعيد المصيصي يقول سمعت احمد بن عطاء الروذبادي يقول كنت مرة كاملا فغاصت رجلي الا بالي في الرمل فقلت جل الله حقه

ان توفي رخصه كما يحب ان توفي عزائمه (قوله وترك ارتكاب التأويلات) اى التى هى ابواب للضلالات ولذا قيل اذا اراد الله بعبد شرا فتح له باب التأويل (قوله ومنهم ابو الحسن علي بن ابراهيم الحصري) قال المناوي هو الحصري ثم البغدادي شيخ العراق في وقته سالا وعلما وامام الصوفية في زمانه قالا وعزما صحب الشبلي ومن فوائده الفاضلة وفوائده الكاملة انه قال عرضوا للاخوان بالامور ولا تصرحوا فانه استر وقال علامة الخاسر انه لا يقدر يصور علمك دعوى عند سالكم ولا عند الله وقال مكثت في بدايتي زمانا لا استعيذ من الشيطان عند القراءة واقول من الشيطان حتى يحضر كلام الحق حتى من الله فعلمت ان الشيطان لا يفارق مستقيما ولا اعوج وسئل عن السماع فقال ما اضعف حال من يحتاج الى من يزعجه من خارج وقال الصوفي مقهور بتصرف الالهية مستور بتصرف العبودية وقال الصوفي من لا يوجد بعد عدمه ولا يفقد بعد وجوده وله غير ذلك رضي الله عنه (قوله وعلي اوراد الخ) الواو للحال والغرض له بذكره التحدث بالنعمة وليقتدى به في ذلك وليقوى عزم المقتدي به (قوله فاعرف ذلك الخ) اى فكان يعرف ذلك في الدابة بجموحها وفي الخادم بسوء الخلق وذلك يحصل تاديبا للكامل من عباد الله تعالى لا يسهل ردهم الى مابه الكمال او الاكمل (قوله من ادعى بشيء الخ) اى مثل الاصول التي هي المواهب الفائضة على العبد من ربه سواء كانت واردة عليه من اثر العمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب او كانت واردة من الحق امتنانا محضا وتسمى بالاصول لمجيئها من الرسوم الخلقية ودركات البعد الى النعوت الحقية ودرجات القرب وذلك هو معنى الترقي او مقاما كالاحسان في العبادة الذي هو التحقق بوصف العبودية لمشاهدة حضرة الربوبية بواسطة زيادة نور البصيرة اى يرى الحق موصوفا بصفاته بعين صفته فهو يراه يقينا ولا يراه حقيقة ولهذا قال في الحديث كأنك تراه لانه يراه من وراء حجب صفاته بعين صفاته فلا يرى الحقيقة بالحقيقة وذلك دون مقام المشاهدة في مقام الروح هذا تحقيق المقام ومن عليك السلام فعض عليه بالنواجذ (قوله كذبته الخ) اقول ولذا قيل من ادعى بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان وقوله كشف البراهين اى باعتبار ما يظهر من باطن امره في نفس الامر فان الظاهر عنوان الباطن في غالب الاحوال والله اعلم (قوله ومنهم ابو عبد الله احمد بن عطاء الروذبادي) أي ثم الصوري كان شيخ الشام في وقته مقدما في علوم الشريعة والحقيقة وهو ممن علا في طريق القوم قدره واشتهر ذكره وتميز فضله حتى عز في عصره ان يوجد مثله ومن كلامه الذوق اول المواجيد وقال اقبح كل قبيح صوفي شحيح وقال ليس كل من صلح للمجالسة صلح للمؤانسة ولا كل من صلح للمؤانسة يؤتمن على الاسرار وقال من الزم نفسه السنة نور الله قلبه بنور المعرفة وقال ذكر الفوائد

فقال الجمل جل الله) هذا أمر خارق للعادة وهو كلام الجمل بلسان عربي او فهم الشيخ لكلام الجمل بلغته فأخبر بما فهمه قال تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال في قصة السيد سليمان عليه السلام مع النملة قالت نملة يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده ففهم سليمان كلامها وسأل الله ان يرزقه شكر ما انعم به عليه (وكان ابو عبدالله
الروذبادي اذا دعا اصحابه) بأن دعى هو ايضا هو هم (معه الى دعوة) بتثليث الدال اى طعام (في دور السوقة) بضم السين خلاف
الملك قاله الجوهري (وممن ليس من اهل التصوف) هو من عطف الخاص على العام (لا يخبر الفقراء بذلك وكان يطعمهم شيأ فاذا
فرغوا) من اكلهم (اخبرهم) بذلك (ومضى بهم فكانوا قد اكلوا في الوقت) الذي دعوا فيه (ولا يمكنهم ان يمدوا ايديهم الى طعام
الدعوة الا بالتعزز) اى التقلل يقال عز الشيء اى قل (وانما كان يفعل ذلك بهم لئلا يسوء ظنون عوام الناس) الذين لا يعرفون
من العبادة الا الاعراض عن الطعام وقلة المنام (بهذه الطائفة) الصوفية من حيث انهم يستقصونهم
بسبب رغبتهم في الاكل اذا كانوا
على جوع (فيأثمون بسببهم)
وحكى مثل ذلك عن أبي مدين
شعيب اما غير عوامهم فلا يستنقص
هؤلاء بكثرة أكلهم بل ينشرح
ويسر بما اعطاه بما أدخله عليهم من
الراحات وبكونهم استطابوا
طعامه (وقيل كان ابو عبدالله
الروذبادى يمشي على اثر الفقراء
يوما وكذا كانت عادته ان يمشي على
أثرهم) اى يتأخرهم فلا يكون
متقدما متبوعا تواضعا ولانه اذا
تأخرهم لاحظهم بنظره واستشعروا
منه ذلك فيلزمون الادب بين يديه
(وكانوا يمضون) اى مضوا معه
مرة (الى دعوة فقال انسان بقال)
يبيع البقل في حانوته (هؤلاء هم
المستحلون) لاموال الناس (وبسط
لسانه) بالحط عليهم (وقال في أثناء
كلامه ان واحدا منهم استقرض
مائة درهم ولم يردها على وانسيت
ادرى اين اطلبه فلما دخل الدار الدعوة قال ابو عبدالله الروذبادى
لصاحب الدار وكان من محبي هذه الطائفة ائتني بمائة درهم ان أردت سكون قلبي) وكان يعلم منه سروره بذلك (فأتاه بها في الوقت فقال
لبعض اصحابه احمل هذه المائة الى البقال الفلاني وقل هذه المائة التي استقرضها منك بعض اصحابنا وقد وقع له في التأخير اعذر
وقد بعثها الآن فاقبل عذره ففعل الرجل وفعل) ما امر به (فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بحانوت البقال فأخذ البقال في مدحهم
ويقول) وفي نسخة وقال (هؤلاء هم) السادة (الثقات الامناء الصلحاء) وما أشبه ذلك من اوصافهم الجميلة قصد الشيخ بذلك
الا لم يحمل مماع ذم البقال لهذه الطائفة ان يحفظ قلب البقال ويصون عرض هذه الطائفة

٣ يج نى

عند ذكر الله غفلة عن الله وقال العبودية ترك الاختيار ولزوم الافتقار واياك ان تلاحظ
خاوقا وانت تجد الى الحق سبيلا وقال لا تجد السلامة حتى تكون في التدبير كأهل
القبور وقال الرضا ترك الخلاف على الله تعالى فيما يجريه على العبد وقال الصبر الوقوف
مع البلاء بحسن الادب وقال التقوى ظاهر وباطن فظاهرها محافظة الحدود وباطنها
النية والاخلاص قال أبو نعيم كان ابن عطاء كثير الحديث رضي الله عنه (قوله فقال الجمل
الخ) أفاد الشارح جواز وقوع ذلك على الحقيقة أو بلسان الحال أقول والاول اقرب
لثبوته بالدليل النقلي على ان الشارح درج على انه بلسان القال الذي فهمه الشيخ من
لغة الجمل وذلك غير بعيد (قوله هذا أمر خارق الخ) اى وقع تأسيا للشيخ ليدوم على ما به
الترقي من جده واجتهاده فهو من عناية ربه به (قوله وكان أبو عبدالله الخ) اقول في ذلك
تنبيه على حرصه على دفع ما به يكون تنقيص هذه الطائفة بسبب قصور النظر عما به الكمال
(قوله وكان يطعمهم شيأ الخ) أقول وسمعت عن شيخنا العلامة الشرقاوي مثل ذلك مع
طائفة العلماء فالله تعالى ينفعنا بمقاصد احبابه (قوله فيأثمون بسببهم) اقول يؤخذ
منه وجوب التحرز عن التعرض الى موجبات الوقيعة في الاعراض وهو كذلك والله اعلم
(قوله يمشي على اثر الفقراء الخ) أقول وهو خلق محمدي وذلك لما ثبت من أنه صلى الله
عليه وسلم كان يمشي خلف أصحابه ويقول خلوا ظهري للملائكة (قوله تواضعا) اى
هضما للنفس اى واقتداء بسيد الكائنات صلى الله عليه وسلم (قوله فقال انسان بقال
الخ) اى قال ذلك بمقتضى ما اقتضته طبيعته لعدم اتقائه عن ذلك كما أشير اليه بقوله
سبحانه وتعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية لانه لو سافر عن منازل نفسه لرأى الصدق في
التأخير ولم ينل من الذي ظن تقصيره والله اعلم (قوله وكان يعلم منه سروره الخ) احترز

وفيه طلب حفظ قلوب المسلمين من اساءة الظن (وقال ابو عبد الله الروذبادى اقبح من كل قبيح صوفى شحيح) اذ اول درجات
التصوف الاعراض عن الدنيا حلالها وحرامها لينه دفع عنه بذلك سائر الاخلاق الذميمة التى من جملتها الشح ويتفرغ
للتخلق بالاخلاق الحميدة من التوكل والرضا والتسليم والمراقبة والمحبة والانس ونحوها فمن تخلى عن الصفات الذميمة بالصفات
الحميدة سمى صوفيا فاذا أخل بأول الدرجات كان اقبح القبيح من الصفات لانه شح على نفسه وعلى غيره بالمال لكمال محبته له
وحرصه عليه (قال ابو القاسم الاستاذ الامام رضى الله عنه) وفى نسخة قال الاستاذ الامام ابو القاسم عبد الكريم القشيرى
رحمة الله عليه (هذا) اى ما مر فى هذا الباب (هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة) وعدتهم ثلاثة وثمانون (وكان
الغرض من) وفى نسخة فى (ذكرهم فى هذا الموضع التنبيه على انهم مجمعون على تعظيم

الشريعة متصفون بسلوك طرق
الرياضة مقيمون على متابعة السنة
غير مخلين بشئ من آداب الديانة
متفقون على ان من خلا من
المعاملات والمجاهدات) مع الله
تعالى (ولم يبن امره على اساس
الورع والتقوى كان مفتريا) اى
مختلقا (على الله سبحانه فيما يدعيه
مفتونا) اى مصابا بالفتن من
ذهاب عقل ومال وغيرهما (هالك
فى نفسه واهلك من اغتر به ممن
ركن الى اباطيله ولو تقصينا
وتتبعنا ما ورد عنهم من الفاظهم
وحكاياتهم ووصف سيرهم مما يدل
على احوالهم لطال به الكتاب
وحصل منه الملال وفى هذا القدر
الذى لوحنا به فى تحصيل المقصود
غنية) عما عداه (وبالله التوفيق)
وهو خلق قدرة الطاعة فى العبد
عكس الخذلان (فاما المشايخ
الذين ادركناهم) اى لقيناهم (والذين عاصرناهم وان لم يتفق لنا لقاهم مثل الاستاذ الشهيد لسان وقته واوحد كما
عصره ابى على الحسن بن على الدقاق والشيخ نسيج وحده) اى الذى لا نظير له فى علم ولا فى غيره (فى وقته ابى عبد الرحمن السلمى وابى
الحسن على بن جهضم مجاور الحرم) الشريف المكى (والشيخ ابى العباس القصاب بطبرستان واحمد الاسود بالدينور وابى
القاسم الصيرفى بنيسابور وابى سهل الخشاب الكبير بها) اى نيسابور (ومنصور بن خلف المغربى وابى سعيد المالينى وابى طاهر
الخوزندى) وفى نسخة الخرزندى (قدس) اى طهر (الله ارواحهم) لو اخر هذا عن قوله (وغيرهم) كان أولى (فلو اشتغلنا
بذكرهم وتفصيل احوالهم لخرجنا عن المقصود فى الايجاز) والحاصل السآمة (و) مع ذلك (غير ملتبس) على احد (من احوالهم
حسن سيرهم فى معاملاتهم) مع الله تعالى بل هو ظاهر لكل احد (وسنورد من حكاياتهم طرفا فى مواضع من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى

بذلك عما اذا كان الامر بخلاف ذلك والحكم حينئذ حرمة الاخذ منه مثل ما اذا كان
طريق الدفع مجرد الحياء فيكون حينئذ من قبيل اكل اموال الناس بالباطل (قوله وفيه
طلب حفظ الخ) اى فيه دلالة على ذلك لانه يجب لاجل عدم التعرض للوقيعة فى الغير
صون الدين (قوله اذ اول درجات الخ) اقول انما جعل الاعراض عن الدنيا أول درجات
الصوفية لصعوبته على النفوس البشرية لانه بذلك الاعراض ينهدم غالب حظوظ
النفس والله اعلم (قوله لينه دفع عنه بذلك الخ) أى وذلك لان الدنيا منشأ غالب الاخلاق
الذميمة على ما لا يخفى على ذى بصيرة (قوله لانه شح على نفسه) اى منع مباشرة الانفاق الذى
يترتب عليه مع الاخلاص فيه نيل السعادات الدينية والدنيوية (قوله قال ابو القاسم الخ)
لما انهى الكلام على ذكر من تيسر له من المشايخ الغرض الذى افصح عنه اراد ايضا
الاعتذار عن عدم استيعابهم بخوف الخروج عن المقصود له من الايجاز وخوف الملل
من الغير مع ان من تركه أشهر من ان يذكر وابعد من أن ينكر على انه سيأتى له النقل من
حكاياتهم ما يغنى عن ذكرهم كغيرهم (قوله على تعظيم الشريعة) اى وذلك بدوام
متابعتهم لها فى جميع الحركات والسكنات (قوله متصفون بسلوك طرق الرياضة) أى
طرق تهذيب النفس لاجل نقلها تدريجا عن حظوظها ومألوفاتها وتخليتها عنها للتحلى
بالصفات الحميدة الموصلة الى المراتب العلية وحيث كان لا سبيل لذلك غير متابعة سيد
الكائنات والعمل على سنته كانوا رضى الله عنهم مقيمين عليها غير مخلين بشئ من آدابها كما
ذكره المؤلف (قوله ولم يبن امره) اى فى طلب الحق على اساس الورع والتقوى الاضافة
بيانية (قوله كان مفتريا على الله) اى وعلى خلقه بالاولى (قوله مفتونا) أى سبقت
الارادة بافتتانه فى الدين بدليل ما ظهر من حاله الشنيع (قوله وبالله التوفيق) أى لا بغيره

كما يفيده تقديم الجار والمجرور (قوله باب في ألفاظ الخ) أي في ذكرها وبيان مرادهم
منها (أقول) ومن ذلك قولهم المفاتحة وهي مبادأة العبد بما هو فيه على بساط الضراعة
وبث الشكوى والمناجاة فيباديه مولاه بمعاني أسمائه وصفاته ليرتاح لذلك وينسى كل
شيء والمواجهة وهي مقابلة القلب بملاحظة الرب دون التفات الى غيره فيواجهه مولاه
بأنواره ويقابله بأسراره حتى لا يمكنه أن ينظر ما سواه والمجالسة وهي ملازمة الذكر بلا
غفلة والخضوع بلا وصلة والادب بلا مهلة فيكرم اكرام الجليس واليه الاشارة بخبر
أنا جليس من ذكرني والمحادثة وهي منازلة الاسرار بذكر المولى والاقبال عليه فيما يلقيه
بين يديه من سرور وغيره واليه الاشارة بحديث كان في الامم السالفة محدثون فان يكن في
أمتي فعمر منهم والمشاهدة وهي صيرورة الحقيقة لعدن البيان لا تحتاج الى دليل ولا برهان
والمطالعة وهي مراقبة التوحيد في كل ورود وصدور والرجوع الى الحقيقة المرة بعد المرة
باب (في) تفسير (الالفاظ)
بلا تأمل ولا نظر فلا يبدو شيء الا طولع به سره هذا ما فهمته من معاني هذه الالفاظ والدر
من وراء الصدف فليس التصوف بحديث يكتفى فيه بالاخبار ولا يقتنى بالعلم والعمل فيه
من حصول الانوار غير انه لا بد من مثل هذا للمنتسبين والمحبين واهل البدايات والله ولي
التوفيق ومنه قولهم الدبور وهي صولة داعية النفس واستيلاؤها شبهت بريح الدبور التي
تأتي من جهة المغرب لانتهائها الى الجهة الجسمانية التي هي مغرب النور ويقابلها القبول
وهي ريح الصبا التي تأتي من جهة المشرق وهي صولة داعية الروح واستيلاؤها ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ومن كلامهم الانانية وهي
الحقيقة التي يضاف اليها كل شيء من العبد كقوله روحي ونفسي وقلبي وانانية الحق تعالى
وجودية وأنانيتنا عدمية ومن كلامهم الآنية وهي تحقق الوجود العيني من حيث رتبته
الذاتية ومنه الوتر وهو الذات باعتبار سقوط جميع الاعتبارات فان الاحدية لا نسبة
بينها وبين شيء بخلاف الشفع الذي باعتباره تعينت الاعيان وحقائق الاسماء ومن
كلامهم الوجود وهو وجدان الحق ذاته بذاته ومن كلامهم وجه العناية وهو الطريقة
والسلوك الذي به تحقق جهة الهداية ولهم غير ذلك مما يطول الكلام عليه * (تنبيه) *
يدور على لسان الصوفية أيضا لفظ الفناء وسيأتي بذكره المصنف فأقول لك تقديما للفائدة
لا تتوهم ان ذلك هو الفناء العلي الحاصل للعارفين الذين ليسوا من أرباب الشهود الحالي
مع بقائهم عينا وصفة فان بين من تصور المحبة وبين من هي حاله بونا بعيدا وفرقا عظيما
قال الشاعر

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

والحق ان الاعراب عنه اغير فاتقه ستر والاظهار اغير واجب له اخفاؤه والعلم بكيفيته
مختص بالله تعالى لا يمكن أن يطلع عليه الا من يشاء من عباده الكمل الذين حصل لهم هذا
المشهد الشريف والتجلي الذاتي المفني للاعيان بالاصالة كما قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل

بجهله كاوجوه وهي صعقا فاذا علمت ماقدمته لك علمت معنى الاتحاد الذى اشتهر
وعلمت اتحاد كل اسم من الاسماء مع مظهره وصورته أو اسم مع اسم آخر او مظهر مع مظهر
آخر وشهودك اتحاد قطرات الامطار بعد تعددها واتحاد الانوار مع تكثرها كالنور
الحاصل من الشمس والكواكب على وجه الارض او من السرج المتعددة في بيت واحد
وتبدل صور عالم الكون والفساد على هيولى واحدة دليل واضح على حقيقة ماقلناه هذا
مع ان الجسم كثيف فما ظنك بالنور اللطيف الظاهر في كل المراتب الخسيس منها
والشريف والحاصل ان الاتحاد والحلول بين الشيئين المتغايرين من كل الوجوه شرك
عند أهل الله وذلك لفناء الاغيار عندهم بسطوع نور الواحد القهار بل المراد ان الحق
تعالى باعتبار أنه مصدر الكائنات جميعها علويها وسفليها مركبات أو بسائط
او مجردات جواهر او اعراضا كليات أم جزئيات واعتبار انفراده بالوجود الذاتى وان
جميع الوجودات مستمدة من وجوده فهو هى وهى هو على معنى لاهو الا هو كان الله ولا
شئ معه ويبقى الله ولاشئ معه وانما الكائنات تعينات له مخصوصة في أزمنة مخصوصة
محكوم عليها باحكام مخصوصة ثم اليه يرجع الامر كما بدا الحكم عليه واسرار الهية علمها من
علمها وجهلها من جهلها بتدبيره تعالى وتقديره لايسئل عما يفعل فافهم ولاتك اسير النقل
والتقليد ثم وعايدون على لسانهم رضى الله عنهم قولهم انطوى بساط السوى ويقال عليه
كيف والجنة باقية وكذا النار والعرش والكرسى الى غير ذلك مما جاء الشرع بالحكم عليه
بالبقاء المقتضى للوجود فيقال انما جاء هذا من النظر القاصر فاضطر واسنده الى استثناء
مثل هذه الاشياء فى نحو قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أو الى جعله عاما مخصوصا وكذا
كل من عليها فان فلا تعجب بانطواء بساط السوى واضمحلال الاكوان فى نظر العارف
فانه ينظر بعين الازل فيفنى ويفنى وينظر بعين الابد فيبقى ويبقى والى النظر الاول
أشار صلى الله عليه وسلم بقوله اصدق كلمة قالها الشاعر لبيد * الا كل شئ ماخلا الله باطل *
أى فان وزائل لاحقيقة له وعند المحققين فى كل نفس وأقل منه مما يجرى من الازمنة
على اطلاق كل شئ هالك الا وجهه الملك الحق ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فاياك ثم
اياك أن تشنع على اهل الحق مقلدا فى ذلك من سلف من ابناء جنسك وأرباب فهمك ولو
اشتهروا بالعلم واتصفوا بالفهم فتخوض مع الخائضين فان المقام الذى استوطنته من
التقليد فى التوحيد والمقسم الذى ارتقيته من منازل الدليل والبرهان من الاستدلال
على الصانع بالمصنوع لم يتخذوه وطنا ولم يألفوه مقسما ومسكنا بل أطلق الحق عقال عقولهم
التى عقلت بها فصارت عقولهم مطلقة وأرواحهم بعروة اطلاق الحق بعد المستفاد من
عين اليقين وحقه مستمسكة بها موثوقة ولعمرى لقد صدق القائل
والجاهلون لاهل العلم اعداء تأمل فى المقام ومنى عليك السلام (قوله تدور بين هذه
الطائفة) أى الفاظ يكثرون استعمالها بعضهم مع بعض مما يشكل ظاهره فى حكم الظاهر

تدور بين هذه الطائفة

بالاسمية

وبيان ما يشكل منها) على غيرهم (اعلم ان من المعلوم ان كل طائفة من العلماء لهم الفاظ يستعملونها فيما بينهم انفردوا بها عمن سواهم) حيث (تواطؤا) اى توافقوا (عليها الاغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها والتسهيل) الاولى وتسهيل لمكون عطف تفسير (على اهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم) اى مقاصدهم (باطلاقها) كاهل اصول الدين حيث اصطلحوا على اطلاق العالم والحيز والوقت والجوهر والكون والحال وغيرها لمعان ارادوها وربما وافق بعضها مقتضى اللغة على وضعها الحقيقى (وهذه الطائفة) التى هى من جملة طوائف العلماء (يستعملون الفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لانفسهم) أى بعضهم مع بعض (والاجمال والستر على من باينهم) أى خالفهم (فى طريقتهم لتكون معانى الفاظهم مستبهمة على الاجانب) منهم (غيرة منهم على اسرارهم ان تشيع فى غير اهلها) فلا يعرف مرادهم الا من هو منهم لجهله بما ارادوه بذلك (اذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف او مجلوبة بضرب تصرف بل هى معان اودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها اسرار قوم) آخرين من فرق اولئك لان هذه الطائفة يتفاوتون فى السلوك فى

(مطلب الوقت)

المواهب (ونحن نريد شرح ظواهر (هذه الالفاظ) عندهم دون التوغل فى كشف حقائقها لقصور العبارة عن ذلك (تسهيلا للفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طرقهم ومتبعى سنتهم) أى طريقتهم ه (فمن ذلك الوقت حقيقة الوقت عند أهل التحقيق) منهم ومن المتكلمين وغيرهم (حادث متوهم) اى موجود فى المستقبل (علق حصوله على حادث متحقق) وقوعه

بالنسبة لمن لم يحظ بدخول هاتيك الحظائر مع انه فى نفس الامر من واردات الضمائر قد وردت بمنشور رب الظاهر فالعارف اذا سمعها أحسن لها التأويل واذا لم يحسنه سلم الامر للحكيم العليم (قوله وبيان ما يشكل منها) أى واشكالها انما هو بالنسبة لخفاء معناها المراد على غيرهم ممن لم يشرب من شرابهم ولم يسلك طرق اقترابهم مع انها امتثالات فى منصات مجالس الصفاء مهداة للمحبين من أهل الوفاء (قوله اعلم الخ) الغرض افادة ان هذا المذهب غير خاص بهم نفعنا الله بعلومهم بل غيرهم من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها فيما بينهم تسمى اصطلاحاتهم لاغراض لهم فيها كما ذكره المؤلف وحينئذ فلا يقال لم انتحلوا هذا السبيل الخطر والطريق الوعر لانهم لم يشتغلوا بالغير ولم يعولوا الا على الله فى السير هذا شرح الحال والله ولى الافضال (قوله تواطؤا الخ) أى على حسب اصطلاحهم (قوله على اطلاق العالم) بفتح اللام أى على ما سواه تعالى وقوله والحيز أى على المكان وقوله والوقت اى على حركة الفلك وقوله والجوهر اى على ما قابل العرض وقوله والكون اى على الوجود والحصول وقوله والحال اى الصفة القائمة بالشخص (قوله قصدوا بها الكشف عن معانيهم) اى ما يعنى لهم فيما بينهم من الاسرار (قوله والاجمال والستر) اى عدم الايضاح للمعانى واخفائها بالنسبة للغير ممن خالف طريقتهم ولم يسلك مسلكها (قوله لتكون معانى الفاظهم الخ) لا يقال ذلك نوع من أنواع كتم العلوم وعدم ايضاحها لطالبيها لان الغرض الستر عن غير الاهل ممن لا انتفاع لهم بها بل ربما تضرروا بها (قوله لتكون الخ) علة لقوله يستعملون الفاظا الخ (قوله غيرة) علة للعلة التى هى قوله لتكون الخ (قوله اذ ليست حقائقهم الخ) بيان لوجه خفائها على غيرهم ممن لم يذق من شرابهم محصله انهم لم يقصدوا حرمان غيرهم من شريف هذه المعانى حتى يكون ذلك من قبيل وكتمان العلم بل لكونها من الاسرار الواردة على القلوب المقدسة بدون تعمل واعتماد مثل هذه الجواهر اللطيفة ودرر الفوائد الشريفة لا تصلح الا لاربابها عن ذاق من شرابها (قوله قلوب قوم) أى اصفاها من كدورات البشرية وقوله واستخلص لحقائقها الخ اى خص طائفة منهم بزيادة التنوير القلبى الذى به يقفون على معانى تلك الاسرار واسداء ما منحوا من قوة سطوع الانوار (قوله ونحن نريد شرح ظواهر الخ) يشير بذلك الى ان العبارة تقصر عن استيعاب ما يراد منها حيث ان المشاهدات الهية ومواهب ربانية ومن المعلوم بالضرورة ان مثل ذلك لا يستوعب (قوله فمن ذلك الوقت الخ) اى ومنه ايضا واسطة الفيض والمدد اى وهو الانسان الكامل الذى هو الرابطة بين الحق والخلق بمناسبة للطرفين المشار اليه بخبر لولاك لما خلقت الافلاك ومن كلامهم الواحدية وهى الذات من حيث انتشار الكائنات منها وواحديتها مع تكثرها بالصفات ومن كلامهم

الاتصال وهو ملاحظة العبد عينه متصلا بالوجود الاحدى بقطع النظر عن تقييد وجوده بالتعينات واسقاط اضافتها اليها فيرى اتصال مدد الوجود ونفس الرحمن اليه على الدوام بلا انقطاع حتى يبقى موجودا بالحق معدوما بنفسه ومن كلامهم الهواء واعتباره بحسب الغيبة والحضور ومن كلامهم الهباء وهى المادة التى فتح الله منها صور العالم وذلك العنقاء المسمى بالهيولى ومن كلامهم همة الافاقة وهى اول درجات الهمة وهى الباعثة على طلب الباقى وترك الفانى وهمة الانفة وهى الدرجة الثانية وهى التى تورث من قامت به الانفة من طلب الاجر على العمل بل يعبد صاحبها على الاحسان وهمة ارباب الهمم العالية وهى الدرجة الثالثة وهى لا تتعلق الا بالحق فلا يرضى صاحبها بالاحوال ولا بالمقامات ولا بالوقوف مع الاسماء والصفات فلا يقصد الا عين الذات ومن كلامهم الدرة البيضاء وهى العقل الاول لقوله عليه الصلاة والسلام اول ما خلق الله العقل ومن كلامهم جواهر العلوم وهى الحقائق التى لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الشرائع والامم والازمنة كما قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومن كلامهم احدية الجمع وهى اعتبار الذات من حيث هى بلا اسقاط شئ ولا اثباته بحيث يندرج فيها الحضرة الواحدية ومن كلامهم الاحد وهو اسم للذات باعتبار انتفاء تعدد الاسماء والصفات والنسب والتعينات عنها والاحدية اعتبار الذات مع اسقاط الجميع الى غير ذلك مما يدور على السنتهم رضى الله عنهم (قوله صوابه الخ) محصله انه لما كان المعلق عليه هو المحقق من الوقت والمعلق هو المتوهم من غيره لزم ان الصواب ما ذكره الشارح نفعنا الله به وما فى الاصل من سبق القلم (قوله فالحادث المحقق) اى وهو الزمان المعين المعلق عليه وقوله وقت للحادث المتوهم أى وهو المعلق وجوده على هذا الزمان المعين وانما كان الزمان من المحقق وغيره من المتوهم باعتبار عادة الله فيهما فتأمله (قوله وان لم تناف ما ذكر) اى لان نهاية الامر على مذهبهم انهم اعتبروا الوقت بما وقع فيه ولازمه من أحوال الانسان (قوله الوقت ما انت فيه) اى ما اظهره الله فيه بحكم التصريف على مقتضى الحكمة الباهرة وما سبق فى العلم الازلى وحينئذ فيلزم العبد الرضا به بحيث كان يشاهد العلم لان عدم الرضا به جهل بالعقليات والشرعيات والعاديات وذلك لان ارادة رفع الواقع وايقاع الممتنع جهل بالمعقولات وما تضمن عدم الرضا بالواقع يلزمه الاعتراض على المولى واساءة الادب معه فيما قضاه وهو جهل بالشرعيات وعدم المراعاة لحكمة الله تعالى فى خلقه وسنته فى عباده جهل بالعاديات على ان من أراد موافقة اغراضه أبدا أتعب نفسه بغير فائدة وقد قيل من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فافهم (قوله الوقت ما أنت فيه الخ) فيه اعتبار الوقت بما قارنه من أحوال الانسان وهو صحيح باعتبار ان الثمرة وضدها للعبد تكون بذلك لا بالوقت مجردا عنه والله أعلم (قوله وقد يعنون بالوقت الخ)

صوابه حادث محقق علق عليه حصول حادث متوهم بدليل قوله (فالحادث المحقق وقت للحادث المتوهم تقول آتيك رأس الشهر فالاتيان) حادث (متوهم) ووقوعه فى المستقبل (ورأس الشهر حادث محقق) وقوعه فيه (فرأس الشهر وقت الاتيان) ثم بين ان هذه الطائفة اطلقوا الوقت على معان وان لم تناف ما ذكر فقال (سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله يقول الوقت ما انت فيه) وفى نسخة به (ان كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعقبى فوقتك العقبى وان كنت بالسرور فوقتك السرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن يريد) رحمه الله (بهذا ان الوقت ما كان هو الغالب) اى يغلب (على الانسان) فى حاله الذى هو فيه مما نزل به من قبض وبسط وسرور وحزن ونحوها فسمى الوقت باسم ما يلازمه غالبا (وقد يعنون بالوقت ما هو) اى ما العبد (فيه من الزمان) الحال (فان قوما قالوا الوقت ما بين الزمانين يعنى الماضى والمستقبل

أي يقصدون به الزمان نفسه وحقيقته غير انهم يخصونه بالحال دون الماضي والاستقبال (قوله ويقولون الصوفي ابن وقته) أقول ورحم الله ابن الفارض حيث قال في تائيته

وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى ❊ وإياك علي فهي اخطر علة

الى آخر ما قال نفعنا الله ببركات علومه ومعارفه ومراد العارف بالصارم السيف يشير به الى قولهم الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك قيل سمي به لقطعه حكم الوصف الغالب حالتئذ باظهار سلطنة مضيه ككالسيف وأصل الوقت الزمن عدل به الى ما يصادفه السالك في المواجهات فيقال فلان وقته القبض أو البسط قال في عوارف المعارف والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد واغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف يمضي بحكمه وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه فيتصرف فيه فيكون بحكمه فيقال فلان بحكم الوقت يعني مأخوذ عما منه بما للحق اه وقال السيد الشريف قدس الله سره الفقير ابن وقته يعني لا ماضي له ولا مستقبل يعني ان كان في نعمة شكراً وبلاء صبرا وطاعة دام واستقر أو في ذنب أناب واستغفر وقال الصفدي في تائيته

كالوقت من كان مثله حيث حل ومن ❊ أضحى مع الله لا يلهو بأوقات

يعني انه مشغول بالموقت لا بالوقت وحاصل مراده ان العشاق تحريض السالك على انفاذ النهضة بصدق العزيمة القاطعة التي هي كالسيف وتحذيره من عسى ولعل حيث أفادان المقت فيهما فانه اذا قال المذنب أأخر التوبة الى زمن كذا عسى أن اتفرغ أو اتجرد أونحو ذلك أدركه المقت في ذلك الوقت لان ارجاء التوبة ظلم واصرار وقد قال تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون والظالم ممقوت لقوله والله لا يحب الظالمين ومعنى المقت البغض الشديد وقوله وإياك علي اضاف عل التي هي لغة في لعل الى ضمير المتكلم يشير به الى ان توقع التوبة وترجيها مع القدرة عليها عين العلة بل أخطر علة والله أعلم بمراد أحبائه (قوله يريدون بذلك انه الخ) أي وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني الحديث فالناس ثلاثة رجل ساعده القدر فعمل في فراغه وشغله ورجل وجد الفراغ ولم يعمل ورجل لم يجد الفراغ وجعله علة في التسويف الاول من المغبوطين والثاني من المغبونين والثالث من المغرورين والله اعلم (قوله لا التفات له الى ماض) أي لان في تداركه تضييع الحاضر وقوله ولا مستقبل أي لان امره ليس له فلا يدري ما هو كائن فيه (قوله مشتغل بعمارة وقته بما الخ) ما في عبارته واقعة على العبادة ولهذا بينها بقوله من العبادة وقوله قائم الخ أي فاعل ما هو مطالب به في الحين فالجملة الاولى افادت العزم على العبادة والثانية الفعل وكل في الحال من الزمان (قوله وقيل الفقير لا يهمه الخ) بالتأمل ترجع هذه العبارة لما قبلها في المعنى بل ما قبلها أكثر فائدة منها عند من تأمل (قوله وقد يريدون بالوقت الخ) اى فما تقدم في اطلاقهم المراد به ما يخص العبد من

ويقولون الصوفي ابن وقته يريدون بذلك انه) لا التفات له الى ماض ولا مستقبل بل هو (مشتغل بعمارة وقته بما هو اولى به من العبادات في الحال قائم بما هو مطالب به) من الله (في الحين وقيل الفقير لا يهمه) بضم الياء اي يقلقه ويقحمه الى يديه (ماضي وقته وآتيه بل يهمه وقته الذي هو فيه) ولهذا قيل الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت ثان) ومثله الاشتغال بما يجيء من وقت مستقبل (وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم) اي ما يصرفهم الحق فيه مما سبقت به المقادير (دون ما يختارونه لانفسهم ويقولون فلان) متصف (بحكم الوقت

أى انه مستسلم ومنقاد لما يحوله من الغيب من غير اختيار له) فاى حال اقامهم الحق فيه من قبض او بسط أو خير او شر مقوه وقتا باسم
مما يصادفه من التصريف (وهذا فيما ٢٤ ليس لله تعالى عليهم فيه أمر او اقتضاء لمطلوب) فعله وتركه (بحق شرع) أى بحق شرعى
اما ماالله عليهم فيه ذلك فلا يقولون
انه وقت بالمعنى المذكور لان العبد
مامور بالتألم له والندم عليه
والبعد عنه (اذ التضييع لما
أمرت به) من الله تعالى (واحالة
الامر فيه على التقدير) الازلى
(وترك المبالاة بما يحصل منك من
التقصير خروج عن الدين) فاذا
قال العبد أنا راض بما اقامنى
الحق فيه من الوقت على الاطلاق
لزم أن يرضى فى وقت بالاخلال
بالواجبات وفى وقت بارتكاب
المحرمات وفى وقت بارتكاب
المكروهات فان ذلك من تصريف
الحق فى الخلق ومن استرسل فى ذلك
خرج عن الدين (ومن كلامهم الوقت
سيف أى كما ان السيف قاطع
فالوقت بما يمضيه الحق) أى يقدره
(ويجريه) على العبد (غالب) اى
واقع عليه جزما فوظيفة العبد الصبر
تحت جريان المقدور حتى يتقبله
بالرضا حيث يصح الرضا به فان
التعنت لا يزيل شيأ من المقدور
(وقيل السيف لين مسه قاطع حده
فمن لاينه) كان وضع يده على عرضه
واعتدل معه (سلم ومن خاشنه) كان
وضع يديه على حديه وحزهما
(اصطلم) اى استؤصل (كذلك
الوقت من استسلم) وانقاد (لحكمه)
فيما يصح الرضا به من البلايا والموافق
والقبض والبسط ونحوها (نجا
ومن عارضه) أى حكمه (انتكس
وتردى) أى انقلب على رأسه بنفور
خروج من الدين او كماله فحق العبد الصبر على ماذكر ولزوم الادب اذ اللائق فى مثل ذلك عدم الراحة وعدم نيل مراده الا
(وأنشدوا فى ذلك) قول القائل (وكالسيف ان لاينته) أنت (لان لك) (متنه) أى وسطه والمراد عرضه وفى نسخة مسه (وحداه
ان خاشنته) اى السيف (خشنان) يخشى منهما الاصطلام (ومن ساعده الوقت) فى الخيرات الدينية (فالوقت له وقت) محمود

وظائف العبادة التى شأنها أن تكون من كسبه وله فيها اختيار وما هنا فقد أطلقوه على
ما ينال العبد من الحق مما ليس له فيه كسب ولا اختيار وليس له فيه الا الرضا والتسليم
لفعل العليم الحكيم على انه قد يقال ان ماذكر فى معنى الوقت هنا اخص مما قبله فتأمله
(قوله من غير اختيار له الخ) أى وذلك هو القيام بحق العبودية قال فى التنوير فتأدب
بها يا أيها المؤمن ولا تطلب منه أن يخرجك من أمر ويستعملك فيما سواه اذا كان
ما أقامك فيه موافقا للسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر ولا تطلب
الخروج لنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيأ وداخل فى غيره فيتعب
ويقابل بوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار (قوله وهذا فيما ليس لله الخ) اى
ماتقدم من استسلامهم وانقيادهم لحكم الوقت فيما أى فى مقتضى ليس لله عليهم فيه
امر اى استدعاء المطلوب فعلا أو تركا أما ما لله عليهم فيه ذلك فلا يقولون انه وقت بالمعنى
المذكور لانهم مامورون بالتألم والندم على اكتسابه والبعد عنه بالاقلاع والتوبة والله
اعلم (قوله اذ التضييع) اى بترك المأمورات التى أمرت بها من الله تعالى وقوله واحالة
الامر فيه اى فى تضييعه على التقدير اى الذى هو قضاء الله الازلى وقوله خروج عن
الدين أى لان معناه الانقياد لاحكام الشريعة ولا انقياد مع ماذكر (قوله الوقت
سيف) أى مثل السيف فى المضى وسرعة القطع حيث يمر بها ولا يدرك عوده كما ان
السيف يمضيه يسرع قطعه ولا يمكن تلافيه (قوله بما يمضيه الحق الخ) اى فينبغى للكيس
الحاذق ان يبادر وقته بما امر به فيه خشية الفوات وتضييع الوظائف (قوله حتى
يتقبله بالرضا) اى بموافقة ما جاءت به الشريعة (قوله حيث يصح الرضا به) اى والجهة
المصححة لذلك شهود الفعل منه سبحانه وتعالى او كونه خيرا فى ذاته (قوله وقيل السيف
لين مسه الخ) غرضه بذلك زيادة التوضيح بتشبيه الوقت بالسيف فى الليونة وشدة القطع
فمن لاين وقته وسلم وانقاد لاحكام ربه الواقعة فيه سلم وفاز بالاجر الجسيم وعليه اذا كان
الجارى فيه من الاحكام بشاهد علم الشرع ومن خاشنه بالمعارضة وعدم الرضا بما حكم
الله به فيه قطعه عن وجهة ربه أو عن كمال القرب مثل السيف بالنسبة لمن خاشنه فانه يسرع
له الضرر بقطعه (قوله يعنى خرج عن الدين او كماله) أى فان لزم من المعارضة اعتراض
على الفاعل المختار خرج من أصل الدين والا فمن كماله (قوله عدم الراحة) اى مع عدم
الفائدة اذ المقدر كائن لا محالة (قوله ومن ساعده الوقت الخ) اى على معنى ساعده الحق
فيه بالتوفيق وسهل ذلك التجوز انه ظرف للاحكام مع انهم فى غالب عباراتهم يريدون
منه تصاريف الحق الواقعة فيه (قوله ومن ساعده الوقت الخ) اى ومع ذلك فصاحب
الهمة العالية لا يقف بهمته على شئ دون الحق لان ما سواه حجاب عنه وقاطع دونه
(أقول) ويشهد لذلك قول بعضهم ما أرادت همة سالك ان تقف عند ما كشف لها

(ومن تاكده الوقت فالوقت عليه مقت) اى بغض من الله (وسمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله تعالى يقول الوقت مبرد) بكسر الميم (يسحقك ولا يمحقك يعنى لو محاك وافناك لتخلصت حين فنيت لكنه يأخذ منك ولا يمحوك بالكلية) يعنى أن فى ارباب الاوقات المحمودة بقايا يعرفون بها احوالهم التى اقيموا فيها ٢٥ ويشغلهم ذلك عن ادراك غيرهم من المخلوقات فباعتبار عدم ادراكهم لغيرهم محقوا وباعتبار ادراكهم لانفسهم لم يمحقوا ولو قويت عليهم أحوالهم وغابوا عن أنفسهم لمحقوا (و) لهذا (كان ينشد فى هذا المعنى كل يوم يمر) بى (يأخذ منى) (بعضى يورث القلب حسرة ثم يمضى) لانه يشتغل بما هو فيه عن احكام نفسه وعن ادراك غيره من المخلوقات ويغيب عن ذلك بما بدا له فى وقته فاذا زال عنه اورثه حسرة على عدم دوام غيبته واستغراقه (وكان) هو (ينشد ايضا) فى هذا المعنى (كاهل) أى انا فى ذلك كاهل (النار ان نضجت جلود * أعيدت للشقاء لهم جلود) اى ان راحتهم وعذابهم لا يدومان لتغير احوالهم (وفى معناه) قول القائل (ليس من مات فاستراح) بعد موته (بميت * انما الميت ميت الاحياء) نبه بشطره الاول على كمال فنائه وبالثانى على تبدل احواله ومحقه بالحال دون محقه (والكيس) بتشديد الياء (من كان) متصفا (بحكم وقته ان كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة) لانه مطالب بما يجريه الحق عليه من أحكامها (وان كان وقته المحو فالغالب عليه ع يج فى احكام الحقيقة) لان من غاب عن ادراك نفسه وغيره فهو مشغول بالحق عن الخلق ومع ذلك لا يجرى عليه حينئذ ما يخالف الشريعة فتحصل من مجموع ما ذكرانهم يريدون الوقت على ما غلب من الحال وعلى ما كان عبارة للزمان وعلى ما يصرف الله العبد فيه من المقدورات بغير اختيار وانهم لقبوا الوقت بأنه سيف

الا ونادته هواتف الحق الذى تطالب امامك فحصل ان المساعدة بالتوفيق الالهى والمناكدة باتباع الهوى الذى هو ميل النفس الى مقتضيات الطبع والاعراض عن الجهة العلوية بالانحطاط الى الجهة السفلية (قوله ومن تاكده الوقت) اى قدر الله تعالى عليه فيه اسباب النكد والحزن والخسران فالوقت عليه مقت اى لكونه سبب الغضب وقع وتحقق فيه (قوله الوقت مبرد) أقول هو كذلك باعتبار ما يتحقق فيه من أثر العبادة والمجاهدة (قوله يسحقك ولا يمحقك) المحق فناء وجود العبد فى ذات الحق كما ان المحو فناء افعاله فى فعل الحق كما ان الطمس فناء الصفات فى صفاته فالاول لا يرى فعلا الا للحق والثانى لا يرى حقيقة الا له والثالث لا يرى وجودا الا له فهذا المحق أبلغ من المحو (قوله يسحقك) اى يخرجك عن حظوظ النفس لان الحظوظ القلبية والروحية لا يسعى اليها على قدم الحظوظ النفسية الوهمية ويفهم من ذلك انه لا بد للسالك من الفناء عن حظوظه وعلله واغراضه بالكلية (قوله لتخلصت) اى من خطر بقايا الاحساس بالنفس فتبقى فى دوام سرور أنس الغيبة (قوله ولو قويت عليهم احوالهم) اى ويعبر عن هذا بالفناء عن الفناء وبجمع الجمع وسيأتى فى كلامه (قوله لانه يشتغل الخ) انظره مع قول الاصل بعضى الذى يظهر منه بقاء نوع من الاحساس الا ان يقال مراده احكام نفسه المألوفة بالطبع والله اعلم (قوله كاهل النار الخ) فيكون قد شبه حاله فى فنائه عن الكائنات ومنها نفسه وفى عوده بالالتفات الى شئ منها بأهل النار اذا ذابت جلودهم بالنضج ثم أعيدت للشقاء المقضى عليهم فهو لا يستقر على حالة يجد راحته فيها وهى لا تكون الا بدوام غيبته وانى له بذلك وفى ذلك (تنبيه) على ثبوت كماله وشبهه (قوله ليس من مات) اى بواسطة فنائه عما سواه تعالى وقوله فاستراح اى حصل راحته بدوام المشاهدات والمراقبات والغيبة عن الغير وقوله بميت أى بل هو فى حياة ابدية لثبوت قدمه فى رياض النعيم ودوام شهوده المولى الكريم وقوله انما الميت اى من فى حكمه ميت الاحياء اى لكونه قد يرجع له نوع احساس والتفات لغيره تعالى (قوله والكيس من كان بحكم وقته) اى بدون وقوف واستحسان لما هو فيه ولذا قال صاحب الحكم ولا تبرحت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر (قوله والكيس) اى الحاذق من كان بحكم وقته أى فهو الذى يتخلق فى كل وقت بما يناسبه وذلك باتصافه بحكم الظاهر فى حال الصحو وبحكم الحقيقة فى حال المحو مع مراعاة الخواطر على قانون المتابعة (قوله ومع ذلك) أى مع غلبة الحقيقة عليه وشغله بالحق لا يجرى عليه الخ وهذا كما ترى حال الكمل من عباد الله المقربين كيف وهو خلق محمدى

وحال أحدى (قوله لانه يقطع العمر) أى ويصرح بذلك قول الشاعر

يسر المرء ما ذهب الليالى * وكان ذهابهن له ذهابا

(قوله بل لا بدّ أن يدرك الخ) يشير بذلك الى ان المراد بالفناء عن الاحساس انما هو بالنسبة للحظوظ لا عما به يتحقق اسم الوقت (قوله ومن ذلك المقام) أقول لا تقف من ذلك السكون الى ما نازلته منه بل علق همتك بالرحلة عنه الى موليه وتدبر قول بعضهم

فلا تلتفت فى السير غيرا فكل ما * سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا

وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا

ومهما ترى كل المراتب تجتلى * عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا

وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وسر نحو اعلام اليمين فانها * سبيل بها يمن فلا تترك اليمنا

(قوله والمقام الخ) يريد تعريفه بأنه المنزلة التى يرقى لها العبد ثم ينتقل الى أعلى من تلك باشارات الهية وذلك بعد ثبوت التقدم فى ما مضى أولا هذا وقال بعضهم المقام هو استيفاء حقوق المراسم فمن لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقى الى ما فوقه كما ان من لم يتحقق بالقناعة لم يصح له التوكل ومن لم يتحقق بحقوق التوكل لم يصح له التسليم وهلم جرا فى جميعها لانه انما سمى مقاما لاقامة السالك فيه واعلم ان من جملة المقامات مقام التنزل الربانى وهو النفس الرحمانى أعنى ظهور الوجود الحقانى فى مراتب التعينات ومن المقام المكانة وهى المنزلة التى هى أرفع المنازل عند الله تعالى وقد يطلق عليها المكان وهو المشار اليه بقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا يصل أحد الى هذه المنزلة الا بواسطة محمد الهم وهو النبى صلى الله عليه وسلم لانه الواسطة فى افاضة الحق الهداية على من يشاء من عباده وامداده بالنور والتأييد ونهاية هذا المدد الى نهاية المعرفة وهى الحضرة الواحدية وتسمى منشأ السوى باعتبار النفس الرحمانى الذى منه اظهر صور المعانى فانه الظاهر بالوجود ومن المنازل منزل التدلى يعنى به التنزل الحق فيه الى صور الخلق ومنزل التدانى الى دنو الخلق فيه من الحق وفوق هذا المشهد المنقطع الوحدانى وهو حضرة الجمع التى ليس للغير فيها عين ولا أثر فهى محل انقطاع الاغيار وعين الجمع الاحدية ويسمى منقطع الاشارة هذا ولا يتم ذوق هذه المشاهد الا بعد موت النفس عن هواها حتى يحيا القلب وينصرف بالطبع والمحبة الاصلية الى عالمه عالم القدس والنور والحياة الاصلية الذاتية التى لا تقبل الموت أصلا قال تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فقد أشار الى ان من تاب فقد أمات نفسه ولاشارة خبر رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وشبر المجاهد من جاهد نفسه * (تنبيه) * اعلم ان المضاهاة بين الحضرات والاكوان تتحقق بوجه انتساب الاكوان الى الحضرات الثلاثة أعنى حضرة الوجوب وحضرة الامكان وحضرة

(مطلب المقام)

لانه يقطع عمر العبد فاذا لم يقطعه بخير انقطع عمره بغفلة وانهم اقبوه أيضا بأنه مخبر بمعنى انه لا يستغرق العبد حتى يغيب عن احساسه بل لا بدّ أن يدرك ما هو فيه من غلبة حال أو عمارة أو نصر بقسمن الحق ولو استغرق لم يسم وقتا *(ومن ذلك المقام)* هو بفتح الميم موضع القيام وبضمها موضع الاقامة وقد قرئ بهما قوله تعالى لا مقام لكم فارجعوا قال الجوهرى وقد يكون كل منهما بمعنى الاقامة وبمعنى موضع القيام

الجمع بينهما فكل ما كان من الأكوان نسبته الى الوجوب أقوى كان أشرف وأعلى فيكون حقيقة علوية روحية أو ملكية أو بسيطة فلكية وكل ما كان نسبته الى الامكان أقوى كان أخس وأدنى فكان حقيقة انسانية وكل انسان كان الى الامكان أميل وكانت أحكام الكثرة الامكانية فيه أغلب كان من الكفار وكل ما كان الى الوجوب أميل وأحكام الوجوب فيه أغلب كان من السابقين الانبياء والاولياء وكل من تساوى فيه الجهتان كان مقتصدا من المؤمنين فبحسب اختلاف الميل الى احدى الجهتين اختلف المؤمنون في قوة الايمان وضعفه فتدبره وعض عليه بالنواجذ فانه من الاسرار التي لا يعلمها خلاف الابرار (قوله والمقام ما يتحقق به العبد) أي ما يصير بالتعمل والتكلف وصفا للعبد باعتبار انتقاله اليه ومنه الى الاعلى باشارات والهامات الهية وتحققه انما يكون بالجد مع التفرغ واخلاص القاصد في الآداب المحمدية والاخلاق الاحمدية ومثل هذا الا يتم الا بما يقيت لنفسه بقية والحاصل ان المقام نعت للعبد يتجدد له من العمل بالآداب الشرعية التي لا تتم الا بالتطلب والتصرف والتكلف مع مساعدة الهداية بالهبات الالهية (قوله من الآداب) أي انما يكون اكتساب العبد للمقام بعمله بالآداب المحمدية والطريقة الاحمدية وقوله عما يتوصل اليه الخ بيان وايضاح لقوله من الآداب (قوله ما ينال بتكسب الخ) أي فالمقام منزلة ودرجة لا يصلها العبد الا بدوام العبادة مع الاخلاص وحسن المراقبة (قوله فمقام كل أحد موضع اقامته) قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى لا بد لكل مقام من علم وعمل وحال فالمقام يثمر علما والعمل يثمر حالا لان حركات الاجسام تابعة لحركات القلوب وحركات القلوب جارية بحركات الاجسام (أقول) ثم مدار الاعمال على الذكر وحسنه بالحضور فيه ومع ذلك فربما وجد ورجما فقد فلا يترك الذكر في حالة الغفلة بل يدوم على الذكر مطلقا فعسى أن تسعفه العناية قال صلى الله عليه وسلم للذي استوصاه لا يزال لسانك رطبا بذكر الله فلم يدله الا على ذكر اللسان وذلك لانه مقدور الانسان (قوله فمقام كل أحد الخ) أقول اعلم أن أول المقامات الكاملة الانخلاع عن العادات والمألوفات وذلك هو التحقق بالعبودية موافقة لامر الحق بحيث لا تدعوه داعية الى مقتضى طبعه وعادته والله أعلم (قوله فمقام كل أحد الخ) أقول فلا ينبغي لذي المقام ان يفتر عند عروض الغفلة في حالة ذكره مثلا لان الذكر لا يتقيد بحالة حضور ولا غفلة على أن في وجود الذكر مع الغفلة اقبالا بوجه ما والغفلة عنه اعراض بالكلية وفيه تزيين جارحة اللسان بالعبادة وفيه تعرض لنفحات رحمة الله فعسى أن يرفعه الى ما هو أعلى من ذكره (قوله موضع اقامته) محصله أن مقام العبد ما وفقه الله له من أنواع الطاعة وشغل قلبه به في الوقت والساعة (قوله أن لا يتشوق) أي لا يتطلع الى غير ما هو فيه الى أن يرتقي الخ (قوله ما لم يستوف الخ) أي مدة عدم استيفائه أحكام ذلك المقام أي بل

(والمقام) بالفتح عند القوم (ما يتحقق) أي يتصف (به العبد بمنازلته) أي بنزوله فيه وانتقاله اليه باكتسابه له (من الآداب) بيان (عما يتوصل اليه بنوع تصرف ويتحقق) أي يتصف (به بضرب تطلب ومقاساة تكلف) فالمقام ما ينال بتكسب وتطلب أي مع الوهبة الى ان يكمل العبد فيه بخلاف الحال كما سيأتي وقوله عما الخ بيان للآداب (فمقام كل أحد) بالضم وبالفتح (موضع اقامته) وقيامه (عند ذلك) أي عند اكتسابه ما يوصله اليه (وما هو مشتغل بالرياضة له) عطف تفسير على موضع اقامته عند ذلك (وشرطه) أي المشتغل بمقامه (أن لا يتشوف الى أن (يرتقي من مقام الى مقام آخر) أرفع منه (ما لم يستوف أحكام ذلك المقام)

لان اشتغاله بالارفع يشغله عما هو فيه (فان من لا قناعة له لا يصح له التوكل) أى من اشتغل بمقام القناعة ولم يحكمه لا يصح منه أن يرتقى الى مقام التوكل ولكل مقام بدء ونهاية وبينهما أحوال متفاوتة مثاله فى مقام الخوف من الله مثلا أن يبدأ بترك الكبائر خوفا من الله فاذا ارتقى ٢٨ عن ذلك ترك الصغائر أيضا ثم المكروهات ثم الشبه ثم التوسع فى الحلال الى أن ينتهى الى ترك كل ما يشغله عن الله (ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وكذلك من لا توبة له لا تصح له الانابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد) وسيأتى بيان هذه الالفاظ (والمقام) بضم الميم (هو الاقامة) كما مر (كالمدخل بمعنى الادخال والمخرج بمعنى الاخراج) قال تعالى وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق أى أدخلنى المدينة ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكرهه وأخرجنى من مكة اخراجا لا ألتفت بقلبى اليها (ولا يصح لاحد منازلة مقام) أى نزوله فيه بان يشتغل بما يتوصل به اليه (الا بشهود) أى رؤية (اقامة الله اياه بذلك المقام) أى فيه (ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة) وهى رؤية فضل الله عليه فى اقامته فى ذلك المقام (سمعت الاستاذ أبا على) الدقاق (رحمه الله تعالى يقول لما دخل الواسطى نيسابور سأل أصحاب أبى عثمان) سعيد بن سلام المغربى بـ(ماذا كان كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة) من حيث ان المجوس عبدوا النور والظلمة وجعلوا الخير من النور والشر من الظلمة فذكروا فاعلين مع الله فنبه الواسطى هؤلاء على أن شيخهم جعلهم فاعلين مع الله بقوله أمركم بالمجوسية المحضة

ووسمى

يثبت فيما أقامه الله فيه حتى يتم له التحقق بكامل ما فيه من الاحكام (قوله لان اشتغاله بالارفع يشغله عما هو فيه) أى وذلك يؤدى الى فوات المقامين الرفيع والارفع حيث الاول سلم للثانى ودرجة توصل اليه وقوله فان من لا قناعة له لا يصح له التوكل يوضح ما ذكرناه لان تفويض الامر ان له الامر لا يكون الا بعد الرضا بما قسمه للعبد وعدم تشوفه الى زائد عنه (قوله ولكل مقام بدء) أى ابتداء ولا نهاية أيضا توصل الى أعلى منه فاول مقام فى الخوف ترك الكبائر ثم الصغائر ثم المكروهات ثم ما فيه شبهة وذلك أول مقام فى الورع ثم ترك التوسع فى الحلال وهو أول مقام الزهد وينتهى الى ترك كل ما يشغل عن الحق تعالى ثم بعد ذلك مقام التوكل ثم الرضا بما يجرى به القضاء لائم النفس أم لم يلائمها والله أعلم (قوله مثاله فى مقام الخوف) أى لاطلاق نوع منه اذ هو مختلف باختلاف حال الخائف قربا وبعدا منه تعالى (قوله لا يصح له التسليم) أى لانه سكون القلب وطمأنينته لما يجرى به القضاء ولا يتم الا بعد التفويض لمن له الامر كله (قوله لا تصح له الانابة) أى لانها انما تنشأ عن التوبة (قوله لا يصح له الزهد) أى لانه لا يتم معناه الا بالاعراض عن جميع الحظوظ وذلك لا يتحقق الا بالبعد عما فيه شبهة (قوله ولا يصح لاحد منازلة مقام الخ) أى فلا بد للعامل أولا من عرض أعماله على أحكام الشريعة فما وافق دام عليه والا رجع عنه فتلزم المتابعة لسيد الكائنات فى كل ما يتوصل به من الاعمال الى نيل هذا المقام ثم بعد ذلك لا بد له من شهود رضاه تعالى بانه سبحانه وتعالى المتفضل عليه بالتوفيق فيما اصابه اليه وما يسره له (قوله بالتزام الطاعات الخ) أقول انما كان أمره نفعنا الله به بالتزام الطاعات لان مبادى النهايات هى فروض العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وذلك لان نهاية الصلاة كمال القرب ونهاية الصوم الامساك عن الرسوم الخلقية ونهاية الزكاة بذل ما سوى الله طلبا لمحبة الله ونهاية الحج الوصول الى المعرفة والتحقق بالبقاء بعد الفناء لان المنازل كلها وضعت بازاء منازل السالك الى النهاية ومقام احدية الجمع والفرق (قوله فقال أمركم بالمجوسية المحضة) أقول ليس المراد له رضى الله عنه الحقيقة فيما ذكره ولا ذم الآمر لهم ولا ذمهم أنفسهم بل انما حمله على ذلك القول مبالغة على طلبهم الاشرف مما أمرهم شيخهم به وهو الفناء عن شهود العبادة والتبرى من الحول والقوة والرجوع الى انه تعالى هو المنعم والمتفضل فافهم (قوله أمركم بالمجوسية الخ) أقول لعل ذلك لان شأن الكامل متقسمة قلبه وحقيقته بحقيقة البرزخية الجامعة بين الامكان والوجوب فان قلبه أى الكامل من العبيد هو البرزخ كما يشير اليه خبر ما وسعنى ارضى ولا سمائى

ووسعني قلب عبدي المؤمن فافهم (قوله هلا أمركم بالغيبة عنها) أقول وهذا انما يتحقق باحصاء الاسماء الالهية فمن تحقق بذلك في الحضرة الواحدية بالفناء عن الرسوم الخلقية والتحقق بالبقاء في الحضرة الاحدية وصل الى هذا المشهد الاجلى وصار من عباد الله الكمل (قوله وانما أراد الواسطي بهذا) أي وجعله حديث صيانتهم عن الاعجاب على ما شنع به في قوله أمركم بالجوسية المحضة والافكان يمكن افادة الغرض بعبارة غير شنيعة فكأنه جعل من أعجب بطاعته مجوسيا حيث نظر الى فعل نفسه مع غفلته عن مجريه المنعم به (قوله أي لم يأمرهم بشيء من ذلك) أقول بل قد أمرهم في الضمن والاشارة بايقاع الطاعة على أكمل وجوهها على ما لا يخفى على ذائق (قوله الحال الخ) أي فهي ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمد ولا اجتلاب من حزن أو خوف أو بسط أو قبض أو شوق أو ذوق تزول بصفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا فاذا توالت ودامت الامثال فصارت ملكة كان ذلك مقاما واعلم ان الحال بداية والمقام نهاية والحال ما يحول والمقام ما لا يتبدل والحال له انصرام والمقام له الدوام وقد يطلق المقام على ما ليس بمحمود كمالك الدركة على الدرجة ومثله يقال في الحال فقس على هذا المنوال (قوله معنى يرد على القلب الخ) محصله انها واردات الهية ترد على قلوب العارفين بواسطة تنوير قلوبهم الناشئ عن دوام الجد والاجتهاد في العبادة مع الاخلاص والمراقبة ولكن لا كسب للعبد فيها وانما هي مدارج للطالب من رفيع المقامات مع ان مبنى الامر على الحال لا القال فارحل من أوحال القال الى أوطان الحال وقدم بين يدي نجواك صدقة صدق عزم وتقوى لا زخرف قول ودعوى (قوله من غير تعمد منهم) أي ولذا قال أبو محمد عبد القادر الكيلاني رحمه الله الوارد الالهي لا يرد باستدعاء ولا يذهب بسبب ولا يأتي على نمط واحد ولا في وقت واحد والطارق الشيطاني بخلاف ذلك فتدبر (قوله ولا اجتلاب) أي وانما هي المواهب الفائضة على العبد من ربه اما ميراثا للعمل الصالح أو امتنانا محضا (قوله ولا اكتساب لهم الخ) أي لان التنزلات العرفانية على القلوب القدسية لا ترد الا فجأة دون روية واستعداد ووقفت وقد ترد عن استعداد وذلك أقل القليل بل يكاد أن يكون معدوما (قوله من طرب الخ) بيان للحال (قوله وفي نسخة أو حزن) أي وعلى هذه النسخة يكون قوله بعد ذلك أو قبض من ذكر الاعم بعد الاخص واعلم انه سيأتي له تنعما الله بيان حقيقة كل لفظ من المذكورهنا (قوله فالاحوال مواهب) أي تنشأ عن الهبات الالهية لا مدخل للكسب فيها وقوله والمقامات مكاسب أي تنال بكسب العبد وطلبه بمساعدة الهبات واعلم ان المقامات قد تكون ذمية فانظر الى ما نسب اليه الانسان الحامل للامانة من الظلم والجهل وذلك لان الحمل يستدعي قوة وقدرة وليس للعبد ذلك وعوفيت السموات والارض والجبال من ذلك لوقوفها على حد العجز وفي ذلك معرفة بالنفس اللازم منه

(برؤية فعلها وجريها) سبحانه وتعالى بأن تروا انها من الله فضلا ورحمة عليكم فعلى العبد أن يرى في كل مقام يتطلبه ان لا مدخل له فيه خبرا من الجوسية ومن رأى القدرية الذين أثبتوا الانفسهم أفعالا فانهم يضيفون الشر لانفسهم والخير الى الله تعالى وهو الله تعالى خالق كل شيء من خير وشر (وانما أراد الواسطي بهذا) الذي قاله الاعجاب بأعمالهم (صيانتهم عن محل الاعجاب) بانفسهم فيما التزموه من الطاعات (لا تعريجا) منه (في أوطان التقصير) بأن أمرهم بالتقصير في الطاعات (او تجويزا) منه (للاخلال بأدب من الآداب) بأن أمرهم أن يتركوا ايقاعها مطلقا أو على أكمل وجوهها أي لم يأمرهم بشيء من ذلك (ومن ذلك الحال) والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب) وعطف على ذلك عطف تفسير قوله (ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن) بكسر الطاء واسكان الزاي أي وفي نسخة أو حزن (أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج او هيبة او اهتياج) أي تزول ولو بالاطرب (فالاحوال مواهب) ترقي الى المقامات (والمقامات مكاسب) مواهب لانها تنال بالكسب مع الموهبة كما مر (مطلب الحال)

فالعبد بالاحوال يترقى الى
المقامات الممتزج فيها الكسب
بالموهبة ولا يلوح له حال من مقام
أعلى من مقامه الا وقد قرب
ترقيه اليه فلا يزال العبد يترقى
الى المقامات بزيادة الاحوال
(و) يقال أيضا (الاحوال تأتي
من عين الجود والمقامات تحصل
ببذل المجهود وصاحب المقام
متمكن) وفي نسخة ممكن (في
مقامه وصاحب الحال مترق)
وفي نسخة مرقى (عن حاله)
فالمقامات مستقرة والاحوال
متغيرة قال العلامة القونوي
والتحقيق ان الجميع مواهب الا
ان المقامات يظهر فيها الكسب
ويبطن فيها الموهبة والاحوال
بالعكس وقد تصير الاحوال
مقامات وذلك عند استقرارها
وأسبابها وهي الطاعة قد
يعرفها العبد وقد لا يعرفها أصلا
وقد لا يعرفها في الحال كأن يجد
من نفسه القبض والبسط ولا
يعرف سببه لغفلة أو نسيان
(وسئل ذو النون المصري عن)
حال (العارف) بالله (فقال كان
ههنا) أي في العارف (فذهب)
عنه لاشتغاله عنه عن نفسه به
وتولاه (وقال بعض المشايخ) من
الصوفية (الاحوال كالبروق)
في سرعة زوالها

معرفة الرب والعارف لا يلام وانما يلام الجاهل فتأمل ما وقفت له الجادات وتجنبت
عنه أصحاب الادراك حيث كان عين علمه عين جهله وعين عدله عين ظلمه فظهر الجهول
الباطن وبطن العلم الظاهر وكذلك العدل والظلم فان الانسان انما حمل الامانة تعظيما
لمقام الربوبية وخوفا من السقوط من وظائف العبودية فخاف من شيء فوقع فيه
وهذا سر الله في خليقته خاف يعقوب على يوسف فوقع فيما فيه خاف وكذا آدم عليه
السلام خاف من مفارقة الجنة فوقع فيها ولذا قيل انما حرموا الوصول من تضييع
الاصول فافهم (قوله فالعبد بالاحوال يترقى الخ) أي لان الاحوال مبادي للمقامات
ولذلك قيل اذا دامت الحال صارت مقاما لصاحبها (قوله الممتزج فيها الكسب بالموهبة)
أي حيث التوفيق لا يكون الا منه تعالى وحينئذ فقوله والمقامات مكاسب أي تتحقق
بالكسب من العبد هو باعتبار ظاهر الحال وفي الحقيقة لولا التوفيق والهداية لما تحقق
للعبد بنفسه شيء من حال أو مقام (قوله ولا يلوح له حال الخ) أي لان الاحوال مدارج
للمقامات كما قدمناه (قوله فلا يزال العبد يترقى الخ) أقول والغاية في الترقي بحسب
سابق القسمة الازلية بموافقة الحكمة العلية (قوله من عين الجود) أي الفضل
والكرم وقوله والمقامات تحصل ببذل المجهود أي الجهد والطاقة هذا ومن أمعن النظر
علم أن كلا من الحال والمقام يحصل من عين الجود فما ذكره المؤلف باعتبار ظاهر الحال
باثبات الكسب في المقام وسيأتي للشارح التصريح بذلك (قوله متمكن) أي بثبوته
في مقامه حتى ينقله الحق تعالى الى غيره مما هو أكمل منه بواسطة جده في الطلب (قوله
وفي نسخة ممكن) أي لكونه مكنه الله فيه وثبت له القدم عليه فممكن يقرأ على صيغة
المفعول ومثله قوله بعد مرقى (قوله والتحقيق الخ) أي فما ذكر أولا من أن الاحوال
مواهب والمقامات مكاسب انما هو باعتبار الظاهر وشاهد العلم اما بالنسبة للتحقيق
فالجميع مواهب حيث العبد محل التصرف الحق تعالى (قوله وأسبابها الخ) هو
من جملة ما للقونوي من التحقيق وحاصل تحقيقه أن الجميع مواهب أي حاصلة بطريق
الهبة والمنة والفرق بين المقام والحال انما هو بالنظر الى خفاء السبب وظهوره في كل
منهما هذا ما ظهر له وهو الحق والله أعلم (قوله كان ههنا) أي في ذاته وقوله فذهب أي
باعتبار حاله أي فذهب عنه ذلك الحال لاشتغاله عنه عن نفسه به وتولاه هو الله تعالى
ويحتمل أنه يشير الى مقام جمع والعبادة وعين العابد فافهم (قوله الاحوال كالبروق الخ)
أي وانما كانت كذلك لاجل صيانتها عن أن يدعيها العباد بواسطة وجود الاستعداد
فتكون مبتذلة فيبطل سر التخصيص ولانها من بساط عزيز وما كان من عزيز لا ينبغي
أن يكون الا عزيزا ولتعظيم المنة بها وتحقيق الشكر على المواجهة بها على قدرها فاذا قد
قيل اذا دامت النعم صغرت وكثرت واذا نقصت عظمت وشكرت والله أعلم (قوله
كالبروق) أي ومنها اللوائح واللوامع والطوالع على قول وهي مختلفة في القوة على

(فان بقي) شيء منها مع العبد (فحديث نفس) أي فالباقي حديث نفسه بالحال لا نفس الحال (وقالوا) أيضا (الاحوال كاسمها يعني) كل منهم (أنها كما تحل بالقلب تزول في الوقت) أي في الحال وهذه الكاف تسمى كاف المباغتة والمبادرة ولا حاجة لقوله في الوقت (وأنشدوا * لو لم تحل) أي الحال (ما سميت حالا * وكل ما حال فقد زالا * انظر الى الفيء اذا ما انتهى * يأخذ في النقص اذا طالا *) أي اذا انتهى طوله فهو تأكيد للشرط ٣١ قوله أي عند انتهائه يأخذ في الزوال بسرعة فكذا الحال فالاحوال لا تبقى (وأشار قوم الى بقاء الاحوال ودوامها وقالوا انها اذا لم تدم ولم تتوال فهي لوائح وبواده) من لاح له المعنى وبدهه فلم يثبت له (ولم يصل صاحبها بعد الى الاحوال) لعدم بقائها لكنه يصل اليها فهي باقية (فاذا دامت تلك الصفة) وتوالت (فعند ذلك تسمى حالا وهذا أبو عثمان الحيري يقول لي (منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته أشار) بذلك (الى دوام الرضا والرضا من جملة الاحوال) حيث توالى وأنت خبير بان ذلك كله انما يدل على بقائها ان توالت أمثالها فاذا توالت أمثالها سميت أحوالا والا فلوائح وبواده ومن ثم اختار ما ذكره بقوله (فالواجب في هذا) المبحث (ان يقال ان من أشار الى بقاء الاحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى) أي الحال بتواليه (شربا) بكسر أوله أي حظا يعني مقاما (لاحد فيربى) أي الاحد (فيه ولكن لصاحب هذا الحال) أي الشرب وهو المقام (أحوال هي طوارق لا تدوم) يكون أول مقام آخر (وأحواله هذه (فوق أحواله التي صارت شربا له فاذا دامت هذه الطوارق) أي الاحوال بتواليها (له كما دامت الاحوال المتقدمة ارتقى الى أحوال أخر فوق هذه) الاحوال (والطف من هذه) أي منها فالقائم الظاهر مقام المضمر (فابدا يكون) هو (في الترقي) في الدرجات العلية * (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم

حسب هذا الترتيب أي فالثانية أقوى من الاولى والثالثة أقوى منها ومن الثانية (قوله فان بقي شيء منها الخ) أي والكلام فيمن لم تتوال عليه الاحوال أما هو فقد تصير له مقاما (قوله وقالوا الاحوال كاسمها) أي فالمسمى قد أخذ حظا من الاسم فكما لا يبقى حال الاوقات لا يبقى مسمى الواردات (قوله ولا حاجة لقوله في الوقت) فيه أنه يحقق معنى قوله قبل كاسمها (قوله وأنشدوا الخ) أورده استشهادا على ما قبله من أن الحال كاسمها فقوله لو لم تحل ما سميت حالا أي فالتسمية لمناسبة في المعنى والحقيقة وقوله انظر الى الفيء الخ الغرض التشبيه في سرعة الزوال في كل كما نص عليه الشارح (قوله وأشار قوم الخ) الذي يظهر ان مرادهم بذلك توالي الامثال وتكررها فكأنها بذلك تشبه الباقية (قوله من لاح له المعنى) أي بدا له وظهر (قوله وبدهه) أي بغته وبغته (قوله ولم يصل صاحبها الخ) أي فهي انما تسمى لوائح وبواده مدة عدم توالبها على صاحبها ثم هي اذا توالت عليه تسمى حينئذ حالا له لا لائحة ولا بادهة (قوله ما أقامني الله في حال فكرهته) أقول وذلك دليل كماله رضي الله عنه حيث قنع بما أراده مولاه وقضاه عليه مذعنا بان مختار الله خير مما يختاره هو وباشارة خبر لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع ولذلك قيل لا تكونوا بالرزق مهتمين فتكونوا للرازق متهمين فافهم (قوله ما أقامني الله الخ) أي اكتفاء بالمدد الوجودي وهو وصول كل ممكن الى ما يحتاج اليه في وجوده على الولاء حتى يبقى فان الحق يمده من النفس الرحماني بالوجود حتى يترجح وجوده على عدمه الذي هو مقتضى ذاته وكل ذلك على وجه الحكمة العلية وحينئذ فلا فائدة للتشوف لغير ما في علم الله الذي هو على وجه الحكمة (قوله أشار بذلك الى دوام الرضا) أي بسبب عدم طلب التغير حيث فهم ان الطلب كله مذموم الا ما كان من وجه العبودية والقيام بحق الربوبية فافهم (قوله وأنت خبير الخ) محصله ان الطوارق للقلوب من باب فتح علام الغيوب ان توالت أمثالها تسمى حالا وتبقى باعتبار ذلك التوالي وان توالت وكانت غير أمثال يقال لذلك لوائح وبواده وهي غير باقية ولا تسمى حالا بسبب ذلك الاختلاف (قوله فالواجب الخ) مراده تحقيق ذلك المبحث وحاصله ان الحال ان توالت على معنى واحد وأمثال متحدة تصير لمن توالت على قلبه مقاما يربى فيه ومع ذلك ترد له أحوال أخر لا تدوم شرفها أعلى مما صارت له مقاما فان دامت كذلك صارت مقاما آخر أيضا وهكذا

يقال في غيره فلاثة عبارة على قلب الانسان والله أعلم (قوله انه ليغان على قلبي الخ) أقول
والله أعلم بمراد كلام رسوله ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم في بعض أوقاته الشريفة
تغلب عليه سطوات سواطع أنوار الحقيقة حتى يفنى عن نفسه بل وعن فنائه عنها ثم يرده
الحق تعالى الى مقام الصحو والاحساس لاداء أحكام الشريعة وابلاغها فيستغفر
الله تعالى كثيرا على معنى طلب الستر عن تلك السطوات ليدوم على مقتضى حكمة
الارسال من التبليغ وأداء الاحكام هذا وقال بعضهم في معنى ذلك انه للاشارة الى ما
عساه يعتور بعض قلوب السائرين من أولي النهى المقربين باستحسان الحال والغفلة
عن شهود الافضال اذ الافعال وان انتسب حكمها الى العبد شرعا فهي ليست له
بالحقيقة علما اولا حقائق ثلاثة التجلي الفعلي وبابه الفناء عن شهود فعل العبد والتجلي
الاسمائي والصفاتي وبابه الفناء عن أسماء وصفات العبد والتجلي الذاتي الجمعي وبابه
الفناء عن عينه وانيته قيل والدليل على هذه الحقائق قوله في الخبر حتى أحبه الحديث
هذا ولا يخفى عليك انه لا تنال هذه الحقائق الا لمن أحكم الشريعة اذ من رام الطريقة
أحكم الشريعة ومن رام الحقيقة أحكم الطريقة هذا والاحتمال الاول الذي ابديته
في معنى الحديث الشريف ربما كان لائقا بمقامه صلى الله عليه وسلم والاحتمال الثاني
غير لائق بشريف مقامه عليه الصلاة والسلام اذ استحسان الحال والغفلة عن شهود
الافضال غير لائق بكمل أتباعه صلى الله عليه وسلم فضلا عنه ثم ان قيل انه باعتبارهم
صح على ان الاحق قياسا طريق الادب معه عليه الصلاة والسلام حمل الاغيان في
الحديث الشريف على الانوار المتفاضلة التي تحصل له في ترقيه فيعد المفضول غينا
بالنسبة للفاضل والفاضل غينا بالنسبة للافضل والى هذا المعنى أشار بعض المحبين حيث
قال هي أغيان أنوار لا أغيان أغيار ويصرح بهذا الاحتمال كلام أبي علي الدقاق
الذي ذكره المؤلف فتمسك به ولا تعدل عنه (قوله انه ليغان على قلبي الخ) قال بعضهم
هي اغيان أنوار لا اغيان اغيار على معنى انها بالنسبة لما ينتقل اليه صلى الله عليه وسلم
من الرتب والدرجات بواسطة ترقيه يعد ما قبلها اغيانا وان كانت في نفس الامر أنوارا
(قوله انه كان عليه السلام أبدا في الترقي الخ) اعلم ان النبوة على قسمين نبوة تعريف
ونبوة تشريع فالاولى هي الانباء عن معرفة الذات والاسماء والصفات والثانية جميع
ذلك مع تبليغ الاحكام والتأديب بالاخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة فما ذكر
هنا من الغين من كمالات الثانية (قوله أبدا في الترقي) أي ويؤيده ما نقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى من ان المعنى وللحالة
المتأخرة خير لك من الحالة المتقدمة أي مهما حصلت لك في حال من الترقي فهو صلى
الله عليه وسلم وان كان كاملا في ذاته غير انه كامل يقبل الكمال كما هو محقق عن البيان
(قوله فكان يستغفر منها) أقول لما كان صلى الله عليه وسلم مظاهر أسمائه تعالى

انه ليغان) أي يغطى (على قلبي
حتى استغفر الله تعالى في اليوم
سبعين مرة) وفي رواية أكثر من
سبعين مرة وفي رواية أكثر من مائة
مرة (انه كان عليه السلام أبدا
في الترقي من أحوال) الى أحوال
أخر (فاذا ارتقى من حالة الى حالة
أعلى مما كان فيها فربما حصل له
ملاحظة) وهو في حالته التي ارتقى
اليها (الى ما ارتقى) أي حالته التي
ارتقى (عنها فكان يعدها غينا)
أي سترا رقيقا يعوق [illegible]

(بالاضافة الى ما) أى حالته التى (حصل فيها) فاستغفر الله سبعين مرة فقال أستغفر الله وأتوب اليه وقيل قال ذلك على جهة التعليم لامته لغلبة الخطا عليهم وقيل انه كان كلما ذكر أمته وما يكون منهم ٣٣ بعده استغفر الله لهم وقيل ان الاغانة حالة غشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة للعبودية كما قال فى ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا (فأبدا كانت أحواله) صلى الله عليه وسلم (فى التزايد) والترقى (ومقدورات الحق سبحانه) وتعالى (من الالطاف لانهاية لها فاذا كان حق الحق تعالى العز) أى الرفعة (وكان الوصول اليه بالتحقيق محالا فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله فلا معنى) أى حالا (يوصل اليه الا وفى مقدوره سبحانه) وتعالى (ما هو فوقه يقدر أن يوصله اليه وعلى هذا يحمل قولهم حسنات الابرار) أى أوائل الدرجات التى نالوها (سيآت المقربين) لنزولها عن درجتهم * (وسئل الجنيد عن هذا) أعنى عن قولهم حسنات الابرار سيآت المقربين (فانشد) مجيبا للسائل

(طوارق أنوار تلوح اذا بدت
فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع)

أى المقامات أولها طوارق تلوح اذا ظهرت ونهايتها انها اذا قويت بعد ظهورها أظهرت الجمع وكمال الحال وكتمان السر فاول المقام طوارق ونهايته جمع وكمال حال وكتمان سر فأشار بالاول الى مقام الابرار وبالثانى الى مقام المقربين * (ومن ذلك القبض والبسط

وجلالها ومن جملتها جبار وقهار ومنتقم وأمثالها فيحتمل أنه غاب عليه صلى الله عليه وسلم تجليها فى مشهد العبودية فاثبت لذاته الشريفة غينا واستغفر منه وهو لا يقتضى نقصا بل ذلك من الكمال الانفس والله أعلم (قوله بالاضافة) أى بالنسبة الى حالته التى حصل فيها أى التى تحققت له ولابسها وهذا كما ترى لا ينافى ان الحالة الاولى من درجات الكمال العلية (قوله وقيل قال ذلك على جهة التعليم لامته) أى ولو الكاملين منهم اذ لا يخلو الانسان عن تقصير فى حقه سبحانه وتعالى كما يشير اليه خبر سبحانك ما عبدناك حق عبادتك (قوله وقيل انه كان كلما ذكر أمته الخ) أقول هو فى غاية الوجاهة وصحة المعنى فى طريق الادب معه صلى الله عليه وسلم (قوله وقيل ان الاغانة حالة خشية واعظام الخ) أى ومنشأ ذلك نوع من تجلى الجلال المناسب لعبوديته صلى الله عليه وسلم (قوله ومقدورات الحق الخ) كالدليل لما قبله من دوام التزايد له وكذا يكون الحال لغيره من خواص أمته والله أعلم (قوله محالا) أى لان رفعته تعالى من غير نهاية ومن ذلك استحالة الوصول اليها (قوله وعلى هذا يحمل قولهم الخ) أى على ما تقدم من ثبوت العز أى الرفعة له تعالى واستحالة الوصول الى ذلك يحمل قولهم حسنات الابرار الخ أى فان العبد كلما وصل الى حال ومقام أرقى مما كان له ولا يرى ان ما كان له فى الانحطاط كالسيئة بالاضافة الى ما وصل اليه والله أعلم (قوله طوارق أنوار الخ) أقول حاصل المقامين منه ان يقال من سبق له الاصطفاء والاختيار وقدر له أن يكون من الابرار يوفق الى المتابعات فيحلى بحلية أهل العنايات وتفاض الانوار على سره وتتوالى طوارق الواردات على قلبه فيندرج بذلك فى على المقام ويخص بنعت ذوى الكمال فيدوم مشاهد الحق بالايجاد ويستقر على نيل معالى الامداد فيستوى منه الباطن والظاهر لما يجريه فيه رب تلك المظاهر ثم اذا ترقى بتوالى الواردات وتحقق فى رتب أهل السيادات تزايدت على سره الانوار فيفنى عما منح من الاسرار حتى عن نفسه مع العالمين بالثبوت فى مقامات المقربين فيكون دائما على شهود الحق قبل الخلق ويثبت على هذا الطريق الاحق هذا معنى تلك الاشارات وحل رموز هاتيك العبارات تدبر تفهم وربنا بالحال أعلم (قوله القبض والبسط) قال السهروردى فى عوارف المعارف اعلم أن القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا بعده ووقتهما وموسمهما فى أوائل حال المحبة الخاصة لا فى نهايتها ولا قبل حالة المحبة الخاصة فمن هو فى مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء وقد يجد شبه حال القبض والبسط ويظن العبد ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك وانما هو غم يعتريه فيظنه قبضا واهتزاز نفسانى ونشاط طبيعى يظنه بسطا والهم والنشاط يحدثان ويصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء

ى بج ٥

صفاتها ما دامت فى صفة الامارة بقية على النفس يكون فيها الاهتزاز والنشاط فالهم هو
وهج ساجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى
من حال المحبة العامة الى أوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة
ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لانه ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة الايقان
فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى) اه فتحصل ان البسط فى مقام القلب بمثابة الرجاء
فى مقام النفس فهو وارد تقتضيه اشارة الى قبول واطف ورحمة وأنس ويقابله القبض
فهو كالخوف فى مقام النفس ثم للبسط الاشارة بقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا اذ معناه على طريق القوم وعد الله
الذين آمنوا يعنى أنفسهم بمعنى صيروها آمنة من الغضب والحسد والاعراض والبعد
فالمؤمن الذى هذا حاله هو صاحب القلب المطمئن بقهر جند الامارة واللوامة بالعقل
واليه الاشارة بقوله منكم فان القلب من جملة المعانى التى مدت منها النفس وانما أمنت
النفس من الحجاب بواسطة القلب وبواسطة العقل القاهر لها بالاعمال الصالحة واصلح
الاعمال معرفة الله تعالى ومحبته المثمرة للاحوال السنية التى من جملتها السكر بخمر
مشاهدة جمال أوصاف شهود بها والشكر له وخلافته والاستخلاف بجعلها اى القلوب
خليفة فى أرض الوجد والذوق والقرب والأنس التى حلها من قبلها ارباب الهمة
واقاموا فيها وترقوا منها الى ما فوقها من سموات الرفعة والمجد بما اوتوا الهمة وليمكنن لهم
دينهم الذى ارتضى لهم اعلم أن ظاهر الدين هو الاسلام وباطنه جزاؤه فالمراد الجزاء ومنه
وما أدراك ما يوم الدين اى كتبه وقسمه وارتضاه وقدره وامضاه فى سابق علمه وهو أنواع
أعلاها رضوانه ولذة النظر الى وجهه تعالى وليبدلنهم من بعد خوفهم من تجليات جلاله
أمنا بفوق سعة كرمه وفضله ورحمته ثم اعلم أن القبض يلزمه خشية ولهذا قال بعضهم ان
هذه الحالة تستلزم الفناء فكانت موتا ومع ذلك يصح فيها للعبد المقرب ان يتفانى مقاما
او حالا على جهة فمن سكوت والهوى يتكلم وكقوله

فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلى ميتا يتكلم

(قوله وهما حالتان الخ) محصله ان القبض والبسط بمنزلة الخوف والرجاء الثابت كل
منهما للمبتدى الزاجران له عن المخالفات والقائدان لفعل المأمورات والقبض والبسط
مثلهما بالنسبة لمن ترقى عن درجتهما والفرق اعتبار الحال فى القبض والبسط
والاستقبال فى الرجاء والخوف اه واعلم أن القبض والبسط مظهران من مظاهر اسمه
تعالى القابض والباسط فهو تعالى يقبض ويبسط فى الاموال والارواح والاشباح
والاسرار والاخلاق والارزاق والعارف اذا بسط أخوف منه اذا قبض لان النفس
جموح لها بطر اذا انشقت روائح الراحة بدليل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه

استغنى

وهما حالتان) تحصلان للعبد
(بعد ترقى العبد عن حالة الخوف
والرجاء فالقبض للعارف بمنزلة
الخوف للمستأنف) اى للمبتدى
خوفه وهو المريد (والبسط
للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف)
ايضا

(ومن الفصل) اى الفرق (بين القبض والخوف) الذى هو بمنزلته (و) بين (البسط والرجاء) الذى هو بمنزلته (ان الخوف انما يكون من شئ) يحصل (فى المستقبل اما) لكونه (أن يخاف) منه (فوت) أمر (محبوب او هجوم) أمر (محذور وكذا الرجاء انما يكون بتأميل) اى برجاء حصول امر (محبوب فى المستقبل او تطلع زوال محذور وكفاية مكروه فى المستأنف) اى المستقبل (وأما القبض فلمعنى حاصل فى الوقت وكذلك البسط) معنى ذلك ان العبد قد يتقدم له الخوف من ضرر يخشاه فى المستقبل فاذا حصل له القبض والرجاء تأميل حصول محبوب فى المستقبل فاذا حصل انبسط فتعلق الخوف والرجاء أمر يحصل فى الآجل ومتعلق القبض والبسط أمر يحصل فى الوقت العاجل كما أشار الى ذلك بقوله (فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه فى حالتيه) اى خوفه ورجائه (بآجله وصاحب القبض والبسط أخيذ) اى أسير (وقته بوارد غلب عليه فى عاجله) وكل منهما قد يعرف المتصف به سببه وقد لا يعرفه وقد يكون عرفه ونسيه كما مر (ثم تتفاوت نعوتهم) اى أوصافهم (فى القبض والبسط على حسب تفاوتهم فى أحوالهم فمن وارد يوجب قبضا) فيحصل (ولكن يبقى) فى صاحبه (مساغ للاشياء الاخر) المغايرة لاحواله المشتغل هو بها من المحادثات والمكالمات وقضاء الحاجات (لانه غير مستوفى) بل بقى فيه بقية كما مر (ومن مقبوض) يعنى ومن وارد يوجب لصاحبه قبضا (لا مساغ لغير وارده فيه لانه مأخوذ عنه بالكلية بوارده كما قال بعضهم) جوابا لمن طلب منه كلامه (أنا ردم) اى لا مساغ فىّ (وكذلك المبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق فلا يستوحش من أكثر الاشياء ويكون مبسوطا) منشرح الصدر

استغنى (قوله ومن الفصل اى الفرق الخ) محصله ان الخوف والرجاء انما يكونان باعتبار متعلقهما محذورا ومؤملا فى المستقبل وأما القبض والبسط اللذان يكونان بالهما للعارف فانما يكونان باعتبار متعلقهما كذلك فى الحال وتوضيح الكلام يعلم من المقام ومنى عليك السلام (قوله معنى ذلك) اى معنى ما ذكره من الفرق بين الخوف والرجاء وبين القبض والبسط الذى محصله اعتبار الاستقبال فى الخوف والرجاء والحال فى القبض والبسط (قوله فصاحب الخوف والرجاء الخ) تفريع على ما قدمه من الفرق على ما لا يخفى (قوله وصاحب القبض والبسط الخ) اى فهو حينئذ لا ينظر الا لظهور ما تجلى عليه فيه ربه ولذا قيل من المقت استدراك ما ليس فى الوقت (قوله وكل منهما) اى من القبض والبسط قد يعرف المتصف به سببه اى قد يعرف السبب المترتب عليه ذلك القبض والبسط وقد لا يعرفه او ينساه (قوله ثم تتفاوت نعوتهم) يريد انه باعتبار القبض والبسط شدة وضعفا تختلف أحوال من اتصف بهما كذلك واعلم انه يقال لمثل أحوالهم نفعنا الله بهم كاتهم الاعراف وهو مقام الاشراف اى ويشهد له قوله سبحانه وتعالى وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم فافهم (قوله انا ردم) اى مردوم بعض مستوفى فى حال القبض (قوله وكذلك المبسوط الخ) اى ويقال له الباسط فى مقام الخلفاء وهو أن يبسط الله العبد مع الخلق ظاهرا ويقبضه اليه باطنا غيرة منه عليه فهو حينئذ يسع الاشياء ولا يسعه شئ ويؤثر فى كل شئ ولا يؤثر فيه شئ فافهم (قوله ويكون مبسوطا منشرح الصدر لا يؤثر الخ) اى وذلك لان الخوف غالبا بل مطلقا انما يكون فى الطريق وأما من دخل مصر الامن وحصل فى قصر القرب وجلس فى حضرة بساط الوصل فلا خوف عليه ولا حزن كيف وقد نادى الشاويش اليوسفى الجمالى فى حق المتمين ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وأنشد مطرب العيش الرغد مشيرا عن مواله الفرد الصمد

سكن الفؤاد فعش هنيأ يا جسد ❊ هذا النعيم هو النعيم الى الابد
عش فى أمان الله تحت ظلاله ❊ لا خوف فى هذا الجناب ولا نكد

الى آخر ما قال فتدبره قال الواسطى يقبضك عما لك ويبسطك فيما له أقول وجود القبض انما هو لظهور صفة النفس اللوامة وغلبتها والبسط انما هو لظهور صفة القلب وغلبتها لان النفس اللوامة تارة تكون غالبة وتارة تكون مغلوبة والقبض والبسط باعتبار ذلك لصاحب القلب تحت حجاب نورانى بوجود قلبه كما ان صاحب النفس تحت حجاب ظلمانى

(لايؤثر فيه) اى لايكدره (شئ بحال من الاحوال سمعت الاستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله يقول دخل بعضهم على ابى بكر القحطى وكان له ابن يتعاطى مايتعاطاه الشبان) من اللهو واللعب (وكان ممر هذا الداخل على هذا الابن واذا هو مع أقرانه فى اشتغاله ببطالته) ولهوه (فرق قلبه) اى خاف (وتألم للقحطى وقال مسكين هذا الشيخ كيف ابتلى بمقاساة هذا الابن) قاله ظنا منه انه عارف بحاله (فلما دخل على القحطى وجده كانه لاخبر له عما) وفى نسخة بما (يجرى من ابنه من الملاهى) واللعب (فتعجب منه وقال فديت) بتالى (من لاتؤثر فيه الجبال الرواسى فقال القحطى) لفهمه انه متعجب من حاله (انا قد حررنا) بضم الحاء (عن رق الاشياء فى الازل) هذا يحتمل انه علم بحال ابنه لكنه لم يشتغل به لما خصه به مولاه من كمال اشتغاله به وبمناجاته ويحتمل انه لم يعلم به وقال له ذلك جوابا لتعجبه من حاله وفيه أيضا دليل على كمال اشتغاله بمولاه وعلى كمال بسطه بما هو فيه من فضل ربه (ومن أدنى موجبات القبض) الحاصل للعبد (أن يرد على قلبه وارد موجبه) بكسر الجيم (اشارة الى) استحقاق (عتاب او رمز باستحقاق تأديب) على تقصير (فيحصل فى القلب لامحالة قبض وقد يكون موجب بعض الواردات) على قلبه (اشارة الى تقريب) من الله اليه (او اقبال) منه عليه (بنوع لطف وترحيب) من قولك رحبت به اذا قلت له مرحبا اى سعة (فيحصل للقلب بسط) واتساع

بوجود نفسه فاذا ترقى من القلب وخرج من حجابه لايقيده الحال ولا يتصرف فيه فلا يعتريه قبض ولابسط فاذا عاد الى الوجود من الفناء يعود الى الوجود النورانى الذى هو القلب فيعود القبض والبسط اليه عند ذلك بحسب غلبة صفات النفس اللوامة والقلب فبغلبة صفات النفس اللوامة يكون القبض وبغلبة صفات القلب يكون البسط والله أعلم (قوله لايؤثر فيه شئ) اى ويقال لذلك الاصطلام وهو الوله الغالب على القلب الذى هو قريب من الهيمان واعلم ان كلا من القبض والبسط قد يكون محمودا ومذموما فاذا قبضك اليه حمد واذا قبضك عنه ذم واذا بسطك به أوله اوفيه حسن او بك اولك اوفيك قبح فالحسن وصف أسمائه والقبح نعت أوصافك ثم قد يقبض الله العبد عن معرفة الخلق به اليه صونا له وحفظا فيكون من افراد عبيده الذين صانهم فى حجاب عزه وسرادقات حفظه وقد يقبض عنه بعض الخلق دون بعض عناية به وبذلك البعض الذين عرفهم به وابعادا للبعض الآخر صونا له عنهم وقد يقبضه حتى عن نفسه فلا يحس بوجوده لاصطلام شهوده ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وقد يبسط همة العارف بحيث انه الانس والى مؤانسة غيره وقد تلطف فيبسطه لمباسطتهم مع صونه عنهم فيعرفهم ولا يعرفونه ولذا قيل الرجل من عرفهم وهو مجهول وقد يبسطه لهم ويبسط لهم ما منحه من معارفه فينصبه هاديا مرشدا لهم والله اعلم (قوله فتعجب منه) اى فكان الشيخ من الذخائر وهم قوم من أولياء الله تعالى يدفع بهم البلاء عن عباد الله تعالى كما يدفع بالذخيرة وفيهم سعة لكل شئ (قوله هذا يحتمل أنه علم بحال ابنه الخ) أقول الاولى اسقاط هذا الاحتمال اذ هو الظاهر من المقام ويدل لذلك قوله كانه لاخبر له عما يجرى من ابنه الخ (قوله ويحتمل انه لم يعلم به) فيه انه بعيد من المقام والله أعلم (قوله ومن أدنى موجبات القبض) اى أقل شئ يوجب غلبة القبض على قلب العبد اشارة الخ وذلك منه تعالى لطف بعبده كما لايخفى (قوله ومن أدنى موجبات القبض الخ) هذا شروع فى بيان بعض الاسباب التى يترتب عليها كل من القبض والبسط (قوله فيحصل للقلب بسط الخ) قال فى لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب وارجى لوجود السلامة لانه موطن العبد اذ هو فى مرقبة الله على ان القبض هو اللائق بهذه الدار اذ هى محل التكليف وخوف الخاتمة بسبب عدم علم السابقة وقد قالوا ان القبض للارواح والبسط للارتياح والقبض حق الحق منك والبسط حظك منه ولان تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسك قال صاحب الحكم ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك فالعارف من قصر نظره على الله واعتبر بما وصاه بما به يتولاه فاذا واجهه بجمال ذكر جلاله واذا واجهه بجلال ذكر جماله فهو لاييأس من الله فى شئ ولايأمن منه فى شئ لان ظواهر الاشياء لاتنقضى على باطن

الصفات فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون فهو اذا عاين صورة خوف رجا الفضل واذا عاين صورة أمن خاف العدل وربما يفهم ذلك من حديث الغار وحديث بدر اذ قال أبو بكر رضى الله عنه فى الاول يا رسول الله لو نظروا الى أقدامهم لرأونا فقال عليه الصلاة والسلام لا تحزن ان الله معنا وكان يقول يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لم تعبد فيقول أبو بكر دع مناشدتك ربك فانه وعدك بالنصر فكان أبو بكر فى مقام الثقة بالله ورسول الله فى موقف النظر لاتساع علم الله وهو أتم تامل تفهم والله أعلم (قوله وفى الجملة الخ) محصله ان وارد القبض تابع لوارد البسط قوة وضعفا وكذا العكس باعتبار قابلية الشخص (قوله فسبيل صاحب الخ) اى فطريقته اللازمة فى حقه التسليم والصبر بسكون القلب عن القلق والشكوى حتى يمضى وقته كما هو شأن العارف فانه لا ييأس من الله فى شئ يكون ولا يأمن منه كذلك لان ظواهر الكائنات لا تقضى على باطن الصفات فهو اذا عاين صورة خوف ترجى الفضل او صورة أمن خاف العدل فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون كما قدمناه (قوله او استقبل الوقت) اى بالمدافعة لذلك القبض (قوله سوء أدب) اى حيث لم يستسلم وينقاد (قوله فان الحق سبحانه وتعالى قال والله يقبض ويبسط) اى وحيث علم انه الموجد لذلك فالاسلم التسليم اذ فى المدافعة معارضة العزيز الحكيم (قوله يرد على العبد بغتة) اى على حين غفلة وقوله ويصادف صاحبه فلتة عطفه للتفسير وقوله فسبيل صاحبه السكون اى فطريق النجاة من المكر الخفى الكامن له فيه الصبر بطمأنينة القلب مع الحق مع مراعاة الادب المحمدى فبذلك يسلم من خطره وضرره والله أعلم (قوله ومراعاة الادب) اى المحمدى بداعى ان البسط يوجب انتشار الحرارة فى العبد وذلك ربما يستدعى الاسترسال فى الملائم للنفس وهو سوء أدب فى الحركات والتصرفات وحينئذ فلا يقف على الادب مع ذلك الا من كان متمكنا من نفسه وأدبه متحققا بحقائق حفظ الحرمة قد غمس قلبه فى بحر الهيبة والله أعلم (قوله فان له فى هذا الوقت خطرا عظيما) اى ولذلك قالوا ان البسط مزلة قدم للعبد بواسطة شدة اهتزاز النفس وطربها بما فيه فربما غفلت ورجعت الى بعض ما يلائمها مما كانت قد انخلعت عنه وفى ذلك هلاكها (قوله لو قال كما قال كان اولى) اى لان الغرض تشبيه ما تقدم بالذى قاله بعضهم (قوله فتح على باب من البسط الخ) أقول القبض والبسط وصفان يتعاقبان على القلب وهما أمران وجوديان فيكون العبد تارة بهذا وأخرى بالآخر وتارة فى موقف الاعتدال وما يجعل الحق تعالى ذلك الا ليعرف العبد انه فى قبضة مولاه ليس له من الامر شئ فينقطع عن نفسه وعن كل شئ سوى ربه اذ ليس من مراد العبد دخول القبض عليه ولا مفارقة البسط له فاذا تحقق عدم دوام ما يحبه وثبوت ما لا يريده لم يتعلق عن موجبه الحق فافهم (قوله قف على البساط الخ) اى فاللازم ملازمة ما هو للعبد من ربه فى حالة

(وفى الجملة قبض كل أحد على حسب بسطه) اى على قدره قوة وضعفا (وبسطه على حسب قبضه وقد يكون) اى يوجد (قبض) فيشه الله بغتة (يشكل على صاحبه سببه) كأن (يجد فى قلبه قبضا لا يدرى موجبه ولا سببه) هو عطف تفسير (فسبيل صاحب هذا القبض التسليم) والصبر (حتى يمضى) عليه (ذلك الوقت) الذى فيه القبض ويخرج عنه (لانه لو تكلف نفيه) اى القبض (او استقبل الوقت) اى وقت القبض (قبل هجومه عليه) بأن رفعه عنه (باختياره زاد) ذلك (فى قبضه ولعله يعد) بمعنى يعد (ذلك منه سوء أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض) ببركة التسليم (فان الحق سبحانه) وتعالى (قال والله يقبض ويبسط وقد يكون) اى يوجد (بسط يرد) على العبد (بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه) اى يستخفه (فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان فى هذا الوقت) اى فان (له) فى هذا الوقت (خطرا عظيما) فليحذر صاحبه مكرا خفيا كذا قال) لو قال كما قال كان أولى وفى نسخة قال (بعضهم) بدون كذا (فتح على باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامى ولهذا قالوا قف على البساط واياك والانبساط) البساط ما جعل للعبد والانبساط ما فعله بنفسه واختاره

انبساطه وعدم الخروج عنه ذرة باختياره خشية العطب من اختياره شيأ لنفسه (قوله من جملة ما استعاذوا منه) اى وذلك لخطرهما (قوله الى مافوقهما) اى كمقام الحرية للخاصة وخاصة الخاصة التى هى عن رق الرسوم والآثار بسبب انمحاقهم فى تجلى نور الانوار (قوله من استهلاك العبد الخ) اى وذلك مثل مقام الجذبة التى هى تقريب العبد بمقتضى العناية الالهية المهيئة له كل ما يحتاج اليه فى طى المنازل بلا كلفة وسعى منه (قوله الخوف من الله الخ) اى فالقبض فى مقام القلب بمثابة الخوف فى مقام النفس ويقابله الرجاء فيقال فيه انه فى مقام النفس مثل البسط فى مقام القلب واعلم أن البسط فى مقام الخاصة صاحبه يسع الخلق ولا يسعه هو شئ وذلك لانه ظاهر الباطن والظاهر قد قام بحق الحق وحق الخلق (قوله الخوف من الله الخ) توضيحه ان خوفه من أن يحتجب عن مراقبة الحق تعالى يقبضه عن الالتفات الى ما سواه تعالى بسبب غيبته عنه ورجاؤه فيما يؤمله منه تعالى من دوام شهوده يجعله قائما فى مقام البسط يشاهد مظاهر الكرم والجود (قوله والحقيقة تجمعنى) اعلم أن الكلام فى الحقيقة لا ينبغى مع كل أحد ولذا قال على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقال الامام أبو حامد الغزالى قدس الله سره وقد تضر الحقائق بأقوام كما تضر الجعل بالورد والمسك وقيل الجنيد رضى الله عنه يسألك الرجلان عن المسئلة الواحدة فتجيب هذا بخلاف ما تجيب الآخر فقال الجواب على قدر السائل لا على قدر المسائل وقال بعض الحكماء زيادة العلم فى الرجل السوء كزيادة الماء فى اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وأيضا تتعذر الاطالة فى الجواب عن الحقيقة وتقصر العبارة عن مدارك شهودها حتى ربما أدت العبارة خلاف المقصود ومن ثم كفر جماعة من المحققين وبدعوا وفسقوا ولا كفر ولا ابتداع ولا فسوق ولا عصيان فافهم هذا وقيل ان الحقيقة هى حضرة الاحدية الجامعة لجميع الحقائق وتسمى حضرة الجمع والوجود ويقال حضرة الاسماء والصفات وتعينات الذات ويقال هى حق اليقين وهو شهود الحق فى مقام عين الجمع الاحدية (قوله تجمعنى) اى تجعلنى متحققا فى مقام الجمع والحق يفرقنى اى يردنى الى احساسى فاشهد الخلق بالحق وقد أشار رضى الله تعالى عنه الى بيان ذلك حيث قال اذا قبضنى اى جمعنى عليه بالخوف من تحجبى عن مشاهدتى افنانى عنى اى صيرنى غافلا عن الذى يلائم نفسى وعن غيرى من باب اولى وذلك بالغيبة عن سائر الكائنات والصرف عنها الى حظائر الحضرات وقوله واذا بسطنى اى أقامنى فى مقام البسط بواسطة لطف و بشارة وقوله ردنى علىّ اى أعادنى الى احساسى وقوله واذا جمعنى اى اراد جمع حواسى عليه بغلبة أنوار الحقيقة علىّ أحضرنى اى منعنى الحضور فى مقامات المشاهدات بل والمكاشفات فأكون باقبالى عليه غائبا عما سواه وقوله واذا فرقنى بالحق اى اذا أراد تفريقى يردنى الى

(وقد عد أهل التحقيق حالتى القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لانهما بالاضافة الى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه فى الحقيقة فقر وضر) ثم بين أسبابهما مع زيادة فقال (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول الخوف من الله) لافضائه الى استغراق قلب الخائف والغيبة عن غير مولاه (يقبضنى والرجاء منه) لما يؤمله الراجى من فضله (يبسطنى والحقيقة) وهى غلبة ذكر الحق على القلب وكمال شغله به حتى لا يشعر بغيره (تجمعنى) عليه تعالى (والحق يفرقنى) وذلك لانه (اذا قبضنى) الله تعالى (بالخوف) منه (افنانى عنى) لاشتغالى به (واذا بسطنى بالرجاء ردنى علىّ) فاقبل فيما على من الحق (واذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى) عنده (واذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى) من الخلق (فغطانى عنه) اى عن الحق

احساسى

اسماى وعالى ووجودى أتم من نفسى وغيرى قائما بالحق تعالى (قوله فهو تعالى في ذلك كله الخ) اى فهو تعالى المتصرف في تصوير ما تعلقت به ارادته على حسب حكمته الباهرة بالنقل من مقام الى مقام ومن حال الى حال لا اختيار لى في شئ من سائر حركاتى وسكناتى (قوله فلبقيه أفنانى الخ) أقول ولا يخفى ما في الاماني والتوفيق غير انه لا لوم على من أسكره الحب وأدهشه جمال محيا القرب بحيث هو كما لا يخفى صعب المذاق ولا سيما ان ذاق من شراب التلاق ولذا قال سلطان العاشقين وامام أئمة المحبين المحبوبين

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل ❁ فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب راحته عنا ❁ فأوله سقم وآخره قتل

(قوله الهيبة والانس) اعلم أن الهيبة هي الخشية والاجلال للحق تعالى ومنشؤها كمال العلم والمعرفة بالله والانس لغة مصدر أنس يأنس أنسا من الاستئناس بالغير وهو ثلاثى بخلاف آنس فانه رباعى ومنه قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا أى أبصرها وادركها والدليل عليه قوله جل شأنه الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال قتادة هشت قلوبهم الى ذكر الله واستأنست به وقوله حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وقوله ولا مستأنسين لحديث اى متحدثين بعد فراغ الطعام ابناسا من بعضكم لبعض (قوله فكما ان القبض الخ) أقول ولا تغفل عما تقدم من اختلاف منازل الخوف والرجاء والقبض والبسط باختلاف درجات الخائفين والراجين وباختلاف المخوف منه والمرجو والمقبوض منه والمبسوط به فعلى حسب ذلك قوة وضعفا وقربا وبعدا تختلف الهيبة والانس (قوله والانس أتم من البسط الخ) اعلم أن الانس له أقسام فأنس بالخلوة وأنس بالعبادة وأنس به تعالى أما الانس بالخلوة فصاحبه ينقص بالانفصال عنها والانس بالعبادة يتم بحسب اعتيادها مع النظر الى وعد جزائها والانس به تعالى ينشأ عن كمال المعرفة بعظمته تعالى وجلاله وجماله وباقى كمالاته من الانعام والانفراد بالاحكام وصاحبه يستوى عنده الاجتماع بالخلق والانفراد عنهم وهو خلق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فسبب الانس معرفة العبد كمالات الرب ورغبته ورهبته بتجليات الوعد والوعيد وغيره مما لا يمكن حصره وفضل لا يمكن عده فان قلت قد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التبتل للعبادة قلت ذلك من باب النهى عن التكلف لما يشق من الاعمال خوف الانقطاع قبل بلوغ الآمال فيكون كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وما نحن فيه من باب الرفق بالنفس والتدريج في المقامات حتى تصير قرة عينه العبادة (قوله وحق الهيبة الغيبة) اى عما سواه تعالى فالغيبة عن الاكوان شغلا بالمكون امارة على تحقق العبد في مقام الهيبة فكل هائب غائب (قوله ثم الهائبون يتفاوتون) يظهر لى ان الاولى أن يقال ثم يتفاوتون في الغيبة على حسب تفاوتهم في الهيبة عكس ما ذكر وقد أشرنا الى ذلك قبل هذا والله أعلم

(فهو تعالى في ذلك كله محركى غير مسكنى) وفي نسخة مسكنى (وموحشى غير مؤنسى) اى ينقلنى من حال الى حال (فانا بحضورى) عنده (أذوق طعم وجودى) اى أتلذذ به (فليته أفنانى عنى فمتعنى) بأنسه ومناجاته (او غيبنى عنى) بالكلية (فروحنى) بتنى أحد الحالين والله تعالى بحسب حكمته ينقله من حال الى آخر لمصلحته وهو أعلم منه بها (ومن ذلك الهيبة والانس وهما فوق القبض والبسط) رتبة (فكما ان القبض فوق رتبة) اى منزلة (الخوف والبسط فوق منزلة الرجاء فالهيبة أعلى من القبض) اى فوقه (والانس أتم من البسط) اى فوقه فالهيبة ناشئة من القبض الناشئ من الخوف والانس ناشئ من البسط الناشئ من الرجاء لان من خاف من الله وعرف تقصيره في حقه تعالى انقبض قلبه وبقى مشغولا بالله فحصل له الهيبة منه ومن أمل وصوله الى خيره انبسط قلبه وبقى مشغولا بالله فحصل له الانس به (وحق الهيبة الغيبة) للهائب (فكل هائب) من شئ (غائب) عن غيره (ثم الهائبون يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة فمنهم) من تطول غيبته (ومنهم) من تقصر غيبته على حسب حالته ممن اشتغل به واحواله له

(قوله وحق الانس صحو بحق) اى يقظة وافاقة بمقام شريف يشرف عليه صاحب هذا المقام وعلى ذلك فكل مستأنس صاح كما قال فكل مستأنس صاح اى لادرا كه لذة مناجاته وطاعاته ولذاذة المصافاة وسنى الحلات قال بعضهم فى الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخرة ولا الى شئ سواها وهى طاعة الله سبحانه وتعالى (قوله أدنى محل الخ) اى أقل مقام الانس الخ اى والكامل فيه ما يأتى للتأمل من باهر آيات المولى الجليل اهـ سئل ذو النون ما علامة الانس بالله تعالى فقال اذا رأيته يؤنسك بخلقه فانه يوحشك من نفسه وقال أوحى الله الى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كن كالطير الوحدانى يأكل من رؤس الاشجار ويشرب من الماء القراح اذا جنه الليل أوى الى كهف من الكهوف استئناسا بى واستيحاشا ممن عصانى ياموسى انى آليت على نفسى انى لا أتم لمدبر عنى عملا ولاقطعن كل آمل يأمل غيرى ولاقصمن ظهر من استند الى سواى ولاطيلن وحشة من استأنس بغيرى ولاعرضن عن أحب سواى (قوله انه لو طرح فى لظى لم يتكدر عليه أنسه) اى ولهذا قيل المراد بالجنة جنة القرب والمشاهدة والمراد بالنار نار الحجاب والمباعدة فغاية مقاصد المحب استهلاكه فى مرادات من أحبه سواء لاءمت مألوف النفس أم لم تلائمه ولهذا المعنى أشار سلطان العشاق حيث قال

وما سل بى من محنة فهى منحة * اذا سلمت من حل عقد عزيمتى

فكل أذى فى الحب منك اذا بدى * جعلت له شكرى مكان شكيتى

يعنى رضى الله عنه مادمت موفيا بعهدى مصمما على ابرام عقد عقدى فكل ما أتانى من جنابك فهو عين المنح والمنن وان ظهر فى صور البلايا والمحن فاجعل له شكرى مكان شكيتى وذلك شأن الصديقين أماضل المؤمنين فقامهم الحمد على الضراء والشكر على السراء والجهاد على عدم بث الشكوى (قوله كنت أسمع السرى الخ) محصله ان الانس استغراق يخرج عن الاحساس (قوله يبلغ العبد الخ) أقول وفى الحديث ان الرجلين من الصحابة كانا فى حرس المسلمين من الكفار فقام أحدهما يصلى ونام الآخر فمكن كافر قوسه وضرب المصلى فأصابه السهم فلم يحفل به ومضى فى صلاته وعاوده ثانيا كذلك وبثالث فلما رأى ذلك أيقظ صاحبه وقال لولا انى خفت على المسلمين ما أيقظتك ولكن ما أنا فيه شاغل لى عما أصابنى (قوله لم يشعر به) اى لوصوله الى درجة الاصطلام بسبب الوله الغالب على القلب (قوله وكان فى قلبى منه شئ) أقول ويدل له ما جاء فى الخبر ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا ذكروه أنكره أهل العزة بالله وأنشدوا فى ذلك شعرا

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمى * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

اذا علمت ذلك فالذى ينبغى للكامل أن يذكر الوعظ والتذكير لعموم المسلمين وما كان من

(وحق الانس صحو بحق فكل مستأنس) اشئ من مقام شريف ونحوه (صاح) لانشراح صدره (ثم) المستأنسون (يتباينون) اى يتفاوتون (بحسب) اى على حسب (تباينهم فى الشرب) بكسر الشين اى الحظ (ولهذا قالوا أدنى محل) اى مقام (الانس) بالله (انه لو طرح فى لظى) اى جهنم اى فى نار (لم يتكدر عليه أنسه) وشاهده ما فعل بأبى مسلم الخولانى لما أحرقه العنسى المتنبى بالنار لم تؤثر فيه ولم يرجع عن دينه ومن كماله ما فعل بالخليل عليه السلام لما أوقدوا نارا لا يمكن أحد أن يقرب منها وجعل فى منجنيق ورمى به فى الهواء ليقع فى النار فلقيه جبريل فى الهواء منصبا الى الارض فى النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا فلم يتحرك عما هو عليه من الانس ولم يركن الى جمع قدرته باذن ربه على طفئها فتداركه الله تعالى بقوله يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال الجنيد رحمه الله كنت أسمع السرى) السقطى (يقول يبلغ العبد) فى الانس بالله (الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به وكان فى قلبى منه شئ حتى بان لى ان الامر كذلك) حيث ذاق ذلك وعلم ان كمال الاستغراق يزيل الاحساس بالنفس بالكلية

وشاهده مشهوران الشهيد انما يجد من الموت كما يجد من القرصة لغلبة ذلك عليه بكمال شغل جهز اده فيأتيه الموت بالسيف ولا يحس به
الا كما يحس بالقرصة (وحكى عن ابى مقاتل العكى أنه قال دخلت على الشبلى وهو ٤١ ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش فقلت) له

(ياسيدى أنت تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه الى قلبى فقال ويلك الحقيقة ظاهرة لى ولست أطيقها) وفى نسخة أطيقه اى الحال الذى ورد على (فهو ذا) اى فالسبب هذا (فأنا أدخل الالم على نفسى اعلى أحس به فيستتر عنى) ألم مالا أطيقه (فلست أجد الالم) من نتف الشعر المذكور (وليس يستتر عنى) ألم الحقيقة (وليس لى به طاقة) فيه دلالة على ان مبادى أوائل استغراقه كان فى أمر لا يطيق حمله فكان يجذب شعر حاجبه ليحس بالالم فيتفرق عنه ما أدرك أوائله وأحس من نفسه العجز عنه ففيه دلالة على عظم مايدخل الله العبد فيه من الاحوال العالية التى لاقدرة له على حملها كما مرت الاشارة اليه (وحال الهيبة والانس وان جلتا) بتشديد اللام اى عظمتا (فأهل الحقيقة يعدونهما نقصا لتضمنهما تغير العبد) من حال الى حال (فان أهل التمكين) وهم المتمكنون فى مقاماتهم (سمت) اى ارتفعت (أحوالهم عن التغير وهم محو فى وجود العين) اى الحق (فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس) بخلاف صاحبى الهيبة والانس فانهما مفترقان

٦ ج نی   لادراك الاول كونه هائبا والثانى كونه مستانسا ولانهما مع الوجد وهو هيبة واجلال وطرب وأنس لامع
الوجود فلم يكمل استغراقهما (والحكاية) الدالة على هذا (معروفة عن ابى سعيد الخراز) رحمه الله (انه قال تهت فى البادية مرة)

البيان والتقرير فالخاصة من المحبين وما كان من الاحوال والمقامات فللمريدين والسالكين وما كان من الحقائق والمعارف فلاهل المعرفة والواصلين فلكل مقام مقال ولكل علم رجال وبالله التوفيق (قوله انما يجد من الموت الخ) أقول ولا مانع من الحمل على الحقيقة وان احتمل ان الخفة بشاهد علم ما أعده الله تعالى لعباده الشهداء (قوله دخلت على الشبلى الخ) منه يعلم انه يصدر عنهم أشياء ظاهرها المخالفة بسبب غلبة الحقيقة عليهم فيتداوون بها وربك أعلم بأسرار خلقه (قوله الحقيقة ظاهرة) اى أحوالها منكشفة وذلك بحسب تانيسهم من مولاهم وبما منه واليه من الامداد العرفانية والزوائد العلية الايمانية قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فافهم (قوله فيه دلالة على ان مبادى الخ) اى لانه كان متحققا بمقام الارادة التى هى جمرة من نار الطلب ملقاة فى القلب مقتضية لاجابة دعوة الحقيقة وصورة الارادة انقطاع النفس عن رؤية شئ يقع بارادة غير الله وشهود وقوع جميع الاشياء بارادته تعالى (قوله ففيه دلالة على عظم مايدخل الله العبد فيه الخ) اى بواسطة ما لابسه مما شاهده بحسب ظهور الحقيقة له بجميع مراتب الاسماء والصفات المقتضية للمظاهر الغير متناهية كما يشير اليه قول بعضهم

لا تقل دارها بشرقى نجد * كل نجد للعامرية دار

(قوله وحال الهيبة والانس الخ) اى وأما التأنيس فهو التجلى فى المظاهر الحسية تأنيسا للمريد المبتدئ بالتزكية والتصفية ويسمى التجلى الفعلى لظهوره فى صور الاشياء (قوله فأهل الحقيقة) اى من غلب نور الحقيقة على قلوبهم فتلاشت منها جميع الاباطيل قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه اى فاذا جاء الحق بجولانه ذهب الباطل بصولته وذلك لان الحق من بساط القوة والظهور وهما وصفان لا يقوم لهما شئ مع ان الحق مؤيد بالحقيقة الايمانية معضد بالحجج البرهانية على ان الحق هو البرهان فى نفسه والسلطان فى ذاته (قوله وهم محو فى وجود العين) اى محيت منهم الذوات والصفات فى ذات الحق تعالى فلا يشهدون غيرها من مظاهر أسمائه وصفاته فيحصل ان الفانى فى العين بمعنى الذات باق بها لا يشهد غيرها من صفات وآثار فهو أمكن ممن فنى فى الصفة لتفرقه مع آثارها فهم فى مشهد الشؤن الذاتية الكامنة فى غيب الغيب كالشجرة فى النواة المشار اليه بقوله

كنا حروفا عاليات لم تقل * متعلقات فى ذرى أعلى القلل
أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو * والكل فى هو فسل عمن وصل

(قوله وهو هيبة واجلال وطرب وأنس) أشار بذلك الى ان الوجد قد يتحقق من جمالى

وأنا سالم طيب العيش متأنس بالله فرحا بكمال أنسي كما قال تعالى فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (فكنت أقول)
اخبارا عن حالي بما اجراه الحق على لساني ٤٣ (أتيه فلا أدري من التيه) اى من أجل ما اقتضى لكمال شغلي بحالي (من أنا *)
اى فلا أدري نفسي وما يتعلق
بها (سوى ما يقول الناس فيّ
وفي جنسي) مما من الله به عليّ
فأدركه (أتيه على جن البلاد
وانسها *) اى لم ألتفت الى جن ولا
انس (فان لم أجد شخصا) منهما
(أتيه على نفسي) اى لم ألتفت
اليها (قال فسمعت) لما أعجبني حالي
وما أنا فيه من حسن مقامي (هاتفا)
من ملك او ولي او جني من قبل
الله (يهتف) اى يصيح (بي ويقول
أيا من يرى الاسباب) اى أسباب
الوصول الى الحقيقة من الهيبة
والانس ونحوهما (أعلى وجوده *
ويفرح بالتيه الدنيّ وبالانس
فلو كنت من أهل الوجود) اى
وجود الحق (حقيقة *) بأن غاب
وجوده على قلبك (لغبت عن
الاكوان والعرش والكرسي)
الشامل لهما الاكوان وانما
أفردهما بالذكر لعظم أمرهما
والمراد لغبت عن سائر المخلوقات
من مقام وحال ووجد وغيرها
كما ذكر بعضها بقوله (وكنت بلا
حال) بل كنت (مع الله واقفا *
تصان عن التذكار للجن والانس
وانما يرتقي العبد عن هذه الحالة)
الى أخرى أرفع منها (بالوجود) لله
الحق تعالى بما سمعه من الهاتف على
مقام أرفع من مقامه لئلا يعجب
بنفسه وانتهاق همته بما هو أرفع
منه فعلم ان الوجود أرفع من الوجد وسيأتي بيانهما على الاثر (ومن ذلك التواجد والوجد والوجود
عند

الجلال والعظمة وقد يتحقق من تجالي الجمال واللطف فيثمر الحال الاول هيبة والثاني
أنسا وعلى كل فهو بحالة التيه واستشعاره بهما لم يكمل استغراقه كما ذكره الشارح (قوله
وأنا سالم طيب العيش الخ) أخذه الشارح من قوله في شعره أتيه فلا أدري الخ حيث
لا يكون ذلك الا من تجالي الفرح والسرور والانس (قوله أتيه) اى عجبا بما منحني ربي
وغرقا في بحر رسوم العلوم التي هي مشاعر الانسان لانها رسوم الهية كالعلم والسميع
والبصير ظهرت على ستور الهيا كل البدنية المرخاة على باب دار القرار بين الحق والخلق
فمن عرف نفسه وصفاتها كلها بانها آثار الحق وصفاته ورسوم أسمائه وصورها فقد عرف
الحق وحل في مقام الانس (قوله فلا أدري) يحتمل ان عدم درايته لكونه قد وصل الى
مقام شعب الصدع الذي هو جمع الفرق وذلك بالترقي عن حضرة الواحدية الى حضرة
الاحدية ويقابله صدع الشعب الذي هو النزول عن حضرة الاحدية الى حضرة
الواحدية حال البقاء بعد الفناء للدعوة والتكميل (قوله سوى ما يقول الناس الخ)
اى في وصف العبودية والفقر والافتقار (قوله فسمعت هاتفا الخ) أقول وذلك من
باب اشارة اللطف به من ربه حيث حمله هذا الهاتف على ما هو الاكمل والافضل مما ذاقه
وحثه على الجد في طلبه (قوله أيا من يرى الاسباب الخ) مراده بها والله أعلم كل سبب
حتى ما به الترقي الى الدرجات كالمقامات والاحوال (قوله فلو كنت من أهل الوجود) اى
وهو من فنى في ذات ربه فتحقق وجوده بوجوده بل الكمال في عدم شعوره بوجود نفسه
كما يشير اليه قول بعضهم * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * (قوله عن الاكوان الخ)
اى حتى عن الشريف منها والاشرف كالعرش والكرسي وغيرهما (قوله وكنت
بلا حال الخ) اى فنهاية الكمال تعين أن الوجود له سبحانه وتعالى ولا شرب لغيره منه الا
ما تفضل عليه به مولاه سبحانه وتعالى (قوله التواجد والوجد الخ) اعلم وفقني الله واياك
ان الوجد له أسباب واليه أبواب وعليه حدود وله شروط وزمان ومكان واخوان
أما أسبابه فالعلم بلا غفلة والعمل بلا فترة وأما أبوابه فالصفاء والوفاء الاول بلا جفوة
والثاني بلا هفوة وأما حدوده فصحو بلا سكر وحضور بلا غيبة ومعرفة بلا نكرة
وأما شروطه فقيام بلا سهو وحركة بلا كسل وأدب بلا لهو وانصات بلا لغو وأما زمانه
فوقت بلا مقت وساعة بلا اضاعة وأما مكانه فخلوة خال عن الاهواء وعار عن
الدعوى وعامر بالتقوى وأما اخوانه فاخوان ليس فيهم خوان وندمان ليس فيهم
ندمان فاذا قمت بأسبابه ودخلت اليه من بابه وأتيت بشروطه ووقفت عند حدوده
وحضرت في زمانه ومكانه مع اخوانه فلا جناح عليك هنالك اذا طربت سماعا
وتواجدت استماعا وتمايلت انخلاعا وكشفت بين ندمانك قناعا وأما اذا تواجدت
قبل أن تطرب وتساكرت قبل أن تشرب فوجدانك على الحقيقة فقدان وتساكرك

فالتواجد استدعاء الوجد) اى طلبه واكتسابه (بضرب اختيار) وقريب منه قول الغزالى التواجد استدعاء الوجد والتشبه فى تكلفه بالصادقين من أهل الوجد فالتواجد تفاعل فى اكتساب الوجد وان كان أهل باب التفاعل انما يصح من اثنين لكنه لما استدعى الوجد وعسر عليه ثم استدعاه أشبه التفاعل والوجد غلبة ما كان يعمه ويتواجد له على قلبه كما يعلم مما يأتى والوجود حصول ذلك فى القلب وتواليه عليه من غير تكلف وفسر أبو بكر الكلاباذى التواجد بظهور أثر الوجد الباطن على الظاهر للمبتدئين فالتواجد شأن المبتدئين فانهم لضعفهم لا يقدرون على حمل مايرد على بواطنهم من الاحوال فيظهر اثره على ظواهرهم فمن البكاء والشهيق بخلاف الاقوياء فانهم كالجبال فلا انزعاج لهم فى الظاهر ولا اضطراب لتمكنهم وان اتفق لهم مبادى تغير فى بعض الاحوال سكنوا عقب ذلك لقوتهم على حمل الواردات وقد روى انه قرئ شئ من القرآن بحضرة ابى بكر الصديق رضى الله عنه فتواجد بعض الحاضرين وبكى فقال ابو بكر هكذا كنا حتى قست قلوبنا اى قويت وصلبت فى دين الله تعالى وزال عنها الضعف الذى كان بها فى ابتداء الامر كالهذا الذى بكى وذلك لالفها وأنسها بمعانى القرآن فصارت لا تستغرب شيأ منها اذا وردعليها بخلاف المبتدى

عند أهل الشرب يستزور ويهتان اذ ذوق السماع عمن هو كثيف الطباع محجوب الاطماع ينافى حقيقة الاستماع واجتماعه يخالف الاجتماع اما علمت ان ذا الوجد الصحيح اذا فاضت عليه المواجيد الربانية ووردت عليه الموارد الرحمانية يسرى استماعه الى سمع سره سرا فيلمع فى صفات السر لموع البرق فى ظلمة الليل فينتبه السر ويستيقظ القلب ثم يقوى ذلك اللموع فيصير سطوعا ثم يقوى ذلك السطوع فيصير طلوعا فالاول لموع برق القلب والثانى سطوع نور الانس والثالث طلوع قمر التجلى وبالاخير يتمتع الفؤاد بالوجد ما كذب الفؤاد ما رأى اه واعلم أن علامة السر الصحيح سريانه فى قلوب حاضريه وصفاؤه فى عيون ناظريه فيجد جليسه حلاوة وجده ويصل الى مشام نديمه طيب حركته فيطيب من حضر ويتواجد بوجده من نظر قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح كمثل العطار ان لم يصبك من عطره أصابك من طيبه هذا وكل من التواجد والوجد تفرق وشتات حال بخلاف الجمع والاستغراق فى الحقيقة تمنع الاحساس بشئ من ذلك كما لا يخفى على من قد ذاق وحقق حال التلاق ولا يخفى ان الذوق هو أول شهود الحق بالحق فى أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلى البرقى فاذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود يسمى شربا فاذا بلغ النهاية يسمى ريا وذلك بحسب صفاء السر عن لحظ الغير (قوله فالتواجد استدعاء الخ) اى فهو تكلف الوجد بتكرر استدعائه والوجد غلبة الباعث على القلب والوجود حصول الوجد بالفعل فى القلب (قوله أشبه التفاعل) اى بواسطة تكرر الاستدعاء (قوله والوجد غلبة ما كان يعمه) اى غلبة المطلوب والغرض للسالك فتتوالى بواعثه على القلب باشراق وارداته وامداداته عليه بدون تكلف منه لشئ من ذلك (قوله والوجود حصول ذلك فى القلب) اى حصول ذلك المطلوب والغرض فى القلب وتواليه عليه بدون تعمل وتكلف (قوله بظهور اثر الوجد الباطن) أقول ذلك التفسير انما هو للامارة على التواجد لا لنفس التواجد كما لا يخفى لان حقيقته استدعاء الوجد بتكلف كما فهم مما ذكر قبل (قوله بخلاف الاقوياء) اى من تحقق وتكمل بعد التفرق ا ومطلقا فافهم (قوله فلا انزعاج لهم فى الظاهر) اى لكونهم من الضنائن وهم الخصائص من أهل الله الذين يضن بهم لنفاستهم عند الله كما قال سيد الكمل صلى الله عليه وسلم ان لله ضنائن من خلقه ألبسهم الله تعالى النور الساطع يحييهم فى عافية ويميتهم فى عافية (قوله فقال أبو بكر الخ) اى يشير الى مقام تكمله رضى الله تعالى عنه هذا والعارف الكامل وان كان مسكنه عرش الحقيقة لا بد له من الهبوط الى سماء الحقوق لحق العبودية والى أرض الحظوظ للقيام بحق البشرية وان كان هبوطه الى ذلك بالاذن لانه بساط الكرامة وذلك الاذن قوة يجدها الكامل من نفسه لا يشك فى حقيقتها فهذا الهبوط لا يقدح فى كماله لكونه متمكنا فيه غير متلون كما قيل

لا تهتدى نوب الزمان اليهم * ولهم على الخطب الشديد بلام

اه *(دقيقة)* المتواجد متعرض لاقتباس مالاح ثم راح يتوقع اوعه ويرتجى رجوعه والواجد حاضر فى وجده واجد فى فقده فقد قلبه فوجد به فحركته فرح بوجوده وقيامه طرب بشهوده لا يجد فى الوجود غير موجده ولا فى الكون غير مكونه واعلم أن حال المتواجد مثل حال موسى عليه السلام حين لاحت له أنوار الطور فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا وحال الوجد مثل حاله حين أتى الشجرة فوجد نارا لا تشبه النار ان بعد عنها اقتربت وان قرب منها بعدت فهو منها فى عجب وفى طرب بين وجد وفقد وحال صاحب الوجود كحاله عليه السلام حين سمع من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله فافهم (قوله وليس لصاحبه الخ) اى فالتواجد يدل على عدم كمال الوجد لانه لو كمل لكان المتصف به واجدا لا يتكلف شيأ فافهم (قوله اذ لو كان له ذلك) اى كمال الوجد على معنى انه قد تحقق به لكان واجدا بالفعل اى صاحب وجود وهو من تحقق بمقام البقاء بعد ان تلاشى فى فنون الفناء كما يدل عليه قوله وباب التفاعل أكثره على اظهار الصفة اى التى لم تكن متحققة فى نفس الامر بالفعل بل متكلفة مستدعاة (قوله اذا تخازرت الخ) يشير نفعنا الله بعلومه وأمدنا ببركاته الى انه وان تلون بحسب الظاهر فهو متمكن فى حكم الباطن فهو محفوظ بالادب فى الحقوق وبالشكر فى الحظوظ مستشعر بالقهر والبر ومعتبر بالحكمة والامر فتلونه للحقوق يزيده فائدة وللحظوظ أكبر منفعة وعائدة ولو لم يكن الا رجوع العبد الى افتقاره وشعوره باضطراره لكفى فى مقامه واعتبر بقول السيد موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير حيث طلب الخير من بساط الافتقار اه *(فائدة)* من كلام بعضهم شعرا

يا واطئا أرض الغرام تعسفا * آرض الغرام وداره فى داره

يالابسا ثوب السقام وجافيا * طيب المنام وراضيا بصغاره

لا عار للمضطر أن يبدى الجوى * ويبث ما يلقاه من اضراره

انّ الهوى مستصعب أوعاره * فاتركه فى أوعانه أوعاره

(قوله وهذا يبعد عن التحقيق) اى لعدم الرجوع فيه الى تحسين الظن بالخلق (قوله وقوم قالوا انه مسلم الخ) اى قالوا بالتفصيل بين من حالهم التجرد والصدق وغيرهم فالاولون يقبل منهم دون غيرهم (قوله واصلهم) اى دليلهم الذى بنوا عليه فى مشروعية تواجدهم خبر الخ (قوله فقلت ياسيدى مالك فى السماع الخ) اعلم أن السماع ويجابه يقال له المطلع وهو الاستشراف والمشاهدة فهو مقام شهود المتكلم عند تلاوة آياته متجليا بالصفة التى هى مصدر تلك الآية كما قال جعفر بن محمد الصادق لقد تجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لا يبصرون وكان ذات يوم فى الصلاة فخر مغشيا عليه فسئل عن ذلك فقال مازلت أكرر آية حتى سمعتها من قائلها قال السهروردى قدس سره روح جعفر

(وليس لصاحبه) اى التواجد (كمال الوجد اذ لو كان) لذلك (لكان واجدا) اى ذا وجود لا ذا وجد (وباب التفاعل أكثره على اظهار الصفة و) الحالة انها (ليست كذلك) اى مظهره وجدت أم لا نحو تعامى وتجاهل (قال الشاعر اذا تخازرت وما بى من خزر *) اى صغر عين (ثم كسرت العين من غير عور فقوم قالوا التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمنه) من (التكلف و) هذا (يبعد عن التحقيق وقوم قالوا انه مسلم للفقراء المجردين الذين ترصدوا لوجدان هذا معانى) بخلاف غيرهم قيل وفى هذا نظر فان المتواجد ان كان صادقا فى تطلب وجده فلا فرق بين المتجرد وغيره فى صحة تطلبه والا فهو مراء او متشبع بما لم ينل وكل منهما محذور والمختار صحة التواجد مطلقا (واصلهم) فى صحته شيآن أحدهما (خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكوا) اى ان طرقكم البكاء لله (فان لم تبكوا فتباكوا) اى فاستجلبوا البكاء بالتفكر فى اسبابه (و) ثانيهما (الحكاية المعروفة لابى محمد الجريرى رحمه الله انه قال كنت عند الجنيد) رحمه الله (وهناك ابن مسروق وغيره وثم قوال) ينشد لهم (فقام ابن مسروق وغيره) متقومين (والجنيد ساكن فقلت) له (ياسيدى مالك فى السماع شئ فقال الجنيد وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) فيه دلالة على قوة حفظه لحاله مع كمال وجده (ثم قال وانت يا ابا محمد) يعنى الجريرى (مالك فى السماع شئ

الصادى

صادق في ذلك الوقت كشجرة موسى عند ندائه منها بأني أنا الله وقد يقال ان المطلع أعم من ذلك (قوله فقلت يا سيدي أنا اذا حضرت الخ) اى فهو يشير الى انه بالله ومن الله والى الله فبالله استعان ومن الله كان ولله قام فقد جمع بين أدب الشريعة ونور التحقق بالحقيقة فلله دره قلت ويؤيد ذلك الذي ذكرناه قوله جل شأنه وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق حيث طلب ما هو المطلوب منه كما أمره مولاه بطلبه فهو داخل فيه بالله طالب الصدق لله والادخال والاخراج من الله والتوجه في كل ذلك الى الله قال في التنوير فالمدخل الصدق هو أن تدخل لا بنفسك والمخرج الصدق هو أيضا أن تخرج لا بنفسك * (تنبيه) * اعلم أن العوالم كلها كلياتها وجزئياتها كتب الهية تسمع من يشاء الله من عباده لانها لاشتمالها على كلماته تعالى التامات كانت كذلك فالعقل الاول والنفس الكلية باعتبار أنهما صورتا أم الكتاب وهي الحضرة العلمية كتابان الاول أم الكتاب لاحاطته بالاشياء اجمالا والنفس الكلية الكتاب المبين لظهورها فيه تفصيلا وكتاب المحو والاثبات هو حضرة النفس المنطبعة في الجسم الكلي من حيث تعلقها بالحوادث وهذا المحو والاثبات انما يقع للصور الشخصية التي فيها باعتبار أحوالها اللازمة لاعيانها بحسب استعداداتها الاصلية المربوط ظهورها بالاوضاع الفلكية المعدة لتلك الذوات أن تلتبس بتلك الصور مع أحوالها الفائضة عليها من الحق سبحانه بالاسم المدبر والماحي والمثبت والفعال لما يشاء وأمثالها فالانسان الكامل كتاب جامع لهذه الكتب المذكورة اذ هو نتيجة العالم الكبير قال العارف الرباني علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه

دواؤك فيك وما تشعر * وداؤك منك وما تبصر
وتزعم انك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي * بأحرفه يظهر المضمر

(وقيل)

أنا القرآن والسبع المثاني * وروح الروح لا روح الاواني
فؤادي عنده شهودي مقيم * يشاهده وعندكم لساني

فهو من حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه كتاب المحو والاثبات فهي الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها ومعانيها الا المطهرون من الحجب الظلمانية وما ذكر من الكتب هي أصول الكتب الالهية أما فروعها فكل شئ في الوجود من العقل والنفس والقوى الروحانية والجسمانية وغيرها مما ينتقش فيها أحكام الموجودات اما كلها أو بعضها اجمالا أو مفصلا وأقلها انتقاش أحكام عينها والله أعلم (قوله ولكنه لما كان صادقا الخ) أشار الى ان ما وقع له من نوع الكرامة انما هو بسبب حفظ حرمة

فقلت يا سيدي أنا اذا حضرت موضعا فيه سماع وهناك محتشم) بفتح الشين اى مستحيا منه (أمسكت على نفسي وجدي) اى اكمال قوته (فاذا خلوت بنفسي (أرسلت وجدي) الذي كنت أمسكته على نفسي (فتواجدت) به (فأطلق) أبو محمد (في هذه الحكاية التواجد ولم ينكر) ه (عليه الجنيد) فدل على صحته (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول لما راعى أبو محمد ادب الاكابر) وفي نسخة الادب للاكابر (في حال السماع حفظ الله عليه وقته ببركات الادب) معهم (حتى يقول امسكت على نفسي) بحضرتهم (وجدي فاذا خلوت بنفسي ارسلت وجدي) الذي كنت امسكته على نفسي (فتواجدت) به (لانه لا يمكن) لا يتأتى لك (ارسال الوجد اذا شئت بعد ذهاب الوقت وغلباته ولكنه لما كان صادقا في مراعاة حرمة الشيوخ حفظ الله تعالى عليه وقته حتى أرسل وجده عند الخلوة فالتواجد) اى كماله

(ابتداء الوجد على الوصف الذي جرى ذكره وبعد) حصول (هذا) يحصل (الوجد والوجد ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد وتكلف ولهذا قال المشايخ) من الصوفية (الوجد المصادفة والمواجيد) جمع وجد على غير قياس (ثمرات الاوراد) اي مترتبة عليها بواسطة المنازلات كما سيأتي تفضلا لا بالاكتساب (فكل من ازدادت وظائفه) من الاوراد (ازدادت من الله لطائفه) الاخروية والدنيوية (سمعت الاستاذ اباعلي الدقاق رحمه الله يقول الواردات) انما تحصل (من حيث الاوراد فـ)عليه (من لاورد له بظاهره لا وارد له في سرائره وكل وجد فيه من صاحبه شيء) من صنعه (فليس بوجد حقيقي (وكما ان ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهره) الصالحة (يوجب له حلاوة الطاعات) في قلبه (فما ينازله) اي ينتقل اليه (العبد من أحكام باطنه) من درجات المقامات كورع وزهد وتوكل ورضا وتسليم ومحبة وأنس (يوجب له المواجيد) من رجاء حصول ما طلبه او خوف من فواته او شكر لاسباغه او شوق لكمال حصوله (فالحلاوات) الحاصلة في القلب (ثمرات المعاملات) المستقيمة (والمواجيد نتائج المنازلات) التي هي نتائج الاوراد والمعاملات

المشايخ بالصدق (قوله الذي جرى ذكره) اي من طلبه واكتسابه بالتكلف (قوله بلا تعمد وتكلف) اي فهو غير مكتسب للعبد بل موهبة له منه تعالى (قوله الوجد المصادفة الخ) يشير بذلك الى انه غير مكتسب بل هو من تفضلات الحق تعالى على العبد (قوله ثمرات الاوراد اي ويقال لها مشارق الفتح التي هي التجليات الاسمائية لانها مفاتيح أسرار الغيب ثم يكون بعدها مشارق شمس الحقيقة وهي تجلي الذات قبل الفناء التام في عين أحدية الجمع فتحصل ان الوجد وارد حق من الله على باطن العبد يكسبه فرحا أو حزنا والفقد عدم ذلك بعد وجوده غيبة أو فناء فيصل الى الوجود الذي هو شهود الحق في الوجد كما قيل

قد كان يطربني وجدي فأقعدني ۞ عن رؤية الوجد من في الوجد موجود
والوجد يطرب من في الوجد راحته ۞ والوجد عند حضور الحق مفقود

(قوله ثمرات الاوراد) اي نتائج الاوراد وفوائدها والمراد بالاوراد وظائف الاعمال الموافقة للعلوم الشرعية (قوله يقول الواردات الخ) محصله ان الواردات الالهية لا تتحقق الا بالجد والاجتهاد في الاوراد التي هي الوظائف الوقتية وحينئذ فمن لا ورد له لا وارد له ومن لا وارد له لا وجد له لان الوجد ثمرة المنازلات وهي تتحقق بصدق الواردات وهي فائدة دوام المجاهدات بموافقة شريف المتابعات (قوله وكل وجد فيه من صاحبه شيء الخ) يشير بذلك الى ان مواهب الحق تعالى متى دخلها تعمل وتصنع لا تكون مواهب في الحقيقة بل تكون مطالب وخواطر لامتزاج حظ النفس بها حينئذ فيلزم المريد أن يكون دائما على نعت التجريد حتى يتحقق له المزيد (قوله وكما ان ما يتكلفه العبد الخ) محصله انه كما أثمر عمل الجوارح الظاهرة تنوير القلوب ولذة العبادة كذلك المقامات التي يتدرج بها الطالب الى أعلى المطالب تثمر له المواجيد الشريفة بالاشارات اللطيفة فتحصل ان الحلاوة واللذة ثمرة الاعمال والمواجيد نتائج المدارج من مقامات الكمال (قوله واما الوجود فهو انما يحصل الخ) اي فهو من شيم العارف الكامل الذي لم يخالطه شرك اثبات غير الحق من الخلق كما خالط أهل الشريعة والطريقة فانهم يثبتون الحق والخلق بخلاف المحققين فانهم يرجعون في الكل الى الكل ويعودون بالحق من الحق الى الحق اذ الذات المتصفة بالوحدة المطلقة لا تبقي ولا تذر كل شيء هالك الا وجهه وقولنا الذي لم يخالطه شرك الخ مرادنا به شرك الهدى لا شرك الردى والجحود فافهم اه واعلم أن صاحب الوجود في حالة الشهود لا يرى في الحضرة غير مشهوده ولا يجد في الوجود غير موجوده وجد مولاه بفقد ما سواه فهو غائب في حضرته حاضر في غيبته صاح في سكره سكران في صحوه فان في بقائه باق في فنائه قد طفح عليه السكر بغاياته فتارة يرد عليه في موارد الجمال فيدهشه وتارة يطلع له في طوالع الجلال فيدهشه وتارة يبدو له في رداء الكمال فيفنيه أو يتجلى له في حال الافضال

فيمحقه

يبقيه والله أعلم (قوله واما الوجود الخ) شروع فى تحقيقه ببيان حقيقته فقوله فهو الخ محصله انه لايتم للعبد الابعد فنائه عن سائر الحظوظ الحقة بالاستهلاك عن الاحساس بشئ سوى الحق تعالى فيفنى عن نفسه ووردها وواردها وكل كائن فحينئذ يتحقق له الوجود الواجب فافهم (قوله الابعد خمود البشرية) اى لمايجده من لذة الاذواق الشهودية والشهادات الذاتية التى لالذة فوق لذة منازلاتها لان لذة الاجساد من مأكل ومشرب ومنكح وغيرذلك تضمحل بالنسبة اليها اذ جميع عوالم الجبروت كالعقول والنفوس المجردة وعوالم الملكوت كالنفوس المنطبعة وقواها وعوالم الملك والشهادة كالسموات والارض ومن فيهما ممتدة من ذات غيب الغيب المطلق ذى الجلال والجمال المحقق فكيف لايتلاشى فيه الفانى اذا تحقق العبد بالقريب الدانى فافهم (قوله وهذا معنى الخ) الاشارة الى جميع ماتقدم من تطورات العبد وتقلبات أحواله المعلوم ذلك من المقام والاشارة الوجود هى حالة استغراق العبد فى الملك الحق (قوله اذا وجدت ربى فقدت قلبى) اى فهو يشاهد المنة فى الحالة الاولى والقهر فى الحالة الثانية فالحق تعالى فى كل ذلك متعرف اليه ومقبل بوجود لطفه عليه (قوله وهذا معنى قول الجنيد الخ) اى فهو يوضح مالابى الحسين النورى نفعنا الله بالجميع (قوله علم التوحيد الخ) اى وذلك ظاهر لوجود الفرق بين من تصور شيأ وصدق به وبين من قام به ذلك الشئ وتحقق به ويدل عليه قول بعضهم

لايعلم الشوق الامن يكابده ❊ ولا الصبابة الامن يعانيها

فالاشارة الى أن مجرد علوم الظاهر لايفيد شهود رب الظاهر بل انما يحقق ذلك للكامل بالوجود لانه الموصل الى المقصود اذا اصطلم بقامع الاحساس والوجود فناء بشهود رب الناس (قوله وفى هذا المعنى أنشدوا الخ) اى وله أشار بعضهم أيضا حيث قال شعرا

اثبات غيرك شرك فى عقيدتنا ❊ نفى السوى مذهبى ياقرة العين

وأشار آخر حيث قال ايضا

لا كنت ان كنت أدرى كيف كنت ولا ❊ أكون ان كنت أدرى كيف لم أكن

(قوله وجودى أن أغيب الخ) اى وذلك لان العاشق من المحبين اذا شاهد محبوبه غاب عن سائر الكائنات غيره بسبب الشهود غيبة لذة وسكر ثم اذا غاب عن نفسه كذلك فقد ازداد غيبة فيزداد طربا فيزداد سكرا فيزداد صحوا اذ قوة الصحو بقوة السكر فافهم (قوله أن أغيب عن الوجود) اى فالتحقق بمقام الوجود بشهود الحق لاغير انما ينشأ عن الغيبة الكاملة عما سواه تعالى وقوله بما يبدو على الخ اى بما يظهر لقلبى الذى هو بيت الله المقدس الطاهر من التعلق بالاغيار ويقال له البيت المحرم لكونه حرم على غير الحق تعالى وبيت الحكمة لكونه موطن الاخلاص الذى هو منشأ الاختصاص فافهم

(واما الوجود فهو) انما يحصل (بعد الارتقاء عن الوجد ولا يكون وجود الحق) عند العبد (الابعد خمود البشرية) اى غيبته عن احساسه بها (لانه لايكون للبشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة) لان العبد مادام مدركا لنفسه متعلقا بوجدانه فبشريته حاصلة واذا اشتغل بالحق كمال الشغل حتى نسى كونه مشتغلا به صار الغالب عليه ادراك الحق خاصة وعبروا عن هذه الحالة بالوجود (وهذا معنى قول ابى الحسين النورى أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد اى اذا وجدت ربى فقدت قلبى واذا وجدت قلبى فقدت ربى) اى فأنا مستغرق فى وجود الحق فلايصح وجوده عند العبد الابعد غفلته عن قلبه (وهذا معنى قول الجنيد علم التوحيد) اى تحصيله تصورا وتصديقا (مباين لوجوده) اى التوحيد (ووجوده مباين لعلمه) يعنى ان العبد يكون عالما بالتوحيد بالاستدلال بالآثار ولا يكون واجدا له لان وجوده لايبقى للعبد معه احساس بنفسه فضلا عن علمه به واستدلاله عليه (وفى هذا المعنى أنشدوا ❊ وجودى) وهو الحالة التى يغلب فيها على القلب ادراك الحق (أن) بالفتح (أغيب عن الوجود ❊) اى الخلق (بما يبدو على من الشهود ❊) فصاحب الشهود حالة الوجود والوجد حينئذ مفقود عنه لاشتغاله بالشهود

(فالتواجد بداية والوجود نهاية والوجد واسطة بين البداية والنهاية) فعلم من جميع ما ذكر ان الوجود استغراق
في الحق والتواجد طلب الوجد
والوجد ادراك آثار الوجود
والتنعم بآثار قربه فلهذا كان
واسطة بين الطلب ووجود
الادب وأشار الى انتقال أحوال
الطالب بذلك فقال (سمعت
الاستاذ اباعلى الدقاق) رحمه الله
(يقول التواجد يوجب استيعاب
العبد) بالاجتهاد فى طلب الوجد
(والوجد يوجب استغراق العبد)
فى مطلوبه (والوجود يوجب
استهلاك العبد) بكمال اشتغاله
بالحق بحيث ينسى نفسه فضلا
عن غيره (فهو) اى العبد (كمن
شهد البحر) وأحواله (ثم ركب
البحر) لحاجة دعت الى ركوبه
(ثم غرق فى البحر) فان اقدامه
على ركوبه انما حصل بطلبه
واجتهاده فى حصول مقصوده
فاذا ركبه واختلفت عليه
أمواجه قوى عليه حاله واشتد
قلقه فاذا غرق فيه زال عنه خوفه
وقلقه لحصول الخوف واستغراقه
فيه ولذلك قيل

انما الجزع عما اتقى
فاذا حل فلا الجزع

(وترتيب هذا الامر) وهو الانتقال
من حال الى حال (قصود ثم ورود
ثم شهود ثم وجود ثم خمود وبقدار
الوجود يحصل الخمود وصاحب
الوجود له صحو ومحو فحال صحوه
بقاؤه بالحق وحال محوه فناؤه
بالحق

(قوله فالتواجد بداية الخ) اى من حيث ان التواجد أول شؤن المريد السالك لانه تخلق والوجد تحقق والوجود ثمرة عنهما والله أعلم (قوله فعلم من جميع ما ذكر) اى من جميع ما تقدم للمؤلف من بيان حقيقة التواجد والوجد والوجود أن الوجود استغراق فى الحق اى وذلك الاستغراق بواسطة الغيبة عما سواه تعالى الناشئة عن الوجد الذى هو ثمرة التواجد كما صرح بذلك الشارح (قوله يقول التواجد يوجب الخ) اى فتكلف الوجد وقصد حصوله للطالب يثبت للعبد استفراغ جهده وبذل وسعه فى حصول الوجد له والوجد اذا حصل وتم أوجب استغراقه فى تلذذه وتنعمه بمطلوبه فيترقى به الى الوجود الموجب له الانمحاق والاستهلاك عن سائر الكائنات بشهود الحق تعالى وحده لاشريك له (قوله والوجد يوجب استغراق العبد الخ) محصله ان الوجد المرتب على التواجد يحقق للعبد استغراقه وبذل وسعه فى كل أوقاته فى طلب مقصوده من الوجود الناشئ عن الوجد (قوله والوجود يوجب استهلاك العبد) اى يوجب تلاشيه حتى لا يشهد فى الوجود غير الوجود الحق لانه اذا صح الفناء والاضمحلال زال من فنى وبقى من لا يزال لكونه يتحقق فى مقام الجمعية الذى يوجب اجتماع الهمم فى التوجه اليه تعالى والاشتغال به عما سواه وبازائها التفرقة التى هى توزع الخاطر للاشتغال فيما بالخلق (قوله فهو اى العبد كمن شهد البحر الخ) اى لان العارف يشهد أولا فيض القدرة الصفاتى ثم الفيض الذاتى المدرك فى عالم الحكمة الذى لا يتوقف على استعداد بكسب ثم يغرق فى شهود ذات ذى الصفات جل اسمه (قوله فان اقدامه على ركوبه الخ) الغرض للشارح بيان وجه تشبيه التواجد والوجد والوجود المترتبة فى الحصول بشئ محسوس تقريبا للعقول القاصرة عن ادراك تشريف هذه المعانى (قوله قصود الخ) انما جمع القصد وما بعده لتنوع مقاصد السالك واذا تنوعت مقاصده تنوعت وارداته لكونها من ثمرات مقاصده واذا تنوعت وارداته تنوعت مشاهداته لانوار ذات الحق تعالى واذا تنوعت مشاهداته لتلك الانوار تنوع وجوده وذلك لظهور تحقق وجه الحق فى كل شئ واذا تنوع وجوده بالوجه الذى ذكرناه تنوع خموده وذلك لتلاشى ما سوى الحق فى الوجه الاحق وذلك الخمود تابع لتشريف ذلك الوجود قوة وضعفا هذا حاصل ما أشار اليه وعول فى كلامه عليه تأمل فى المقام ومنى عليك السلام (قوله وصاحب الوجود له صحو ومحو الخ) اى افاقة وانمحاق بمعنى الغيبة عما لا يعنى واعلم أن المحو أنواع محو أرباب الظواهر رفع أوصاف العادة والخصال الذميمة ومحو أرباب السرائر ازالة العلل والآفات والمحو الحقيقى هو فناء الكثرة فى الوحدة ومحو عين العبد هو اسقاط اضافة الوجود الى الاعيان اذ هى شؤن ذاتية ظهرت فى الحضرة الواحدية بحسب الحكم العالمية فهى معلومات معدومة العين أبدا الا أن الوجود الحق ظهر فيها فهى مع كونها ممكنات معدومة لها آثار فى الوجود الظاهر بها وبصورها المعلومة فالوجود ليس الا عين

الحق

وهاتان الحالتان أبدا متعاقبتان عليه فاذا غلب عليه الصحو بالحق فبه يصول وبه يقول قال عليه السلام فيما أخبر عن الحق) في خبر (فبي يسمع وبي يبصر) وفي خبر آخر بك أصول وبك أقول وفي آخر بك خاصمت وبك حاكمت (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول وقف رجل على حلقة الشبلي فسأله هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين فقال نعم) يظهر (نور يزهر مقارنا لنيران الاشتياق) اى مترتبا عليه (فتلوح على الهياكل) اى الاشخاص (آثارها) لان الصادق قوي اشتياقه لطلوبه حتى شغله عن نفسه عما اطلعه الله عليه من خفي الطافه ظهر ذلك على بدنه فيكلم ولا يسمع ويمر به ولا يشعر ويظهر نور باطنه على وجهه وبدنه كما قال ابن المعتز

(وامطر الكاس ماء من أباريقها) اى الكاس التي فيها الخمرة

(فأنبت الدر في أرض من الذهب

وسبح القوم لما ان راوا عجبا

نورا من الماء في نار من العنب)

شبه الخمرة من حيث تأثيرها بالنار ومن حيث صفاؤها الحاصل من الماء اى عصير العنب بالنور

(سلافة) بالفاء اى خمرة

(ورثتها عاد عن ارم * كانت

ذخيرة كسرى عن ابيه فأب *)

الحق تعالى والاضافة نسبة ليس لها وجود في الخارج والافعال والتأثيرات ليست ثابتة الا لعين الحق دون المعدوم فلا فاعل في الخارج ولا موجد الا الحق تعالى وحده لا شريك له فالعبد محو والعبودية ممحوة كما أشار اليه تعالى حيث قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فافهم والله أعلم (قوله متعاقبتان عليه) اى فصاحب الوجود أبدا ما بين محو واثبات على معنى انه محو ماله ويثبت ما للحق تعالى (قوله فبه يصول وبه يقول) اى فيكون حاله في الاقوال والافعال بلسان الحق وبذلك قد ينسبهم أهل الغفلة الى الزندقة والكفر والابتداع وغير ذلك (قوله في خبر وقوله وفي خبر آخر الخ) اى فاشار بالخبرين الى المقامين في حال تحقق الوجود لبعض العارفين المقربين (قوله فقال نعم الخ) محصل ذلك افادة ثبوت هذا الحال ولاسيما لاهل البصائر القدسية التي تنورت بنور الحق وانكشف حجابها بواسطة هدايته فيرى صاحب هذا المقام الحقائق على ما هي عليه وقوله نعم يظهر نور الخ اى لان كسوة الاسرار بالانوار قد تفيض فتظهر النور على الاشباح للابصار والله أعلم (قوله يظهر نور يزهر الخ) اى يشرق في السرائر يضيء فيها عما ينشأ مقارنا لتأجج نيران الاشتياق ويترتب عليها ترتب العلة على المعلول وقوله فيلوح على الهياكل اى جريا على عادة الله في خلقه من ان كسوة القلوب تظهر على صفحات وجه المحبوب كما أوضحه الشارح (قوله وامطر الكاس الخ) حاصله انه شبه انصباب الماء في آنية الخمرة المسماة أباريق بانصباب ماء السماء المسمى مطرا على الارض بجامع الصفاء والرقة واللطف وحصول اللذة والمنافع بكل وشبه ماء الخمرة في تأثيره للحب الذي يعلو ما في الكاس وقت صب الخمرة فيه بماء المطر بجامع الانبات بكل وقوله فسبح القوم اى نزه الجماعة الاله الحق حيث هو الموجد لكل شيء وقوله لما أن رأوا عجبا اى أمرا عجيبا والعجب يكون مما خفي سببه وقوله نورا من الماء اضافة في نار من العنب وذلك هو محل العجب حيث اجتمع نور ونار في شيء واحد فهو يريد تشبيه الصفاء الذي في الخمرة باعتبار ما فيها من الماء بالنور بجامع الاضاءة في كل وتشبيه تأثير الخمرة في الطرب بالنار بجامع مطلق التأثير وقوله سلافة اى خمرة اذ السلافة من أسماء الخمرة وورثها عاد عن ارم اسم لقبيلتين كانت اى تلك الخمرة ذخيرة اى مدخرة ولا يخفى ان الذخيرة ما يدخر من نفيس الاشياء وقوله كسرى اى ملك الفرس عن أب فأب بيان للموروث عنهم وتحقيق ما ذكر عند من له اطلاع على فن البيان يكفي من اقامة البيان هذا ولما كان المراد هنا ان اللذة الحاصلة لقلوب أرباب الهمم السائرين الى الله تعالى بما يرد على أسرارهم من واردات الحق وبروق أنوار الصدق التي هي ثمرات أورادهم المتلقاة من كابر فكابر الى أن تصل الى سيد الكمل صلى الله عليه وسلم تشبه ما حكى في هذا الشعر اللطيف بل يكون ذلك من الحاق القوي بالضعيف والشريف بالخسيس والاعلى بالدني المحسوس فتشبيه ذلك بما تقدم على جهة التمثيل والتقريب للعقول القاصرة

قيل لا حاجة للتشبيه بما قاله من ذكر الوصف للخمر وكمال وصفها وانها اعذب شربا من الماء بل لو تركه كان اولى لكنه انما قصد به اظهار ما وجده من حاله وحسن ما يشاهده وكمال نوره في شهوده (وقيل لابي بكر الدقي ان جهما الدقي أخذته شهوة بيده في حال السماع في دورانه فقلعها من أصلها فاجتمعا في دعوة) أي وليمة (وكان الدقي قد كف بصره فقام جهم الدقي يدور في حال هيجانه) وربما وجد في نفسه استحسانا لكمال حاله وقوته فاوقع الله في نفس الدقي ان يعجزه بما يرجع عن ذلك ويتأدب في نفسه (فقال الدقي اذا قرب مني أرونيه) أي اعلموني به (وكان الدقي ضعيفا فقربوه لما قرب منه قالوا له هذا هو فأخذ الدقي) مع ضعفه (ساق جهم) مع قوته (فرقفه فلم يمكنه ان يتحرك فقال جهم ايها الشيخ التوبة التوبة) عما وقع لي من استحسان حالي (فخلاه قال الاستاذ الامام القشيري أدام الله جماله فكان دوران جهم في حق وامساك الدقي بساقه بحق ولما علم جهم ان حال الدقي فوق حاله رجع الى الانصاف واستسلم) أي انقاد له (وكذا) كل (من كان) حاله (بحق) (لا يستعصي عليه شيء) لان الفاعل به ذلك هو الله ولا يقاوم عظمة الله شيء (وأما اذا كان الغالب عليه المحو) وهو الاستغراق بالكلية (فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس) له لانه غائب عن نفسه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يذكر باسناده ان ابا عقال المغربي أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب الى أن مات) هذا من خوارق العادات (ودخل بعض الفقراء على ابي عقال فقال) له (سلام عليكم فقال) له (ابو عقال وعليكم السلام فقال) له (الرجل انا فلان فقال أبو عقال انت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب عن حالته قال هذا الرجل فقلت) له (سلام عليكم فقال) لي (وعليكم السلام كانه لم يرني قط فقلت) (انا فلان فقال) لي (انت فلان كيف انت وكيف حالك وغاب كانه لم يرني قط ففعلت) مثل هذا (غير مرة فعلمت ان الرجل غائب فتركته وخرجت من عنده سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عمر بن محمد بن أحمد يقول سمعت امرأة ابي عبد الله التروغندي تقول لما كانت ايام المجاعة والناس يموتون من الجوع دخل عبد الله التروغندي بيته

والا فلا نسبة ولا مناسبة بينهما لا يخفى على ذي بصيرة منورة بنور الحق مؤيدة بمتابعة الصدق والله أعلم (قوله قيل لا حاجة للتشبيه بما قاله الخ) اي لما في التشبيه من ايهام أرباب العقول القاصرة ان الخمرة لها نسبة في المدح ووجه من اللذة واعتبار في المنافع مع ان الامر ليس كذلك وانما جمع ذلك ثابت لخمرة الاذواق لا غير والله اعلم (قوله وقيل لابي بكر الخ) اقول الغرض من ذكر هذه القصة التنبيه على سلوك طريق الادب دائما مع الحق ومع الخلق حيث المنعم خزائنه ملأى واحسانه لا تستقصى اتمامه بحال ولا مقام الا وعنده تعالى أعظم منه يختص برحمته من يشاء (قوله وربما وجد في نفسه استحسانا الخ) أي فاقعده الدقي ليرجع الى التأديب والحمل على اكمل الاحوال فلا يقال انه لاظهار نقصه وهو لا ينبغي لمثله ويدل على ما ذكرنا باقي كلام جهم (قوله فكان دوران جهم في حق) أي لعدم علمه بأن في المجلس من هو أكمل منه وقوله وامساك الدقي بساقه بحق أي لقصده تأديبه وارجاعه الى ما هو الاولى في حقه (قوله وأما اذا كان الغالب عليه المحو فلا علم الخ) اي فيكون حاله بالحق وتكلمه بالحق وفعله بالحق وهو لا شعور له بذلك وهو غير مما لا ترى المصروع اذا استولى عليه جني فهو يتكلم عنه وهو لا يشعر وقد يكون ذلك بفراقه فالحق تعالى أولى وأحرى ان يتكلم على لسان عبده وان يتصرف في ملكه وملكوته على يده فالطالب اذا جاهد نفسه مع الرياضة يمكن أن تتبدل بشريته فتظهر في انسانيته النعوت الربانية من غير حلول بالكلية فيزول الفاني ويبقى الباقي ويظهر ما كان غير ابينا والله اعلم واعلم ان المحو والرجوع الى حال الصحو من بساط الحكم في الاول ومن بساط الحكمة في الثاني وكلاهما من رب واحد اذ الاول من حكم الحقيقة والثاني من حكمة الشريعة فاذا نظر العبد الى ان الله واحد في صفته لا ينسب لغيره شيأ اذ هو الذي اجرى النعمة على يد ذلك الغير ويحمل الشكر عليها عين العبودية فيشكره بشكره كما يذكر به كره لامن الغير ولا لما فاته (قوله فلا علم الخ) أي وحينئذ فلا لوم ولا عتاب اذا صدر منه او عنه ما لا يلائم حكم الظاهر (قوله ودخل بعض الفقراء الخ) في ذلك (تنبيه) على ان

هذا الاستاذ قد تحقق بمقام الوجود بغيبته عما سوى الله سبحانه وتعالى (قوله فرأى في
يده الخ) فيه تنبيه على انه كان حريصا على فعل ما يقربه الى ربه تشمنا اقتديه (قوله ثم
كان سبب غيبته الخ) أي فكان حاله محمديا كما أشار اليه قوله تعالى بالمؤمنين رؤف
رحيم (قوله الجمع والفرق) اقول قد أجمع جمهور أرباب التصوف نضر الله تعالى
وجوههم في مجاري عاداتهم ومطاوي رموزهم واشاراتهم على ان المراد بلفظ الجمع
المواهب وبلفظ التفرقة المكاسب ومعنى الجمع جمع الهمة على المجاهدات ولاشك ان
العبد عزته في أن يجد أفعال نفسه مستغرقة في افعال الحق تعالى ومجاهداته في الهداية
اليها فانية فحينئذ يكون قيامه بالحق والحق معه بلسان الغيب من غيب الغيب المشار
اليه بقوله فبي يسمع وبي يبصر الخ وفي قوله سبحانه ان عبدي اذا تقرب الى بمجاهدته
نفسه بتخلقه في سرادقات محبوبيتنا وغلبة الشوق الينا فنفنى وجوده فيه ونقطعه عن
نسبة افعاله اليه فيفنى عنه ذكره كسبه فيغيب عن ذكر ما اختار وينقطع عنه نسبة
افاضة صفات آدميته فيكون ذكرنا وتزداد عليه تلك الحالة الى أن يصير في غايتها
بصفة قال فيها أبو يزيد سبحاني ما أعظم شاني حيث جرى ذلك على لسانه في معرض
الحكاية عن الله تعالى في سكر وغلبة حال ونقل عن الجنيد قدس الله سره انه قال كان
من حالي ان أهل السماء والارض يبكون دهرا على حيرتي فصار بعد ذلك ابكي
دهرا على غيبتهم والآن ليس لي علم بهم ولا عن نفسي فقد أشار كل منهما الى حقيقة
الحضور مع الله تعالى فان كل جمال وكمال منوط بالحضور مع الله وطريقه ليس
الا الغيبة عن سواه وبسبب ذلك قد يجري على ألسنة الصوفيين في حالة الغلبة عليهم انهم
الحق على معنى انهم متحققون به فانون فيه أو يصدر على سبيل الحكاية عن الحق غالبة
عليهم كذلك كما أسلفنا غير ان مشايخ الطريق أجمعوا على انه لا يجوز الاقتداء
الا بمستقيم قد تخلص من دوران الاحوال بوصوله الى درجة التمكين التي هي شرط في
صحة الارشاد لان مرتبة الارشاد آخر مراتب البقاء الحقيقي بعد تمكنه بجميع مراتب
الفناء فمقام الارشاد أعلى مراتب القرب لان القرب قد يكون في مقام التلوين مع ان
مرتبة القرب الخاص موقوفة على فناء سائر أوصاف البشرية الجسمانية والروحانية في
النشأة الدنيوية والاخروية وأول درجات القرب الخاص الولاية الخاصة لان الولي هو
الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق جل جلاله ويشير الى هذا المعنى قوله صلى الله
عليه وسلم قال الله على لسان عبده سمع الله لمن حمده وفيه سر دقيق وهو ان الحمد هنا بمعنى
الشكر والشكر درجات الاولى الشكر على المحاب والثانية الشكر على المكاره وذلك
فيمن استوت عنده الحالات والثالثة ان لا يشهد غير المنعم عبودية فيحمده فلم منه النعم أو
محبة فيستحلي منه الشدة ولا يكون ذلك الا بعد الفناء عن الوجودات السوائية المجازية
لانه لا بقي له رمق من الوجود فما أدى حق الشكر لانه حينئذ ما أخرج نفسه من

(فرأى في يديه مقدار منوين
مقلية) تثنية منا بالقصر وهو
افصح من منين وهو رطلان قاله
الجوهري (فقال الناس يموتون
من الجوع وفي يدي حنطة تخولها
في عقله) بحيث غاب عن نفسه من
شدة ما دخل عليه بسبب حرصه
على الطعام في وقت الاحتياج
اليه اذ كان حقه ان يخرج
الفاضل عن قوته (فما كان يفيق
الا في اوقات الصلاة يصلي الفريضة
ثم يعود الى حالته فلم يزل كذلك
الى ان مات) دلت هذه الحكاية
على ان هذا الرجل كان محفوظا
عليه آداب الشريعة عند غلبات
احكام الحقيقة) عليه حيث حفظ
في اوقات الصلاة عليه فرضه
(وهذا هو صفة اهل الحقيقة ثم
كان سبب غيبته عن تمييزه)
الحاصلة بجوعه بلوغ غيره
(شفقته على المسلمين وهذا) اى
كون المستغرق محفوظا حتى يرد
الى اقامة فرضه ثم يرد الى ما كان
فيه وفي نسخة وهذه اى الحالة
المذكورة (اقوى سمة) اى
علامة للحقيقة (الحقيقة في حاله
المتلبس به (ومن ذلك الجمع
والفرق لفظ الجمع والتفرقة
يجري في كلامهم كثيرا) والجمع

التشريك في صفة الوجود مع الحق تعالى وذلك ذنب لا يقاس به ذنب ويؤيد ذلك
ما قيل في بيان الشكر من انه صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه به فيما خلق لاجله ومن
ذلك الوجود المجازي له والحاصل ان مقام حقيقة الشكر يحصل للعبد اذا تجلت عليه
الذات الاحدية بصفة الفردانية باقية بالبقاء الابدي والدوام السرمدي فيصير الحق
تعالى خليفة عن العبد الفاني فيه في مقام الجمع الحقيقي فيسمع ويبصر نيابة عنه فيكون
معنى قوله سمع الله لمن حمده ان الله تعالى يقول بلسان العبد الواصل الى هذه الدرجة انه
فني العبد في وصار عدما فانا اسمع لاجله ونيابة عنه فاللام في قوله لمن حمده بمعنى لاجل
وليست صلة السمع لان المسموع لا يكون الذوات ثم لو ابدل من بما كانت اللام صلة
السمع ومن لم يفهم السر أشكل عليه الكلام ولذا قال بعضهم سمع بمعنى قبل وقال آخر من
بمعنى ما وآخر المضاف مقدر أي اقول من حمد وكل ذلك خلاف الظاهر فافهم ويدل
لقيام الفناء في هذا المقام وقيام الحق عن الفاني بالخلافة قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن
الله تعالى من ابتليته فبليته ومن قبلته فقتلته ومن قتلته فعلي ديته ومن علي ديته فانا ديته
وقول الجنيد قدس الله سره من كان في الله تلفه كان الله خلفه فتحصل ان مقام الجمع
لا يتم الا بتمام الفناء عن الاكوان باسرها وعن الشعور بالنفس لانه ما بقي رمق ما صح
التوحيد على سبيل الجمع الا ترى لو فرضنا ان شخصين في دار واحدة قال أحدهما للآخر
ما في الدار الا أنت لكان في الحقيقة وجود القائل مكذبا لقوله لان وجوده أيضا في الدار
فان قلت ان ذلك قد يؤدي الى المضي على مذهب السوفسطائية أو الوجودية القائلين
بالاتحاد وكلا المذهبين ضلال وباطل قلنا لا يلزم ذلك بل اللازم الاشارة الى ان
الموجودات الكونية عكس من عكوسات نور وجوده تعالى تصور ذلك العكس بصور
الماهيات الممكنة التي لها تعين ووجود في العلم القديم لان نور الوجود القديم انعكس
أولا على الاعيان الثابتة العلمية ومنها على الماهيات الامكانية ومنها على الموجودات
الكونية في عالم العين كل في وقت ومحل بحسب تعلق القدرة والارادة واقتضاء الحكمة
فتكون هذه الوجودات العينية عكس عكس عكس نور الوجود القديم مستعارات
من المستعار من المستعار فهي باقية ما لم يتجل صاحبه والا فترجع العكوسات كلها اليه
وتخلع عن صورها ويظهر سر واليه المرجع والمآب وكل الينا راجعون فتبطل
جميع الوجودات الكونية حينئذ وما يبقى الا الوجود الحق منفردا بذاته قائلا لمن الملك
اليوم فباثبات الوجود المستعار خرج الموحد عن مذهب السوفسطائية وبنفي الوجود
الحقيقي عن الممكنات خرج عن مذهب الوجودي المتزندق حيث يقول الاول ان العالم
خيالات وأوهام ويقول الثاني ان وجود الممكن والواجب شيء واحد في نفس الامر
وتوحيده ظاهري بالنظر الى التعينات فتسدد من جوامذهبهم بالسوفسطائية حيث قالوا
التعينات سراب وموهومات ليس مقصودهم لان ذلك التعين اذا كان محققا عندهم في

الواقع فان كان غير الوجود القديم لزم التعدد في الوجود وان كان عينه لزم أن يكون الوجود الواحد متعينا بتعينات غير متناهية في نفس الامر والوجود عندهم غير متعين في نفسه بل تعينه في الكون فقط ثم نقول ان حال هاتين الطائفتين مع ما هم عليه من الضلال ونقصان الكشف خير من الدهرية حيث نفوا الصانع بوقوفهم مع الهياكل والصور الحادثة فمماهم اشد نعم الوجودية قد قالوا بقدم العالم كالحكيم وبنفي الصانع من وجه كالدهرية فقبحهم أقبح من مذاهب ثلاثة سوى بدعتهم السوفسطائية والدهرية والحكيم ثم اعلم ان معنى التفرقة على حسب معنى الجمع فادناها شهود الخلق مع الغفلة عن الله الحق وأعلاها شهود الخلق بالحق واعلم ان صاحب هذه الرسالة قد مشى على اثبات مقام يقال له جمع الجمع وهو يرجع الى ما قلناه في الجمع فلهم طرق متعددة لا ينافي بعضها بعضا الا بالاجمال والتفصيل واعلم ان هنا حالة تسمى الفرق الثاني وهي عزيزة وحقيقتها أن يرد العبد الى الصحو وقت اداء الفرض ليجري عليه القيام به في وقته فيكون رجوعا لله بالله لا للعبد بالعبد فالعبد في هذه الحالة يطالع في تصريف الحق والحاصل ان مقام الجمع وجمع الجمع يتحقق للعبد اذا كان مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بالكل غير ما ظهر عليه من سلطان الحقيقة فان رجع الى شهود الغير قائما بالحق فقد وصل الى الجمع وان غفل عن قيامه بالحق فقد عاد الى محض التفرقة (قوله الجمع والفرق) قال في عوارف المعارف اصل الجمع والتفرقة قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة وأولو العلم وقوله تعالى آمنا جمع ثم فرق بقوله وما أنزل الينا والجمع اصل والتفرقة فرع كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل الى ان قال والمقصود انهم أشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع الا بتفرقة ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استهلاكه في مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شيء من أعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع الى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بامر الله فالنظر الى الكون تفرقة والى المكون جمع واعلم ان الفرق بعد جمع الجمع يقال له صحو الجمع وهو خلق محمدي وشأنه ان يدرك صاحبه بالبصر ما يدرك بالقلب والسمع والشم واللمس والذوق وأما مقام جمع الجمع فلا يدرك صاحبه كل محسوس ومعقول الا بقوة مخصوصة بتلك الادراكات والله اعلم اه * فائدة اعلم ان الجمع وجمع الجمع لا يشغل العبد الكامل عن وظائف وقته تحقيقا لظاهر عبوديته وله الاشارة بقول العارف ابن الفارض قدس الله سره

ولم اله باللاهوت عن حكم مظهري * ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي

هذا واللاهوت الروحانية والناسوت البشرية والله اعلم ثم ولمقام الجمع أشار بعضهم حيث يقول

ولما تجلى لي من أحب تكرما * وأشهدني ذات الجمال المعظما
ترفع لي حتى تحققت أنني * أراه بعيني جهرة لا توهما
وفي كل حال اجتليه ولم يزل * على ناظر قلبي حيث كنت مكلما
وما هو في وصف بمتصل ولا * بمنفصل حتى وحاشاه منهما
وما قدر مثلي أن يحيط بقدره * وأين الثرى من رفعة البدر أينما
أشاهده في صفو سري فاجتلي * به الا تعالى عزه أن يقسما
كما أن بدر التم يظهر وجهه * بصفو غدير وهو في أفق السما

فعليك يا أخي أن لا تنكر على أولياء الله ولا تقف ما ليس لك به علم فإذا لم تعلم فسلم لمن يعلم تكون على أي حالتيك سالم (قوله مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى) أي بسبب استغراقه وغيبته فيه وفنائه عن سواه ومع ذلك فجميع حواسه ثابتة متحققة وإنما لا إحساس لها بغير الحق فصاحب هذا المقام دائم المراقبات مغمور بالرحمات رضيع ثدي المشاهدات بإشراق أنوار التجليات والله أعلم (قوله مأخوذة من تفرقته الخ) أي بسبب شهوده للكائنات قولا وفعلا حسبما تلوح من علم الشريعة فهو يدور مع الحق كيفما دار وهذا مقام شريف قل من دام عليه على استقامته وذلك لصعوبته على كثير من الخلق إذا علمت ذلك تعلم أن الفرق ليس هو من اشتغاله بالكائنات عن الحق من الخلق ويشاهد حكم الشريعة لأنه مبعد عن الرحمات واقع في الهلكات أعاذنا الله من ذلك (قوله والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله الخ) من ذلك تعلم أن حقيقة الجمع تحصل للعبد بشهود الحق تعالى في حضرة وحدته وأن الأكوان بأسرها صادرة عنه وإليه عائدة ولا يتم له ذلك إلا إذا تخلص من الكثرة وقيد الوثاق حتى تضمحل ذاته وتفنى صفاته ويبقى في بحر وحدة الحق مستهلكا وفي تيار الصفات مضمحلا فلا تبقى منه بقية تخلق بل يبقى حقا بلا خلق فيشاهد حينئذ نفسه بالصفات التي تحجب بها عنه وأنه هو المحبوب بعينه لا غيره وأن الذي أحاله على معرفته هو هو فهو المحيل وهو المحال وأن حيلته في طلبه عليه إنما كان به ومنه وإليه فإذا وصل المحقق إلى الجمع المطلق صار غائبا في الذات الأحدية فغابت تلك العين عنه وصفاتها صفاته وبها تحجب عنه كما شاهد عينه وذاته وتبين أن المحب هو المحبوب ثم إذا تحقق بالفرق فيرجع إلى مشاهدة الخلق بالحق بعد الاستهلاك في المبدئ المعيد والله أعلم (قوله الفرق ما نسب إليك) أي من الأقوال والأفعال فضلا من الله ورحمة والإضافات لا حقيقة لها في شارع الإيمان فمن شهد أفعال نفسه فقد تفرق ومن غاب عنها فقد تحقق وقد أشار إليه عارف زمانه وعاشق أوانه حيث قال

حليف غرام أنت لكن بنفسه * وإبقاك وصفا منك بعض أدلتي
فلم تهوني ما لم تكن في فانيا * ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى والتفرقة مأخوذة من تفرقته في الكائنات مع الحق والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله تعالى (وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله يقول الفرق ما نسب إليك

والجمع ماسلب عنك ومعناه ان مايكون كسبا للعبد من اقامة العبودية وما يليق باحوال البشرية فهو فرق ومايكون من قبل الحق من ابداء معان واسداء) اى اصابة (لطف واحسان فهو جمع هذا ادنى احوالهم فى الجمع والفرق لانه) أى ادنى احوالهم كائن (من شهود الافعال فمن أشهده الحق سبحانه افعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة) بين العابد والمعبود (ومن اشهده الحق سبحانه ماتوليه) اى يعطيه (من افعال نفسه سبحانه فهو عبد يشاهد) اى بوصف (الجمع) بمعنى جموع الهمة على الحق تعالى (فاثبات) احوال (الخلق) عند العبد (من باب التفرقة واثبات) احوال (الحق) عنده (من نعت الجمع ولا بد للعبد) فى سلوكه لمولاه (من الجمع والفرق فان من لاتفرقة له لاعبودية له ومن لاجمع له لامعرفة له فقوله اياك نعبد اشارة الى الفرق) المقتضى للتفرقة بين العابد والمعبود (وقوله واياك نستعين اشارة الى الجمع) المقتضى للتبرى من الحول والقوة الا بالحق وبقال فلان فى عين الجمع اى بحيث استولاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شئ من اعماله عاد الى التفرقة ثم ذكر نوعا آخر من التفرقة والجمع ارفع مما مر فقال (واذا خاطب العبد الحق بلسان نجواه اما سائلا او داعيا او مثنيا اوشاكرا او متنصلا) من ذنبه (او مبتهلا) اى متضرعا

وهو يريد ان العبد وان لازمه الفرق ولم يغن عن نفسه فهو اا ببه من نعوت محبوبه فهو مغرم بنفسه لا بمحبوبه مع انه قد قيل او قف الطالب أنت طالبه بل ولا تبصر للمطلب أنت طالبه بنفسك وأشار الى مقام الغيبة عما لحق استغراقا فيه حيث يقول

اوما صلاتى بالمقام أقيمها * وأشهد فيها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى * حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ولم تكن * صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة

أقول وما يكن يفهم هذا الشهود الا بضرب مثل وتلك الامثال نضربها للناس وهو مرآة صقيلة حاذتها صورة جميلة فظهرت فيها بنعوتها وتجلت فيها بحسنها فهل ترى المرآة حلت فى الصورة أو الصورة حلت فى المرآة فكان المرائى تظهر فيها الصورة الواحدة تجليات متنوعة مختلفة باختلاف ذات المرآة وصفاتها واستقامتها واتساعها واستطالتها واستدارتها كذلك شهود الحق فى مرائى قلوب الخلق بهذا الاعتبار شعر

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولاقدح * وكأنما قدح ولاخمر

فافهم (قوله والجمع ماسلب عنك) أى باعتبار باطن الامر ونفس الحقيقة (قوله ان مايكون كسبا الخ) أى بحسب ظاهر الحال وحكم الشريعة (قوله فهو عبد الخ) أى فهو الجدير باسم العبد لله حيث هو قد تحقق بمقام العبودية وقام باعباء التكاليف الشرعية فهو بوصف شهود الحق وما له والخلق وما لهم (قوله من أفعال نفسه سبحانه) أى من الذى حصل له بواسطة الفضل الالهى مما لا مدخل للعبد فيه بشئ من أنواع الكسب (قوله يشاهد الجمع) أى حيث شهد ان الامر من الله وبالله والى الله والله أعلم (قوله فاثبات أحوال الخلق) أى بحكم الشريعة وظاهر الحال وقوله واثبات أحوال الحق أى بحكم الحقيقة ونفس الامر (قوله ولا بد للعبد الخ) أى لاغنى له من جهة عبوديته فى حال سلوكه وحقيقته من الجمع والفرق أى لاجل تحقق ما للعبد وما للحق كما هو المقصود من حكمة الايجاد والاختراع (قوله فان من لاتفرقة له الخ) أى لان التكليف لا يتم ويتحقق الا بتحقق العبودية التى بها يثبت ما للعبد ويعلم ما للرب وقوله ومن لا جمع له لا معرفة له أى لان المعرفة هى شهود الفعل له سبحانه وتعالى كما يشير اليه قوله جل جلاله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (قوله نقوله اياك نعبد الخ) وجه التفرقة والجمع فيما ذكر ان فى قوله نعبد الاستقلال اعتبارا بظاهر الحال وفى قوله نستعين الرجوع الى قوة الكبير المتعال (قوله أى بحيث استيلاء الخ) يشير الشارح الى أنه متحقق بمقام الاحسان اى بالدرجة الثانية منه ولو حمله على الاولى منه لكان أظهر وقوله فاذا عاد الى شئ من أعماله أى الى شهودها صادرة منه باعانة الحق تعالى لا استقلالها ولا وقوفا معها لان ذلك حجاب عظيم (قوله قام فى محل التفرقة) أى حيث اتصف بنعت

(قام في محل التفرقة) وان راى ذلك من فضل ربه لكونه يرى نفسه سائلا او داعيا أو غيره (واذا اصغى بسره الى ما يناجيه به مولاه
واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه او ناجاه او عرفه معناه او لوح) به (لقلبه وأراه فهو بشاهد الجمع) الغالب على قلبه من فعل ربه
به وكونه محلا لجريان لطفه به (سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول أنشد قوال بين يدي الاستاذ
ابي سهل الصعلوكي رحمه الله
* جعلت تنزهي نظري اليك *
وكان ابو القاسم النصراباذي رحمه
الله حاضرا فقال الاستاذ ابو سهل
جعلت بنصب) وفي نسخة بفتح
(التاء فقال النصراباذي بل جعلت
بضم التاء فقال الاستاذ ابو سهل
اليس عين الجمع اتم) لان نسبة
الافعال الى الله اتم من نسبتها
الى العبد (فسكت النصراباذي)
تسليما للصعلوكي واعترافا بفضيلة
ما قاله (وسمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي ايضا يحكي هذه
الحكاية على هذا الوجه ومعنى
هذا أن من قال جعلت بضم
التاء يكون اخبارا عن حال
نفسه فكأن العبد يقول هذا
من عنده واذا قال جعلت
بالفتح فكأنه يتبرأ من ان يكون
ذلك بتكلفه بل يخاطب مولاه
فيقول انت الذي خصصتني
بهذا لا انا) الذي فعلته (بتكلفي
فالاول على خطر الدعوى)
لنفسه (والثاني بوصف التبري
من الحول (و) بوصف (الاقرار
بالفضل والطول) اى الغنى (وفرق
بين من يقول بجهدي اعبدك
وبين من يقول بفضلك وإلطافك
اشهدك وجمع الجمع فوق هذا (وقد

العبودية بالتذلل والخضوع لاجل التعرض الى نفحات الربوبية والله أعلم (قوله قام في محل التفرقة) اعلم ان الكمال في الكمال فانه لا يتم حال الواصل ولا يكمل أمره الا بكمال متابعته لصاحب الكمالات صلى الله عليه وسلم فانه لم يمنعه نور توحيده ونور ورعه وزهده ولا محبته ومحبوبيته سرادقات شريعته وطريقته عن النفوذ في عالم حقيقته بل كان يعطي كل ذي حق حقه وبذلك امر صلى الله عليه وسلم فالحقيقة بدون شريعة وطريقة باطلة والشريعة والطريقة بدون حقيقة عاطلة فمن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تفقه وتصوف فقد تحقق والله اعلم (قوله واذا أصغى الخ) أى وكل ذلك لا يتم للعبد الا بعد فناء سائر ارادته في مرادات سيده واقضيته (قوله الغالب الخ) يشير بذلك الى أن ثبوته في تلك الاحوال بحكم الغالب من أحوال الحقيقة الذي يظهر منه ان الحكم كذلك وان بقي احساسه في التلذذ بتلك الاحوال السنية (قوله أليس عين الجمع اتم) أى أكمل من الحال على عين الفرق أقول ولعله قد اطلع على وصول الفتى الى هذا المقام أو هو من باب حسن الظن به حيث حمل حاله على اكمل الاحوال ومن وارد الجمع أيضا ما نقل عن العارف الوفائي قدس الله سره حيث قال شعرا

كنت قبل اليوم حائر * في زوايا الكون دائر
والذي يهواه قلبي * لم يزل في القلب حاضر

الى أن قال

جمع الله شتاتي * فتوالت فرحاتي وغدا محبوب قلبي * عين ذاتي وصفاتي

وهذا المقام يشهد ويعقل ولا يسأل عنه لكن يتفهم فيه ويتعقل كما قيل

قد كان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فان لم يهتد عقلك الى ما ذكرناه فاتصف من نفسك فهل كل ما صنف العلماء من صنوف العلوم وفنونها تهتدي اليه عقول العامة هيهات بل يبقى العالم مع ذوي طبقته في كل فن منهما مترنما بتلك المباحث الرشيقة والاشارات الدقيقة ويبقى من دونه كعربي من لغته وجنس آخر من غير جنسه فافهم (قوله يقول هذا من عنده) أى وقوفا مع الاسباب وقوله فكأنه يتبرأ أى رجوعا الى الشهود الفاعل المختار (قوله فالاول على خطر الدعوى) أى المخاطرة فيها بنفسه حيث نسب الى نفسه حالا أو مقاما (قوله وفرق بين من يقول الخ) اى اعتبارا بظاهر الحال والا فالكل يعلم انه بتوفيق من الكبير المتعال (قوله فمن أثبت نفسه الخ) اقول وهذه الطريقة هي الجادة في مثل هذا الحين فلا ينبغي أن ينظر العبد الى الحق ويعرض عن الخلق ولا ان ينظر الى الخلق الا ويكسوهم

اخذ في بيانه مع بيان الجمع ايضا نوع آخر فقال (ويختلف الناس في هذه الجملة على حسب تباين بالحق
احوالهم وتفاوت درجاتهم فمن اثبت نفسه واثبت الخلق) اى سائرهم وشاهد ايقاع افعاله طاعة لله تعالى فهو بعين التفرقة
وان اثبت ذلك (ولكن شاهد) معه (الكل قائما بالحق) اى بسببه بأن شاهد افعالهم جارية عليه بقضاء الله

(فهذا هو جمع) اى نوع آخر من الجمع (و اذا كان مختطفا عن شهود الخلق مطلقا) اى مستأصلا بحيث لا يبقى له التفات (عن نفسه) مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غير لما) اى بسبب ما (ظهر واستولى) عليه (من سلطان الحقيقة) وهى الحالة التى يغلب فيها على القلب الوله لشاهد الحق تعالى (فذلك جمع الجمع فالتفرقة شهود الاغيار) طاعة (لله ٥٧ عز وجل والجمع شهود الاغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الاحساس بما سوى الله تعالى عند غلبات الحقيقة) فالحاصل ان من كانت أفعاله لله تعالى وشاهدها طاعة له تعالى فهو فى التفرقة ومن شاهدها جارية عليه فضلا من الله فقد شاهدها بالله فهو فى الجمع ومن غفل عنها وعن نفسه شغلا بالله فهو فى جمع الجمع (وبعد هذا) اى جمع الجمع (حالة عزيزة) شريفة (يسميها القوم الفرق الثانى) اى التفرقة الثانية بالنسبة للتفرقة الاولى (وهو أن يرد العبد) بعد استغراقه (الى الصحو عند أوقات أداء الفرائض) ليجرى عليه القيام بالفرائض فى اوقاتها (فيكون رجوعا لله) اى لطاعته (بالله تعالى لا للعبد) اى لافعاله (بالعبد فالعبد يطالع نفسه فى هذه الحالة فى تصريف الحق سبحانه يشهد مبدأ ذاته وعينه بقدرته و) يشهد (مجرى أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيئته) فهم مبدأ ومجرى والحاصل ان التفرقة الاولى وقوف مع أحواله وأعماله وايقاعه طاعة لربه والثانية أن يرد الى نفسه بعد استغراقه ليوقع فرض ربه عليه فى وقته ثم يرجع الى ما كان فيه من حاله وانما كانت هذه عزيزة شريفة لكمال حفظ الله لمن أوصله اليه وحفظ وقته عليه ولو دام استغراقه لم يكن آثما لعذره لكن رجوعه الى القيام بوظائفه زيادة فضيلة له عند ربه

بالحق لان الرب يستدعى مربوبا والخالق يستدعى مخلوقا فاذا عريت الحق من نسبة الخلق لزم ما لا يخفى من هدم أركان الشريعة وسد أبواب الطريقة واذا قصرت النظر على ظاهر الحال فى الخلق لزم من ذلك اثبات فاعل معه سبحانه وتعالى فطريق النصفة أن تنظر اليهم بظاهر علم الشريعة فى التكليف مع يقين أنه تعالى الفاعل لكل خير وشر لانه لو نفى ذلك لزم أن لا يكون للخلق وجود فى الوجود ويلزم الرد على الكتاب والسنة اذ كل كائن له اسم يخصه وجنس يعرف به ونوع وصنف كذلك وقد أثبت تعالى الجنة والنار وغيرهما من الملكيات والملكوتيات فلو فرض ذرة خلت عن الوجود الحق لما كان الشئ وجود أصلا (قوله فهذا هو جمع) أى وهو انما يتحقق للعبد اذا فنيت صفاته فى صفات الحق سبحانه وتعالى وأفعاله فى أفعاله (قوله واذا كان مختطفا الخ) اى مع ان مثل هذا فى مثل هذا المقام الشريف محفوظ عليه وظائف عباداته وأوراده مع توالى وروده مناهل وارداته التى قد فنى فيها عن كامل مراداته وانقطف لاجلها عن جميع حركاته وسكناته فهو مستهلك فى مقام الوجود متحقق بدوام الشهود (قوله مطلقا الخ) اعلم أن الاصطلام الوله الغالب على القلب وهو قريب من الهيمان (قوله فذلك جمع الجمع) اى وهو لا يتم التحقق به لاحد الا بعد الفناء عن الافعال والصفات والذوات فلا فاعل الا الله ولا حى الا الله ولا موجود الا الله (قوله شهود الاغيار بالله) اى فهو لا يتحقق الا لمن علم وتيقن ان جميع حركاته وسكناته انما صدرت منه باعانة الله واقداره وانه محل لجريانها لا حول له فيها ولا قوة (قوله عند غلبات الحقيقة) اقول ويعلم كونها حقيقة بثلاثة امور كونها جارية بحكم التصريف بدون اختيار وكونها جملة مجموعة نازلة فى القلب خارجة عنه خروج السهم من القوس من محل الرمى وظهور معناها وبيان وجهها وتفصيلها بعد وعيها فأرباب الحقائق تجرى عليهم بحكم التصريف لا علم لهم بها على التفصيل وعند فراغهم من النطق بها يظهر لهم برهان ما قالوا بشرا هذا العلم والله أعلم (قوله وبعد هذا حالة عزيزة) اى وعزتها لشرفها وندرتها فيمن يكون من يتحلى بها فى مقام ارشاد عباد الله المؤمنين (قوله يسميها القوم الفرق الثانى) اى وهو الاعادة الى الاحساس بعد المحو بغلبات الحقيقة ويكون الصحو حينئذ بشعائر الشريعة (قوله وهو ان يرد العبد الخ) محصله انه شهود الخلق قائما بالحق (قوله فيكون رجوعا الخ) ان قلت ان غيره من أفراد الرجوع كذلك قلت نعم غير أن الفرق الشهود والذوق فى هذا وعدمه فى غيره فافهم (قوله فيكون رجوعا الخ) اعلم أن هذا

الفرق الثانى هو الخلق المهدى الخاص دوامه به والله أعلم (قوله وبالجملة فرق بين أن يدرك الخ) اى حيث هو باق لم يفن عن أفعاله بخلاف الثانى لفنائه عن أفعال نفسه فى أفعال الحق تعالى وقوله لم يخرج من جمع الجمع اى الذى هو فناء الافعال فى الافعال والصفات فى الصفات والذوات فى الذوات وقوله لم يخرج من جمع الجمع اليها اى الحالة الاولى للتفرقة بل صرده الى الجمع اى لانه متحقق بالفناء عن الافعال لنفسه فى أفعال الرب سبحانه وتعالى وذلك من وجوه الجمع فتدبر ومحصله ان الحالة الاولى لم يفن صاحبها فيها عن صفاته والثانية فنى فيها عن صفات نفسه فى صفاته تعالى وتقدم ان ذلك من وجوه الجمع الثلاثة فتدبر (قوله وأشار بعضهم بلفظ الخ) محصله ان الجمع باعتبار رتبة التمكين بقدرة رب العالمين والتفريق عما قدراهم بحكمة أحكم الحاكمين وايضا معه ان الجمع على هذا الوجه معناه انه جمع جميع الخلق فى تصريفه الابداع والاختراع لذواتهم وفرق بتصريف الحكمة الباهرة فى مجارى صفاتهم فصاروا مجموعين مفرقين بهذا المعنى (قوله ففريقا أسعدهم الخ) تأمل مع ان الكل عبيد ومحل مظاهر التجليات غيران الحق جل له من الجلال لا يسئل عن سر الافعال فالله يرزقنا السلامة بالتسليم حتى نصل الى النعيم المقيم هذا واعلم أن هذا التفريق بمقتضى مظاهر الاسماء والصفات لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (قوله وفريقا هداهم) اى دلهم دلالة موصلة وقوله وفريقا أضلهم اى حيث لم يقدر دلالتهم وارشادهم فأعماهم بجهالاتهم وقوله وفريقا حجبهم اى حيث أوقفهم مع الآثار والصور مع غفلتهم عن المؤثر المصور وقوله وفريقا جذبهم اى حيث استولى على قلوبهم فغلب ذكره عليها فلم يشاهدوا غيرا وقوله وفريقا آنسهم بوصاله اى حيث جعل قلوبهم مطمئنة ساكنة مؤمنة راضية مرضية وقوله وفريقا آيسهم من رحمته اى حيث اوقع القنوط من رحمته تعالى فى قلوبهم بكفرهم وطغيانهم وقوله وفريقا أكرمهم بتوفيقه اى حيث قدر سعادتهم أزلا على حسب باهر حكمته العلية وعلمه القديم وقوله وفريقا اصطلمهم اى حيث جعل فى قلوبهم محبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله اى غيبهم اى جعلهم غائبين عن الخلق غير ملتفتين اليهم بسبب ما شاهدوا من انفراده تعالى فى الملك فهم قوم قد أعرضوا عن الكل بالواحد الاحد فوجههم الى أنوار الحقيقة وغيبهم فى لجج الطريقة نفعنا الله ببركاتهم وقوله عند رؤيتهم اى طلبهم وقوله وفريقا أصحاهم الصحو حالة تقتضى التصرف بالاختيار والسكر بخلافه والجمع شهود الخلق بالحق والفرق شهود الحق والخلق والفناء شهود الحق بلا خلق والغيبة عدم الشعور بالخلق فمن لم يقدر على ضبط حركاته فالسكران ومن تصرف على حسب حاله باختياره فهو الصاحى ومن تولّه بسبب شدة هيمانه فهو المحب المحجوب ومن شهد تصرف الخلق بتصريف الحق فهو المجموع ومن شهدها لهم نسبة فهو المفرق ومن لم يرلهم نسبة أصلا فهو الفانى المصطلم ومن رأى وجودهم

وبالجملة فرق بين أن يدرك طاعته بنفسه وهو مدركها وأن يدرك نفسه فى طاعته مصرفا فيها فهو فى التفرقة الثانية لم يخرج من جمع الجمع اليها بل يرده الى الجمع بخلاف الاول فان رجوعه فيها الى نفسه وادراكه محل خروج عن الجمع بالكلية ❁ ثم ذكر نوعا آخر من التفرقة والجمع وهو بالنظر الى ما سبق للخلق فى الارادة الازلية فقال (وأشار بعضهم بلفظ الفرق والجمع الى تصريف الحق جميع الخلق) فجمع الكل) من الخلق (فى التقليب والتصريف من حيث انه منشئ ذواتهم ومجرى صفاتهم) فصاروا مجموعين اذ خولهم فيما يقيهم عنده (ثم فرقهم فى التنويع ففريقا أسعدهم وفريقا أبعدهم وأشقاهم وفريقا هداهم وفريقا أضلهم وأعماهم وفريقا حجبهم عنه وفريقا جذبهم اليه وفريقا آنسهم بوصاله وفريقا آيسهم من رحمته وفريقا أكرمهم بتوفيقه

وفريقا اصطلمهم) اى غيبهم (عندرويتهم الحقيقة وفريقا أصحاهم وفريقا شغلهم وفريقا قربهم وفريقا هيمهم) مطلقا (وفريقا أدناهم وأحضرهم ثم سقاهم فأسكرهم وفريقا أشقاهم واخرهم ثم اقصاهم وهجرهم وانواع افعاله لايحيط بها حصر ولا يأتي على تفصيلها الشرح ولا ذكر) فالحاصل ان الجمع باعتبار ان كل ما هم فيه مراد له تعالى سابق لا يتغير ولا يتبدل والتفرقة باعتبار ما خص كلا منهم به من قدره واجراه عليه في أبده (وانشدوا للجنيد رحمه الله في معنى الجمع والتفرقة وتحققتك) بان افردتك يا ربنا (في سري) هذا جمع (فناجاك لساني) هذا تفرقة ولذلك قال (فاجتمعنا لمعان) وهي حال الحقيقة (وافترقنا لمعاني) وهي حال العبادة (ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني) في الدنيا بان لا أراك فيها ببصري بجلالك وضعفي (فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني) اى قريبا في تفضلك على فأراك في الدنيا ببصيرتي (وأنشدوا) أيضا (اذا ما بدالي) الحق (تعاظمته) فغبت فيه هذا جمع (فأصدر في حال من لم يرد) هذا تفرقة اى فأرجع اليه في وصف من لم يرد محل الورود بل ردني اليه بفضله فاستغرقت فيه فقد (جمعت وفرقت عني) اى عن نفسي (به) فالجمع والتفرقة منه وهو واحد وأنا المفرق المجموع في حالين (ففرد التواصل) اى فالفرد الذي هو محل التواصل بينه و بين مولاه (مثنى العدد) اى اثنان من العدد باعتبار كونه مفرقا ومجموعا وهما الحالان

راجعا اليه فهو الباقي (قوله وفريقا اصطلمهم الخ) اى فهم قد غرقوا في بحار الانوار فقد نطمست عندهم الآثار قد غلب جمعهم على فرقهم وسكرهم على صحوهم وغيبتهم على حضورهم وهذه البحار هي بحار أنوار معاني الاسماء والصفات فهم لم يقفوا على ساحل الآثار الذي هو من مواقف النجاة بل كانوا على قدم من قال خضت بحرا وقف الانبياء بساحله وهو أبو يزيد (وأقول) والله الموفق ان هذا منه نفعنا الله بعلومه اعتراف بالنقص والجهل لان خوض البحر من الجهل بهوله والوقوف بالساحل من المعرفة بقدره فالخائض قد تعرض للهلاك والواقف قائم مع النجاة يمكنه استخراج حليته وطعامه ما لا يمكن الخائض فافهم والله أعلم (قوله وفريقا أدناهم وأحضرهم الخ) اى قربهم بعد قهم حضورة او بهم في ذكره وقوله ثم سقاهم اى أذاقهم لذة مناجاته حتى أشبهوا السكارى في غيبتهم بسبب ذوق تلك اللذة (قوله وتحققتك في سري الخ) اى حيث تجليت على قلبي بأنوار عظمتك فشهدتك في أحديتك وواحديتك بعد تلاشي افعالي وصفاتي وذاتي في أفعالك وصفاتك وذاتك ثم بعد ذلك أعدتني وأرجعتني الى احساسي فناجاك لساني بالرضا والتسليم لاراداتك فاجتمعنا اى اجتمع كل من التحقق بك والمناجاة لك على معنى انهما قد وجدا لا مع التصاحب بل على وجه التعاقب وقوله لمعان وهي الجمع في حالة التحقق والتفرق في حالة المناجاة وقوله وافترقنا لمعان وهي تحقيق رتبة العبودية حيث هي محل التصريف له تعالى على ما يوافق حكمته العلية وقوله ان يكن غيبك التعظيم معناه حجبتني عظمتك عن مشاهدتك ببصري في هذه الدار فلقد صيرك الوجد بسبب ما يرد على قلبي من أنوارك البهية من الاحشاء دان باللطف والاحسان والله أعلم (قوله اى قريبا في تفضلك على الخ) اعلم أن معنى الدنو والقرب هو ما أشار اليه الشارح ولذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى ثم دنا فتدلى من ظن انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة انما التداني انه كلما قرب منه بعد عن أنواع المعارف اذ لا دنو ولا بعد اه والحاصل ان القرب اذا أضيف اليه تعالى فيراد منه في حق الخاصة بالنصرة والكلاءة قال تعالى انني معكما أسمع وأرى وفي العامة بالعلم المحيط قال تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فافهم (قوله اذا ما بدالي الخ) اى اذا ظهر وانكشف لي نور الحق بسابق اللطف والاحسان تعاظمته بسبب شهودي تجليات جلاله وعظمته فاتلاشى بجملتي تحققا بوجود الحق وترقيا الى مراتب جمع الجمع وقوله فأصدر في حال من لم يرد اى فارجع في صفة من لم يرد محل الورود وذلك التجرد في نفسي عن سائر مراداتي فهاتان الحالتان من الجمع تارة والتفرق أخرى منه تعالى و به وفيه ولذا قال جمعت وفرقت عني اى فلا تأثير لغيره في ذلك ولا في غيره من الكائنات وقوله ففرد التواصل مثنى العدد اى فهو واحد في ذاته وانما التعدد بحسب التعينات

(ومن ذلك الفناء والبقاء)

وبحسب الجمع والتفرقة والله أعلم (قوله الفناء والبقاء) اعلم أن بعض المحققين قد ذكر ان أقسام الفناء عشرة باعتبار رتب المقربين من عباد الله وذلك ان لكل منهم بداية وهى رتبة أولى ولا بد لها من باب يدخل منه وهى رتبة ثانية ثم اذا دخل احتاج الى معاملة لا تقة به فى سلوكه وهى رتبة ثالثة واذا عامل مولاه بصدق وتخلق بأخلاق محمودة فهى رتبة رابعة واذا تم بأحسن التخلق اشتاق الى التعلق ولا بد له من اصول يبنى عليها سلوكه فتحققه فيها رتبة خامسة ولا بد له فى طريقه من ملاقاة الشدائد تسمى أودية وهى رتبة سادسة ثم يعمر أحوالا وهى رتبة سابعة ثم يتصف بجميل الصفات ويحقق همه بعد الشتات وهى رتبة ثامنة ثم يغفل عن نفسه لكمال شغله بربه وهى رتبة تاسعة ثم يبلغ الى النهايات وهى الرتبة العاشرة فى أجل ذلك يكون الفناء عن العادات والمألوفات بامتثال المأمورات وفى الابواب عن الهيآت الطبيعية النفسانية بالهيآت النورانية القلبية فى المعاملات كالفناء عن الافعال البشرية بالافعال الالهية وفى الاخلاق بالفناء عن الملكات النفسانية بالاخلاق الالهية وفى الاصول بالفناء عن ارادة الاغيار وطلبها بارادة الحق وطلبه وفى الاودية بالفناء عن العلوم الرسمية والحكم العقلية بالعلوم اللدنية والحكم الالهية وفى الاحوال بالفناء عن التعلق بالاكوان ومحبتها بمحبة الحق ذى الامتنان وفى الولاية بالفناء عن الصفات والتوجه الى الذات وفى الحقائق بالفناء عن الرسوم مع بقاء البقية الخفية وعدم الشعور بالاثنينية النورية الموجبة للتعدد وهو مقام الخلة * قال الشيخ ابو محمد روزبهان البقلى فى كتاب لوامع التوحيد يكون الفناء من رؤية العز السرمدى والكبرياء الابدى واستغراق السر فى بحر أنوار الهوية وسبحات الصفات القدمية وذلك من كثرة مطالعة الروح وجود الحق سبحانه وتعالى ثم بعد هذا فأقول لك قد اختلفت عبارات المشايخ فى معنى الفناء وذلك على حسب ما وجد كل منهم من شربه وحظه على طريق حكمة ربه ثم اعلم أنه لا يلزم من الفناء بأنواعه أن يغيب العبد عن احساسه بل قد يتفق ذلك فى بعض الاشخاص فى بعض الاحايين فليس من ضرورة الفناء على اختلاف معانيه بل قد يتسع وعاء العبد مع تحققه بالفناء روحا وقلبا فلا يغيب عن كل شئ يجرى من قول أو فعل فيكون مرجعه أن يكون فى كل فعل وقول مرجعه الى الله تعالى وينتظر الاذن فى كليات اموره ليكون فيها بالله تعالى لا بنفسه اذ التفرقة بدون جمع زندقة واما معنى البقاء المعدود من اصطلاحات أهل التصوف فقال الشيخ العارف عبد الله الانصارى فى المنازل البقاء اسم لما بقى بعد فناء الشواهد يعنى الادلة والآثار فهو على ثلاثة أقسام بقاء المعلوم بعد سقوط العلم فمعناه أن يكون عينا لا علما والثانى بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجودا لا نعتا والثالث بقاء ما لم يزل حقا باسقاط ما لم يكن محوا يعنى بقاء المعلوم عينا لان بقاء المعلوم علما لا عينا بقاء العلم فاذا تجلى المعلوم له أخذه عن مطالعة علمه بالمعلوم ويعنى بسقوط الشهود كونه

شاهدا وبقاء الشهود كونه وجودا لانهما فمناه ان الباقي لا يصح له البقاء ما لم يشاهد العبد المشهود وجوده شهودا عيانيا حاليا وصفا فان النعت وصف صاحب الوجد والوجود عين الموجود وبقاء ما لم يزل حقا معناه أنه عند ظهور سلطان الحقيقة ينمحي عنه ذكر كل شيء مما لم يكن ثم كان ويبقى في شهوده الحق الغالب على كل شيء مشغولا به عن غيره حتى عن نفسه فالشهود فوق العلم والوجود فوق الشهود لانه بالموجود يفنى الشاهد وشهوده وقيل في معنى البقاء غير ما ذكرناه وفيما ذكرناه كفاية وقال الشيخ عبد الله الانصاري الفناء في هذا الباب اضمحلال ما دون الحق علما ثم جحدا ثم حقا اى لا يكون له علم بغير الله لتحققه بعلم الله ثم يرتقي حتى يصير الغير في حقه كالمعدوم ثم يغيب عنه وجودا بالحق وذوقا فالاول فناء العلماء بالله والثاني فناء السالكين وأرباب الاحوال والثالث فناء العارفين المستغرقين في الله المحبين له فالفناء على ثلاث درجات فناء المعرفة في المعروف وفناء العيان في المعاين وفناء الطلب في الوجود (أقول) ومن الاشارة الى الفناء ما روى ان عبد الله بن عمر سلم عليه انسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه الى بعض أصحابه فقال له كنا نتراءى الله في ذلك المكان وقال الفناء الغيبة عن الاشياء كما كان لموسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل فتلخص ان الفناء والبقاء يدوران على اخلاص الوحدانية وصحة الربوبية وذل العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط الزندقية وفي عبارة بعضهم الفناء على ثلاث درجات فناء الظاهر وهو محو بقية العبد عن ارادته واختياره بتجلي الحق عليه بصفة الفعالية ويسمى فناء الافعال وفناء الباطن وهو محو بقية صفاته في باطنه أنوار الصفات القديمة الازلية ويسمى فناء الصفات وفناء سر الباطن الذي هو ذات العبد فان الافعال هي حجاب الصفات فالصفات باطنها والصفات هي حجاب الذات فالذات باطنها وسرها ولذا يسمى فناء الذات وهو كناية عن محو بقية ذات العبد في اشراق أنوار عظمة الذات وأحديتها فهنالك يستولي على باطنه أمر الحق فلا يبقى له هاجس ولا وسواس هذا والتحقيق الذي لا يصح العدول عنه بحال أن تقول التفرقة بالجمع زندقة كما وقع للدهرية والجمع بلا تفرقة الحاد لانه يؤدي الى أن يقول صاحبه باتحاد وجود الكون والمكون كما ترشح في اناء بعضهم لضيقه فقال انا الله وليس في جبتي سوى الله وسبحاني ما أعظم شاني فحينئذ لابد لصحة العبودية من التنزل عن عالم الجمع الى عالم التفرقة ويقال لهذا البقاء وفرق بين التفرقة الاولى قبل الجمع والثانية التي بعده كما لا يخفى على من له المام (قوله فقال الخ) محصله ان الفناء والبقاء باعتبار ما للعبد من الاخلاق والاوصاف الذميمة والحميدة فاذا تجرد عن الذميمة وتحلى بالحميدة ترقى الى الاحوال والمقامات بهذا الاعتبار وسيأتي ان الفناء كما يكون باعتبار الاوصاف قد يكون عن الاشخاص وعن العلوم وقد أشار سيد عشاق زمانه وبقية عقد أهل عرفانه الى نوع من الفناء حيث قال

وقد بينه بعضهم فقال (أشار القوم بالفناء الى سقوط الاوصاف المذمومة) اى ذهابها عن العبد

ومنذ عفا رسمي وهمت وهمت في ❊ وجودي فلم تظفر بكوني فكرتي

وبعد فنائي فيك قامت بنفسها ❊ وبيني في سبق روحي بنيتي

ولم أحك في حبيك حالي تبرما ❊ بها لاضطرار بل لتنفيس كربتي

ويحسن اظهار التجلد للعدا ❊ ويقبح غير العجز عند الاحبة

فراده رضي الله عنه انه لما اندرس رسمه عن القياسك تعجبا أو حيرة بث شكواه لاحبته والرسم مابقي من الاثر وقوله همت أولا من الهيمان وهمت ثانيا من الوهم فهو عند الوقوع في عين القدم ومعاينة سلطان الازل وبالغرق في بحر الكشف خرج على وجهه لايدرى أين توجه فالطاف وجوده فكان عنده كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء واليه أشار بقوله فلم تظفر بكوني فكرتي ويشير بقوله وبعد فنائي الخ الى أن ماذكر لابعد لانه لايشترط في قيام الحال وثبوتها بقاء الجسم وشاهده أن روحي سبقت جسمي وكانت قائمة بنفسها فما كانت الروح قائمة به قامت به حالي بعد فناء جسمي وروحي ثم هو يشير الى ان ماذكره ليس على سبيل الشكوى والتبرم واغاهو على سبيل الحكاية للاستراحة وتنفيس الكربة لانه لايحسن من المحب اظهار القدرة على حمل أعباء المحبة ثم يحسن التجلد عند الاعداء وعلى ذلك الذي أشرنا اليه يحمل قول سيدنا يعقوب عليه السلام حين قال ياأسفا على يوسف بدليل قوله انما أشكو بثي وحزني الى الله وكذا قوله مسنى الضر فتأمل (قوله فن المعلوم الخ) اى لاستحالة خلو الشئ عن الضدين معا في حال واحد (قوله بل قالوا الخ) أقول اذا لم يكن الفناء عن الاوصاف المذمومة مستلزما لما ذكر كان سببا قويا له لان التجرد عن الاوصاف المذمومة أصل قوي في حصول الدرجات الرفيعة من الاحوال والمقامات (قوله ولكن قد يتغير الخ) ان قلت يبعد تغيره قلت كذلك غير انه بواسطة معالجة نفسه بالتقوم في المضرات ومابه تندفع وتنال رتب السادات فتحيل طبعه عن مقتضى حقيقته الى خلافه نشاهد ماعلمه والله أعلم (قوله بمعالجته) أقول وقد أشار الى ذلك ألطف المحبين وأعرف مسالك السائرين ابن الفارض حيث قال في تائيته

وكلفتها لابل كفلت قيامها ❊ بتكليفها حتى كلفت بكلفتي

وأذهبت في تهذيبها كل لذة ❊ بابعادها عن عادها فاطمأنت

يعني قدس الله سره انى كلفتها أولا المجاهدة فتمرنت واعتادت حتى صارت عندها كالحق المطلوب لها فصارت تطالبنى بحقها وألحت علي فكلفت لها أن أقيمها في مقام تكليفها ولم أزل كذلك حتى كلفت اى شغفت بكلفتي وصارت الكلفة لذة مشغوفا بها فكلفت من التكليف وكفلت من الكفالة وكلفت من الكلف وهو الشغف وقوله وأذهبت في تهذيبها الخ يريد أن أفضل العبادة خرق العادة ومن ثم قيل كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد ولم يجئ الشرع الا بخرق العوائد ومن ثم فضل أهل

(واشاروا بالبقاء الى قيام الاوصاف المحمودة به واذا كان العبد لايخلو عن احد هذين القسمين فمن المعلوم) لكل عاقل (انه اذا لم يكن أحد القسمين) موجودا (كان القسم الآخر) موجودا (لااستحالة فمن فني عن أوصافه المذمومة) كرغبته في الدنيا (ظهرت عليه الصفات المحمودة) كزهده في الدنيا (ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة) على ان جماعة لم يخصوا ذلك بالاوصاف المذمومة بل قالوا تارة يفنى العبد عن الاشخاص اى تذهب عنه وتارة تذهب عنه العلوم بالمعلومات وتارة تذهب الاخلاق المذمومة وتارة تذهب عنه الاحوال شغلا بجلالها (واعلم ان الذي يتصف) وفي نسخة يختص (به العبد أفعال وأخلاق وأحوال فالافعال تصرفاته باختياره) وكسبه (والاخلاق جبلة) اى طبيعة (فيه ولكن) قد (تتغير بمعالجته على مستمر العادة) اى العادة المستمرة

(والاحوال) موهبة (ترد على العبد على وجه الابتداء لكن صفاؤها بعد زكاة الاعمال) واخلاصها لله تعالى (فهى كالاخلاق من هذا الوجه) وهو تمكن العبد من تغييرها (لان العبد اذا نازل الاخلاق) اى نازلها واتقل فيها (بقلبه) وكسبه (فينفى) من النفى (بجهده سفسافها) اى دنيئها كالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق (من الله عليه بتحسين أخلاقه) المحمودة كالتواضع والصبر وسلامة الباطن والزهد وحسن الخلق روى البيهقى خبر ان الله يحب معالى الامور ويكره سفسافها (فكذلك اذا واظب على تزكية اعماله ببذل وسعه) واجتهاده فى تزكيتها واخلاصها (من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله) المحمودة فوجه الشبه بين الاخلاق والاحوال ما مر من تمكن العبد من تغييرهما الاخلاق بالرياضة والاحوال باخلاص الاعمال وتصفيتها والدوام عليها (فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال انه فنى عن شهواته فاذا فنى عن شهواته بقى بنيته واخلاصه فى عبوديته ومن زهد فى دنياه بقلبه يقال فنى عن رغبته) فيها (فاذا فنى عن رغبته) فيها (بقى بصدق انابته ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فنى عن سوء الخلق فاذا فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق ومن شاهد جريان القدرة فى تصاريف الاحكام) من السعادة والضلالة والطاعة والعصيان (يقال فنى عن حسبان الحدثان) اى عند الحدوث (من الخلق فاذا فنى عن توهم) كون (الآثار من الاغيار) اى الاكساب من العبد لما غلب على قلبه من انفراد الحق بايجادها

الزيغ بسكونهم الى العوائد قال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا والناظم ذكر فى هذا البيت تعديل أوصافه لروحانيته المترتبة على زكاة الاعمال وفيما قبله تعديل أوصافه الحيوانية والانسانية فتدبر (قوله بمعالجته) اى وذلك بعدل التأمل فى لذة الشهوات العاجلة بأنها قد تورث الهلكات الآجلة بالنص القاطع فبالتوفيق الالهى يرجع عما ظنه لذة بعدل الطبع الى علم المضرة بدليل السمع فيترك ما كان عليه من العادات الى رفيع الدرجات

فالنفس كالطفل ان تهمله شب على ٭ حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

(قوله لكن صفاؤها الخ) اى فالاحوال ولو لم تكن من كسب العبد ومقدوره باعتبار حقيقتها هى باعتبار صفائها من مقدوره فكلما قوى اخلاصه فى الاعمال والمجاهدات يزداد صفاء أحواله اى فهى كالاخلاق على ما ذكره من جهة تمكن الانسان من نقلها من صفاتها الذميمة الى الحميدة بقوة الرياضات وحسن المتابعات (قوله اذا نازل الاخلاق الخ) اى وذلك وان كان تخلقا غير انه بواسطة القيام على النفس يصير كالخلق الاصلى بعناية الحق بعبده (قوله من الله عليه الخ) اى بواسطة شاهد علم الشريعة ونور الطريقة والحقيقة (قوله ان الله يحب الخ) اى يحسن ويتفضل على من هذا خلقه احسانا وتفضلا زائدا وقوله ويكره سفسافها اى يبعد عن مراتب القرب من كانت همته فى نيل الدنى منها ولذلك أمر رسوله وحبيبه بما يجمع له محاسن الاخلاق حيث قال فى محكم كتابه المبين خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ونحن قد أمرنا بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم على انه يحتمل انا المقصودون بذلك لانه صلى الله عليه وسلم خلق على أشرف الاخلاق وأكملها والله أعلم (قوله بل بتوفية أحواله) اى باستيفائها وبلوغه اياها كاملة مستوفاة (قوله فمن ترك الخ) شروع فى بيان تدريج السائر فى الاحوال والمقامات بتقديم الاهم فالاهم على ما هو اللائق بمن أراد الوصول ونيل المأمول (قوله يقال انه فنى عن شهواته) اى وذلك لا يكون الا بالقيام على النفس بظاهر الامر والنهى الشرعيين (قوله بقى بنيته) أى فثمرة المتابعة اكتساب اخلاص القصد بالعبادة لله تعالى (قوله بقى بصدق انابته) اى بسبب الجد فى ازالة الحجاب الذى سببه الرغبة فى الدنيا (قوله ومن عالج أخلاقه) اى بتحسينها وحملها على معالى الامور والبعد عن الدنى منها بشاهد علم الشرع (قوله بقى بالفتوة والصدق) اى بقوة البذل الذى هو مظهر سببه التجرد عن الحظوظ وطهارة الباطن من دناءته التى هى سبب فى الصدق (قوله ومن شاهد جريان القدرة الخ) اى من علم تأثيرها فى جميع الممكنات انفرادا بشاهد ما شاء الله كان

(بقى بصفات الحق) تعالى نظرا الى قدرته تعالى وارادته وعلمه (ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الاغيار لاعينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا) وهو ماشخص من آثار الدار (يقال انه فنى عن الخلق وبقى بالحق) هذا القسم يحتمل انه الذى قسمه الاستاذ ابو عبد الله محمد الانصارى الهروى الى ثلاثة أقسام حيث قال الفناء اضمحلال مادون الحق علما ثم جحدا ثم حقا فاذا ذهب عن قلب العبد العلم بالخلق شغلا بالحق فقد فنى عنه علما فاذا زادت كراهته له فنى عنه جحدا أى انكارا فاذا ذهب عن قلبه بالكلية فنى عنه حقا فمقدار شغله بالحق يكون فناؤه عن غيره ويحتمل انه القسم الثالث منها وهذه الاقسام أرفع مما مر أول المبحث لانها فى الفناء عن غير الحق والبقاء مع الحق ومامر ثم هو الفناء عن الاخلاق الذميمة والبقاء مع الاخلاق الحميدة (ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة) يكون (بعدم هذه الافعال) اى بخلوصه عنها (وفناؤه عن نفسه وعن الخلق) يكون (بزوال احساسه بنفسه وبهم) بحيث يكمل شغله بربه (فاذا فنى عن الاحوال والافعال والاخلاق) الذميمة (فلا يجوز أن يكون مافنى عنه من ذلك موجودا) عنده اذ لا يتحقق فناؤه عنه الا بانسلاخه عنه وبقائه مع الاخلاق الحميدة (واذا قيل فنى عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون) وفى نسخة فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين (ولكنه لاعلم له بهم ولا به ولا احساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين غير حس بنفسه وبالخلق) الفناء

لكمال اشتغاله بما هو أرفع من ذلك وبهذا اعلم ان من قال الفناء ذهاب البشرية لم يرد به ذهابها بالكلية فانها موجودة فى نفسها مع لوازمها من اللذات والآلام بل أراد انها مغمورة بما هو أعلى منها من لذات وآلام أخر أعظم من تلك

وما لم يشأ لم يكن يقال فيه انه فنى عن حسبان الحدثان اى بانقطاع التفاته اليهم فى شئ من الاشياء اذ هم من جملة الممكنات التى هى فى قبضة القدرة العلية (قوله بقى بصفات الحق) اى بسبب تجرده عن صفات الطبع (قوله ومن استولى عليه سلطان الحقيقة الخ) اعلم أن الحقيقة اذا غلبت على عبد من عباد الله وجب عليه الانصات لها على حسب ما وردت بالاجمال ولا يتلقاها بالمعتاد من التأويل والدليل والنظر فى الوجه والتفصيل ثم بعد ذلك يكون على الله بيانها له الذى قد تفضل عليه بها أولا فهو الذى بينها ثانيا قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وانما كان هذا كتلقى الوحى فى آدابه لان الكل من عين المنة فى بساط الكرامة وان كان الوحى أعلى وأجل فلا قيد وبالله التوفيق والحاصل ان الادب ثلاثة الانصات للقول والتفهم بعد الحصول والاعتقاد بالاصول أعنى بذلك الكتاب والسنة والله أعلم (قوله وبقى بالحق) اى لتحققه بمقام الوجود بسبب انمحاقه وغيبته عن السوى (قوله الى ثلاثة أقسام) اى على حسب الوارد الذى يرد على القلب وهو ما يتجلى للقلوب من المعارف التى تبرز عنها الحقائق فاذا وردت هذه الواردات على القلب لم يبق فيه متسع لغيرها فتأخذ بجوامعه وتستوى فى كلية العبد فينفذ فيها طوعا أو كرها ناظرا عما سواها (قوله ويحتمل انه القسم الثالث منها) أقول وهو الاظهر (قوله ومامر ثم هو الفناء عن الاخلاق الذميمة الخ) فيه تأمل اذ من جملة مامر قوله فاذا فنى عن توهم كون الآثار الخ (قوله ففناء العبد عن أفعاله الذميمة الخ) شروع فى بيان مراتب السير الى الله تعالى فأول مقام للسائر تخلصه من ذميم الاخلاق فيكون من المحسنين ثم انه اذا تخلص أيضا من الحميدة كان من المقربين ثم اذا فنى عنها وعن نفسه وعن سائر الكائنات صار من العارفين المحققين (قوله وفناؤه عن نفسه الخ) ان قلت مذهب أهل الحق ثبوت حقائق الاشياء خلافا للسوفسطائية قلت لاشك فى ذلك فبطلانها من حيث هى وثبوتها من حيث هو فافهم (قوله فاذا فنى عن الاحوال) أقول يرشد كلامه نفعنا الله بعلومه الى الفرق بين الفناء عن النفس وبين الفناء عن النفس والخلق مما بأن الاول عدم محض بما فيه وجود شئ عن النفس من الاحوال وغيرها والثانى غفلة عن شهودها فقط مع تحقق النفس والخلق فى ذاتهما (قوله فنفسه موجودة الخ) اى فالمراد بذلك الفناء انما هو العلمى لا اندراس الاعيان فيه وذلك باعتبار مشاهد بعض العارفين وأما بالنسبة لبعض الآخر فلا مانع من حل

(و) لهذا (قد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه مما حصل عنده) من الهيبة والتعظيم والاجلال له (وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه على من عنده من أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر) اى المحتشم (وهيئة نفسه) وما قاله (لم يمكنه الاخبار عن شئ) ٦٥ من ذلك لغفلته عنه (قال الله تعالى)

فى حق النسوة اللاتى قطعن أيديهن فى يوسف عليه السلام (فلما رأينه أكبرنه) اى أعظمنه (وقطعن أيديهن) بالسكاكين حيث (لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة) اى البغتة (ألم قطع الايدى وهن أضعف الناس) عن تحمله (وقلن ما هذا بشرا) ولقد كان بشرا (وقلن ان هذا الا ملك كريم) لما حواه من الحسن الذى لا يكون عادة فى البشر (ولم يكن ملكا فهذا تغافل) اى غفلة (مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق) آخر منازعته بيسير من الكمال والجمال (فما ظنك بمن تكاشف) بفتح الشين (بشهود الحق سبحانه) المنزه عن الاشباه والامثال المنفرد بصفات الكمال والجلال (فلو تغافل) أى غفل (عن احساسه بنفسه وأبناء جنسه فأى اعجوبة فيه) اذا تقرر ذلك (فمن فنى عن جهله بقى بعلمه ومن فنى عن شهوته بقى بانابته ومن فنى عن رغبته بقى بزهادته ومن فنى عن منيته) أى طلبته (بقى بارادته تعالى وكذلك القول فى جميع صفاته فاذا فنى العبد عن صفته بما جرى ذكره)

٩ بج نى من الصفات الجليلة (يرتقى عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه) لانه اذا فنى عن الاغيار فتارة يكون ذاكرا لفنائه وتارة يقوى شهوده وشغله عن استغرق فيه حتى لا يحس بفنائه لعدم ذكره أحوال نفسه وهذا الفناء الفناء فانه فناء عن فنائه (والى هذا) مع زيادة (أشار قائلهم) بقوله

الفناء على حقيقته باعتبار الاعيان وان كان قد يحدثونه انواع الانسان (قوله ولهذا قد ترى الرجل الخ) هذا مثال يضرب باقيا لامثال الناس اى فالعبد فى اول أمره يرى حقا وخلقا وشاهدا ومشهودا وعابدا ومعبودا فاذا الحق تعالى منح وفتح ولطف وعطف وكشف الغطاء وأبدى العطاء يرى العبد فردا أحدا ظاهرا بالهيبة فى جميع المظاهر ويعاينه هو الاول والآخر هو الحق المعبود فى مقام الفرق وهو الشاهد المشهود فى مقام الجمع فاذكره المؤلف من تمثيل الغائب بالحاضر لاجل التقريب للعقول القاصرة اى فاذا جاز بل وقع مثل ذلك مع من لا يضر ولا ينفع فى ذاته فوقوعه مع الحق تعالى أحرى (قوله قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الخ) لما أثبت الفناء فى شهود الحق أولا بالدليل العقلى حيث قال ولهذا قد ترى الخ أكد ذلك بالدليل السمعى حيث قال قال الله تعالى الخ فتحصل ان ذلك جائز بل واقع بالنسبة للحادث فيكون جوازه ووقوعه بالنسبة للقديم تعالى من باب أولى لظهور ضعف قوة الحادث ضرورة عن تحمل تجليات القديم بل لو قيل بذهاب عينه فضلا عن شعوره فى مثل هذه الاحوال لم يكن بعيدا فى نظر العقل (قوله أكبرنه الخ) اى وبذلك قد زال منهن الاحساس لقوة ما صادفهن من باهر جماله وكماله فضعفت قواهن عن التحمل فقطعن أيديهن ولم يشعرن بالالم لتمام الدهشة بما فجأهن وأنكرن انه بشر مع تحقق بشريته فى الظاهر ونفس الامر (قوله بيسير من الكمال والجمال) أى بالنسبة الى الحق بل وبالنسبة الى أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم (قوله فما ظنك الخ) أقول وأكمل من هذا من شرب بحر الحقيقة وعزوجا بماء الشريعة فكان صحوه حافظا له عن تعدى حده كما قيل

ومن فهم الاشارة فليصنها * والا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة اذ تبدت * لشمس الحقيقة بالتدانى
فقال أنا أنا الحق الذى لا * يغير ذاته مر الزمان

وذلك لان مثل من ذكرناه يعطى كل ذى حق حقه (قوله بمن تكاشف) أى بمن أزيلت عنه الحجب بواسطة سابق عناية الحق به تعالى (قوله فمن فنى عن جهله الخ) المراد ان كل من فنى عن شئ فقد تحقق بضده (قوله فاذا فنى العبد عن صفته) أى عن كل صفة له بمقتضى الطبع فصفة مفرد مضاف يعم جميع الصفات البشرية (قوله فتارة يكون ذاكرا لفنائه) وذلك لوجود بعض احساسه كما يكون فى مقام الجمع وقوله وتارة يقوى شهوده الخ أى كما فى حالة مقام جمع الجمع فبغلبة أنوار مشاهدة حقيقة

(وقوم تاه فى ارض بقفر) لما أصابوه فى الفلوات والصحارى (وقوم تاه فى ميدان حبه) حتى شغلهم ذلك عن أنفسهم (فأفنوا ثم افنوا ثم افنوا وابقوا بالبقا من) أجل (قرب ربه) أفرد ضمير القوم تارة باعتبار لفظه وجمعه أخرى باعتبار معناه (فالاول فناؤه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم) أى والثانى وهو أعلى من الاول كما أشار اليه بثم (فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق ثم) أى والثالث وهو أعظم من الاول والثانى كما أشار اليه بثم (فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه فى وجود الحق) جعل الفناء والبقاء على ثلاث درجات فناء العبد عن صفات نفسه من اعماله واخلاقه وأحواله ببقائه مشاهد الصفات ربه فاذا اشتغل بكمال الذات المنزهة عن الجهات فنى عن ذكر الصفات وبقى ذاكر الفنائه عن الصفات فاذا اشتغل بالذات فنى عن فنائه وبقى ذاكر الذات وهذا فناء الفناء

* ومن ذلك (الغيبة والحضور) * ويعبر عنه بالشهود (فالغيبة غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه) بما هو اهم عنده مما هو فيه (ثم قد يغيب القلب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد) ورد عليه (من تذكر ثواب أو تفكر عقاب) أو شوق لمحبوب فيستغرق قلبه فيه حتى لا يلتفت لما سواه ولا يحس بمن حضره فيكلم فلا يسمع ويمر به فلا يشعر (كما روى ان الربيع بن خثيم رحمه الله كان يذهب الى ابن مسعود رضى الله عنه فمر بحانوت حداد فرأى الحديدة المحماة فى الكير ويقال

الدقائق تحصل الغيبة الكلية عن سائر المكونات الخلقية (قوله وقوم تاه فى أرض الخ) أى هيموا بحبه فى حالة التخلى عن الخلق فى الفلوات والصحارى وقوم تاه فى ميدان حبه أى باستهلاكهم وانمحاقهم فى حبه العظيم الذى لا تقاومه قدرهم وطاقاتهم فهم فى هذه الاحوال فانون عن الخلق وعن أنفسهم وان خالطوا غيرهم فى المكان لعدم الانفراد عنهم وقوله فافنوا الخ يريد الاشارة الى درجات الفناء كما أوضحه (قوله وقوم تاه الخ) أى وله الاشارة أيضا بقول بعض المحبين

ويشرب ثم يسقيها الندامى * فلا تلهيه كاس عن نديم
له مع سكرة أيده صاح * ونشوة شارب وندى كريم

وقال آخر

ويشرب لا تلهيه سكرته * عن النديم ولا يلهو عن الكاس
أطاعه سكره حتى تحكم فى * حال الصحاة وذا من أعجب الناس

(رقيقه) رؤية الخلق بدون الحق نقص وحجاب ورؤية الحق بدون الخلق فليست بكل الصواب ورؤية الحق والخلق كمال الحكمة وفصل الخطاب *(الغيبة والحضور)* هما مقامان عظيمان يلزم الاول الجمع والثانى التفرق المشار اليهما بقوله جل جلاله اياك نعبد واياك نستعين الاول فرق والثانى جمع فالحضور فيه نوع من الوجود ومن لازمه التفرقة بحكم العقل والغيبة لا احساس فيها فلا حكم للعقل فى اوطانها فالجمع مشهود فى ناديها فاذا تفرق اللب من العبد تعقل الكثرة ملتزما العبودية وشهود صفات الربوبية وذلك فى اياك نعبد واذا اجتمع اللب واصطلم واحترق فى سواطع أنوار التجلى الذاتى فنى عن الاحساس وذلك فى اياك نستعين فتأمل والله الموفق (قوله غيبة القلب عن علم الخ) أى فهى تحصل بما غلب على القلب من تجليات الحق تارة بالخوف وتارة بالجلال وتارة بالجمال الى غير ذلك من أنواع التجليات والواردات الالهية على حسب تهيئ واستعداد الانسان فيضعف قوته عن مشاهدها فيستهلك فيها عن الالتفات الى غيرها ويدل لذلك ان سيد كمل المرسلين ومختار رب العالمين أصيح ليلة الاسراء يدعو قومه بدون تأثر بظاهر مما شاهده من عجائب لطف الله تعالى بخلاف سيدنا الكليم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فانه تبرقع شهرا لما وقع له من التأثر بالتكليم فتدبر حكمة الحكيم العليم تفهم سر فرق القامين ورفعة درجة أحد السيدين (قوله لاشتغال الحس بما ورد عليه) أى وذلك لان الوارد قد يأتى من رب قهار على بساط القهر فكل شئ يصادفه لا يمكنه ثبات معه فلا بقاء لرسوم الخلق مع ظهور آثار الحق لانه اذا قورن الحادث والقديم تلاشى الحادث وبقى المولى القديم (قوله ثم قد يغيب القلب الخ) أى القلب المقدس عن دنس البشرية الذى يقال له مستوى الاسم الاعظم والبيت المحرم

فغشي عليه) لتذكره خروج المذنبين من النار أو عند حالهم فيها (ولم يفق الى الغد) مع انه ينادي كل صلاة يا ربيع يا ربيع فلا يسمع ولا يعقل لغلبة حاله واستغراقه في خوفه فهو حاضر بقلبه مع المخوف غائب عن كل مألوف (فلما أفاق سئل عن ذلك فقال تذكرت كون أهل النار في النار فهذه غيبة زادت على حدها حتى صارت غشية وروي عن علي بن الحسين) رضي الله عنه (انه كان في سجوده فوقع حريق في داره) ووقعت حركة وضجة عظيمة لذلك على العادة ٦٧ (فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال الهتني النار الكبرى عن هذه النار) باعتبار ما ورد عليه من الآيات التي فيها ذكر النار فغاب عما جرى من الحريق (وربما تكون الغيبة) من العبد (عن احساسه) بنفسه وغيره لاشتغاله (بمعنى) أي بوارد (مكاشف به من) قبل (الحق سبحانه ثم انهم) أي من يرد عليهم الوارد (يختلفون في ذلك على حسب أحوالهم) فقد يكون الوارد وارد تعظيم واجلال وقد يكون وارد اعطاء وافضال وقد يكون وارد استصغار نفس وعمل واستقلال وقد يكون وارد بسط وادلال وقد يكون وارد عزة فيورث ذبولا واضمحلالا (ومن المشهور ان ابتداء حال أبي حفص النيسابوري الحداد) أي السبب (في تركه الحرفة انه كان على بعض في حانوته فقرأ قارئ آية من القرآن فورد على قلب أبي حفص وارد) وجد به وجدا بحسب ما فتح الله به واستغرق فيه حتى (تغافل) أي غفل به (عن احساسه فادخل يده في النار واخرج الحديدة المحماة بيده فرأى تلميذه ذلك فقال يا أستاذ ما هذا فنظر أبو حفص الى ما ظهر عليه) من الكرامة (فترك الحرفة وقام من حانوته) خشية الفتنة قال الربيع بن خيثم كان وارده الخوف من النار وهذا كان وارده يشغله عن الخوف من النار (وكان الجنيد قاعدا وعنده امرأته فدخل عليه الشبلي فأرادت امرأته أن تستتر) من الشبلي (فقال لها الجنيد لا خبر للشبلي منك) أي لا علم له بك (فاقعدي فلم يزل يكلمه الجنيد) بالعلم ويحدثه في حاله (حتى بكى الشبلي) بعد ان سرى عنه

و يقال له أيضا البرزخ لا ... ين لا يقال ذلك الا لقلب الانسان الكامل المقول فيه ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن واعلم انه قد افصح صاحب الحكم عن هذا الرمز حيث قال ان كنت بعين القلب تنظر الى ان الله تعالى واحد في منته فالشريعة تقتضي انه لا بد من شكر خليقته وان الناس في ذلك على ثلاثة أقسام غافل منهمك في غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي وصاحب الحقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره واكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه عن بقائه يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه الى آخر ما قال رضي الله عنه (قوله فغشي عليه) الذي يظهر من باقي كلامه انهم اغشيتهم خوف منعت احساسهم لقوتها فصارت كالغماء بسبب قوة ما صادفه من مظاهر جلال الحق تعالى والخوف منه (قوله وربما تكون الغيبة الخ) لا يغاير ما قبله بل هو أعم منه اذ ما يكاشف به العبد من الواردات كثيرة أنواعه فكل عبد يكاشف بما يليق بحاله من وارد دواء أو شفاء أو ترق الى حال أو وصول الى مقام وذلك على حسب التقدير الازلي والحكمة الباهرة في تصاريف الحق سبحانه وتعالى (قوله ثم انهم يختلفون) أي بحسب قوة المجاهدة لان بها وعلى حسبها تكون المشاهدة وذلك بشهادة خبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ولذا نقل عن السيد الشريف أبي الحسن المغربي الحسني انه قال كنز خفي تحت جدارك وانت تطلبه من بيت جارك فافهم (قوله فقد يكون الوارد الخ) مراده ان الوارد يتنوع فقد يكون من تجلي الجلال وقد يكون من بساط الجود والجمال (قوله خشية الفتنة) يحتمل ان المراد افتتانه بالشهرة بين الخلق بالكرامة فقد يستر الحاله وغيرة على أسراره ويحتمل ان المراد بها افتتان الغير به بوقوفه مع غير ربه (قوله قال الربيع الخ) أقول صاحب الذوق الاول من الكاملين والثاني في مدارج المقربين (قوله لا خبر للشبلي منك)

(فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته استتري فقد أفاق الشبلي من غيبته) وهذا من الواردات المشغلة عن الوقوع في المحذورات فيكون العبد في هذه الحالة غير مؤاخذ بما يجري عليه ويحفظه الحق فيها عن الوقوع في شيء من المحرمات (سمعت أبا نصر المؤذن) بنسا (وكان رجلا صالحا قال كنت بنسا اقرأ القرآن في مجلس الاستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله بنسا وقت هنالك وكان يتكلم في الحج كثيرا فأثر في قلبي كلامه وخرجت الى الحج تلك السنة وتركت الحانوت والحرفة وكان الاستاذ أبو علي رحمه الله خرج الى الحج أيضا في تلك السنة وكنت في مدة كونه بنسا أخدمه وأواظب على القراءة في مجلسه قرأيته يوما في البادية) قد مضى لقضاء حاجته فيها (ثم نسي وتطهر) ٦٨ بسبب وارد ورد عليه اشغله بالله (قمقمة) فيها ماء (كانت بيده حملتها فلما عاد الى رحله وضعتها عنده فقال جزاك الله خيرا حيث حملت هذا ثم نظر الي طويلا كأنه لم يرني قط وقال رأيتك مرة من أنت) فتألمت لذلك (فقلت المستغاث بالله قد صحبتك مدة وخرجت من مسكني ومالي بسببك وتقطعت) وفي نسخة وانقطعت (في المفازة والاستاذ بك) أي بسببك و(أنت الساعة تقول رأيتك مرة من أنت) وهذا اما لكثرة ورود الاسوال عليه حتى لا يتفرغ لملاحظة من يصحبه أو لحال عظيم ورد عليه في هذا الوقت شغله عن احساسه والنظار لما يعهده ويعرفه من جلسائه وأصحابه ومن يخدمه (وأما الحضور فقد يكون) من قام به (حاضرا بالحق لانه اذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى انه يكون كأنه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه فعلى حسب) أي قدر (غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق فان غاب) عن الخلق (بالكلية كان الحضور بالحق على حسب الغيبة) فيكون حاضرا معه بالكلية (فاذا قيل فلان حاضر) مع ربه (فمعناه انه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ساه) بل (مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا) بفتح الشين (في حضوره على حسب رتبته) وفي نسخة مرتبته (بمعان يخصه الحق سبحانه بها وقد يقال لرجوع العبد) الى ما كان فيه (من احساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق انه حضر) أي رجع (عن غيبته) أي يقال الحضور للرجوع المذكور (فهذا يكون حضورا بخلق والاول حضورا بحق)

أي لما غلب على قلبه من سواطع أنوار الحقيقة وقوله بعد فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الخ أي لعوده للصحو الاكمل الذي يتحقق به ان الله واحد في منته غير انه يعطي الحكمة حقها بالقيام بشكر الخليقة اذ هم مظاهر المنة فلهم مجازا الشكر وله تعالى حقيقته وحقيقة المنة وانما كان شكر الخلق مجازيا لانه رسم مأمور به ولولا الامر به لما صح لاحد عمل فيه (قوله فلما أخذ) أي شرع الشبلي في البكاء أي بواسطة عوده الى الاحساس فوقع له التأثر بما ورد عليه بعد ان كان مشتغلا بغلبة أنوار الحقيقة والله أعلم (قوله وهذا من الواردات الخ) مراده بذلك دفع ما يقال كيف نظر الشبلي الى امرأة الجنيد وهي أجنبية منه (قوله وقت هنالك) لعله وقت كونه هنالك (قوله ثم نسي وتطهر) لعله [2] ثم تطهر ونسي قمقمة الخ (قوله واما الحضور الخ) المراد الاشارة الى ان الحضور قد يكون بالخلق وبالحق ويتحقق ما بالحق بالغيبة عن سائر الخلق ونهاية الغيبة الفناء عن الفناء وحينئذ فلا احساس لصاحبه الا بالحق اذ هو في هذا المقام بشرف الوجود مشتغلا بما به كان التجلي ويتحقق ما بالخلق بالرجوع الى ما كان عليه من الاحساس فالاول غائب حاضر بالنسبة الى شيئين الخلق والحق والثاني غائب حاضر بالنسبة الى شيء واحد في وقتين كالتخلق بالاخلاق الحميدة بالتوفيق والرجوع عنها الى الذميمة بالخذلان فالمتخلق غائب عن الذميمة في الحالة الاولى حاضر معها في الحالة الثانية (قوله واما الحضور الخ) نقول من هذا المقام قول الصديق الاكبر لعائشة رضي الله عنهما حين نزلت براءتها من حديث الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله فقالت والله لا اشكر الا الله حيث دلها على الاكمل بشهود من جرت النعمة على يده وانما كان ذلك أكمل لان فيه قياما بحق الحقيقة وحكمة الشريعة لاصل بعمارة الدارين قال في التنوير بعد ذكر الاسباب والقول الفصل في ذلك انه لا بد من الاسباب ووجودها من الغيبة عنها شهودا ثابتها من حيث أثبتها بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته (قوله كأنه حاضر الخ) لعله

[2] قوله ثم تطهر ونسي قمقمة هو هكذا بنسخ المتن المعتمدة ويدل عليه كلام الشارح

فالحاضر بالمعنى الاول غائب حاضر بالنسبة الى شيئين وبالمعنى الثانى غائب حاضر بالنسبة الى شئ واحد فى وقتين وذلك كمن كان يغيب عن الله تعالى عليه بالاشتغال بطرق محمودة كالحلم والعفو عمن يؤذيه فهو غائب عن اخلاقه المذمومة من الانتصار لنفسه والحقد على من يؤذيه حاضر مع اخلاقه المحمودة وقد يرجع الى اخلاقه المذمومة فيكون غائبا عنها وحاضرا فيها فى وقتين (وقد تختلف أحوالهم فى الغيبة فمنهم من لا تمتد غيبته) مع طولها أو قصرها (ومنهم من تدوم غيبته وقد حكى ان ذا النون المصرى بعث انسانا من اصحابه الى أبى يزيد) البسطامى (لينقل اليه صفة أبى يزيد) أى أحواله ولم يكن المبعوث يعرفه (فلما جاء الرجل) المبعوث (الى بسطام سأل عن دار أبى يزيد) فدل عليها (فدخل عليه فقال له أبو يزيد ما تريد فقال أريد أبا يزيد فقال) له (من أبو يزيد وأين أبو يزيد فانا فى طلب أبى يزيد) فيه دليل على كمال استغراقه فى أكثر أوقاته وهو يحب ان لو خفف عنه ما هو فيه ليرجع الى احساسه ويتمتع بالاتباع منه (فخرج الرجل) من عنده (وقال هذا مجنون فرجع الى ذى النون وأخبره) بذلك فعرف مقام أبى يزيد وانه مشغول عن نفسه بالكلية (فبكى ذو النون وقال أخى أبو يزيد ذهب فى الذاهبين) أى المشغولين بالله تعالى عن أنفسهم وسائر الخلق (الى الله تعالى) * ومن ذلك (الصحو والسكر * فالصحو رجوع الى الاحساس بعد الغيبة) بالسكر بخلاف الصحو قبلها (والسكر غيبة بوارد قوى) فالسكر أخص من الغيبة ثم لما تشابه ذكر فرقا آخر بينهما فقال

لعله أشار بالكناية الى التنزه عن المضرات الحسية واعلم أن الحضور هو الشهود بوجود الخلق مع الحق غير ان صاحبه سلوكه فى كل شئ بالتوحيد والرجوع الى الصانع الحكيم (قوله من لا تمتد) أى لا تدوم وذلك صادق بالطول والقصر ولذا قال مع طولها أو قصرها (قوله فقال من أبو يزيد الخ) فيه دليل على قوة سكره بخمر وصال قربه وغاية لذاته برفيع مراقباته بعد محق ناسوته وتنوير لاهوته فهو غائب عن نفسه ذاهل عن جنسه وبعود الممالك وغيبة عن الهالك (قوله الصحو والسكر) اعلم وفقنى الله واياك ان السائر والمسافر لا بد له من مقامات يقيم فيها ومواريد يردها حتى ينتهى الى مقصده فاذا وصل المقصد فهنالك يكون له أحوال وشؤن وتقلبات فكذلك السائر الى الله تعالى مع انه لا مسافة يقطعها ولا جهة يقصدها ولا مكان يتوجه اليه لاستحالة جميع ذلك فى حقه تعالى فحينئذ تعين ان المراد قطع مسافة النفس بالخروج عن أخلاقها الذميمة الى الحميدة فاذا وصل العبد الى ذلك ظهر له شؤن وتقلبات من مبادى المقامات ولذا قيل لولا مسافة النفس ما تحقق سير السائرين فهى الحجاب الاعظم بين العبد وربه فاذا زال هذا الحجاب انكشف لمعت أنوار المحبة وبدت اشارات الوصلة فيعتوره أحوال مثل الصحو تارة والسكر أخرى وهما حالتان شريفتان ووصفان عظيمان لا يكونان الا لمن كوشف عن الجمال وبشر بالوصال فهام بالمحبوب ووجد فى المطلوب واعلم ان الصحو لا يقال الا لمن سبق له سكر فغاب فى ميدان الذكر فان بقى له بعض احساس يقال له المتساكر والا بان غاب عليه الحال حتى غاب عن فكره يقال قد بلغ مرتبة السكر واعلم ان الصحو الذى هو فى مقابلة السكر حال من أحوال المحبين أو مقام من مقاماتهم بحسب اختلاف الاصطلاح فى التعبير عنه بالحال أو المقام ومأخذه من قوله جل شأنه فلما أفاق قال سبحانك ومن قوله جل وعلا حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وقال الهروى الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام البسط ولهذا قال العارف الكبير قدس الله سره

ولما انقضى صحوى تقاضيت وصلها * ولم يغشنى فى بسطها قبض خشية

فيكون تقدير كلامه ولما انقضى سكرى الذى تقدم له ذكره بصحوى حذفت الباء لضرورة الشعر ولا يسوغ على هذا ان يكون صحوى فاعل انقضى بل فاعله ضمير مستتر يعود على السكر المتقدم وانما قلنا ذلك لان الشيخ كان فى مقام الترقى وقد أسلفنا ان الصحو فوق السكر وهذا معلوم مشهور عند العارفين اذ هو مقام الانبياء والمرسلين وأكابر الاولياء والسكر مقام من دونهم (قوله فالسكر أخص) أى لانه لا يكون الا عن

والسكر زيادة على الغيبة من وجه وذلك ان صاحب السكر قد يكون مبسوطا) وذلك (اذا لم يكن مستوفى فى حال سكره) بان بقى فيه بقية الادراك للاشياء (وقد يسقط اخطار الاشياء عن قلبه فى حال سكره) فيكون مستوفى فيه (وتلك) أى الحالة الاولى (حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد) فيها (فيكون للاحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره) وهى الحالة الثانية التى استوفاها الوارد فيها (حتى يزيد على الغيبة فربما يكون صاحب السكر اشد) أى أقوى (غيبة من صاحب الغيبة) وذلك (اذا قوى سكره وربما يكون صاحب الغيبة أتم فى الغيبة من صاحب السكر (وذلك) اذا كان (متساكرا غير مستوفى) فى سكره فالسكر فوق الغيبة من وجه والغيبة فوق السكر من وجه وفصل السكر يلزمه الطرب بخلاف الغيبة ولو حذف ربما فى الموضعين كان أحسن وأخصر ثم اشار الى فرق آخر بينهما فقال (والغيبة قد تكون للعباد) والمبتدئين (عا يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة) بفتح الهاء (ومقتضيات الخوف والرجاء) بفتح الضاد (والسكر لا يكون الا لاصحاب المواجيد) وأهل المحبة (فاذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطرب الروح وهام القلب) وسقط التمييز بين ما يؤلمه وما يلذه لان التجليات الجمالية وشهود الصفات الكمالية اذا استولت على العبد بحيث لا يشهد سوى الحق قصر الاشياء بالنسبة اليه شيأ واحدا فلا يميز بين الاشياء لغلبة رؤية الحق عليه (وفى معناه) أى السكر الناشئ عن كشف الجمال (انشدوا فصحوك من لفظى) أى قولى (هو الوصل كله وسكرك من لحظى) أى من ملاحظة الجمال بشاهد (يبيح لك الشربا فما مل ساقيها) أى المشتغل بالالهام والكشف (وما مل شارب عقار لحاظ) أى شرب ملاحظة الجمال (كأسه يسكر اللبا) أى العقل فبين بذلك ان صحوه بما يشهده من حسن الجمال وان سكره بملاحظة الجلال والكمال وان ماسكر به هو ملاحظة ما شهده من صفات الجلال والكمال وشبهه بالعقار أى الخمر لانه مسكرة فالمراد بالشارب المتنعم بالالف (وانشدوا)

(قوله والسكر زيادة الخ) حاصله الفرق بين السكر والغيبة بان السكر تارة لا يقوى فيبقى مع نوع احساس للبسط ويسمى صاحبه المتساكر وتارة يقوى حتى يزول معه الاحساس أصلا فيكون صاحبه مستوفى وهذه الحالة أشد من الغيبة وهى أشد منه فى الحالة الاولى أى وهى ما يقال فيها لصاحبها المتساكر (قوله يلزمه الطرب) أى لبقاء بعض الاحساس الذى به يدرك الطرب (قوله ولو حذف ربما فى الموضعين كان أحسن) أى لانه أوهم خلاف المقرر من ان فى الحالتين باعتبار معناها (قوله والغيبة تكون للعباد الخ) المراد ان الغيبة تكون بحسب وارد الحق على قلب العبد المتقرب فسريان الكامل من العبيد يعطى كل ذى حق حقه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد الحجر على بطنه أظهارا للفقر والفاقة الى ربه واطعم الناس من الصاع اظهارا للغنى بربه وليحسن أشار نقطة دائرة وقته حيث قال

فنقطة عين الغين عن صحوى الغت * ونقطة عين العين صحوى الغت

فراده ان نقطة الغين الذى هو الحرف المعجم يعنى الحجاب النورى المشار اليه بخبر انه ليغان على قلبى فاستغفر الله عن صحوى من السكر الذى أوقعت منه بالحلول فى مقام الفرق الثانى الغت أى ذالت ونقطة عين بالمهملة أى العين الناظرة العين أى العيان أو الذات صحوى الغت أى أهملت بمعنى سامت ويجوز من الحجاب فلا أحجب بشئ من الاشياء وكيف لا وكل شئ أشاهد فيه محبوبى واعطى كل ذى حق حقه فاعطى الكون حقه والمكون حقه وكل ذلك به تعالى لابى والله أعلم (قوله والغيبة الخ) حاصله ان الغيبة دون السكر حيث هى من أحوال المبتدئين والسكر من مقامات المقربين ولا تغفل عما اقدمناه فى الفرق بينهما (قوله والسكر لا يكون الا لاصحاب المواجيد) أى الاكابر الذين لحق بهم مناقشة فى الطلب واجتهاد فى الحصول عليه (قوله فاذا كوشف بنعت الجمال) أى فاذا تجلى عليه الحق تعالى فجلاه من تجليات جماله وكماله بمشاهدة جمال الذى به تستحق له السكر بالنسبة عن غير شهوده وحصل الطرب لروحه فرحا والهيام لقلبه شوقا حتى لا يشعر بشئ سوى ما هو فيه (قوله وسقط التمييز) أى الذى هو مقتضى البشرية وسقوطه لكمال اشتغاله بما كوشف به من نعت الجمال كيف لا وقد جد الانسان مثل هذا أو قريبا منه فيما اذا تعلق قلبه بشئ دنيوى (قوله فصحوك من لفظى) أى من سماع نطقى والعمل بمقتضاه هو الوصل كله أى بواسطة اشتماله على

بشائر القرب لوجهة ألطاف الرب وقوله وسكرة أي غيبة عن الكائنات من لطف
أي من ملاحظتك اياي ومراقبتك لنعوت جمالي وتجليات صفاتي كالحي يحيي لك الشرب
أي يجعل لك الشرب صباحا وهو كناية عن دوام غيبته في لذة مناجاته وقوله فاملأ أي ساقيها
ساقيها أي الذي أنعم بها عليك وملأ أي سم شارب الوقت تتمة في الشرب من بحر
كرم افضاله وقوله عقار هو من أسماء الخمر ملحاظ أي خمرة ناشئة عن مشاهدة الكمال
ومراقبة الجلال والجمال يسكر اللبا أي يؤثر في العقل غيبة عما سوى مولاه وحاصله
وحاصل المراد أن من دامت عباداته وتوالت وارداته غلب على قلبه وعقله النور فكان
الاشبه بحال المخمور (قوله فأسكر القوم دور كأس الخ) أقول من كان من أهل الذوق
لا يحتاج الى زيادة الايضاح بل يكتفي بالتلويح على ما لاح ومن لم يكن من أهله لا يزداد
الا عمى كالازدياد الاعمى بنور الاصباح زيادة على نور المصباح فهو يشير فيما ذكره الى
مقامين عظيمين الثاني منهما أرقى من الاول فالاول الاستغراق في لذة آثار الافضال
والثاني الاستغراق في شهود ذي الجلال والكمال (قوله أي شربت الكاس الدائر)
أشار بذلك الى ان اضافة دور الكاس من اضافة الصفة للموصوف (قوله وكان
سكري من المدير) أي الذي هو الفاعل وهذا هو الاكمل له لم يقصد الأثر بخلافه
على الاول (قوله لي سكرتان) أي لذتان بالنعمة الواصلة الي وبمسديها وتابعتين الأثر
والمؤثر وقوله وللندمان أي باقي المحبين لذة واحدة حيث وقفوا مع الآثار واشتغلوا بها
عن المؤثر جريا على عادة البشرية (قوله لان النفوس الخ) الصلة مع المال نظر
اذ المال شبه النعم وسكرته بها والمحبة في محبة النعم ثم يقال يلزم من محبة النعم محبة المنعم
بها (قوله سكران الخ) أي غيبتان بذائق اللذات وسمى المشاهدات سكرا لانه
أي غيبة تحصل بتوجه القلب بالكلية الى ما نالهم من فيض الاحسان ومن الاشتغال حتى
فني في تلك الآثار وقوله وسكر مدامه أي غيبة طرب ولذة نشأت عن خمرة شهوده
مظاهر الجمال وتجلي تجليات الكمال وقوله فتى أي في أي وقت يفيق أي يصحو فتى
واحد السكرتين به سكران تدلنا على انه حق غاب بهما عن سائر الموجودات غيبة
المشاهدة والذوق على انه مادة الله (قوله واعلم ان الصحو الخ) أي بالنظر الى
لاجل أن يتوجه المخاطب بكليته الى ما يلقيه اليه بعدها والمراد ان الافاقة والرجوع
الى ما كان عليه العبد بحسب الغيبة في المشاهدة فمن غيبته بحق كان صحوه كذلك وقد
بين الشارح باقي أنواع السكر والصحو وأسباب ذلك (قوله فمن كان سكره بحق الخ) أي
بحيث يعطي صاحبه كل مقام حقه كما فعل الخواص [illegible] وذلك انه قام ليلة يصلي
فوثب عليه أسد فلم يعبأ به فلما كان من الغد سقطت عليه بقة فصاح منها فقيل له في ذلك
فقال البارحة كنت مأخوذا عني واليوم مردود الي ولله در من قال

اذا كان هذا دلالا [illegible] على كل الورى [illegible]

أي (فأسكر القوم دور كأس)
أي شرب الكاس الدائر
(وكان سكري من المدير) فيه تنبيه
أن سكره من الفاعل لا من
الفعل بخلاف غيره (وانشدوا)
أيضا (لي سكرتان وللندمان)
بضم النون جمع ندمان بفتحها
والنديم رفيق المنادمة (واحدة
شيء خصصت به من بينهم وحدي)
فيه ان له سكرتين سكرة بالنعم
ومحبته لها وسكرة بالجمال
والكمال من المنعم بذلك وغيره
من الندامى سكرة واحدة وهي
الاولى وهي كثيرة في المحبين لان
النفوس مجبولة على حب من
أحسن اليها والثانية قليلة فانها
من صفة العارفين (وانشدوا)
أيضا (سكران) بضم السين تثنية
سكر (سكر هوى) هو محبة النعم
التي نالها واستغرق فيها (وسكر
مدامة) وهي محبة الجمال
والكمال التي هو متشوق اليها
(أنى يفيق فتى به سكران) بالنسبة
الى من به سكر واحد (واعلم ان الصحو
على حسب السكر فمن كان سكره
بحق كان صحوه بحق) ومن كان
سكره فيه حظ كان صحوه فيه حظ
ومن كان سكره بحق كان صحوه
بحق والفرق بين الثلاثة

ان الاول بعون بلا سبب والثانى فى طلب والثالث استغراق فى الادب (ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ مصحوبا ومن كان محقا فى حاله) أى فى حال صحوه كما وجد فى نسخة كذلك (كان محفوظا فى حال سكره والسكر والصحو يشيران الى طرف من التفرقة) المقابلة للجمع (واذا ظهر من سلطان الحقيقة) وهى غلبة ذكر الحق على القلب (علم) أى علامة (فصفة العبد الثبور) أى الهلاك (والثبور وفى معناه أنشدوا اذا طلع الصباح نجم راح) أى لانا مخمور (تساوى فيه سكران وصاح) لتمكن السكر من السكران (قال الله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فهذا) أى موسى (مع رسالته وجلالة قدره خر صعقا) أى مغشيا عليه لهول ما رأى (وهذا) أى الجبل (مع صلابته وقوته صار دكا) أى مدكوكا مستويا بالارض (متكسرا والعبد فى حال سكره) كان (يشاهد الحال وفى حال صحوه) كان بشرطا أى (يشاهد العلم الا انه فى حال سكره (محفوظ) بالله (لا بتكلفه) باضطراب وغيره (وفى حال صحوه متحفظ بتصرفه) الحاصل بفعل الله واذا كان يشاهد الحال لزمه السكون تحت ما وهب له وان كان يشاهد العلم لزمه حسن العمل والادب (والصحو والسكر) انما يكون (بعد الذوق والشرب) وقد أخذ فى بيانهما فقال

* ومن ذلك (الذوق والشرب) * ومن جملة ما يجرى فى كلامهم الذوق والشرب ويعبرون بذلك عما يجدونه من

وان كنا بعدنا الينا * فعطل ذل لناذل اليهود

(قوله ان الاول) أى فى كلام المصنف بعون بلا سبب أى حاصل باعانة الحق تعالى من غير سبب يظهر لاحد (قوله والثانى) أى فى كلام الشارح فى طلب أى فى استدعاء مطلوب بشاهد المتابعة فهو من عمل التكليف والاخذ بالاسباب (قوله والثالث استغراق فى الادب) يظهر انه أعم مما قبله لعمومه للسبب ولغيره مما يحبه الرب تعالى (قوله ومن كان سكره بحظ الخ) يشير الى أن الصحو تابع للسكر فى ملابسة الحظوظ وقوله ومن كان محقا فى حاله أى متجردا عن حظوظه فى حال صحوه كان محفوظا عنها فى حال سكره (قوله والسكر والصحو الخ) مراده مايعم الانواع الثلاثة المتقدمة فى الصحو والسكر وقوله يشيران الى طرف من التفرقة أى باعتبار شهود آثار الاسماء والافعال فى أغلب الاحوال (قوله واذا ظهر من سلطان الحقيقة علم الخ) أى بواسطة شهود تجلى قهر وغلبة للمشاهد فحال العبد فى ذلك التجلى التلاشى بغلبة المقهورية عليه (قوله وفى معناه أنشدوا اذا طلع الصباح الخ) أقول معناه الظاهر قد أشار له الشارح اجمالا والمعنى المقصود منه ان العبد المقرب اذا بدت له بوادى تجليات العظمة والجلال والقهر فى حال استغراقه فى سلطان الحقيقة وشاهدها بواسطة غلبة أنوارها التى هى كالمصباح المزيل للظلام تحقق الاشياء على حقائقها فعلم بذلك انه لا فعل ولا وصف ولا وجود الا لله تعالى فعند ذلك يتلاشى عن سائر الكائنات وعن فنائه عنها وفى هذه الحالة يستوى السكران والصاحى فافهم (قوله اذا طلع الصباح نجم راح) أى اذا طلع فى القلب وانشق له نور فجر التجلى ولمعت لوامع شموسها بالتدانى والتدلى تساوى فيه سكران وصاح أى استويا فى الذهول والاغماق وتلاشيا الظهور مبادى التلاق ولا تغفل عما قدمه الشارح فى مثل هذا من أن الاولى عدم ذكره (قوله وخر موسى صعقا) أى فقد أشار به وبما قبله من دك الجبل الى انه لا فرق فى هذا التجلى بين ما هو كالجبل فى الثبات وبين الجبل الحقيقى وذلك بسبب قوة عظمة ما شوهد من ذلك التجلى (قوله والعبد فى حال سكره الخ) محصله بيان حالتى العبد سكرا وصحوا بان سكره بما شاهده من وارداته وصحوه وافاقته بشاهد العلم وهو فى الحالتين محفوظ بالحق مؤيد بالصدق (قوله بعد الذوق والشرب) أى وسببهما اخلاص العبادة ودوام المراقبة حتى يصل الى ذوق لذة ذلك بواسطة واردات الانوار ثم اذا تمكن فى هذا المقام وتوالت عليه هذه الواردات ترقى الى مقام الشرب بسبب قوة تلك اللذة ثم اذا تمكن فيما وصل اليه ترقى الى درجة الرى وبعدها لا يتشوق الى شئ آخر سوى ما هو فيه (قوله ويعبرون بذلك عما يجدونه الخ) أى كما يجد العارف من تكرر النظر فى اختلاف الآثار وتنوعها ودلالتها على معانى الاسماء لانه يرى لكل اسم نسبة ولكل نسبة وجوها ولكل وجه

متوجهات لانهاية لها وكما يجد تحقق الصفات وانها راجعة لاوصاف الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وذلك من جهة نظره في الاسماء اذ لا يخرج عن معناه اسم بمعناه وقصده وكما يجد الذات العلية بالنظر في الصفات السنية على معنى وجود الذات لا المعنى منها بل من حيث لزومها الوجودها لانه يستحيل قيام الوصف بنفسه أو بغيره فمعرفة الذات من وراء معرفة الصفات ومعرفة الصفات من وراء معرفة الاسماء ومعرفة الاسماء من وراء معرفة الصفات والآثار فافهم (قوله من ثمرات التجلي الخ) يشير بذلك الى انه وان كان ليس من كسب العبد ذلك لكنه يترتب عليه وينشأ عنه بفضل الله سبحانه وتعالى على طريق الموهبة والله اعلم (قوله ونتائج المكشوفات) هو وما بعده تفسير وبيان لقوله من ثمرات التجلي وتوضيحه ان العمل على طريق المتابعة يثمر اشراق النور في قلب العامل وبواسطة النور يتحقق الكشف وينشأ عنه نتائج وبوادر ترد على القلب المنور بنور الحق لا يناس وقوة اليقين كما اشار اليه بعد (قوله فصفاء معاملاتهم الخ) أى ويدل له خبر اذا أخلص العبد لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه أو كما ورد (قوله ووفاء منازلاتهم) أى استيفاء مقاماتهم التي نزلوها واقاموا فيها لانه اذا لم يستوف السالك ذلك لم يتهيأ الانتقال للاشرف مما هو فيه والله أعلم (قوله ودوام مواصلاتهم الخ) أى الذي لا يتم الا بعدم الوقوف معها بل انما يتحقق بالفناء عن جميع الاكوان والاحوال والمقامات (قوله متساكر) أى وهو من بقى فيه بقية شعور بما له من الاحوال وقوله وصاحب الشرب سكران أى لكونه قد غلب عليه السكر حتى لم يترك فيه بقية يستشعر بها شيأ من الاشياء فهو قد تم استغراقه فيما ناله والله أعلم (قوله وصاحب الري صاح) أى لكونه قد رجع الى ما به كماله من متابعة سيد الكمل صلى الله عليه وسلم وانما كان هذا أشرف لكونه في هذا المقام يعطي كل ذي حق حقه وذلك هو التخلق المحمدي (قوله السكر لارباب القلوب) أى ممن لم يصل الى مقام الروح التي هي اشرف من القلب لانه من عالم الخلق وهي من عالم الامر ولذلك كان الصحو للمكاشفين لكونهم أربابا أرواح الترقيهم عن مقامات أرباب القلوب (قوله ومن قوى حبه الخ) أى فمن وقعت له الافاقة والصحو من السكر وعاد الى الكمال يدوم له شرب مدام الوصال غير انه لتحققه بالحق لا يؤثر فيه السكر بالحق بل يكرع من شراب الاتصال مع الثبات في مدارج الكمال والله أعلم (قوله ولهذا قال الجنيد) أى وللاشارة الى ان من قوى حبه دام شربه ولم يتأثر به لبه كما قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أى فالمحب وان ظهر عليه السكون فقد يخفى طيران قلبه في شؤن الفنون وهيمان لبه فيما لا تحيط به الظنون (قوله انما الكاس رضاع بيننا الخ) أى حيث أشار الى ما يسكر من لذة الاذواق الواردة على قلوبهم التي لا تخفى عن شيء منها بالنسبة لكل محب مقرب فمن جذبه الحق من اطلاق

ثمرات التجلي ونتائج المكشوفات) وبواده الواردات) من بدهه الامر أى فجأه (وأول ذلك) ادرا كما يقال له (الذوق ثم) اذا تمكن فيه يقال له (الشرب ثم) اذا اتمكن فيه يقال له (الري) بفتح الراء وكسرها (فصفاء معاملاتهم) مع الله (يوجب لهم ذوق المعاني ووفاء منازلاتهم) وانتقالهم في أحوالهم (يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم) لمعاملاتهم ووفاء منازلاتهم (يقتضي لهم الري فصاحب الذوق متساكر وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح) قال السهروردي السكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين (ومن قوى حبه) لله (تسرمد شربه) أى دام (فاذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكرا) ولهذا قال الجنيد في هذه الحالة وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (فكان) من دامت به تلك الصفة (صاحيا بالحق فانيا عن كل حظ لم يتأثر بما يرد عليه ولا يتغير عما هو به ومن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ولم يبق بدونه) وفي نسخة دونه (وانشدوا في ذلك) (انما الكاس رضاع بيننا فاذا لم نذقها) اى كاس المحبة الدائرة بين المحب والمحبوب

يتجلى له بجلاله وعظمته وكبريائه بما تذهل بواسطته العقول الكاملة ولابد في ذلك
بالكسب فيوجب له ذلك التجلي هيبة وأنسا ثم يرده الى شهود صفاته حتى يجري معناها
على قلبه فيحصل له فرق في عين الجمع وذلك موطن العلم والمعرفة التفصيلية ثم يرده الى
أسمائه وذلك حقيقة المعرفة بالصفات فيسرى له التفصيل في المعاني ثم يرده الى شهود
الآثار فيسرى له من كل اسم ظهور نسبة في الوجود فينظر الخلق بما أبدى عليهم الحق
فيدخل الشريعة من عين الحقيقة (قوله انما الكاس رضاع بيننا الخ) اى فمن اعتاد
شرب خمر الكاس صار كالرضيع الذي لا فرق له من شرب لبن الرضاع فمن ثبتت له المحبة
الالهية يدوم عليها ولا ينفك عنها دوام زمانه وقوله فاذا لم نذقها لم نعش اى اذا ابعد من
اعتاد شرب خمر المحبة من الشرب لم يثبت عيشه اى معيشته والله أعلم (قوله شربت
الحب الخ) اى فهو يدوم في العلل والنهل في الشرب لكاسات المحبة ومع ذلك لا تنطفئ
نيران أشواقه الى محبوبه فلا يفيق لثبوت نهمته مع عدم نهاية كمالاته تعالى فلا الاشواق
تنتهي ولا كمالات الحق تنفد (قوله كاسا بعد كاس) يريد انه شرب كثيرا كما يرشد اليه
قوله فما نفد الشراب ولا رويت (قوله ههنا الخ) اى فمن ذاق لذة المحبة مع دوام
استغراقه في محبوبه فلا يفيق الى غير ذلك وبهذا فارق ما وصل اليه أبو يزيد من
كمالات المحبة والتمكن فيها (قوله اذ ههنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر الخ)
أقول وذلك واضح لان المحبة تزيد وتربو بالاحسان من المحسن وحيث فضل الله
تعالى واسع ونزاهته ملأى وكمالاته لا تتناهى فالمحب يكون حينئذ دائم الشوق
الى ما يشاهده ويؤمله من زائد احسان ربه ويرشد الى ما ذكرناه خبر لا يمل الله حتى تملوا
فتدبر (قوله واعلم ان كاسات القرب الخ) الغرض الاشارة الى منازل الابرار ورتب
المقربين ممن جد في المتابعات واجتهد في الرياضات ووفق لاخلاص المقاصد والنيات
حتى قوي يقينه وصار ومد نصب عينه الحق لا تظهر من علم الغيب الاعلى من تخلص
من كل عيب من ذوي الاسرار المتقية من جميع الاكدار والارواح المحررة عن رق
الاشباح وذلك بالتجرد عن الحظوظ والشهوات والنزاهة عن الدنيء من العادات
عن لا يشهد غير الحق ولا يفوه الا بالصدق ان غاب فبالموجود وان حضر فبالمقصود وان
قال فبالمكاشفات وان فعل فبالمتابعات وان رضي فبالله وان غضب فلله فيكون خلقه
المحمدي وظاهره وباطنه الاحمدي (قوله واعلم أن كاسات القرب الخ) اى فهو يشير
بذلك الى أن ما أسكر من لذة القرب شراب مخصوص بأهل الخصوص وذلك مثل حال
أهل الجذب في الله عن عتقت أسرارهم عن رق الشهوات وتحررت أرواحهم عن رق
العادات لا لاهل السالكين من أصحاب الصحو اذ بداية المجذوب نهاية السالك لانه قد
أخذ عن نفسه الى حضرة الحق لا بترتيب ولا تدريج بخلاف السالك مع ان كلا منهما له
حظ مما لصاحبه وانما اختلف الساط فقط فكل مجذوب سالك ولولا ذلك لكان زنديقا

وكل

(لم نعش) فالحق تعالى يوالي عليهم
احوال المحبة كلما توالت عليهم
طاشوا في طلبها وعاشوا بشربها
(وانشدوا) فيه أيضا
(عجبت لمن يقول ذكرت ربي
فهل أنسى فاذكر ما نسيت
شربت الحب كاسا بعد كاس
فما نفد) اى فنى (الشراب ولا
رويت ويقال) في ذلك (كتب
يحيى بن معاذ الى أبي يزيد البسطامي
ههنا) اى في هذا المقام (من
شرب كاسا من المحبة لم يظمأ بعده)
لدوام تعلق قلبه بمحبوبه لما وهب
من مقام المحبة (فكتب اليه ابو
يزيد عجبت من ضعف حالك
اذ) ههنا من يحتسي بحار الكون
وهو فاغر) اى فاتح (فاه يستزيد)
من كمال المحبة فان من تمكن فيها
قل سكره وقوي على حمل ما يرد
عليه من أعبائها لكمال تمكنه
في مقامه (واعلم أن كاسات
القرب) اى مواهب الحق لمن قربه

(تبدو من الغيب ولا تدار الا على أسرار مختفية وأرواح من رق الاشباح محررة) اى لا ترد الا على أرباب القلوب الزاهدة في الدنيا المتقية عن رق الشهوات المحررة عن التعلق بالعادات الجارية في عموم الاوقات
(ومن ذلك المحو والاثبات فالمحو رفع أوصاف العادة) بغيرها (والاثبات اقامة أحكام العبادة فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة وأتى بدلها بالافعال والاحوال الحميدة فهو صاحب محو واثبات) فمحو الجهل يحصل باثبات العلم ومحو الكسل يحصل بملازمة العمل وهكذا القول في سائر ما يمحى ويثبت في القلوب والجوارح من الصفات (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول قال بعض المشايخ لواحد) من تلامذته (ايش) اى أى شئ (تمحو وايش) اى وأى شئ (تثبت) سأله عن حاله في وقته ليعرف مقامه الذى هو فيه (فسكت الرجل فقال) له (أما علمت ان الوقت محو واثبات اذ من لا محو له ولا اثبات فهو معطل) بفتح الطاء (مهمل) أى لما سكت على ما ينبغى له الاشتغال به في وقته حيث عرف ان العبد متى لم يكن مشتغلا بازالة الصفات الذمية باثبات أضدادها من الصفات الحميدة فهو معطل مهمل (وينقسم) المحو انقساما آخر أعلى مما مر من محو العادة (الى محو الزلة عن الظواهر) اى الابدان (ومحو الغفلة عن الضمائر) اى القلوب (ومحو العلة عن السرائر ففى محو الزلة اثبات المعاملات) مع الله تعالى (وفى محو الغفلة اثبات المنازلات) من المقامات (وفى محو العلة) وهى المشغلة عن الله تعالى (اثبات المواصلات) به تعالى (هذا) المذكور (محو واثبات بشرط العبودية) اى بالاضافة الى العبد (واما) وفى نسخة فاما (حقيقة المحو والاثبات) وهى التى من جهة الحق تعالى (فصادران) الاولى فصادرة (عن القدرة) الالهية (فالمحو ما ستره الحق) تعالى (ونفاه) عن العبد

وكل سالك مجذوب اذ لولا عناية الله ما أخذ في السلوك قال تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (قوله تبدو من الغيب الخ) اى فهى مواهب الهية على حسب سابق العناية الازلية (قوله المحو والاثبات) محصله ان كلا منهما يقال على تبديل الذميم من الاخلاق بالحميد منها بحسب ما اقتضته رعاية المتابعة للطريقة المحمدية والسنة المصطفوية وقد قدمنا ان المحو أنواع فارجع اليه ان شئت وسيأتى للشارح (قوله فمن نفى عن أحواله الخ) محصله انه أنواع بعضها من الكمال وباقيها من الاكمل وكل منها لا يتم الا لمن قويت متابعته لسيد المرسلين وامام النبيين والعارفين من المحققين بجميع الاحوال والمقامات لا يترتب الا على اخلاص العبادات بعد ايقاعها على سنن المتابعات (قوله فقال أما علمت الخ) أقول ما ذكره نفعنا الله ببركاته شامل لجميع أنواع المحو والاثبات الذى هو بالنسبة للعوام والخواص وخواص الخواص (قوله فهو معطل مهمل) اى حيث فوت على نفسه ما به يكون الشرف بل قد يكون تعرض الى مهاوى المهالك وأسباب التلف (قوله وينقسم الخ) محصله ان المحو والاثبات قد يعتبر من جهة العبد وقد يلاحظ من حيث فعل الرب أما الاول فأقسام ثلاثة محو المخالفات الظاهرة والباطنة برعاية المتابعات ومحو الغفلات بنفى الحظوظ والمألوفات بدوام المراقبات ومحو العلل المشغلات بتحقق دوام المواصلات وأما الثانى فهو ما نزه الحق عبده عنه ونفاه بما أثبته له من المقامات والمكاشفات وذلك لا نهاية له الا انه بمشيئة الحق سبحانه وتعالى (قوله الى محو الزلة عن الظواهر) اى وذلك يتحقق بعدم ايقاع الجوارح الظاهرة فى شئ من الذنوب التى تكون بها كالغيبة والنميمة والنظر الى ما حرم الله النظر اليه واكل الحرام وشربه والزنا واللواط والسعى فيما لا يجوز فى الشريعة وغير ذلك من باقى ما يتعلق بها (قوله وفى محو الغفلة الخ) أى وهو يتحقق بدوام مراقبة الحق فى جميع الحركات والسكنات (قوله وفى محو الغفلة الخ) اى وهو لا يتحقق الا بتنقية الذات الباطنة كالحقد والحسد والكبر والعجب وغيرها ثم بعد ذلك يخلص القصد فى عبادته لله وحده (قوله فصادران عن القدرة) اى بحسب القسمة بالحكمة ولذا تجد بعض العبد و بين ما هنا فى تقلبه من الحقيقة الى الحكمة وتجد بعض السالكين صاعدا فى ترقيه من الاغيار الى الحقيقة وكل على كاله والله أعلم (قوله الاولى فصادرة) اى لان المحدث عنه حقيقة المحو والاثبات (قوله فالمحو ما ستره الحق تعالى ونفاه عن العبد)

اى ماستره ونفاه عنه من كل شاغل يشغله عن ربه والاثبات ما أثبته له من كل ما يدنيه الى قربه من رحمته (قوله قيل يمحو عن قلوب العارفين الخ) قصره عليهم للعناية والا فالتعميم أحق فى الرعاية أوهو باعتبار الشان والعادة الالهية (قوله وهو الحق لكل أحد الخ) اى فما يمنح الله به عبده وما يورده عليه من واردات احسانه هو على ما يليق بحال العبد بحسب سابق القسمة بالحكمة الباهرة واعلم ان المحو والاثبات بالنظر للآثار وذلك يختلف باعتبار الناظر فيها لانه اما أن يكون مجذوبا أو سالكا فالمعنى الذى دخل به المجذوب فى الآثار ليس هو المعنى الذى خرج عنه السالك به فهما بين داخل وخارج أبدا وقد يلتقيان فى المنازل فيكون المجذوب نازلا والسالك فى مشاهدتها صاعدا وكذلك حالهما فى الاسماء والصفات فيتفق علمهما ومنازلهما ويختلف بساطهما مع الاتفاق فى القصد فافهم (قوله على ما يليق بحاله) اى على حسب استعداده بمقتضى سابق القسمة والحكمة (قوله ومن محاه الحق الخ) حاصله ان من أراد الحق سبحانه وتعالى محقه ومحقه من سائر الكائنات أثبته اى حققه بحق حقه اى بجعل حاله الوجود بواسطة فنائه عن فنائه بحق الحقيقة اى بغلبة مشاهدة أنوار الحقيقة فيتم له الوجود بها ومن محاه عن هذا المقام الذى أثبته له الذى هو الوجود بالحقيقة ردّه منه الى شهود الاغيار باثباته فى أودية التفرقة فاذا كان العبد ممن سبق له الكمال يدوم فى التفرقة مشاهد الخلق بحالهم وللحق بحاله والا جازت غيبته عن الاغيار مرة أخرى بالثبوت فى مقامه الاول وهو الوجود بغلبة الحقيقة عليه (قوله فقال الشبلى لو كنت انا معه الخ) اعلم وفقنى الله واياك ان انوار السماء نجوم واقمار وشموس وانوار القلوب فهوم وعلوم ومعارف فكما أن افق السماء مواضع طلوع وظهور كذلك افق القلوب مواضع وجود فما يظهر فيه انوار القلوب وجود المعاملات وهى ايضا افق لما يبدو فيها من الثمرات وثمراتها افق لما يرجى من قبولها فالشبلى وغيره قد تكلم بحسب شربه وحظه من تلك الانوار رزقنا الله واياك حسن الاستبصار (قوله فقال الشبلى الخ) حاصله ابطال التبرى من القوة والحول باظهار حقيقة الفعل لمن له الطول (قوله كنت انا) اى وذلك لكونه فى أودية التفرقة وقوله ولكنى محو الخ اى وذلك لكونه فى حظائر الجمع (قوله ولما كان الحق مناسبا للمحو) اى مناسبا له من وجه لا من كل وجه فلا ينافى قوله بعد والحق فوق المحو (قوله والحق فوق المحو) اى ولابد للمحب الطالب من منازلتهما وقهر النفس على التخلق بهما ويشير الى ما ذكرناه قول ابن الفارض قدس الله سره

ومن يتحرّش بالجمال الى الردى * أرى نفسه من أنفس العيش ردّت
ونفس ترى فى الحب ان لا ترى عنا * متى ما تصدّت للصبابة صدّت
وما ظفرت بالحب روح مراحة * ولا بالولا نفس صفا العيش ودّت

وأين

(والاثبات ما أظهره الحق وأبداه والمحو والاثبات) من هذه الجهة (مقصوران على المشيئة) من الله تعالى ولا نهاية لهما (قال الله سبحانه و) تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قيل يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله) وجمهور المفسرين على ان المعنى يمحو ما يشاء ويثبت من الاحكام وغيرها فلا نهاية لذلك (وهو الحق لكل أحد واثباته) له يكون (على ما يليق بحاله ومن محاه الحق سبحانه) وتعالى (عن مشاهدة) اى مشاهدته لنفسه وأفعاله (أثبته بحق حقه ومن محاه الحق عن اثباته به) اى بحق حقه (ردّه الى شهود الاغيار وأثبته فى أودية التفرقة وقال رجل للشبلى رحمه الله مالى أراك قلقا) كالطالب غائبا (أليس هو) اى الحق (معك وأنت معه فقال الشبلى لو كنت أنا معه) بنفسى (كنت أنا) اى ثابتا مختارا لما أنا فيه (ولكنى محو فيما هو) يجريه على من أحكام القدرة بالتصرف فىّ كيف شاء كلمه السائل بأحكام العبودية وأجابه الشبلى بأحكام الربوبية ولما كان الحق مناسبا للمحو ذكره بقوله (والمحق فوق المحو لان المحو) فى العادة (يبقى أثرا والمحق لا يبقى اثرا) بل يزيل الشئ بالكلية (وغاية همة القوم) وطلبهم (ان يمحقهم الحق عن شاهدهم) اى مشاهدتهم

لانفسهم

وأين الصفا هيهات من عيش عاشق ﴿ وجنة عدن بالمكاره حفت

يعني من أراد شهود الجمال ردت نفسه الى الهلاك وذلت اذ تدلت من شوامخ الدلال وان اعتقدت أن لا ترى مشقة في قصدها صدت عن ورودها ولا يحصل الظفر بالمحبة لروح للراحة محبة ولا ينال الود والولاء من وقت نفسه صفاء العيش بالعافية من البلاء واستبعد الناظم الصفاء للعاشق في دار الاكدار والجنة محفوفة بالمكاره لخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقال ايضا الدنيا سجن المؤمن وقال لا راحة للعبد دون لقاء ربه الى غير ذلك من الاخبار وقد لوح الناظم لذلك أيضا في اللامية حيث قال

فان شئت أن تحيا سعيدا فمت به ﴿ شهيدا والا فالغرام له أهل

(قوله ثم لا يردهم اليهم) اى لا يردهم الى الاحساس وذلك لقوة لذة ما يجدونه في حال سكرهم ومحقهم (قوله الستر والتجلي) أقول هما من متعلقات قدرته تعالى وارادته فهما من الحدثات من تصاريف الحق تعالى (قوله كون البشرية حائلة) اى وذلك باعتبار وقوف العبد مع عاداته ومألوفاته وقوله فاذا ظهر النور الغيبي اى اذا أشرقت أنوار المعاملات على طريق المتابعات بواسطة خلوص النيات أزال ذلك حجاب البشرية اى كان سببا في ذلك (قوله ستره عن العبد حاله) اى لطفا به ليدوم على جده واجتهاده في معاملاته لاستقلال وقوفه واستحسانه ما يخصه ربه به لو كشف له ذلك (قوله زوال حجاب البشرية) اى سواء كان بكسب او موهبة باعتبار سابق القسمة (قوله وانصقال مرآة القلب) اى صفائها وجلائها بكثرة الذكر والفكر والاستغفار او بالموهبة في باطن الامر وان لم يظهر في بادئ الحس حتى يشهد ما يرد على السر من أنوار الواردات الالهية (قوله كشفه عن العبد حاله) اى حتى يذوق لذة المناجاة وما يخص من توالي الامدادات السرية (قوله ظهور الذات في حجب الاسماء الخ) اى بأن يشهد العبد ذاته تعالى من وراء حجب الاسماء والصفات بطريق التنزل منه سبحانه رحمة بالعبد ولطفا به من ربه (قوله القيام بمعاني الاسماء) اى التحقق بما اقتضتها سواء لاءم ما أولته أم لا وذلك لقيامه بحق عبوديته وقوله سقوط الارادة والاختيار اى تحققا بمقام التوكل والتفويض (قوله بأن يخفي الله عنهم أحوالهم) اى لطفا بهم كما تقدم ليدوموا على جدهم واجتهادهم في عباداتهم فقد أشار الى أن الحجاب والستر على معنى صرف الحق عبده عما يريد ستره عنه لا على معنى انه امر وجودي يحول بين العبد وربه اذ لو قيل بذلك لكانت الحجة في عين ما يدعي العبد انه حجاب ورحم الله الششتري حيث قال

مالحجاب وجودي ووجودكم ﴿ الاسر حروف انظار الى الحبل

فافهمه فانه لطيف (قوله فصاحب الستر وصفه شهوده) اى فيكون دائما متحققا بما من الله عليه به متنعما به وقوله وصاحب التجلي أبدا نعته خشوعه اى فيكون في دائم

(ثم لا يردهم اليهم بعد ما محقهم عنهم) ومتى ردهم اليهم لقيام حقه وربما فضله لم يكن ذلك نقصا بل هم في ذلك محل لجريان فعله لا شغل لهم بغيره (ومن ذلك الستر والتجلي) الستر من قبل العبد كون البشرية حائلة بين السر وشهود الغيب فاذا ظهر النور الغيبي أزال حجاب البشرية ومن قبل الحق ستره عن العبد حاله والتجلي من قبل العبد زوال حجاب البشرية وانصقال مرآة القلب عن صدا طبائع البشرية ومن قبل الحق كشفه عن العبد حاله وسئل بعضهم عن التجلي والتحلي والتخلي فقال التجلي ظهور الذات في حجب الاسماء والصفات تنزلا والتحلي القيام بمعاني الاسماء تعبدا وتخلقا والتخلي سقوط الارادة والاختيار اعتقادا وتوكلا (العوام) من الصوفية (في غطاء الستر) بأن يخفي الله عنهم أحوالهم (والخواص) منهم (في دوام التجلي) من الله لقلوبهم حتى يعبدوا الله كأنهم يرونه (وفي الخبر ان الله اذا تجلى لشئ خشع له) هيبة (فصاحب الستر وصفه شهوده وصاحب التجلي أبدا) كائن (نعته خشوعه والستر للعوام) اى ستر عيوبهم عنهم

(عقوبة) لهم وبلاء (واما ستر مالا حاجة لهم به من العلوم ولا قدرة لهم عليه عنهم لضعفهم عن ادراكه فرحمة لهم (و) الستر (للخواص) اى فستر ما يكاشفهم الله به عنهم (رحمة) لهم (اذ لولا انه يستر عليهم) بمعنى عنهم (ما يكاشفهم به) ويظهره عليهم (لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه كما يظهر لهم) ما يكاشفهم به اى عند ظهوره لهم (يستره) (عليهم) اما ستر ما اوجب لهم الغفلة عنهم فنقص فالستر والتجلي يختلفان باختلاف الاحوال وبما تقرر علم ان الستر على وجهين

ستر الله لعبده باخفاء حاله عن غيره وستره عليه عما يجوز ان يظهر له فان ستر عنه عيوبه كان ستره بلاء وان ستر عنه نظره الى اعماله واحسانه لاحواله كان ستره رحمة له (سمعت منصورا المغربي رحمه الله يقول راوي بعض الفقراء سماعا من اسماع الصوفية فاضافه شاب فبينا الشاب في خدمة هذا الفقير اذ غشي عليه فسأل الفقير عن حاله فقالوا) في جوابه (له بنت عم وقد علقها) اى تعلق قلبه بها (فتشوف عينها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشي عليه فمضى الفقير الى باب الخيمة وقال) لبنت عمه (ان للغريب) مثلي (فيكم حرمة وذماما) بمعنى الحرمة (وقد جئت مستشفعا اليك في امر هذا الشاب فتعطفي عليه فيما هو به من هواك) اى حبك (فقالت) له المرأة (سبحان الله انت سليم القلب انه لا يطيق شهود غبار ذيلي فكيف يطيق صحبتي) اشارة الى الستر الذي هو رحمة من الحق فمن لم يطق التجلي (وعوام هذه الطائفة عيشهم في التجلي وبلاؤهم في الستر) كما مر (واما الخواص فهم بين طيش وعيش لانهم اذا تجلى لهم) الحق (طاشوا واذا (قوله ستر عليهم ردوا الى الحظ) اى حظهم (فعاشوا وقيل انما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام وما تلك بيمينك ياموسى) الآية (ليستر عليه بعض ما دهمه) اى بلهيه (بعض ما اثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع) اشار بذلك الى ان الحق يلطف ببعض اوليائه و يؤنسهم قبل ان يفجأهم فلا يطيقون مواجهة فهذا الستر رحمة في حقهم

أو فاته شاهدها لا باطنا لانه هو انقض الحقيقة اذا بدت لعبد خشع لها وخنس وتلاشى متبرئا من نفسه ومالها (قوله عقوبة لهم و بلاء) اى لان من احبه الله تعالى بصره بعيوب نفسه ويشغله بها عن عيوب غيره وبعنايته به يعجل عقوبته بها في الدنيا ان لم يدركه عفوه واحسانه (قوله واما ستر مالا حاجة لهم به الخ) اى فالستر بالنسبة للعوام على قسمين فقد يكون عقوبة لهم و بلاء كما تقدم وقد يكون رحمة لهم كما هنا (قوله والستر للخواص الخ) محصله انه يكون رحمة وذلك بستر مالا طاقة لهم على شهوده من احوال الحقيقة مما لو بدا لهم منه شئ لتلاشوا عند سلطانه فالحق تعالى برحمته لهم يظهر لهم ما يطيقونه ويستر عنهم مالا يطيقونه فهذا الستر في حقهم دائما يكون رحمة (قوله اما ستر ما اوجب لهم الغفلة عنهم فنقص) اى فهو وان كان جائزا في حقهم غير انهم محفوظون منه (قوله يختلفان باختلاف الاحوال) اى وذلك بالشهود في الستر والخشوع في التجلي بالنسبة للعارفين وبالنسبة للعوام يكون نقصا وحجابا والحاصل ان الستر قد يكون نعمة ورحمة وقد يكون نقمة وذلك بالنسبة للعوام والخواص فاما ستر عيوب العوام عنهم فهو نقمة وعقوبة و بلاء واما ستر مالا حاجة لهم به ولا طاقة لهم عليه من العلوم والمعارف فهو لطف بهم ورحمة لهم واما الستر بالنسبة للخواص فيقال فيه أيضا ان ستر عنهم ما يكاشفهم به على معنى انه يستر عنهم كنه ما كوشفوا به لعدم طاقتهم عليه فهو رحمة ولطف ومنه ستر حالهم عن غيرهم غيرة عليهم واما ستر ما اوجب لهم الغفلة فنقص فانواع الستر خمسة اثنان للعوام وثلاثة للخواص والله أعلم (قوله يقول راوي بعض الفقراء الخ) في ذلك تنبيه على ان الستر قد يكون رحمة وذلك بالنسبة لمن لا يقوى على سطوع نور التجلي فانهم (قوله عيشهم) اى معيشتهم في التجلي اى بما يطيقونه فلا ينافي ما تقدم من ستر الرحمة (قوله و بلاؤهم في الستر) اى في ستره عنهم كما تقدم (قوله بين طيش وعيش) اى بين سكر ودهشة وصحو وافاقة (قوله لانهم اذا تجلى لهم الحق طاشوا) اى سكروا وغابوا في لذة ما ابداه ذلك التجلي لهم وقوله واذا ستر عليهم ردوا الى الحظ فعاشوا أى ردوا الى حظهم من المتابعة والعبودية على ظواهر الشرع فتلذذوا بعيشهم وداموا على مجاهدتهم في عبادة ربهم (قوله ليستر عليه الخ) اى فهو ستر رحمة لارجاعه به الى احساسه مما لحقه من دهشة التكليم وسماع كلام الحق سبحانه وتعالى

(وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان) اى يغطى (على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة والاستغفار طلب الستر) للذنب وشبهه (لان الغفر هو الستر ومنه غفر الثوب والمغفر وغيره فكانه أخبر انه يطلب الستر على قلبه عن سطوات الحقيقة اذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق وفى الخبر لو كشف) للعبد (عن وجهه) اى عن ذات الحق (لاحرقت سبحات وجهه) بضم السين والباء اى نوره وجلاله وعظمته (ما أدرك بصره) اى العبد أشار الى ان العبد لا يطيق رؤية الحق تعالى ولا كمال جلاله وانما يكشف لكل عبد من رؤيته فى الدنيا ما تقوى عليه بصيرته وفى الآخرة ما يدركه بصره لا على الوجه المعهود وليس المراد بقولهم المكاشفة والمشاهدة ونحوهما من الالفاظ معاينة الذات حقيقة فان ذلك لا يقع فى الدنيا ولا فى الآخرة على الوجه المعهود بل على وجه آخر لا يحيط به التصور فمن غير تعطيل ولا تكييف كان يكشف له عن صفات الجلال والجمال فان من غلب على قلبه أمر كثر تصوره له واخطاره بباله بحيث يصير كالمشاهد له واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فى تفسير الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه (ومن ذلك المحاضرة) والكشف (والمكاشفة والمشاهدة) والمعاينة وهما أكمل من المكاشفة لا بالعكس خلافا للغزالى والمكاشفة والكشف أكمل من المحاضرة كما أشار الى ذلك فى غير الكشف بقوله (المحاضرة) تكون (ابتداء) اى أول المراتب (ثم المكاشفة) وفى نسخة والمكاشفة بعده (ثم المشاهدة فالمحاضرة حضور القلب) مع الله تعالى بالبرهان (وقد يكون) حضوره (بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر) اى الحجاب (وان كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر) وبعدها الكشف وهو ازالة الستر الحسى واستشفاف الاسرار الالهية من وراء الحجب البشرية

(قوله انه ليغان الخ) اى باغيان الانوار القدسية التى توجب استغراقه بسبب غلبتها على قلبه وقوله حتى أستغفر الله الخ اى حتى يكثر طلب الاستغفار منى لاعود الى احساسى فأقوم بما أمرت به من الابلاغ والحاصل ان ما يستغرق فيه وما يرجع اليه بالستر الحاصل بالاستغفار مما يدوم له به الترقى الى المقامات الانفسية فهى أغيان أنوار لا أغيان أغيار فافهم (قوله لو كشف عن وجهه الخ) اى لو أزيل الحجاب عن العبد المانع له من رؤية الرب لأحرقت سبحات وجهه اى أنوار عظمته وجلاله وكماله تعالى ما أدرك بصره اى لانه لا يبقى الخلق مع الحق والحاصل ان رؤيته تعالى على حسب طاقة الرائى وهى بالبصر ممتنعة فى الدنيا الا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما لغيره فهى فيها بالبصيرة فقط واما فى الآخرة فهى بالبصر لعموم المؤمنين على ما يليق به تعالى وما يطيقونه بأن يخلق فيهم قوة رؤيته على ما يليق به والله أعلم (قوله أشار الى ان العبد الخ) محصله ان رؤية الله فى الدنيا بالبصيرة وفى الآخرة بالبصر لا تكون على المعهود من الاحاطة بالكنه ولوازمها بل تكون على ما يطيقه العبد وعلى ما يليق بجلال الرب (قوله كان يكشف له الخ) هو تصوير لما يكون فى هذه الدار بالنسبة لشاهدة بعض المقربين من المؤمنين (قوله كأنك تراه) اى حيث أشار بالكاف الى استحالة ما عهد للبشرية من علم الكنه كالمحسوسات مع الحصر للذات على مجرى العادات (قوله المحاضرة الخ) أقول هذه الالفاظ قد جرت على ألسنة الصوفية رضى الله تعالى عنهم والمراد بها على طريقتهم علوم ومعارف ربانية ترد على القلوب على حسب قوة الصدق والاخلاص فى العبادة وضعفه فيعبرون عنها بتلك الالفاظ بمقتضى اختلاف الوارد النور الى قوة وضعفا ونهاية الغرض انها باعتبار حال يقين العبد فلا تظن فيها ما تعورف من معانيها والله أعلم (قوله المحاضرة تكون ابتداء) اى لان المراد بها حضور القلب وقت الذكر واستحضار عظمة المذكور واحاطة علمه وذلك بواسطة قوة تواتر البرهان على القلب ومع ذلك يكون قلب الذاكر من وراء الحجاب لانه مستور عنه ما هو الارفع مما يكشف له كالمكاشفة وما بعدها (قوله وان كان حاضرا الخ) هذه الغاية نظرا لكونه فى حالة المحاضرة من وراء الستر فهو محجوب عن الاشرف ولو غلب عليه سلطان الذكر واستغرق فيه (قوله وهو ازالة الستر الحسى) يحتمل ان المراد بيان معنى مطلق الكشف بقطع النظر عن المقام ويحتمل ان يجعل حسيا باعتبار صدوره من حركات العبد وقوله واستشفاف الاسرار الالهية اى التشوف لبدوها من وراء الحجب البشرية لكونها متحققة فى هذا

(ثم بعده المكاشفة وهو حضوره) اى القلب (بنعت البيان) التام بالبرهان (غير مفتقر فى هذه الحالة الى تأمل الدليل وتطلب السبيل) اى الطريق (ولا مستجير) اى مستعيذ (من دواعى الريب ولا محجوب عن نعت الغيب) لانه صار كالعلم الضرورى الذى لا يستطيع دفعه عن نفسه (ثم المشاهدة وهى حضور الحق) تعالى (من غير بقاء تهمة) المشاهدة من الكمال وتعلق المشاهدة على رؤية الاشياء بأدلة التوحيد وعلى رؤية الحق فى الاشياء وعلى حقيقة اليقين وهو الموافق لما ذكره المصنف والضمير اذا وقع بين مؤنث ومذكر يجوز تأنيثه وتذكيره كما سلكه فى ضميرى المكاشفة والمشاهدة (فاذا أصحت سماء السر من غيوم الستر) اى الحجاب (فشمس الشهود) للحق (مشرقة عن برج الشرف وحق المشاهدة ما قاله الجنيد رحمه الله وجود الحق) تعالى (مع فقدانك) وفنائك (فصاحب المحاضرة مربوط بآياته) اى براهينه وخوارق عاداته (وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته) ونعوته (وصاحب المشاهدة ملق بذاته) لفنائه عما سوى الحق (و) أيضا (صاحب المحاضرة يهديه عقله) بالنظر فى الادلة (وصاحب المكاشفة يدنيه) اى يقربه (علمه) بالحق وصفاته (وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته) بذلك (ولم يزد فى بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكى رحمه الله

المشهود لم تتقدم بالكلية (قوله وهو حضوره أى القلب بنعت البيان) اى الذى هو نتيجة وثمرة البرهان وحاصله ان صاحب مقام المكاشفة يستغنى عن تكرر النظر فى البرهان اكتفاء بيقين ثمرته من البيان ولذلك قال المصنف غير مفتقر الخ (قوله ولا مستجير الخ) أى الثبوت أمنه من تطرق دواعى الريب والشك الى قلبه (قوله ولا محجوب عن نعت الغيب) اى وذلك من قوة اليقين التى نشأت من البرهان والبيان المزيل لجميع الحجب من الظنون والشكوك والاوهام حتى صار معلومه كالمتحقق بالعلم الضرورى الذى لا يستطيع دفعه عن نفسه (قوله وهى حضور الحق) اى تحققه فى قلبه بحق اليقين بحسب ما اتضح له من شهود العين (قوله من غير بقاء تهمة) اى شبهة المشاهدة من الكمال لتحقق يقينه بوجوده (قوله وعلى رؤية الحق فى الاشياء) اى فصاحب مقامها بطالع الحق فى الخلق اى يرى الخلق قائما بالحق بواسطة فنائه فعلا ووصفا فى فعل الحق وفى وصفه (قوله يجوز تأنيثه وتذكيره) اى باعتبار المحدث عنه والحديث (قوله فاذا أصحت سماء السر الخ) يشير بما تضمنه من الحكمة الاشارية واحكمه من نسج برد الواردات الاقدسية ان ما تشرف به نوع الانسان وارتفع به على سائر الاكوان من سر الله المودع فى السر ومدار التكاليف بالامر والنهى اذا انجلى عنه حجاب الغفلات وستر المكاشفات وعين المراقبات يدوله بدل الابد وسماء السعود وتشرق له شمس شرف الشهود ويتجلى له الاله الحق المقصود وذلك بواسطة افاضة الانوار على عين بصيرة الاستبصار فيرى الحق بحق اليقين ويشافهه بالهام سر التمكين لتحققه بشرف مقام الوجود بفناء الفناء عن غير ذات المعبود هذا ما أشار اليه بلطف العبارة وما رمز له بشأن الاشارة تأمل تفهم والله بالحال أعلم (قوله وحق المشاهدة ما قاله الجنيد) اذا تأملت ما تقدم تعلم انه مثل ما اشار اليه الولى الاعلم (قوله وجود الحق تعالى مع فقدانك) اى مع فنائك عما سواه حتى عن نفسك الذى هو لا يكون الا اذا تحقق العبد فى مقام الوجود وجميع الجمع (قوله مربوط بآياته) اى لوقوفه معها وسكونه اليها وقوله مبسوط بصفاته اى آنس بما منحه الحق تعالى من نعت البيان والاستغناء عن البرهان (قوله ملق بذاته) اى غريق فى بحار أحدية الحق تعالى فهو لا يرى فى الوجود غيرا لتحققه بمقام الوجود الحق والله أعلم (قوله يهديه عقله) اى يدله على الحق لانه آلة فى النظر فى الادلة والبراهين اذ هى محل نظر العقل فيها صور الاشياء بل يتحقق فيها حقائقها (قوله يدنيه) اى يقربه قربا معنويا على الذى هو ثمرة نظره فى الدليل على معنى انه يوصله لمقصوده ويبلغه الى غاية مطلوبه (قوله تمحوه معرفته) اى لانها تنتج ان الوجود عين الموجود وانه لا شئ غير الوجود الذاتى الحق (قوله ولم يزد فى بيان الخ) أقول اذا نظرت فيما قدمته وأشرت اليه وعولت فى بيان المراد عليه من قوله فاذا أصحت الخ تعلم انه يؤدى معناه ويناشد فحواه والله ولى الاحسان لا يختص بالحكمة

أهل

ومعنى ماقاله انه تتوالى أنوار التجلى على قلبه من غير أن يتخللها ستر) اى حجاب (وانقطاع) وتوالى (كما لو قدر اتصال البروق) فى الليلة الظلماء (فكان الليلة الظلماء بتوالى البروق فيها واتصالها) اى اتصال بعضها ببعض (اذا قدرت) وجودا تها (تصير فى) نحو (ضوء النهار فكذلك القلب اذا دام به دوام التجلى) بدوام أنوار المعارف عليه ولم يتخللها غفلة (متع) بينا نه للفاعل بالمثناة الفوقية وتخفيفها اى ارتفع وطال (نهاره فلا ليل) له (وانشدوا) فى معناه (ليلى بوجهك مشرق * وظلامه فى الناس سارى * والناس فى سدف) جمع سدفة بضم السين وفتحها فيهما وهى الظلمة اى ظلم (الظلام * ونحن فى ضوء النهار وقال النورى لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقى له عرق قائم) لاستغراق قلبه فى ذات الحق وصفاته (وقال) استشهادا لذلك (اذا طلع الصباح استغنى عن المصباح) اى اذا وصل العبد الى هذه الحالة استغنى بها عن الاسباب (وتوهم قوم ان المشاهدة تشير الى طرف من التفرقة لان باب المفاعلة فى) علم (العربية) تقتضى أن يكون الفعل (بين اثنين) فأكثر يفعل أحدهما بالآخر كما فعل الآخر به نحو ضارب زيد عمرا فلا بد للعبد أن يدرك نفسه وربه (وهذا وهم) بفتح الهاء من وهم فى الحساب بكسرها اى غلط وباسكانها من وهم فى الشئ بفتحها اى ذهب وهمه اليه (من صاحبه) اى قائله (فان فى ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق) اى هلاكهم وفناءهم عن أنفسهم

١١ يج لى بأن لا يدركوها ولا يلزم من ذلك تفرقة (و) أيضا (باب المفاعلة جملتها لا تقتضى مشاركة الاثنين) بل بعضها يقتضيها وبعضها لا يقتضيها فانها تأتى بمعنى فعل (نحو سافر وطارق النعل وأمثاله) نحو دافع اى سفر وطرق ودفع وبمعنى فعله اى التكثير نحو ضاعفته اى ضعفته وبمعنى افعل نحو عافاك الله اى أعفاك (وانشدوا) فى هذا المعنى أعنى فى قوة الوارد المقتضية للاستغراق (فلما استبان) اى تبين وظهر (الصبح أدرج) اى غيب (ضوءه) الحاصل (بأنواره أنوار ضوء الكواكب) فاستغنى عن ضوئها ثم أشار الى كمال الوارد عليهم بحيث لم يبق لهم متسع لغيره بقوله (يجرعهم كاسا) من ذلك الوارد (لو ابتلى اللظى) وفى نسخة ابتليت اللظى اى جهنم (بتجريعه طارت) اى ذهبت وفنيت

أهل زمان والله أعلم (قوله ومعنى ماقاله الخ) محصله ان هذه الانوار باعتبار عدم دوامها تكون كالبروق غير ان البروق اذا توالت وترا سلت فى الليلة الظلماء تصيرها كالنهار بكثرة الاضواء فكذلك القلب اذا دام به التجلى بدوام أنوار المعارف متع نهاره وانتفع به انتفاعا تاما (قوله ليلى بوجهك مشرق الخ) الغرض له التحدث بمظاهر الكرم والشكر لولى النعم ببيان مامنحه من معارف الانوار وآيات التبصر والاستبصار مما صار به ليله كرابعة النهار بواسطة فنائه عن حظوظ الغفلات التى قد يخفى سريانها فى طبع البشريات فكانهم بها فى حالك الظلام محجوبين عن مقام الاحترام وهو نفعنا الله به بواسطة توالى الانوار دائم التنعيم وبالمتابعات على الصراط المستقيم فقوله ليلى اى ما كان يشبهه فى الظلمة التى تنشأ من الوقوف مع العادات والمألوفات مشرق بوجهك اى مضئ بقصدك والعمل بمتابعة نبيك مع ان الحال فى غالب الناس عموم ظلمته واستحكام مضرته لعدم توفيقهم لاماطة عيوبهم واجابة الله سبحانه وتعالى حيث لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والافالكل عبيد ومحل للتسديد فافهم (قوله وقد بقى له عرق قائم) اى معرفة ثابتة بشئ من الاشياء غير الحقة (قوله اذا طلع الصباح الخ) اقول الغرض تقريب المعنى بالمألوف حيث مثل بالمحسوس المعروف والقصد انه بشهود رب الارباب لا يعول على شئ من الاسباب (قوله تشير الى طرف من التفرقة) أقول هو كذلك بقياس الغائب على الشاهد والا فشاهدة القديم متفردا فى الوجود يلزمها الشهود والهلاك لسائر المكونات وذلك مقام جمع الجمع فلا تفرقة كما أشار اليه الشارح والله أعلم (قوله ولا يلزم من ذلك تفرقة) الظاهر للشارح أن يقول وذلك ينافى التفرقة ولا يجامعها (قوله وأيضا باب المفاعلة الخ) نقول هذا هو المعول عليه فى الجواب اذا نظر لقياس الغائب على الشاهد كما قدمنا والا فلا تفرقة كما أوضحنا (قوله وأيضا باب المفاعلة الخ) محصله منع اطراد هذا فى باب المفاعلة لانها تأتى بمعنى فعل بدون مشاركة وبمعنى فعل للتكثير وافعل (قوله فلما استبان الخ) مراده انه لما اتضح الحق بمقام المعاينة أغنى

(كأس عذاب) فهذه (كأس وأى كأس) كأس (تصطلهم عنهم) اى تستأصلهم عن أنفسهم وأكد ذلك بقوله (وتفنيهم وتختطفهم منهم) اى من أنفسهم (ولا تبقيهم كأس لا تبقى ولا تذر) منهم شيأ (فمحوهم بالكلية ولا تبقى شظية) بتشديد الياء اى فلقة (من آثار البشرية كما قال قائلهم سادوا) اى عن احساسهم بأنفسهم (فلم يبق) لهم (لا رسم ولا أثر *) والمعاينة قيل غايتها تحقيق احاطة الذات التى لا يصح مع وجودها كون الغير وا علم ان معانى هذه الالفاظ وراء طور العقل لا يعرفها الا أهل العنايات لانها تتعلق بتوحيد الله وتوحيده تعالى المتعلق بذاته وصفاته لا يصح أن يكون من مدركات كل العقول (ومن ذلك اللوائح والطوالع واللوامع قال الاستاذ رضى الله تعالى عنه هذه الالفاظ) كناية عن اختلاف أحوال ارباب السلوك وما يفتح الله به عليهم من المقامات التى يرومون بلوغ كمالها كالزهد والتوكل والرضا والتسليم والمحبة وهى (متقاربة المعنى لا يكاد يحصل بينها كبير فرق) وان كان الطوالع أتم ثم اللوامع كما يعلم مما يأتى (وهى من صفات أصحاب البدايات الصاعدين فى الترقى بالقلب فلم يدم لهم بعد) مع اتصافهم بها

نوره الاقوى بالنسبة لما دونه من أنوار المحاضرات والمكاشفات اذ من منح المعاينة قد تجرع كؤس المحبة التى لو تجلى أحد بكاس منها لفنى عن وجوده بواسطة قوة نيرانها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومحصله انه لما جد المريد تأسيا بخير العبيد فى دوام المجاهدات ورعاية محاسن المتابعات فى أداء الواجبات والمندوبات أشرقت له الانوار كفلق صبح النهار فوردت على قلبه الواردات وتوالت عليه الكرامات بلطف الاشارات فاستغنى بنور المصابيح عن اشراق نور الكواكب فسقاه كاس المحبين فغيبه عن سائر العالمين حتى عن نفسه وفنائه فبقى بوجوده فى بقائه لا يشهد الا الحق بالحق منعما فى مقعد صدق نفعنا الله بمن احب ومنحنا مقام القرب وقوله يجرعهم كاسا الخ ليس خافيا عليك هذه المبالغات برقيق تلك العبارات فلا حاجة الى القلاقة بالايضاح حيث فهم ذلك ليس الاذوى التسديد ونهاية المقصود ان العبد المقرب اذا تجرع كاس محبته تعالى أطفأت لظى مشتهياته وما ألوفاته وأذهبتها منه كأس عذاب فيفنى عنها افناء لا عود بعده أبدا (قوله فهذه كاس وأى كاس الخ) محصله ما ذكرناه قبل مجملا (قوله سادوا) اى سافروا عن حظوظ أنفسهم فلم يبق لهم رسم ولا أثر اى وذلك لفنائهم عن الحظوظ والعادات (قوله تحقيق احاطة الذات) اى تحقيق عموم وشمول العلم الذى لا يصح مع وجوده وجود الغير فليس المراد كنه الحقيقة الالهية لاستحالة الكشف عنه لاحد من الخلق والله أعلم (قوله واعلم ان معانى هذه الالفاظ الخ) محصله ان ما تقدم من معانيها هو من باب التقريب للعقول القاصرة والافحقائق معانيها هى من وراء طور العقل المقيد بالرسوم الخلقية لا يعرفها الا ارباب العقول المطلقة من حبس عقالها وهم أهل العنايات والولايات (قوله اللوائح والطوالع واللوامع) هى كما سيأتى فى الشارح قريبة المعانى وهى من أحوال المبتدئين فى السلوك والترقى واللوامع أقوى من اللوائح والطوالع أقوى من اللوامع (قوله كناية عن اختلاف أحوال الخ) اى فلكل من هذه الاحوال أنوار مختلفة قوة وضعفا باختلاف قوة وضعف أربابها فهى كلها أنوار تقع لهم فى مبادى سلوكهم تكون مدارج لما وراءها ان ثبت الحق قدم العبد فى تلك الانوار (قوله من المقامات) اى من اماراتها واشاراتها فان العبد اذا نازل مقاما من المقامات وصفا حاله فيه يلوح له منه أنوار تشير له الى ما هو أعلى مما نازله يعبر عن تلك الانوار باللوائح والطوالع واللوامع (قوله متقاربة المعنى) اى باعتبار أن الكل من مدد النور ونهاية الفرق بينها القوة والضعف وسرعة الزوال وعدمها (قوله لا يكاد يحصل الخ) اى يكون الفرق بينها انما هو من وجه سرعة زوال اللوائح بالنسبة للوامع والطوالع وسرعة زوال اللوامع بالنسبة للطوالع والله أعلم (قوله فلم يدم لهم بعد) اى لانه لا دوام لنورها لزواله بسرعة على الوجه

(ضياء شموس المعارف لكن الحق سبحانه وتعالى يوفق) اى يعطيهم (رزقا لوبهم فى كل حين) وفى نسخة من كل خير (كما قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فكلما أظلم) وفى نسخة أظلمت (عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ) اى حظوظ أنفسهم (سنح) اى ظهر (لهم فيها لوائح الكشف وتلألأ) لهم (لوامع القرب وهم فى زمان سترهم) اى حجبهم عنها (يرقبون فجأة) بضم الفاء وفتح الجيم والمد وبفتح الفاء واسكان الجيم اى بغتة (اللوائح) اى حصولها بغتة (فهم كما قال القائل يا أيها البرق الذى يلمع * من اى آكناف السما) اى جوانبها (تسطع) اى لا نعلم له سببا بل هو من فضل ربه والهامه وبعد هذا البيت

هذا ولو يقضى لنا فرقة

قل لى فيوم البين ما تصنع

ان كان ابراقك داعى قلى

فان قلبى بالقلى موجع

(فتكون) الاشياء التى تظهر لهم (أولا لوائح ثم لوامع ثم طوالع) وهى أسماء لاحوال السالكين كما مر لكن محلها غير المتمكنين فى احوالهم اما المتمكنون فيها فلا تسمى احوالهم بها بل بالوجد والوجود وغيرهما مما مر (فاللوائح كالبروق ما ظهرت حتى استترت) لسرعة هجومها وذهابها (كما قال القائل) فى معنى ذلك (افترقنا حولا فلما التقينا * كان تسليمه على وداعا) كذلك (وانشدوا) ايضا فى ذلك (يا ذا الذى زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا مر بباب الدار مستعجلا * ما ضره لو دخل الدارا * واللوامع اظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة) التى للوائح (فقد تبقى اللوامع وقتين وثلاثة) مثلا (ولكن كما قالوا * والعين باكية لم تشبع النظرا * وكما قالوا * لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل ريها برقيب) اى حافظ شبه به زوال الحال فى الرجوع الى ادراك النفس بساعة بعد اخرى (فاذا لمع) الطالع (قطعك عنك وجمعك به لكن لم يسفر نورها حتى كر عليه عساكر الليل) لسرعة زواله

الذى قدمناه فى سرعة زوال بعضها بالنسبة للبعض الآخر (قوله ضياء شموس المعارف) ضياء فاعل لقوله يدم المنفى بلم قبل اى وذلك لما تقدم من سرعة زوال تلك الانوار (قوله لكن الحق الخ) اى فهى وان كانت لا تدوم فالحق يكرر وجودها فى قلوبهم ويواليها لهم فتكون بذلك كالمستمرة فضلا من الله ورحمة (قوله وهم فى زمان سترهم) اى بسبب ملابسة بعض الحظوظ يرقبون اى ينتظرون فجأة اللوائح وما بعدها اى مجيئها بغتة على حين غفلة بدون قصد (قوله كما قال القائل) لما كانت اللوائح واللوامع متقاربة صح الاستشهاد (قوله اى لا نعلم له سببا الخ) اى ويحتمل مع هذا انه للاشارة الى سرعة الزوال على حد ما سلم حتى ودع (قوله ولو يقضى لنا فرقة) اى مفارقة لتلك اللذات الحاصلة من شريف الحالات قل لى فيوم البين اى زمن الفراق لهذه الانوار ما تصنع للالم الذى يحصل للقلب من مفارقتها وفى المقام تجريد لا يخفى وقوله ان كان ابراقك الخ محصله انه يستفهم عن سرعة زوال هذه الانوار بعد تحققها اى داع لها فان كان القلى فيكون قلبه دائم التوجع ولا يخفى ما فى المقام من البلاغة الحاصلة من مخاطبة الابراق (قوله فاللوائح كالبروق) جمع لائحة وهى ما يلوح من نور التجلى ثم يزول سريعا وتسمى بارقة وخاطرة أيضا (قوله كما قال القائل الخ) التشبيه فى مطلق سرعة الزوال لا فى الحصول والمرور لانه قد يكون فى اللوائح مع القرب فى المعاودة (قوله يا ذا الذى زار) اى فى الصورة وما زار فى الحقيقة فكأنه فى سرعة الرجوع مقتبس نارا لا زائر (قوله واللوامع اظهر الخ) اى لانها أنوار ساطعة تلمع لاهل البداية من أرباب النفوس الضعيفة فتنعكس من الخيال الى الحس المشترك فتصير مشاهدة بالحواس وهى اما من غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس فتضرب الى حمرة واما من غلبة نور اللطف والوعد فتضرب الى الخضرة والنقوع فافهم (قوله أظهر) اى أتم نورا لبقائها بالنسبة للوائح (قوله ولكن كما قالوا الخ) الغرض ان فى كل انتفاء التمكن من المقصود بواسطة وجود بعض المكدرات أقول ومن ذلك وألطف قول بعضهم

ما خلونا مع الحبيب ولا طر * فة عين الا علينا رقيب

بل خلونا بقدر ما قلت أنت السـ * ـحر فوافى فقلت كيف الطبيب

(قوله فاذا لمع الخ) يريد ان الطوالع أتم من اللوامع واللوائح باعتبار بقاء النور وزيادة عنهما غير انه يزول ايضا ويعرض الحظوظ الموجبة للظلمة (قوله قطعك عنك) اى غيبك عن

(فهؤلاء بين روح ونوح) اى راحة ونياحة اى بسط وقبض (لانهم بين كشف وستر كما قالوا * فالليل يشملنا بفاضل برده *
والصبح يلحفنا رداء مذهبا * والطوالع أبقى وقتا وأقوى سلطانا وأدوم مكثا وأذهب للظلمة وانفى للتهمة لكنها موقوفة على
خطر الافول) اى لكنها على خطر غروبها (ليست برفيعة الاوج) اى بعالية الارتفاع (ولا بدائمة المكث ثم أوقات حصولها
وشيكة الارتحال) اى سريعة الزوال (واحوال افولها) اى غروبها (طويلة الاذيال) يعنى الغيبة اقله تمكن صاحبها
(وهذه المعانى التى هى اللوائح واللوامع والطوالع تختلف فى القضايا) اى الاحكام (فمنها ما اذا فات) اى غاب (لم يبق عنها)
الاولى عنه (اثر) على صاحبه اضعفه ٨٤ وقلة تأثيره فيه (كالشوارق) من الكواكب (اذا أفلت) اى غابت (فكان
الليل كان دائما) وهذا شامل
للوائح واللوامع واما الطوالع
فهى ماذكره بقوله (ومنها ما يبقى
عنه اثر فان زال رقه) اى أثره
(بقى ألمه وان غربت انواره بقيت
آثاره) كالشمس (فصاحبه بعد
سكون غلباته) اى قلقه (يعيش
فى ضياء بركاته فالى ان يلوح) ذلك
(ثانيا يتق) اى فهو يدافع (وقته)
الى ان يظهر له ذلك الاثر ثانيا
(على) اى لاجل (انتظار عوده
ويعيش بما وجد فى حين كونه) اى
ويعيش فى زمن وجوده بما كان
قد وجده وحاصله انه يغنى حاله
بآثار ما سبق الى ان يمده الحق
فيزيل عنه ماهو فيه من القلق
والكرب (ومن ذلك البواده
والهجوم البواده) من بداهه
الشئ اى فجأه (ما يفجأ قلبك من
الغيب على سبيل الوهلة) اى
الفجأة اوله موجب وهو (اما
موجب فرح واما موجب ترح)
اى حزن (والهجوم مايرد على القلب بقوة الوقت) والحال (من غير تصنع) اى تكلف ونظر (منك) من
فى سبب وكلاهما يقع ابتداء لكن الاول له سبب والثانى لاسبب له (و) كل منهما (يختلف فى الانواع) والاحوال الواردة
على العبد (على حسب قوة الوارد وضعفه فمنهم من تغيره البواده وتصرفه الهواجم) فيتأثر بها لقوة الوارد عليه فينشأ
عنه الحركة والصياح والذهول والذبول (ومنهم من) لايتأثر بها بل قد (يكون فوق مايفجأه حالا وقوة) لضعف الوارد
فيكون اقوى واثبت منه فى الحال فلا يظهر عليه اثره كما قيل للجنيد رضى الله عنه لما كان فى السماع فتحرك الناس ولم يتحرك
يا سيدى مالك فى هذا شئ

ما أوقاتك وحظوظ نفسك واذا قطعك عنك على ماذكرناه فقد جمعك بالحق غيرانه
لسرعة زواله ما أسفر نور نهاره فى القلوب حتى كرّ عليه عساكر الليل المطلوب (قوله
فهؤلاء بين روح ونوح) اى بين راحة بأنوار تلك الاحوال وعناء وبكاء بما يطرأ من
ظلمات العادات (قوله فالليل الخ) التشبيه فيه باعتبار الوصل والفرقة بالليل والفجر
(قوله لكنها الخ) محصله ان الطوالع وان كانت أتم من اللوائح واللوامع وأقوى سلطانا
غيرانها موقوفة على خطر بقاء الموانع بعد زوالها ومن أجل ذلك كانت غير رفيعة
الاوج حيث انها بعدم دوام مكثها وقرب ارتحالها وخطر تمكن الظلمة بعد زوالها
لم تكن محمودة مطلقا (قوله على خطر الافول) اى الزوال والخطر فيه بقاء بعض الموانع
(قوله ليست برفيعة الاوج) اى العلو (قوله واحوال أفولها الخ) يريد بعد العود
والطريان بسبب ملابسة بعض الحظوظ (قوله الاولى عنه) قد يقال انه أنث باعتبار
العود على المعانى (قوله فكان الليل الخ) اى فكان الليل يتحقق ويوجد سواء أشرقت
كواكبه أو افلت لضعف نور الكواكب فكذلك هذه الانوار من حيث عدم ترتب
الاثر على ذهابها (قوله فان زال رقه الخ) اى فهو لقوة تمكن صاحبه بالنسبة لمن دونه
يتأثر بالم الافول ثم يجد بعده بركات نوره ويتوقع عوده ويحصل له استمرار الانتفاع زمن
الوجود بالنور وبعد الافول والذهاب ببقاء الاثر الى أن تعود هذه الانوار (قوله
البواده الخ) هى نور ربانى يبعث العبد بالموجب على حين غفلة وقد يكون له
موجب (قوله اما موجب فرح او موجب ترح) اى بواسطة كونه من وارد بسط أو
وارد قبض (قوله بقوة الوقت) اى بقوة مايجرى به الحق تصريفه فى وقت العبد من
غير تصنع اذ منشؤه بغير كسبه وقصده (قوله لكن الاول له سبب) اى قد يكون عن
سبب وان لم يعلم والثانى لاسبب له اصلا لا معلوم ولا غير معلوم (قوله وكل منهما يختلف
فى الانواع) اى من مرات الوارد على حسب قوته وضعفها ويختلف أيضا محل الوارد

فاجاب السائل بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى انه يجد كما يجدون وهو اقوى على حفظه منهم ومن ثم قال المصنف (أولئك سادات الوقت كما قيل * لا تهتدى نوب الزمان اليهم *) اى لا تغيرا حوالهم بخلاف ما يطرأ على العالم من السعة والضيق والموافق والبلايا وغيرها مما يحدث في الزمان (واهم على الخطب الجليل) اى على ما يطرقهم من الامور العظيمة في انفسهم (جلام) اى قوة وثبات وحفظ (ومن ذلك التلوين والتمكين التلوين صفة ارباب الاحوال والتمكين صفة اهل الحقائق) التلوين يقال لنيل الحال والرجوع عنه فصاحبه يكون تارة مع الحق وتارة مع نفسه فهو متلون ويقال للانتقال من منزل الى آخر الى ان يصل الى مطلوبه الاقصى فيصير متمكنا (فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لانه يرتقى من حال الى حال وينتقل من وصف الى وصف ويخرج من مرحل) اى محل الرحيل (ويحصل في مربع) اى محل الربيع (فاذا وصل) الى مقام التوحيد وغلب على قلبه الحق حتى لم يلتفت الى غيره (تمكن) في مقامه (وانشدوا) في معنى ذلك (مازلت انزل في ودادك منزلا * تتحير الالباب دون) وفي نسخة عند (نزوله وصاحب التلوين ابدا في الزيادة) ينتقل (وصاحب التمكين وصل) الى مقام التوحيد (ثم اتصل) بجلال الحق بأن غلب على قلبه حاله حتى لم يلتفت الى غيره (وامارة انه اتصل) بذلك (انه بالكلية عن كليته بطل) اى خنست نفسه وكانت عن طلب شئ آخر نهودها وديوانها تحت سلطان الحقيقة (و) من ثم (قال بعض المشايخ انتهى سفر الطالبين الى الظفر بنفوسهم) اى غاية مطلوب السالكين الظفر بنفوسهم واليه انتهى سفرهم (فاذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا

من العبد قوة وضعفا وبذلك يظهر قوله فهم الخ (قوله اى انه يجد كما يجدون الخ) اى بل قد يجد فوق ما يجد غيره بمراتب ومع ذلك يقويه الحق على حفظه حتى يملك نفسه فلا يبدو منه شئ وذلك خلق محمدى (قوله أولئك سادات الوقت) اى اشرافه بسبب ما منحوا بسابق العناية والقسمة (قوله لا تهتدى) أى لا تصل نوب الزمان اى حوادثه التى يحدثها الحق فيه من تصاريف فعله قبضا وبسطا بالتأثير في تغير أسرارهم وان ظهر أثر ذلك على ظواهرهم وذلك لما تحققوا به من مقام التمكين وقوة اليقين وقوله واهم على الخطب الخ كالدليل على ذلك فافهم (قوله التلوين والتمكين) هما وصفان وحالان الاول للسالكين والثانى للواصلين وفي الاسم اشارة للمسمى اذ صاحب الحال الاول بين سكر وصحو وصاحب الحال الثانى دائما في الصحو (قوله فصاحبه يكون تارة مع الحق) اى فهو حينئذ غريق بحر المشاهدات وقوله وتارة مع نفسه اى بالقيام عليها بسوسها برياضة المتابعات فهو متلون بالحالين متلذذ في المشهدين منتقل من حضيض المألوفات الى أوج سماء المشاهدات والمكاشفات مجد في المطلوب ليصل الى ديار المحبوب هذا معنى مقام التلوين وسر قرب المحبين فافهم (قوله ويقال للانتقال) اى المعنوى من منزل ومقام الى منزل ومقام آخر أعلى منه (قوله فاذا وصل الى مقام التوحيد) اى وظهر له الحمد الحميد غلبته سواطع أنوار الحقيقة فغاب عن حسه بلباب الطريقة (قوله مازلت أنزل الخ) يظهر انه حكاية عن حال التلوين البالغ في نهايته الى مقام التمكين فقوله منزلا يعنى به المقام كالزهد والورع وغيرهما وقوله تتحير الالباب دون نزوله اى تقع العقول الكاملة في حيرة صفاته حتى يتم التهيؤ للترقى لما هو أعلى منه من المقامات حيث ذلك غير مقدور للنفس الا باعانة الحق تعالى (قوله بأن غلب الخ) تصوير لمعنى قوله ثم اتصل ومحصله ان الوصول معناه بلوغ العبد درجة النزاهة عن دنس المألوفات بواسطة غلبة ما للحق على ما للخلق (قوله وأمارة) اى علامة انه اتصل اى اتصاله انه بفنائه واستغراقه في أنوار الحقيقة بالكلية عن كليته بطل فلم يشهد غير الحق ولم يلتفت الى ما سواه حيث وصل الى درجة الانفة التى لا يرضى من اتصف بها بغير ذات الحق تعالى (قوله اى خنست نفسه الخ) تفسير لبطلانه عن كليته ومحصله ان دليل وصوله الى الحق اكتفاؤه بعلمه وقسمته الازلية وهو قدم ابراهيم المشار اليه بقوله صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم لجبريل في قصة المنجنيق حين سأله في حال رميه به ألك حاجة حيث قال له أما اليك فلا وأما اليه فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى أو كما ورد (قوله الى الظفر بنفوسهم) اى بملكها ومعرفة قدرها وحقيقتها فوصلوا بذلك الى معرفة عظمة الله وجلاله

قال الاستاذ رحمه الله يريد) كل منهم (به الخناس أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة) عليها بأن تخنس نفوسهم ويستولي على الاحساس بها سلطان الحقيقة (فاذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين) ثم أوضح ما مر من التلوين والتمكين بما ذكره بقوله (كان الشيخ ابو علي الدقاق رحمه الله يقول كان موسى عليه السلام صاحب تلوين) حيث كلمه ربه (فرجع من سماع الكلام) منه الى الناس (واحتاج ٨٦ الى ستر وجهه) بأن أتى اليهم متبرقعا (لانه أثر فيه الحال ونبينا صلى الله عليه وسلم كان صاحب تمكين) حيث ذهب ليلة الاسراء وشاهد ما شاهد (فرجع كما ذهب لانه لم يؤثر فيه ما شاهده تلك الليلة) لتمكنه ومن ثم قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر (وكان) ابو علي (يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام) من (ان النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام قطعن ايديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه الفجأة) اي البغتة (وامرأة العزيز كانت أتم في بلاء يوسف) وحبه (منهن ثم لم) الاولى فلم (تتغير عليها شعرة) من شعرها ولا شيء من بشرتها (ذلك اليوم لانها كانت صاحبة تمكين في حديث) اي قصة (يوسف عليه السلام) لانها لما توالى عليها النظر اليه وعلى قلبها جماله لم تلتفت اليه وقت خروجه على النسوة اللاتي لم يطقن ما اطاقت لغلبة شغلهن به على احساسهن وكن صاحبات تلوين لتغير احوالهن (قال الاستاذ واعلم ان التغير) الحاصل (مما يرد على العبد يكون لاحد امرين اما لقوة الوارد او لضعف صاحبه) عن تحمله (والسكون من صاحبه) يكون (لاحد امرين اما لقوته او لضعف الوارد اي عليه) فان كان الوارد قويا وصاحبه ضعيفا لم يتحمله وان كان بالعكس تحمله ولم يتغير (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول أصول القوم) الجارية (في جواز دوام التمكين) على العبد (تتخرج على وجهين احدهما ما لا سبيل اليه) اي الى دوامه

وحقه عليهم ولذلك قال بعد ذلك في معنى ظفرهم بما يريد كل منهم به الخناس أحكام البشرية الخ فتحصل ان الوصول في كلامهم اغا هو اقطاع مسافة النفس وعلائقها حتى تنفصل عنها بالكلية (قوله فاذا دام للعبد هذه الحالة) اي التي هي غلبة أنوار الحقيقة على احساسه حتى انخنست نفسه بالوصول الى غاية مطلوبها فهو صاحب تمكين اي وان عاد الى الاحساس لامر شريف فيدوم له نعت هذا المقام ومن علمه ذلك السلام (قوله كان موسى عليه السلام صاحب تلوين) اي في خصوص هذا المقام والا فقد تمكنت في مقام التمكين منه الاقدام واعاد ذلك من تصريف الحق لاظهار شرف السيد الاحق والحاصل انه بواسطة قوة ما ورد عليه في مشهده وقع له التأثر بالتغير الظاهر والانسان المحمدي الكامل قد قوي على وارده الاقوى بسر قوة اليقين فلم يتأثر في الظاهر مع ثبوت التكليم له مكاشفة مع رؤية الحق بالبصر في حضرة القدس وذلك ليلة تشريفه بالمعراج الجسماني الى مقام المكاشفة وذلك لقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام (قوله ومن ثم) اي من قوة تمكينه قال في الخبر الصحيح أنا سيد ولد آدم اي المتقدم عليهم في جميع المشاهد والمقامات وذلك بما منح من سر التمكين والتمكن وقوله فيه ولا فخر اي ولا فخر أعظم من هذا او يكون قد قال ذلك تحدثا بالنعمة أو المعنى لا أقول ذلك افتخارا على حسب ما جبل عليه من هضم النفس والتواضع اه (قوله وامرأة العزيز الخ) الذي يفهم منه ان تمكن امرأة العزيز في ابتلائها بحب يوسف وقوة شغفها به أقوى من باقي النسوة اللاتي رأينه مع ان غيرها انما بواسطة تكرر رؤيته عليه السلام ومزاولة جماله وكماله بتكرر تصور القلب بجماله تمرنت وقويت بخلاف غيرها من باقي النسوة حيث أتاهم ذلك بجأة فغيبهن عن احساسهن وبما قررناه يتبين الفرق أيضا بين المقامين المحمدي والموسوي فافهم والله أعلم (قوله اما لقوة الوارد الخ) اعلم أن الوارد هو ما ينزل على القلب فيزعجه عن معتاده ويرفعه عن مراده من مواد الحق ومعارفه فيكون العبد الوارد واردا على مولاه مستغرقا به فيما أولاه وفوائد الوارد اما الورود على المولى بلا علة او الخروج عن عبودية الاكوان في ابتلائه او عن سجن النفس الى شهود المنة فافهم (قوله اما لقوة الوارد الخ) اعلم ان قوة الوارد وضعفه وقوة محل الوارد وضعفه جميعه من تصاريف الحق تعالى على حسب الاستعداد بسابق القسمة والحكمة العلية (قوله في جواز دوام التمكين) اي وعدم دوامه كما يفهم من بقية كلامه (قوله احدهما ما لا سبيل اليه)

(لانه قال صلى الله عليه وسلم) لما قال له حنظلة وهو يبكى نافق حنظلة فانا نكون عندك تذكرنا الآخرة والجنة والنار كانا رأى
عين فاذا فارقناك عافسنا الاهل فزال عنا ذلك (لو بقيتم) اى دمتم (على ما كنتم عليه عندى لصافحتكم الملائكة) فى طرقكم
وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (ولانه صلى الله عليه وسلم قال لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى عز وجل أخبر عن وقت
مخصوص) به لا يشتغل فيه بغير الله وبقية الاوقات يشتغل فيها بمصالح الناس من ٨٧ نسائه وغيرهن ولا يلزم منهن ان يكون
فى غفلة وميل الى الدنيا بل كل
ما فيه هو طاعة لربه حتى ما كان
من مباسطته معهم كقوله اصغير
يا عمير ما فعل النغير وقوله للمرأة
فى عين زوجك بياض ومن ثم قال
انى لامزح ولا أقول الا حقا ولا
يلزم أن تكون أحواله متساوية
فى سائر الاوقات بل على حسب
ما يرد على قلبه من فتح به ورؤية
جلاله وجماله وغيرها فتارة
يستغرق فيه بحيث لا يلتفت الى
غيره كما فى نزول الوحى عليه ومكالمة
جبريل له وتفصد جبينه بالعرق
لشدة ما فيه واستغراقه وتارة
لا يستغرق بهذه الحيثية (قال)
ابو على رحمه الله تعالى (والوجه
الثانى انه يصح دوام الاحوال) على
العبد (لان أهل الحقائق ارتقوا
عن وصف التأثر بالطوارق) الى
حالة لا يتأثرون فيها بذلك (والذى
فى الخبر) السابق (انه) صلى الله
عليه وسلم (قال) لحنظلة لو بقيتم
على ما كنتم عليه عندى
(لصافحتكم الملائكة فلم يعلق
الامر فيه على أمر مستحيل) حتى
يدل على انه لا يصل اليه (و) أيضا
(مصافحة الملائكة) بان ذكر
معلوم انها (دون ما أثبت لاهل البداية من قوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع
(و) أما (ما قال) من قوله (لى وقت) لا يسعنى فيه غير ربى (فانما قال على حسب فهم السامع و) الا فهو (فى جميع احواله
كان قائما بالحقيقة) فكل ما هو فيه حق وطاعة لربه ولا يلزم أن تكون أحواله متساوية فى سائر الاوقات كما تقرر

اى لكونه من تصريف الحق من غير اختيار العبد (قوله نافق حنظلة الخ) قاله رضى الله
عنه لما رأى من اختلاف حاله فى اجتماعه به صلى الله عليه وسلم ومفارقته من قوة
التأثر وضعفها (قوله عافسنا الاهل) اى باشرناهم واجتمعنا بهم فزال ذلك الحال عنا
وقوله لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى الخ الذى يظهر منه ان الغرض الحث على دوام
المراقبة ليدوم لهم النور فلا يتغير عليهم الحال غير انى أقول هو وان كان كذلك غير انه
بقوة أنوار مباشرته صلى الله عليه وسلم وعدم ذلك لا بد من حصول الفرق باختلاف
الحال والله أعلم (قوله ساعة وساعة) اى فان لربك حقا ولنفسك حقا ولزوجك حقا
اى فالرجوع للنفس فى الذى لها بشاهد علم المتابعة لا يضر ولا يخرجها عن درجة كمالها
(قوله لى وقت الخ) الذى يظهر انه وقت غلبات الحقيقة عليه صلى الله عليه وسلم فيغيب
فيها عن غيره تعالى والله أعلم بمراد رسوله (قوله وبقية الاوقات الخ) اعلم أنه صلى الله
عليه وسلم قد تحقق له حالان جليلان ونعتان شريفان وهو الظهور بلوازم الانسانية
المؤيد بسواطع أنوار الشريعة المحمدية وذلك لحكمة الابلاغ لما أمر به من الاحكام
والرجوع الى مشاهد تجليات الحق بشهود معاينة العيان وهو فيهما ظاهر باطن
بحق لحق فى حق تدبر تفهم والرب بالحال أعلم (قوله ولا يلزم الخ) اى لانه رجوع
بحق لحق فى حق ولا يخفى ما فى قوله ولا يلزم الخ فالاولى أن يقال ولا يمكن مع ذلك أن
يكون فى غفلة وميل الى الدنيا كما هو اللائق بالادب معه صلى الله عليه وسلم (قوله انه
يصح دوام الاحوال الخ) اى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم دوام الاستغراق فى أنوار
الحقيقة ولو فى حالة الصحو وابلاغ الاحكام وغيرها (قوله لتضع أجنحتها الخ) يحتمل
الحقيقة او المراد اظهار عظمة طالب العلم بالتواضع له والاستغفار واعلم أنه اذا ثبت
هذا لاهل البداية فما ظنك بأهل النهاية فلا ينبغى للعبد اليأس من عدم حضور قلبه فى
معاملة ربه لان ذلك سوء ظن بالرب تعالى واعتماد على العمل وذلك غيبة عن المولى جل
شأنه بل اذا لم يكن الحضور بالتعبد والعرفان فليكن بالطمع فى الاحسان اذ الطمع
فى الله مع التجرد أفضل من طمع فيه مع وجود العمل وان كان العمل لا بد منه للعبودية
لا للاستحقاق فافهم (قوله فانما قال على حسب فهم السامع) اى اعتبارا بالمألوف
المعهود وذلك شأنه صلى الله عليه وسلم حيث لا يقول الا ما تسعه العقول بظهور وصفه
بقول الحق بالمؤمنين رؤف رحيم والا فحقيقة الحالة الثابتة له عليه الصلاة والسلام

(والاولى أن يقال ان العبد مادام فى الترقى) هو (صاحب تلوين يصح فى نعته الزيادة فى الاحوال والنقصان منها فاذا وصل الى الحق بانخناس أحكام البشرية مكنه الحق سبحانه بأن لا يرده الى معلولات النفس فهو متمكن فى حاله على حسب محله واستحقاقه) لما وصل اليه فعلم ان التمكن عدم التغير بالواردات وان اختلفت انواعها ومادام العبد متغيرا فهو صاحب تلوين ومتى كان حاملا لجميع اصناف مايرد عليه وان اختلفت فى القوة والضعف فهو صاحب تمكين لكمال قوته وعون ربه (ثم مايتحفه الحق سبحانه) من البر واللطف (فى كل نفس فلا حد لمقدوراته فهو) اى العبد (فى الزيادات متلون بل ملون) من قبل الحق (وفى أصل حاله متمكن فأبدا يتمكن فى حالة أعلى مما كان فيما قبله) اى قبل حاله الذى هو فيه (ثم يرتقى عنها الى مافوق ذلك اذ لاغاية لمقدورات الحق سبحانه فى كل جنس) وفى لمحة حين (فأما المصطلم) اى الغائب (عن شاهده المستوفى احساسه بالكلية) فقد زالت عنه غلبة البشرية (فللبشرية لامحالة حد) معروف (واذا بطل العبد باصطلامه (عن جملته ونفسه وحسه وحس ذلك عن) سائر (المكونات باسرها ثم دامت به هذه الغيبة فهو محو فلا تمكين له اذا ولا تلوين ولا مقام ولا حال ومادام بهذا الوصف فلا تشريف ولا تكليف) ولا نقص اشبه بالمغمى عليه وهذا ليس بمحمود كامل وانما المحمود الكامل من كمل اشتغاله بمولاه حتى غفل عن نفسه فضلا عمن سواه فلم يغب عن شعوره بنفسه الا لكمال شغله بربه بخلاف المصطلم الذى لاشعور له بنفسه ولا بربه ولا بغيره (اللهم الا ان يرد) الى نفسه واحساسه (بما يجرى عليه من غير شئ منه) بأن يدرك مايجريه الحق عليه ويصرفه فيه (فذلك) العبد (متصرف فى ظنون الخلق) من حيث انه يأتى بما يلزمه بعد ان يرده الحق فى غيبته الى صحوه (مصرف فى التحقيق) من حيث ان الحق وفقه ونفيه عن شهود غيره (قال الله تعالى وتحسبهم أيقاظا) اى لان أعينهم منفتحة (وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكل الارض لحومهم (وبالله التوفيق (ومن ذلك القرب والبعد) من الله ومن البعد لا بالابدان كما سيأتى لاستحالته عليه تعالى بل لما أخذ فى بيانه بقوله

دوام الاستغراق بغلبة أنوار الحقيقة على قلبه وانما الشدة تمكنه من مقامات القرب لا يتأثر فى ظاهر الحال وذلك أيضا لسر الارشاد والتبليغ (قوله والاولى أن يقال الخ) محصله انه مادام التأثر بالوارد بقوته اوضعف المحل فصاحبه فى التلوين مترق فى المقامات عرضة للزيادة والنقص بخلاف مااذا كان لايتأثر بالوارد فصاحبه فى التمكين محفوظ عن التغير بالنقص (قوله بانخناس أحكام البشرية الخ) أى وذلك على حسب التحقق بحقيقة الاخلاص بعد فناء سائر الحظوظ التى من جملتها استحلاء الطاعة والتألم بفراق لذتها اذ هى أعظم العلل ولذا قال الواسطى استحلاء الطاعة سموم قتالة قال فى لطائف المنن وصدق الواسطى فأقل مافى ذلك اذا فتح باب حلاوة الطاعة أن يصير العبد قائما فيها متطلبا لها فيفوته صدق الاخلاص فى نهوضه لها ويجب دوامها الا قياما بالوفاء ولكن لما وجد من الحلاوة والمتعة فيكون فى الظاهر قائما لله وفى الباطن انما قام بحظ نفسه ويخشى عليه أن يكون ذلك جزاء تعجل له فى الدنيا فيأتى يوم القيامة ولا خير له اه (قوله بل ملون) اى بتصريف الحق فيه ومع ذلك لايخرج عن مقام التمكين كما أشار اليه بقوله فابدا يتمكن الخ (قوله فاما المصطلم الخ) المراد ان ماتقدم من التلوين والتمكين انما هو فى حق غير المصطلم اما هو فلا تلوين ولا تمكين له لدوام عدمه وانما فاته غير ان الكمال فى الكمال (قوله فللبشرية لامحالة حد) اى وعليه مدار التكليف وبحقيقته تكون زيادة التشريف اذ هو سر الله المودع فى السر ومحل شهود عالم الخفاء والجهر ثم اذا غلبت سواطع الانوار حتى غيبت عن الحس والاستبصار فيكون فى الفناء دائما وعن نفسه وغيره عديما فلا تكليف ولا حال ولا مقام حيث هو فى شهود الحق على الدوام (قوله فلا تشريف ولا تكليف) اى لانتفاء مدار ذلك منه بانتفاء شعوره فهو دائما فى سكر غلبة أنوار الحق (قوله وانما المحمود الكامل) اى وهو خلق محمدى وطريق أحمدى (قوله فذلك العبد) اى فى حال ارجاع الحق له الى احساسه متصرف بفعله فى ظنون الخلق اعتبارا بظاهر الحال وهو مصرف بالحق فى تحقيق المقال (قوله قال الله تعالى) دليل لما قبله من قوله اللهم الخ (قوله ومن ذلك القرب والبعد) أقول القرب على وجوه ثلاثة اولها

(أول رتبة في القرب) من الله (القرب من طاعته والاتصاف في دوام الاوقات بعبادته واما البعد) منه (فهو التدنس) والتلطخ
(بمخالفته تعالى والتجافى) اى البعد (عن طاعته فأول البعد بعد عن التوفيق ٨٩ ثم بعد عن التحقيق بل البعد عن التوفيق)

أولها قرب الكرامة وهو من الحق الينا وآيته مشاهدة قرب الحق منا واحاطة علمه بنا والثانى قرب الاحاطة بالعلم والقدرة والارادة وهو قرب الحق من كل موجود قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ونحن أقرب اليه منكم وهو معكم أينما كنتم الى غير ذلك والثالث قرب المسافة والنسب والمداناة وهو قرب الاجسام وسائر المحدثات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فحينئذ المراد بالقرب المراقبة حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فافهم (قوله أول رتبة فى القرب) أقول فى بيان هذا المقام على طريق ذوق الاحكام ان أول الدرجات تحصيل أحكام المتابعات بالتلقى من شيخ ناصح والتعلم بالدليل الواضح ثم اذا أحكم التعلم وأتقن التفهم شمر عن ساعد الجد والاجتهاد وعمر الوقت بعبادة رب الاسعاد مهتما بأداء المفروضات بعد اسباغ ماء الطهارات وتخلص الباطن من القاذورات بافراد المعبود بمحاسن النيات فهذا أول القرب من منهل شراب الحب ثم اذا أراد فتح الباب والدخول فى حظائر الاحباب يبادر بفعل المندوبات فى أشرف أوقات التهجدات ليتعرض لتنزل الرحمات فاذا ثبتت فى ذلك أقدامه وانله فى المكابدة اقدامه أشرقت أنوار الاله على سره وتوالت بالواردات على قلبه فلا يشهد حينئذ الا المعبود ولا يعول الا على المقصود فحينئذ يصل الى مقام الاحسان ويكرع من رائق شراب الدنان هذا معنى قرب العبد من الرب وقطعه بنعوت الهائم الصب وتحقق محبة الله للعبيد توفيقه اياهم لدوام التسديد وافراغ أنوار الرحمات فى أشرف أنواع التجليات حتى يفنى الفانى فى القديم وتمكن الروح فى مقام التعليم فيكون قوله بالحق وفعله بالصدق محفوظا فى جميع الحركات والسكنات عن ملابسة شئ من العادات والالوفات وهو معنى كنت له سمعا وبصرا فيما ثبت فى بعض القدسيات والله أعلم (قوله القرب من طاعته) اى على معنى ملازمتها والاهتمام بوظائفها فى أوقاتها المحدودة او غير المحدودة كما أوضحه قوله والاتصاف فى دوام الاوقات بعبادته (قوله فهو التدنس بمخالفته تعالى) واعلم أنه لا فرق فى طريقة الصوفية فى تحقق المخالفة بين كبير الذنوب وصغيرها يعنى انهم لا يقولون بصغير من الذنوب وكانهم نظروا العظمة المخالف وهو الحق تعالى (قوله بعد عن التوفيق) اى ومن المعلوم ان المعاصى بريد الكفر والعياذ بالله تعالى (قوله كنت له سمعا وبصرا الخ) المعنى كنت حافظا له ذاتا وصفة ولذا عبر بالسمع والبصر وهما من الصفات وباليد والرجل وهما من الجوارح (قوله تزايد أدبه معه) اى زادت مجاهداته على طريق المتابعة له صلى الله عليه وسلم (قوله فقرب العبد أولا الخ) اعلم أن طلب الوصلة والقرب سببه غيبة العبد عن مولاه اذ لو كان حاضرا معه لشاهد قربه وما التفت لغيره فضلا عن طلب القرب منه غير انه اقبح من ذلك طلب الوصلة بغيره تعالى لان

فى الحقيقة (هو البعد عن التحقيق) بالنسبة اليه تعالى (وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم) فى الخبر الصحيح (مخبرا عن الحق سبحانه ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى يحبنى وأحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا) ويدا ورجلا وروى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها (فبى يبصر وبى يسمع الخبر) بتمامه اى ذكر الخبر بجوز رفعه وجره ففيه اشارة الى ان قرب العبد من ربه انما هو بطاعاته وأوله القيام بالواجبات والبعد عن المحرمات ثم القيام بالمندوبات والكف عن المكروهات والشبهات ثم القيام بملازمة أفضل المندوبات فاذا تعالت درجته ودامت مراقبته لاحكام ربه انتقلت همته الى مقام الاحسان وهو مقام المقربين وهو رؤية ربه فى سائر الحركات والسكنات فاذا دام ذلك عليه أحب مولاه لما رأى من توالى احسانه اليه واذا أحبه تزايد أدبه معه وحينئذ يكون فى أعلى مراتب القرب فيحبه مولاه

١٢ بج فى ويسبغ عليه نعمه والطافه ويجرى عليه كراماته وهذا هو المراد بقوله كنت سمعه الخ
اذ ظاهره غير مراد قطعا فالمراد انى أحفظه واسبغ عليه النعم والالطاف فى سائر حركاته وسكناته (فقرب العبد أولا) من الحق

(قرب بايمانه وتصديقه ثم قرب باحسانه وتحقيقه وقرب الحق سبحانه من العبد ما) اى بما (يخصه اليوم) اى فى الدنيا (به من العرفان وفى الآخرة ما) اى بما (يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك) اى فى اثنائه الشامل له ما ذكر (من وجوه اللطف والامتنان) عليه (ولايكون قرب العبد من الحق الا ببعده من الخلق وهذا) القرب (من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون) اى الوجود من القرب بالابدان لاستحالته فى حقه كما مر وكما سيأتى (وقرب الحق سبحانه) من العبد يكون بالعلم والاحاطة وغيرهما كالحفظ وتوالى فضله على ذاته فقربه منه (بالعلم والقدرة عام للكافة) من الخلق (و باللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ثم) اى قربه منه (بخصائص التأنيس) به تعالى (مختص بالاولياء) فقربه من العبد كقرب العبد منه متفاوت الرتبة ومع ذلك فقربه من العبد انما هو بالنسبة لشئ من ذلك لابالنسبة للابدان كما تقرر (قال الله تعالى ونحن أقرب اليه منكم) اى بالعلم (وقال) تعالى (ونحن أقرب اليه) اى بالعلم (من حبل الوريد وقال) تعالى (وهو معكم) اى بالعلم (أينما كنتم وقال) تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) اى بعلمه (ومن تحقق) الوصول (بقرب الحق منه (فأدونه دوام مراقبته اياه لان عليه رقيب التقوى ثم عليه رقيب الحفاظ) له ولافعاله (و) رقيب (الوفاء) بما عوهد عليه (ثم رقيب الحياء) من الوقوع فيما لايليق واذا وصل العبد الى دوام مراقبته لربه واشتغل بها وهو منه حتى لايخرج عن الحق حسن منه أن يقول هذه الابيات التى ذكرها المصنف مما بقوله (وانشدوا) فى ذلك (كأن رقيبا منك) يارب (يرعى خواطرى * وآخر يرعى ناظرى ولسانى *) من الوقوع فيما لايليق (فما رمقت عيناى بعدك) اى بعد نظرهما اليك (منظرا يسوءك) فى شريعتك (الا قلت قد رمقانى) اى الرقيبان فى ذلك فلا أقع فيه (ولا بدرت من فى) اى أسرعت من فمى (دونك) اى بعدك (لفظة بغيرك الا قلت قد سمعانى) اى الرقيبان

سببه عدم الحياء منه سبحانه فانه لو استحى منه لما استحسان يلتفت الى غيره فضلا عن كونه يراه أهلا لذلك فذووا الهمم العالية اعلمهم بأن الامور كلها بيده وقدرته تعالى عكفت عليه هممهم وبالجملة فالطالب كله معاول الا ما كان من شاهد علم المتابعة (قوله قرب بايمانه وتصديقه) عطف التصديق على الايمان للتفسير وقوله ثم قرب باحسانه اى بأداء العبادة مع المراقبة فيها بغاية الاخلاص الذى هو تحقيق الحق عند العبد حضورا ثم كشفا ثم شهودا ثم عيانا (قوله وقرب الحق سبحانه الخ) محصله أنه فى الدنيا باشراف العبد على مظاهر الاسماء والصفات وفى العقبى بكشف الحجب عن الذات (قوله الا ببعده من الخلق) اى لانه لاتستوى الظلمات والنور فعلى حسب البعد عن الخلق يكون القرب من المولى الحق (قوله وهذا القرب من صفات القلوب) اى وذلك لكونه من المعانى لامن حقيقة التدانى (قوله وقرب الحق سبحانه الخ) محصله أن قربه تعالى من الخلق يختلف باختلاف احوالهم قوة وضعفا بحسب سابق القسمة الازلية (قوله ثم قربه منه بخصائص التأنيس الخ) اى وامارته الوحشة من الخلق والانس بالرب الحق (قوله انما هو بالنسبة الخ) اى فهو بمظاهر أسمائه وصفاته تعالى (قوله قال الله تعالى) الغرض الاستدلال على ما قدمه من أن قرب الحق من الخلق يختلف بحسب استعدادهم (قوله فأدونه) اى فأقل درجات القرب يتحقق برعاية الحفظاء وذلك بتمامه على نفسه بما يخص وظائف أوقاته (قوله دوام مراقبته اياه) اى فى أداء ما افترض عليه مع حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من غوائلها باستيفاء حظوظها حق بذلك يوفى عهده ويقوى يقينه (قوله حسن منه أن يقول هذه الابيات الخ) اى لانه والحالة ما ذكر قد تحقق بمعانيها وصار من أهل ناديها (قوله كأن رقيبا منك الخ) كأن فى كلامه منسلخة عن معنى التشبيه الى التحقق فى كامل الازمنة والرقيب بمعنى المراقب والخواطر جمع خاطر وهو ما يرد على القلب من ملاغيات البشرية وقوله وآخر صفة لمحذوف اى ورقيب آخر يرعى ناظرى ولسانى أى يراعى ما يصدر عنهما فيحصيه على وقوله فما رمقت اى نظرت عيناى بعدك اى بعد مرفق اياك وعلى جلالك على يسوءك أى يغضبك لمجاوزته حدودك فى شريعتك وقوله الا قلت قد رمقانى أى الا اعترفت وأذعنت بامضاء ما جنيته من المخالفات وذلك كناية عن رجوعه الى ربه بالتوبة والندم وقوله ولا بدرت من فى دونك لفظة اى ولا صدرت كلمة من فى اسرعة دونك اى بعدك متعلقة بغيرك

(ولا خطرت فى السر بعدك خطرة * لغيرك الاعرجا بعنانى *) عنها شبه مايقوده للطاعة بعنان الفرس (و) لى (اخوان صدق قد سئمت) اى مللت (حديثهم * وأمسكت عنهم ناظرى واسانى وما الزهد أسلى عنهم غيرانى * وجدتك مشهودا) وأنا (بكل مكان) اى اشتغلت بربى عنهم لا زهدا عنهم كما أزهد عن 91 غيرهم من أرباب الدنيا بل لكمال شغلى بمحبوبى (وكان بعض المشايخ يخص واحدا من تلامذته باقباله) الزائد (عليه فقال اصحابه له فى ذلك) اى سألوه عن سببه (فدفع الى كل واحد منهم طيرا وقال اذبحوه بحيث لا يراه أحد فمضى كل واحد منهم) الى مكان (وذبح الطير) الذى معه (بمكان خال وجاء هذا الانسان والطير معه غير مذبوح فسأله الشيخ فقال أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم يكن موضع الا والحق سبحانه يراه) فلم يمكنى ذبحه (فقال الشيخ لهذا أقدم هذا عليكم) اذ (الغالب عليكم حديث الخلق) فيغلب عليكم الغفلة عن الحق (وهذا غير غافل عن الحق) تعالى (ورؤية القرب) من الله (حجاب عن القرب) لانه اذا رأى قربه منه فقد رأى غيره فكمال قربه أن يشتغل بربه عن قربه منه (ومن شاهد لنفسه محلا او نفسا) بفتح الفاء (فهو ممكور به) مغرور به (ولهذا قالوا أوحشك الله من قربه اى من شهودك لقربه) اى اقربك منه بمعنى شغلك الله به شغلا حتى لا تجد لقربك منه أثرا (فان الاستئناس) اى استئناس العبد بقربه من الله (من سمات) اى علامات (العزة به) وبعده من الحق (اذ الحق سبحانه وراء) أى امام (كل أنس وان مواضع الحقيقة) اى موجباتها (توجب الدهش) اى التحير (والحق) اى يوجب دهشك بالحق وعقلك عن غيره (وفى قريب من هذا قالوا

مع الارض بك الاقات قد سممانى فكتمانها على" وقوله ولا خطرت فى السر بعدك خطرة اى ولا وقع لى التفات بقلبى الى غيرك الاعرجا بعنانى اى أخذا بعنانى لارجاعى الى طاعتك ومعاملتك وقوله ولى اخوان صدق اى بسبب انى آخيتهم فى الله ولله وبالله قد سئمت حديثهم الخ أى وقع لى ملل منه بالفناء عنهم والوجود به سبحانه وتعالى وأمسكت عنهم الخ اى لكونى شغلت عنهم بالأحق منهم كما يفيده قوله وما الزهد الخ الذى معناه أن أنسى بشهودك اوحشنى من غيرك فأعرضت عنه واعلم أن الشارح قدر لفظة أنا فى قوله مشهودا وانا بكل مكان للاشارة الى نزاهة الحق تعالى عن المكان كالزمان وان صح عدم التقدير اذ الحوادث دلائل وجود الحق المطلق لانه ما من كائن الا وفيه مايدل على انه تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله (قوله وكان بعض المشايخ الخ) فى ذلك تنبيه على ان القرب من الحق متفاوت بحسب تفاوت المراتب فى المراقبات فالعبد اذا زادت مراقبته لمولاه زاد قربه منه والله أعلم (قوله ورؤية القرب الخ) المراد الحث على التبرى من شهود النفس ومالها من الاحوال والمقامات رجوعا الى صفة الفضل له سبحانه وتعالى (قوله ومن شاهد لنفسه محلا الخ) أقول ومن ذلك الانس بنور الواردات اذا انبسطت أنوارها فى عوالم القلوب وأودعت أسرارها بكل امر محبوب لان ذلك جهل ونقص ظاهر اما الجهل فلان اوقات الصفاء لا تدوم فمن ظن دوامها فهو احمق ومغرور وانما تدوم اوقات الوفاء وعليه عمل الاكابر دون الحركات والاحوال وأما النقص فلان الانس بالواردات بعد عن الحق وذلك مرجوح بكل حال فافهم (قوله فان الاستئناس الخ) مراده أن الاستئناس بقرب الحق المذموم هو الذى يقف العبد معه ويستحسنه ويكتفى به عما وراءه فالعبد الكامل الموفق من قصر قصده عليه تعالى ولم يشغله عنه حال ولا مقام (قوله وراء كل أنس) اى يثبت من قبل النفس (قوله وان مواضع الحقيقة) اى منازلاتها توجب الدهش اى اختلاط الفكر والحيرة وذلك ينافى الاستئناس بكل شئ (قوله وفى قريب من هذا الخ) أى فحقيقة القرب لا تتم الا بالفناء فى ذات الرب سبحانه وتعالى ولله در من قال

كانت لقلبى اهواء موزعة * فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بحبك يا دينى ودنيائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده * وصرت مولاهم مذ صرت مولائى

قال فى التنوير انما يخاف الحق فى الحالة التى يستقلها منه الا انها لا تنال منك وانما جاءت لتحمل هدية

يعنى فيك انى * ما أبالى بعنقى) هـذا ساقط من نسخ (قربكم مثل بعدكم * فتى وقت راحتى * وكان الاستاذ ابو على الدقاق رحمه الله كثيرا ما ينشد وداد كم) اى رؤيتى لمودتى لكم (هجر وحبكم) اى وديتى لمحبتى لكم (قلى *) اى بغض لكم واعراض عنكم (وقربكم بعد) اى ٩٢ ووقوفى مع قربكم يدل على بعدى عنكم وهو محل الاستشهاد (وسلكم) اى صلحكم (حرب) بمعنى ردكم لى الى تنعمى وحسن حالى أبعدتمونى عنكم (ورأى ابو الحسين النورى بعض أصحاب ابى حمزة فقال أنت من أصحاب ابى حمزة الذى يشير الى القرب اذا لقيته فقل له ان أبا الحسين النورى يقرئك السلام و يقول لك قرب القرب فيما نحن فيه) اى رؤيتك له (بعد البعد) لدلالتها على اشتغالك عنه بغيره فتلخص ان المراد بالقرب هذا القرب المعنوى (فاما القرب بالذات) اى بالبدن من المكان (فتعالى الله الملك الحق عنه فانه تعالى متقدس) اى متنزه (عن الحدود والاقطار والنهاية والمقدار) ونحوها مما يدل على الجسمية (ما اتصل به مخلوق) اذ لا تحله الحوادث (ولا انفصل عنه حادث مسبوق) به لتنزهه عن ذلك كما قال (جلت) اى عظمت (الصمدية) اى صمديته تعالى (عن قبول الوصل والفصل) وقربه تعالى ثلاثة أقسام بينها بقوله (فقرب هو فى نعته) تعالى (محال وهو تدانى الذوات) اى الابدان كما مر (وقرب هو واجب) اى ثابت قطعا (فى نعته وهو قرب بالعلم والرؤية) ونحوهما (وقرب هو جائز فى وصفه) اى نعته (يخص به من شاء من عباده وهو قرب الوصل بالالطاف والانعام وذكره
* (ومن ذلك الشريعة والحقيقة) *

التعريف من الله الملك فتوجه اليها باسمه البادئ فأبداها وأبقاها حتى وصلت الملك فلما وصلت الامانة توجه اليها باسمه المعيد فأرجعها وتولاها فلا تطالب بقاء رسوم بعد ان بلغ رسالته ولا امينا بعد ان ادى امانته (قوله يعنى الخ) اى اضمحلالى وابتلائى بالاشواق الى شهود صفات جمالك فيك أنى ما أبالى بعنقى لاستغراقى وفنائى وردى فى مشاهدة الحب ولذلك أشار بقوله قربكم مثل بعدكم حيث يريد انه دائم على الاغماق والانمحاق فى وقت راحتى اى فأى وقت وزمن أحصل فيه راحتى التى هى دواعى ربما فحمت تجلى سواطع انوار الحقيقة والله اعلم (قوله ودادكم الخ) اى فينبغى للعبد ان يستغنى عن كل شئ حتى يتحقق بنعت الفناء اذ لو تعلق بغيره وكله الله اليه ففى الاشارة عن الله لا تركنن الى شئ دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تبعناه عليك وان ركنت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال اوقفناك معه وان أنست بالوجد استدرجناك فيه وان طلبت الى الخلق وكلناك اليهم وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأى حيلة لك وأى قوة لك معنا فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا ثم علامة الاكتفاء بالله الرضا عن الله والاهتمام بأمره وعدم الالتفات لغيره لان غير ذلك من الفقد والبعد (قوله قرب القرب الخ) أى ويؤيد ذلك قول بعض العارفين سبحان من لم يجعل لمعرفته سبيلا الا العجز عن معرفته فافهم (قوله لدلالتها على اشتغالك عنه بغيره) اى فالكامل من لا يقف مع شئ دون ذاته تعالى (قوله القرب بالذات الخ) الغرض توضيح معنى القرب له تعالى وأنه قرب معنوى لا كالمعتاد المتعارف الحسى الذى هو بالذات لانه تعالى منزه عنه وعن لوازمه من الحدود والاقطار والنهاية والمقدار من كل ما يلزم الجسمية (قوله جلت اى عظمت الصمدية الخ) هى تقال على من لا جوف له وعلى المقصود لما سواه فى جميع الحوائج وعلى غير ذلك (قوله وهو قرب بالعلم والرؤية الخ) المراد بالرؤية انكشاف الكائنات له تعالى وحينئذ فالعطف للتفسير ويحتمل ان المراد رؤية عباده اياه فى الآخرة ولرسوله فيهما (قوله وقرب هو جائز فى وصفه) اى وهو ما تقدم الكلام عليه وأنه مختلف باختلاف استعداد العبد (قوله ومن ذلك الشريعة والحقيقة) أقول اهل الظاهر والشريعة مع الايمان بالغيب لا بالمشاهدة ابقاء الرسوم عندهم لوقوفهم مع ظواهر متعلقات الايمان واهل الباطن والحقيقة مع اليقين لتخلصهم من وهم الرسوم بانكشاف العلم اللدنى لهم فعاينوه فصاروا على يقين جازم وقال بعضهم المراد بالحقيقة حقيقة العبد المنسلخ من جميع الصفات البشرية المتحقق بالروحانية المعرفة وقيل الباطن عند الظاهر حقيقة والسر عند الباطن حق

والطريقة (الشريعة أمر) للعبد (بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية) اى رؤيتها بقلبه

ويعبر عن ذلك بأن الشريعة معرفة السلوك الى الله تعالى والحقيقة دوام النظر اليه والطريقة سلوك طريق الشريعة اى العمل بمقتضاها وبعضهم لم يفرق بينها وبين الشريعة والشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة وهما متلازمان لا يتم أحدهما الا بالآخر (فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول) وفى نسخة مقبولة (وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول) وفى نسخة محصولة فمن لا حقيقة له لا شريعة له ومن لا شريعة له لا حقيقة له لان الحقيقة أصل الايمان والشريعة القيام بالاركان فمن عرف الحق ولم يعبده تعرض للخسارات ومن لم يعرفه استحالت منه الطاعات (فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة انباء) اى اخبار (عن تصريف الحق) اى بأن يشاهد ثم يخبر عنه (فالشريعة) أخذا مما مر (ان تعبده) تعالى (والحقيقة ان تشهده) والطريقة ان تقصده (والشريعة قيام) من العبد (بما أمره) الله به (والحقيقة شهود لما قضى) الله به (وقدر وأخفى وأظهر سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول قولك اياك نعبد حفظ للشريعة) من حيث ان العبد أضاف العمل الى نفسه ورأى أنه عامل (واياك نستعين اقرار بالحقيقة) من حيث تبرؤه من القيام بشئ من عبادته وافتقاره فيها الى عون ربه

وذكره بالدوام حقيقة الحق ومشاهدة السر حقيقة الحقيقة وقيل الحقيقة تجمع الكل في الواحد وتجعل الكل فردا وتضيف كون الكل الى الواحد الحق (قوله أمر للعبد بالتزام العبودية) اى بحيث لا يرى حيث نهى ولا يفقد حيث أمر لان الشريعة هي ماشرعها الله من الاحكام أمرا ونهيا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (قوله والحقيقة مشاهدة الربوبية) اى فى جميع الكائنات بحيث انه يرى الخلق بالحق على معنى القيام به ومن ذلك شهود اقباله تعالى فى عبادته بالتحقق بمقام الاحسان المشار اليه فى خبر أن تعبد الله كأنك تراه الحديث (قوله معرفة السلوك الى الله تعالى) اى وذلك بعلم أحكام العبادة وما يتقرب به الى ربه ليوقع ذلك على الكمال حسب المطلوب (قوله والحقيقة دوام النظر اليه) اى حال التلبس بالعبادة وغيره مع الاخلاص فى كل شئ (قوله والشريعة ظاهر الخ) أقول هو المتجه الجلى (قوله فغير مقبول الخ) اى لانه قد يغتر بطاعته ونوره وفتحه ويكون اغتراره بمنزلته ومواهبه على الخلق معتمدا على ثبوت معرفته عندهم وبالكشف عن الحقيقة تبدو العوارف وتنهتك الاستار فكن عبد الله لا عبد الحال فكما كان الله ربا بلا علة فكن عبدا له ولا علة لتكون له كما كان لك فافهم (قوله فغير مقبول) اى لانها مجرد صورة خالية عن السر فى القبول وقوله فغير محصول اى لفساد الاعمال ظاهرا وباطنا (قوله فمن لا حقيقة له لا شريعة له الخ) تفريع على ماقبله وحاصله أن الاعمال لها أساس تبنى عليه وهو الايمان فاذا لم يتحقق الاساس تداعى ما بنى عليه لفساده واذا تحقق الاساس ولم يبن عليه فقد تعرض للخسارات فعلى العبد أن يقدم معرفة ربه ثم يدوم على عبادته فعسى أن ينال القبول وينال من الله الوصول (قوله لان الحقيقة أصل الايمان الخ) اى فالحقيقة من خواص الجوارح الباطنة والشريعة من أعمال الظاهرة وحينئذ فلا بد من كل منهما (قوله فمن عرف الحق الخ) اى من صدق به بقلبه ولم يعبده على طريق المتابعة فقد تعرض للخسارة دينا ودنيا ومن لم يعرفه ولم يصدق به استحالت منه الطاعات اذ شرط صحتها القصد وهو متعذر حينئذ (قوله جاءت بتكليف الخلق) اى اعتبارا بظاهر الكسب وقوله والحقيقة انباء الخ اى اعتبارا بمنزله الامر فى نفس الامر (قوله فالشريعة ان تعبده) اى امتثالا وقياما بوظيفة التكاليف وقوله والحقيقة ان تشهده اى باخلاص القصد لتنال القرب وتدوم فى النعيم اذ النعيم وان تنوعت مظاهره فانما هو فى شهود الحق واقترابه فتشهده فيما تجلى فيه وبه من الفوائد والعوائد وغيرها مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فى هذه الدار وفى تلك الدار والعذاب وان تنوعت انواعه فانما هو بالحجاب قال فى التنوير ولو ان الحق سبحانه تجلى لاهل النار بجماله وكماله لغيبهم عن ادراك العذاب كما انه لو احتجب عن اهل الجنة ما طاب لهم نعيم فافهم (قوله والطريقة أن تقصده) اى تقطع علائقك عن الكائنات بأسرها (قوله يقول قولك اياك نعبد الخ) الغرض له نفعنا الله به

(واعلم ان الشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بأمره والحقيقة ايضا شريعة من حيث ان المعارف) اى معرفة العارفين به سبحانه (ايضا وجبت بأمره) وذلك لان الشريعة يغلب فيها حال مراعاة الاوقات والاعمال الموصلة الى الخيرات التى منها رؤية خالق الارض والسموات والحقيقة يغلب فيها حال الايمان على القلب حتى يصير مشاهدا بقلبه لربه فلما كانت الاعمال الغالبة فى الشريعة لا تصح الا بالتوحيد والايمان كانت كل شريعة حقيقة اى هى ثمرتها ولما كان الايمان الغالب فى الحقيقة مأمورا به شرعا كانت كل حقيقة شريعة وانما وقعت التفرقة بينهما بالنظر للغالب فى حال العابد والعارف ولما كان العابد يغلب عليه الوقوف مع الاعمال واتقانها والاخلاص فيها سمى صاحب شريعة ولما كان العارف يغلب عليه حال الحق ويرى ان جميع ما هو فيه من فضله سمى صاحب حقيقة فتبين ان بينهما اجتماعا وافتراقا بالاعتبار

﴿ ومن ذلك النفس ﴾

بفتح الفاء (النفس ترويح القلوب بلطائف الغيوب) لان النفس انما هو ترويح الصدر اذا اختنق ضيقا بما يقاسيه ولو امسك عن تنفسه لهلك (وصاحب الانفاس ارق واصفى من صاحب الاحوال) وارباب الاوقات هم الخائفون لاحوالهم فى اوقاتهم لئلا يضيع عليهم فمن غلب عليه شغله بالاولى به فى وقته سمى صاحب وقت ومن توالت عليه احواله المتوالية على قلبه وهو حاصل لها تأديب مع الحق فيما يرد عليه منها سمى صاحب حال ومن تنفس وروح قلبه بما وهبه الحق له من لطائف غيبه واكرامه سمى صاحب نفس

يان المقامين الشريفين مقام الفرق الحافظ للشريعة ومقام الجمع المحقق للحقيقة لاجل العمل عليهما والتحلى بهما (قوله واعلم أن الشريعة الخ) حاصله ان وحدتهما باعتبار رجوع كل الى مظاهر الامر وذلك على حسب وحدة الامر ثم يحتمل أن رجوع كل للآخر باعتبار ان العبادة على وفق الشريعة توصل الى شهود التوحيد القلبى بقوة الايمان فالحقيقة حينئذ ثمرة الشريعة والايمان القلبى الذى هو معنى الحقيقة مأمور به شرعا فرجعت بهذا الاعتبار الحقيقة الى الشريعة كما أشار الى ذلك الشارح فتأمله (قوله النفس ترويح الخ) قالت هو بالتحريك أدق الحركات النفسانية فى عالم الملك والشهادة وبعضهم قد جعله لازمة دقيقة يجرى بها وجود الانسان فتظهر على وجوده ويناله منها ما يقتضيه الحق للعبد من الامور العادية وغيرها فهى مراكب الاحكام الجارية على العباد وبحسب هذا فكل نفس يقتضى تجليا جلاليا او جماليا وذلك التجلى يقتضى عبودية وتلك العبودية تقتضى محلا ولا يزال ذلك متجددا على مر الدهور بعدد الانفاس فيكون الصدق كل نفس سالكا طريقا الى الله وعلى هذا يتنزل قولهم الطرائق الى الله تعالى بعدد انفاس الخلائق لا ما يتوهمه بعض الناس من اختلاف الحق ومخالفته فان الطريق واحد وهو طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومسالكه ثلاثة عبادة وارادة وزهادة هذا ومحصل ما فى المصنف أن النفس للواصلين من اهل السرائر والوقت للمبتدئين أصحاب الظواهر والحال للمتوسطين أهل الضمائر فالنفس لاصحابه اعلى وأغلى والوقت لاربابه أظهر وأجلى والحال فى حال الجمال تجلى (قوله النفس ترويح القلوب) اى كما قيل

يا عذولى سلم الى قيادى ۞ ثم دعنى فما عليك رشادى
بيه راحتى وروح حياتى ۞ وكذاك كربى الاخى وزادى
واذا ما مرضت فهو طبيبى ۞ كلما عادنى بلغت مرادى
واذا ما ضللت أوضل ركبى ۞ عن حماها فوجهه لى هادى
يا عذولى فكن عليه عذيرى ۞ او فقل لى ما حيلتى واجتهادى
ان تأسى او لا تأسى فانى ۞ حبه مذهبى وأصل اعتقادى

(قوله ترويح القلوب) اى بايداء ما يترتب عنها من واردات الحق واشارات الصدق بشاهد الكتاب والسنة اذ لا يصح الخروج عنهما فى ذرة من الذرات فاذا بعد الحق الا الضلال فافهم (قوله انما هو ترويح الصدر) اى واول ما يقع لبعض المحبين من اللامية من هذا النوع والله أعلم (قوله أرق وأصفى الخ) اى لانه من أهل مشهد الجمال فحاله غالبا البسط بخلاف صاحب الاحوال فانه من أرباب مشهد الجلال فحاله غالبا

(فكأن صاحب الوقت مبتدئ وصاحب الانفاس منته وصاحب الاحوال بينهما فالاحوال وسايط والانفاس نهاية الترقى)
والاوقات بداية (فالاوقات لاصحاب القلوب والاحوال لارباب ٩٥ الارواح والانفاس لاهل السرائر وقالوا)
اى الصوفية (أفضل العبادات عد الانفاس مع الله تعالى وقالوا خلق الله تعالى القلوب وجعلها معادن للمعرفة) به (وخلق الاسرار وراءها) اى بعدها (وجعلها محلا للتوحيد فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة واشارة التوحيد على بساط الاضطرار) الى قضاء الوطر (فهو ميت وصاحبه مسؤل عنه سمعت الاستاذ اباعلى) الدقاق (رحمه الله يقول العارف لايسلم له النفس لانه لامسامحة تجرى معه) فيه اذ لاتفرقة عنده لكمال شغله بربه حتى غفل عن جميع احواله وانفاسه (والمحب لابد له من نفس اذ لولا ان يكون له) نفس (لتلاشى) وهلك (لعدم طاقته) على ذلك قال الشيخ ابو محمد عبد الله بن محمد الانصارى والنفس على ثلاثة درجات نفس فى حين الضيق علوه من الكظم متعلق بالعلم ان تنفس تنفس بالتأسف وان نطق نطق بالحزن ونفس فى حين التجلى علوه من نور الوجود شاخص الى روح المعاينة ونفس مطهر بماء القدس قائم باشارات الازل والنفس الاول للمغرور سراج اى لانه يخلصه من عثرة وفتنة والثانى للاة صعد معراج اى لانه يتوصل به
الى مطلوبه من استغراقه فى توحيده والثالث للمحب تاج اى لانه قد وصل الى مطلوبه فصار نفسه علاوجلاء من محبوبه تاجا يتشرف به ولذلك قالوا ان العارف لايسلم له النفس لكمال شغله بربه

القبض ولهذا يلزمه ملازمة الادب والله أعلم (قوله فكأن صاحب الوقت مبتدئ الخ) اى فالخلق درجات بحسب سابق العنايات فمنهم موفق للخيرات يراقب نفسه مع الاوقات وذلك من شيم المريدين واخلاق المبتدئين ومنهم من تخلص من رق الاشباح فعرج بروحه على معاريج الافراح فهو دائم الترقى والتنقل من حال الى حال مرتضع ثدى الافضال لايسكن مع الواردات حتى يصل الى المشاهدات ومنهم صاحب انفاس يدوم على شرب خمر الكاس وهو لاينطق ظموءه بالشرب ولا تخمد نار حبه بالقرب يراعى كل نفس من الانفاس أن يضيع مع غيرب الناس رضى الله عنهم وعنا ببركاتهم (قوله فالاوقات لاصحاب القلوب) اى لكونهم قد ابتدؤا قصد التوجه والسير الى الحق تعالى مع بقائهم على الرسوم الخلقية لعدم فناء أنفسهم وقوله والاحوال لارباب الارواح اى لمن ترقى بفنائه عن النفس الامارة وتحقق بالنفس اللوامة فهم من التائبين قال تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم وقوله والانفاس لاهل السرائر اى الذين قد فنيت منهم النفوس وشاهدوا جمال الحق القدوس ووصلوا الى مقام الطهارة ولذا قد تنفسوا بدقائق العبارة ومعالى الاشارة والله أعلم (قوله أفضل العبادات عد الانفاس مع الله تعالى) اى لان شأن اربابها أنهم يحاسبون أنفسهم على أنفاسهم فيم خرجت وفيم عادت وانما كانت هذه أفضل العبادات لكونها توجب الحرص على أنواع الطاعة والخوف من الفوت والاضاعة (قوله وجعلها معادن للمعرفة به) اى حيث هى منشؤ الايمان ومنبع الايقان وقوله بعد وجعلها محلا للتوحيد اى الذى هو شهود الكثرة فى عين الوحدة فصاحب هذا المقام يشهد الخلق بالحق وقوله فكل نفس الخ اى لان شرط صاحب النفس قطعه لجميع المقامات التى هى طريق الوصلة الى الحق فاذا تنفس قبل هذه المرتبة كان كالميت بل هو أسوأ حالا من الميت لانه حينئذ متشبع بما لم ينل والله اعلم (قوله العارف لايسلم له النفس) اى ولذلك يقال فى معنى قوله جل ذكره وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أن المراد وان يوما عند ربك تكون فيه مشاهدا مقربا فذلك اليوم من هذه الحيثية كألف سنة خلت عن ذلك بل أكثر ومن ذلك قيل العمر الطويل ما كان فى الطاعة ولو نقص والقصير ما كان فى غير ذلك وان طال به المدى والله اعلم (قوله لايسلم له النفس الخ) اى لايسلم له ضياعه فى غير الطاعة وذلك لان من ثبت له التشريف يعامل بأشق أنواع التكليف (قوله لانه لامسامحة تجرى معه) اى لانه قد قيل سيروا مع الله عرجى ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة فيكون كمن يقول لاأتداوى حتى أجد الشفاء فيقال له لاتجد الشفاء حتى تتداوى (قوله والنفس على ثلاث درجات)

اى لان الاحوال المتعاقبة على العبد بتصريف الحق تارة تنشأ عن الالتفات الى مظاهر الجلال فتورث القلب ضيقا فيتنفس بالتأسف و ينطق بالحزن فيفقد له بذلك سراج البشائر فتارة تنشأ من تجلى نور الحق المرقى الى معارج المشاهدة والمعاينة فلا ينطق الا بحبوبه ولا يتفوه الا بطلوبه وتارة تنشأ من ماء القدس الوارد باشارات الازل فتصلى الحال بتاميات هامات الاذواق فحينئذ يتلاشى العبد ويفنى عن نفسه ومالها والله اعلم (قوله وانما النفس) اى بالشطح والدلال للمحب اى الثابت فى مقام القرب عن كوشف بالجمال ومنح عزيز الوصال ومهدت له موائد التخصيص ورققت له معتقات التقديس فسطعت عليه سواطع الانوار ورفعت له حجب الاستار فشاهد صفات الكمال والجمال وتوج بتاج عز الدلال فهام فى جملة من هام ممن انهل من رائق المدام فغاب حسه عن الخبر والخبر وانعكست بصيرته فى البصر فقام بالاشارات وما لا تسعه العبارات حيث هو فى ديوان الحق بالحق على كراسى منصات الصدق يترجم عن الحضرات الغيبية بلغات المشافهات القدسية هذا ما ذقته فى حضورى وفهت به مع قصورى فافهمه (قوله ومن ذلك الخواطر) اعلم انها اقسام خمسة ربانى وملكى وعقلى ونفسانى وشيطانى فالاول ما يرد على القلب بارادة الرب وهو لا يتعدى ابدا و يكون من حضرة الربوبية والحضرة الرحمانية والحضرة الالهية والفرق بينها ان الربانى يرد بالجلال والرحمانى بالجمال والالهى بالكمال والاول يمحق ويفنى والثانى يثبت ويبقى والثالث يصلح ويهدى والعبد يستمد فى الجلال بالصبر وفى الجمال بالشكر وفى الكمال بالسكينة والثلاثة للعارفين والملكى والعقلى لاهل المجاهدات والنفسانى والشيطانى لاهل الغفلات والخاطر اذا تمكن صار هما واذا زاد تمكنه صار عزما وهو يصير قبل الشروع قصدا ومع اول الفعل نية والله اعلم (قوله هى اقوال الخ) اى اقوال روحانية نفسانية ينشئها الحق تعالى اى يقدرها ويوجدها فى قلوب الخلق على حسب سابق العلم واقتضاء الازل وتلك الاقوال قد تكون من مظاهر الجمال وقد تكون من تجليات الجلال رحمة بالخلق او نقمة لهم وعذابا (قوله والخواطر خطاب الخ) المراد تحقيق معناه وما يعمل به منه (قوله وهو قد يكون الخ) اقول ذلك بالنسبة للعبد الوجود القصد التفصيلى والا فالكل والافعال الامر منه تعالى واليه اذ هو الهادى جل اسمه فافهم (قوله القاء من فى القلب) اى ايجاده فيه بطريق الفيض ولكن فى الغالب لا يفاض ذلك الا على القلوب المقدسة عن الحظوظ المنورة بنور الحق تعالى (قوله قيل له الهواجس) اى وانما قيل له ذلك لان فيه ميلا الى نوع من الحظوظ والشهوات فى غالب الاحوال وفى النادر يكون روحانيا (قوله فقد يعبرون بالهاجس الخ) هذا اصطلاح آخر فى التعبير عن الخاطر والحاصل ان الخاطر يطلق على ما يشمل الجميع وذلك ما قدمه و يطلق على الخاطر الاول وهو الربانى الخ (قوله وهو الخاطر)

وانما النفس للمحب

(ومن ذلك الخواطر)

هى اقوال ينشئها الحق تعالى فى قلوب الخلق تارة بلا واسطة مخلوق وتارة بواسطة مخلوق من ملك او شيطان او نفس وقد اخذ فى بيانها فقال (والخواطر خطاب) او ما فى معناه (يرد على الضمائر) اى القلوب (وهو قد يكون بالقاء ملك و) قد (يكون بالقاء شيطان و) قد (يكون احاديث النفس و) قد (يكون من قبل الحق سبحانه) بلا واسطة (فاذا كان) الخاطر (من الملك فهو الالهام) وهو القاء معنى فى القلب بطريق الفيض (واذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس) والتسويل والتطويع قال تعالى بل سولت لكم انفسكم امرا وقال فطوعت له نفسه قتل اخيه والهواجس جمع هاجس وهو الخاطر

فقد يعبرون بالهاجس عن الخاطر الاوّل وهو الخاطر الربانى وهو لا يخطئ ابدا وقد يسمى السبب وتفرد الخاطر فاذا تحقق
فى النفس سموه ارادة فاذا تردّد الثالثة سموه هما ثم عزما وعند التوجه الى الفعل قصدا ومع الشروع فى الفعل نية (واذا كان
من قبل الشيطان قيل له) وفى نسخة فهو (الوسواس) قال تعالى فوسوس لهما ٩٧ الشيطان (واذا كان من قبل الله سبحانه

والقائه فى القلب فهو خاطر حق
وجملة ذلك من قبيل الكلام)
النفسى الملقى فى الضمائر (واذا
كان من قبل الملك فانما يعلم صدقه
بموافقة العلم) الشرعى (ولهذا
قالوا كل خاطر لا يشهد له ظاهر)
من الشرع (فهو باطل واذا كان
من قبل الشيطان فاكثر ما يدعو
الى المعاصى) واقله يدعو الى خير
فى الظاهر وهو من باب صدقك
وهو كذوب (واذا كان من قبل
النفس فاكثر ما يدعو الى اتباع
الشهوة او) الى (استشعار اى
طلب أكبر او) الى (ماهو من
خصائص) أوصاف (النفس)
التى قال الله فيها انّ النفس لامّارة
بالسوء واما أقله فيدعو الى خير كما
ذكره بقوله تعالى الا ما رحم ربى
ثم اذا عرف العبد كون الخاطر
خيرا قبله وان لم يعرف كونه من
الحق تعالى او من الملك وان علم
كونه شرا ردّه ونفاه وان لم يعرف
كونه من النفس او من الشيطان
وانما فرقوا بين خاطريهما لانّ
الشيطان يكفى فى ردّه المخالفة
والنفس يحتاج مع ذلك الى
مخالفة شهواتها وان يقطع عنها
مالذوذاتها عقوبة لها لئلا تعود

اى الخاطر الجزئى المختص بالنفس فلا ينافى ما تقدم من اطلاقه على ما يكون من الحق
ومن الملك وغيرهما من كل قول يقذفه الحق فى قلوب الخلق (قوله قيل له الوسواس)
اى وهو ما يلقيه الشيطان فى قلب العبد من ملاءمات حظوظ النفس لغرض الاغواء
والاضرار (قوله وجملة ذلك) اى جميع ما تقدم فى معنى الخاطر هو من قبيل الكلام
النفسى الكائن فى الضمائر (قوله واذا كان من قبل الملك الخ) المراد التنبيه على
عدم الوثوق به انها ما للنفس حتى يعرضه على أحكام الشرع الظاهر فان وافقها فحق
والا كان من الدسائس (قوله فهو باطل) اى لا يجوز العمل به وبالجملة فدار الحق
والصدق والمشروعية موافقة أحكام الشريعة فلا تغتر بما يخالفها (قوله وهو من
باب الخ) اى ومن باب قولهم ايضا كلمة حق أريد بها باطل والله اعلم (قوله فاكثر ما يدعو
الى اتباع الشهوة الخ) اى ولذلك تجد العبد يفرح بالموجود ويحزن على المفقود وذلك
لا يكون الا بشاهد حظ النفس وفقدان الحقيقة وعدم النظر للاقدار لان من عاين
التوحيد حصل على التسليم والرضا فلا يبقى له فرح ولا حزن ولا هم ولا غم أبدا قال تعالى
ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على
الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم الآية قال الشبلى من عرف
الله لا يكون عليه غم أبدا وقال السرى من عرف الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش
والاحمق يغدو ويروح فى لاش والعاقل عن عيوبه فتاش والله اعلم (قوله او الى ماهو
من خصائص أوصاف النفس) اى النفس الحيوانية لانها هى التى تميل الى جمع
الحظوظ بخلاف النفس الانسانية فانها لا تميل الى ذلك بل الى العلوم والمعارف فقوتها
وضعفها تابع لقوة القلب وضعفه والقلب تابع قوة وضعفا لقوة وضعف الروح
والروح تابعة لقوة وضعف السر والله اعلم (قوله ثم اذا عرف العبد كون الخاطر خيرا
قبله) اى ولا يتم له هذه المعرفة الا بالعرض على الكتاب والسنة فما وافقهما قبله وعمل به
والا ردّه وذلك عام فى كل خاطر سواء كان رحمانيا او ملكيا أو نفسيا او شيطانيا كما صرّح به
الشارح (قوله وانما فرقوا بين خاطريهما الخ) محصل الفرق الاكتفاء فى الشيطانى
بمجرد المخالفة لضعفه بخلاف النفسى فانه يحتاج مع ذلك الى مخالفة جميع شهواتها
لقوتها (قوله لم يفرق بين الالهام الخ) اى لان أكله الحرام من جملة الموجبة لزيادة
ظلماته المطفئة لعين بصيرته التى هى الفارقة بين الحق والباطل (قوله من كان قوته
معلوما الخ) المراد الحث على الزهد بواسطة الانقطاع عن الاسباب حتى يتم له التقوى يفضى

١٣ يج نى الى ما دعت اليه (واتفق المشايخ على انّ من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الالهام
والوسواس) لانّ ذلك لا يقع الا ان قلت همته ولانّ التمييز بينهما انما يقع بدقيق النظر فى الاحكام وكمال العلم بالحلال والحرام
(وسمعت الشيخ ابا على الدقاق رحمه الله يقول من كان قوته معلوما) اى معينا من جهة

(لم يفرق بين الالهام والوسوسة) لان سكونه الى جهة معينة يمنعه من النظر فى كمال حاله وهو تجسسه لما يرد على قلبه فمن لم يبلغ درجة التوكل والاعراض عن السكون الى الاسباب المعينة المعتادة لم ينل كمال افراغ القلب للتفريق بين الالهام والوسوسة فى خواطر قلبه (و) اتفقوا (على ان من سكنت عنه هواجس) اى خواطر (نفسه بصدق مجاهدته نطق ببيان قلبه بحكم مكابدته) اى مجاهدته فالنطق المذكور ثمرتها كما يشير اليه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (واجمع الشيوخ) ايضا (على ان النفس لا تصدق) غالبا فى مواعيدها السريعة خلفها وكسلها ونفرتها عن المشقات (و) على ان (القلب) يعنى العقل (لا يكذب) لان العبد اذا عرف الحق بعقله نطق لسانه بما حققه فى قلبه لانه ترجمان القلب فاذا صدق صدق ترجمانه (و) لهذا (قال بعض المشايخ) لبعض تلامذته (ان نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب ولو اجتهدت كل الجهد ان تخاطبك روحك لم تخاطبك) لانها اما جوهر او عرض وعلى كل حال فهى معنى به حياة الجسم لا غير وانما تعلق بالمقامات العالية المشتغلة بها عن مخاطبتك فلا يصدر عنها خطاب (وفرق الجنيد رحمه الله بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بان النفس اذا طالبتك بشئ الحت) عليك فى طلبه لانها مائلة لكل لذيذ فاذا التذت بشئ تعلقت به (فلا تزال تعاودك) مرة بعد اخرى (ولو بعد حين حتى تصل) منك (الى مرادها) وتحصل مقصودها (اللهم الا ان يدوم صدق المجاهدة) لها فلا تصل الى مرادها (ثم انها) مع ذلك (تعاودك وتعاودك واما الشيطان) فانه (اذا دعاك الى زلة فخالفته يترك ذلك ويوسوس) لك (بزلة اخرى لان جميع المخالفات له سواء وانما يريد ان يكون داعيا) لك (ابدا الى زلة ما   وبجواز ولا غرض له فى تخصيص) شئ (واحد دون واحد وقد قيل) فى الفرق بين خاطر الملك وخاطر الحق تعالى (كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه) اى الخاطر (وربما يخالفه) لان الملك اذا امر بخير فربما غلب الشيطان النفس بالكسل والراحة

(قوله لان سكونه الخ) محصله ان طالب المقامات ومنازلها لا يتم له ذلك الا بالانقطاع عن الاسباب حتى يتمكن من تجسس احواله فيما يرد على قلبه من لوازم المقامات هل نفسه ساكنة مطمئنة راضية به اولا (قوله واتفقوا على ان من سكنت الخ) فيه تنبيه على تحقيق صدق المجاهدة لان ثمرتها نور فى السر يظهر اثره على اللسان من ينابيع الحكم (قوله فالنطق المذكور) اى التكلم بالحكم ثمرتها اى ثمرة المجاهدة وذلك يشاهد بخبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وبدليل قوله تعالى والذين جاهدوا فينا اى جاهدوا انفسهم فى قيامها بطاعة ربها وقوله فينا اى فى محبتنا او لاجل رضانا لنهدينهم سبلنا اى لنوصلنهم الى الطرق الموصلة الينا (قوله على ان النفس لا تصدق الخ) اى وعدم صدقها باعتبار ما طبعت عليه من قبيح الوصف وكثافة الجبلة وقوله والقلب لا يكذب اى وعدم كذبه باعتبار ما طبع عليه ايضا حيث هو نورانى لطيف كيف لا وهو محل نظر الحق من العبد والله اعلم (قوله يعنى العقل الخ) انما اتى بهذه العناية لان القلب باعتبار حقيقته وهى الجسم لا ينسب اليه صدق ولا كذب انما باعتبار ما اودع فيه من اللطيفة الانسانية فيصح ذلك (قوله لانها اما جوهر او عرض) اقول الذى حققه الغزالى انها من الجواهر المجردة وهى على شكل الشبح ولها تعلق بالجسم تعلق حياة لا هى متصلة بالاجسام ولا هى منفصلة عنها فسبحان العليم الخبير (قوله وفرق الجنيد الخ) محصله ان مطلوب النفس لها فى خصوصية لذة فتطالبك به مرة بعد اخرى بخلاف مطلوب الشيطان فان غرضه منك الاغواء باى شئ كان فاذا طالبك بشئ فخالفته فلم يعاودك بل ينتقل الى غيره واعلم ان من علامات الخسر فى النهايات الرجوع الى النفس فى البدايات لانها اذا كانت البداية بالله كانت النهاية الى الله فعلى العاقل ان يستعين على امره بالله ويفوض اليه فيما اولاه ويدوم على شكره فى المنع والعطاء عسى ان يجود عليه بكشف الغطاء وقد قال ابن الجلال رحمه الله من علت همته عن الاكوان وصل الى مكونها ومن وقفت همته على شئ دون الحق فاته الحق لانه اعز من ان يرضى معه شريكا (قوله اللهم الا ان يدوم الخ) اقول اصل ذلك لكونها ذاقت لذة الجهاد فدائما تكون مشوقة اليها وبذلك ترجع عن مرادها والله اعلم (قوله وقد قيل فى الفرق الخ) محصله ثم التحقق فى خاطر الحق

فلذلك كان خاطر الملك يتردد لما يقابله من تزيين الشيطان (فاما خاطر يكون من الحق سبحانه) بنية اصلاح عبده (فلا يحصل خلاف من العبد له) اذ لا طمع له في منازعته لربه فيما أنشأه في قلبه لكنه انما يعرف كونه من الحق بعلمه من الشرع كامر
(وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني) الموافق للاول (اذا كان الخاطر ان من الحق سبحانه هل هو اقوى من الاول) او الاول
اقوى منه او هما سواء (فقال الجنيد رحمه الله الخاطر الاول أقوى لانه) 99 سابق ولانه (اذا بقي) مع الثاني (رجع
صاحبه الى التأمل) في ايهما اقوى
(وهذا) اي التأمل (بشرط العلم)
بالاقوى منهما وهو الآن لا يعلمه
فيفوت علمه به (فترك الاول يضعف
الثاني) لانه المقتضي لفوت العمل
بواسطة التأمل (وقال ابن
عطاء رحمه الله الثاني اقوى
لانه ازداد قوة بالاول) الذي صار
مقدمة له (وقال ابو عبد الله بن
خفيف من المتأخرين هما سواء
لان كليهما من الحق سبحانه) ولان
كلا منهما لا يرد لو انفرد (فلا مزية
لاحدهما على الآخر) وانما
يقوى حال العبد في نفسه
لتواردهما عليه لا لان احدهما
اقوى من الآخر وهذا هو
الصحيح ولا يقال للاول مزية
بسبقه (لانا نقول (الاول
لا يبقى في حال وجود الثاني لان
الآثار) والاعراض (لا يجوز
عليها البقاء) اذ لو جاز بقاء
العرض لكان البقاء معنى
قائما به فيلزم قيام المعنى بالمعنى
وهو محال كما هو مقرر في محله
واعلم انه قد يزاد على الخواطر
الاربعة اثنان خاطر اليقين
وهو يكون مع خاطر الحق او الملك وخاطر العقل وهو يكون تارة مع خاطر النفس او الشيطان وتارة مع خاطر الحق او الملك
والمشهور الاقتصار على الاربعة بجعل هذين راجعين اليها كما لا يخفى * (ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين) *
اليقين عند جماعة توالي العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه فهو اخص من العلم وعند آخرين هو العلم وسيأتي و (هذه)
الالفاظ (عبارات عن علوم جلية) مع تفاوتها في القوة

وجواز التخلف في خاطر الملك (قوله لكنه انما يعرف الخ) اي وذلك بسبب ان الورع دائما في اتهام النفس حتى يشهد بالصدق ظاهر الشرع (قوله فقال الجنيد الخ) محصله العمل بالاول لسبقه ولزوم التأخر بواسطة التأمل في الاقوى من جهة العلم وتفوت المبادرة بالطاعة مثلا (قوله الثاني اقوى الخ) محصله العمل بالثاني لزيادة قوته بالاول على معنى انه حينئذ من قبيل يمحو الله ما يشاء ويثبت وهو وجيه (قوله لانه ازداد قوة بالاول) اقول لا يظهر الا اذا كان مثله ومن واديه ومع ذلك فيقال لا فائدة في الخلاف على أن الذي يظهر حينئذ قوة الاول بالثاني فحرر والله اعلم (قوله لان كليهما من الحق) اقول وان كان كما قال غير ان الاول مؤيد بالسبق فالظاهر ما تقدم عن الجنيد (قوله لانا نقول الاول لا يبقى في حال وجود الثاني) هذا من طرف القائل بقوة الاول وقوله لان الآثار الخ محصله المنع لذلك لما ذكره فتأمله (قوله بجعل هذين راجعين الخ) اقول لا يتجه خلافه (قوله ومن ذلك علم اليقين الخ) اقول علم اليقين هو ما اثبته الدليل والخبر وعين اليقين هو ما يشاهد بالعين والنظر وحق اليقين هو مقام لا يبقى ولا يذر وقال بعضهم علم اليقين هو قبول ما ظهر من الحق وما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق وعين اليقين هو الغناء بالاستدلال عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان وخرق الشهود حجاب العلم وحق اليقين هو اسفار صبح الكشف ثم الخلاص من كلفة اليقين ثم الفناء في حق اليقين اه من منازل السائرين للسهروردي وقيل علم اليقين عقد ذهني بلا اضطراب مطابق للواقع وعين اليقين مشاهدة بلا حجاب وحق اليقين اتحاد بعد اقتراب (قوله اليقين عند جماعة الخ) اي ونقل عن سهل ان اليقين هو الله تعالى (قوله توالي العلم بالمعلوم الخ) وقال بعضهم علم اليقين هو ما كان من طريق الاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقق الانفصال من لوث الصلصال بورود رائد الوصال اه (قوله فهو أخص من العلم) اي لانه علم خاص بالتوالي وهو أخص من مطلق العلم (قوله وعند آخرين هو العلم) اي هو الذي يقال في حقه العلم على جهة المبالغة فلا يقال يلزمه التهافت كما لا يخفى (قوله عبارات عن علوم جلية الخ) اي ولذا قال بعضهم اليقين اعتقاد جازم ثابت مستقر بسبب موجبه مطابق للواقع فاذا أضيف الى النفس والعقل من هذه الحيثية فعلم اليقين او الى الروح من طريق رفع الحجاب فعين اليقين او الى

بناء على ان اليقين مقول على افراده بالتشكيك والثلاثة مذكورة في القرآن قال تعالى لو تعلمون علم اليقين وقال لترونها عين اليقين وقال ان هذا لهو حق اليقين (فاليقين هو العلم) وهو (الذي لا يتداخل) وفي نسخة يداخل (صاحبه ريب) اي شك (على مطلق العرف) اي عرف العلماء (ولا يطلق) اليقين (في وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف) عليه بخلاف العلم واذا كانت الثلاثة علوما جلية (فعلم اليقين هو اليقين وكذلك عين اليقين نفس اليقين و) كذا (حق اليقين نفس اليقين) فالثلاثة بمعنى واحد لغة والاضافة فيها بيانية واما معناها ١٠٠ في اصطلاح الصوفية فهو ما ذكره بقوله (فعلم) الاولى وعلم (اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان) اي بطريقه (وعين اليقين ما كان بحكم البيان) اي بطريق الكشف والنوال (وحق اليقين ما كان بنعت العيان) اي بطريق المشاهدة وعبر بعضهم عن ذلك بان علم اليقين هو العلم الذي لا يقبل الاحتمال وان لم يتوال على القلب وعين اليقين هو العلم المتوالي على القلب ذكره بحيث يقل الغفلات عنه وان ذكر ما سبق غيره وحق اليقين هو الذي غلب ذكره على القلب حتى اشتغل به عن ذكر غيره (فعلم اليقين لارباب العقول) الذين علموه بالبرهان (وعين اليقين لاصحاب العلوم) الذين ثبتت علومهم وتوالت على قلوبهم حتى استغنوا عن البرهان (وحق اليقين لاصحاب المعارف) الذين غلب على قلوبهم ما شغلهم عن ذكر غيره بهم وهو حال الحقيقة وهي الحالة التي يغلب فيها على القلب ادراك الحق كاملا وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام وعلم اليقين للاولياء وعين اليقين لخواص الاولياء وحق اليقين للانبياء والتسليم وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا صلى الله عليه وسلم (والكلام في الافصاح عن هذا) المذكور (مجال) آخر و (تحقيقه) يعني مقتضيه (يعود الى ما ذكرناه فاقتصرنا) من ذلك (على هذا القدر) الذي ذكرناه (على جهة التنبيه) على ما لم يفصح به هنا قال الشيخ علاء الدين القونوي والظاهر ان الاولين من الثلاثة المذكورة من قبيل العلوم والمعارف والثالث من قبيل الاحوال والمقامات ثم قال

السر المبين بقوله جل شانه وهو معكم اينما كنتم فحق اليقين تدبروا خروج عن قيد التقليد تفهم والله اعلم (قوله عن علوم جلية) اي واضحة منكشفة للعبد انكشافا تاما لا يحتمل الظن والشك والوهم (قوله بناء على ان اليقين مقول على افراده بالتشكيك) اي يطلق على أفراده به لا بالتواطؤ اما اذا بنينا على تواطئه في افراده فلا تفاوت بها حينئذ لان جزم القلب بذاته لا تفاوت فيه بالزيادة والنقص وما يتخيل فيه من الزيادة فهو باعتبار المجزوم به لا الجزم (قوله وفي نسخة يداخل) اي وهي الاظهر (قوله لعدم التوقيف عليه) اي لعدم ورود اطلاقه في حقه تعالى (قوله فعلم اليقين الخ) ان قلت فما فائدة اختلاف العبارات حينئذ قلت الاشارة الى تفاوت القوة فيها (قوله الاولى وعلم) اي لعدم صحة تفريعه على ما قبله فالمحل للواو لا للفاء (قوله بشرط البرهان) اي بشاهد العلم عند ذوي الميزان (قوله وعبر بعضهم عن ذلك الخ) محصله انه جزم لا يداخله تردد وان كثرت معه الغفلات فان قلت معه الغفلات فعين اليقين وان انعدمت معه بالاستغراق فيه فحق اليقين (قوله لارباب العقول) اي من علماء الظاهر والرسوم وقوله وعين اليقين لاصحاب العلوم اي العلوم الذوقية الناشئة لهم من ثبوت اقدامهم في المعاملات الشرعية وقوله وحق اليقين لاصحاب المعارف اي المعارف الالهية الفانين فيما شاهدوه من الانوار الاحدية او هم مثل يوسف والخليل على نبينا وعليهم الصلاة والتسليم حيث قال الاول عند خروجه من السجن حسبي من دنياكم ديني وحسبي من ديني ربي وقال الثاني وهو في المنجنيق حين سأله جبريل الك حاجة حسبي من سؤالي علمه بحالي فافهم والله اعلم (قوله وقيل اليقين اسم الخ) محصله انه يختلف باختلاف محله فهو بالنسبة للعوام من أهل الظاهر مجرد اسم ورسم لوقوفهم مع أحكام الظاهر وعدم شغل قلوبهم بكشف جوهرات الخطاء وعلم اليقين بالنسبة لخواصهم ممن صفت ضمائرهم ودامت على المجاهدات ظواهرهم وعين اليقين هو لخواص الخواص ممن لهم مقام الاختصاص وحق اليقين هو لسادتهم من النبيين وأولي العزم من المرسلين وحقيقة هذا الحق قد اختص بها الانسان الاحق عليه وعليهم أفضل الصلاة

وقال بعضهم علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين حال جمع الجمع *(ومن ذلك الوارد)*
(ويجرى فى كلامهم ذكر الواردات كثيرا والوارد ما يرد على القلوب من الخواطر 101 المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد) اى
بتكسبه بل هو كلام يفهمه العبد
من غير صوت كما مرت الاشارة
اليه (وكذلك) يرد عليها مما
(لا يكون من قبيل الخواطر فهو
ايضا وارد) والوارد قد يترتب
على سبب ثم ينساه العبد كان يفكر
فى أمر من امور آخرته فيوجب
له فكره قبضا مثلا ثم ينسى ذلك
ويحس القبض وقد لا يترتب على
سبب بل ينشئه الحق فى قلب العبد
تنبيها على ما كان او ما يكون من
قبض وبسط وسرور وفرح
وغيرها (ثم قد يكون) من
الواردات (وارد من الحق) تعالى
(ووارد من العلم) اذا تقرر ذلك
(فالواردات أعم من الخواطر لان
الخواطر تختص بنوع الخطاب
او ما يتضمن معناه) كما مر فى معناها
بخلاف الواردات ومن الوارد
الذى لا يعرف صاحبه سببه حين
وروده ما جرى للجنيد رحمه الله
أنه قال بت ليلة الى وردى
فوجدت قبضا ولم أقدر على الصلاة
فأردت أن أقرأ القرآن فلم استطع
ففتحت باب الدار وخرجت ابزول
ما اجده فاذا برجل ملفوف فى
عباءة مطروح فى الطريق فلما
أحس بى قال لى الى الساعة يا ابا
القاسم فقلت يا سيدى من غير
موعد فقال بلى ولكن سالت
محرك القلوب أن يحرك قلبك فعلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يكون داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها
صار داؤها دواءها فقال لنفسه قد سمعت وقد أجبتك بها سبع مرات فأبيت ان تسمعيه الا من الجنيد ثم ذهب ولم أعرفه

والتسليم (قوله وقال بعضهم الخ) أقول هو يرجع الى ما قاله القونوى فتدبره (قوله
ومن ذلك الوارد) اى الذى هو أعم من الخاطر لاختصاصه بنوع الخطاب بخلاف الوارد
وكل من المواهب لا يقصد بل يفجأ القلوب المنورة (قوله والوارد ما يرد على القلوب
الخ) أقول واحذر من وارد سرور عند العطاء وقبض عند المنع لان ذلك من بقايا
رعونات النفس وقد نقل وهب رحمه الله تعالى خبر ومن أظلم ممن عبدنى لجنة او نار
لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع وفى الخبر لا يكن أحدكم كالعبد السوء
ان لم يخف لم يعمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل أقول وانما كان هذا أجير
سوء لانه اساء الظن بمستعمله ولا يليق به ذلك فلم يعط الحرمة حقها ولا جعل المروءة
فى محلها وفى الخبر ايضا نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فافهم (قوله بل هو كلام
يفهمه العبد الخ) مراده انه قد يكون كذلك فلا ينافى ما سيذكر من انه اعم من الخاطر
وقد تقدم ذلك ايضا (قوله ثم قد يكون الخ) اى فوارد العلم دون وارد الحق اذ وارد العلم
يوجب الفرح والسرور وطلب المزيد ووارد الحق يوجب التوجه بمحض المحبة وحق
العبودية وشكر المنة لا لجلب ولا لدفع اذ هو فى استشعار شكر النعمة والاستغراق
فى المنة ولهذا أشار صاحب الحكم حيث قال من عبده لشئ يرجوه منه او ليدفع بطاعته
ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه اقول لانها تقتضى ان يطاع الله فلا يعصى وان
يذكر فلا ينسى لا لعلة ولا لسبب بل لحق ربوبيته وواجب العبودية له وسابق احسانه
وكرمه فالعمل على الاغراض والاعواض اساءة ادب والله اعلم (قوله ووارد من العلم)
انظر هل المراد العلم الذوقى او الاعم منه حيث الذوقى من جملة وارد الحق (قوله فقال
متى يكون داء النفس دواءها الخ) اقول تأمل يا أخى بعين الاستبصار فان الشمس لا تخفى
فى رابعة النهار تجد اسباب الوصول فى طرح رجس الفضول مما جبلت عليه النفوس
الخبيثة بتحسينها المألوفاتها الخسيسة الراجعة بالفائدة على الاجسام مع هلاك
الارواح على الدوام ومع قلة المعيشة الدنيوية ودوام الحياة الاخروية مع انه لا يصح
ايثار الفانى على الباقى بل الاليق ان يستعد لهول ما يلاقى وذلك بعلاج هذا الداء
العضال بخلاف النفس لنيل الافضال فان الخير كله فى خلافها والشر جميعه
فى ائتلافها وتأمل اشارة سائل الجنيد حيث عرج على بيت القصد بواسطة ما منح من
الحكمة القلبية والتطبب بالطريقة الاحدية بالاستمداد بالانوار المحمدية والمعاملات
الاحمدية وتدبر جواب المسؤل حيث هو من عين المعارف الارشادية وحقيقة الحقيقة
الالهية عسى ان توفق لمثل هذا العلاج فتشمر عن ساعد الاجتهاد لتندرج فى المقربين

(والواردات تكون) تارة (وارد سرور و) تارة (وارد حزن و) تارة (وارد قبض و) تارة (وارد بسط الى غير ذلك من المعانى)
(ومن ذلك لفظ الشاهد) هذا اللفظ يطلق حقيقة على من له شهادة لغيره او عليه وعلى المعاين للشئ ومجازا على
الشاهد لغيره بمعنى الحاضر عنده او المنزل منزلته كما قال (كثيرا ما يجرى فى كلامهم فلان بشاهد العلم) اى متلبس به
(وفلان بشاهد الوجد وفلان بشاهد الحال ويريدون بالشاهد) وفى نسخة بلفظ الشاهد (ما يكون حاضر قلب الانسان) وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كانه يراه ويبصره واذا كان غائبا عنه فكل ما يستولى على قلب صاحبه ذكره فهو شاهده فان كان الغالب عليه العلم فهو بشاهد العلم) اى غالب على قلبه رؤيته ومشاهدته (وان كان الغالب عليه الوجد يقال انه بشاهد الوجد و) على هذا (معنى الشاهد الحاضر فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك) وان لم يرك (و) قد (سئل الشبلى رحمه الله عن المشاهدة فقال من أين لنا مشاهدة الحق) اى رؤيته وانما (لنا شاهد الحق) وهو ما لنا الذى يشهدنا بعز قدسه ودوام ذكره كما بينه المصنف بقوله (أشار بشاهد الحق الى الحال المستولى على قلبه والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر فى قلبه دائما من ذكر الحق ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب) بحيث استولى عليه
(يقال انه شاهده بمعنى انه حاضر قلبه فان المحبة توجب دوام ذكر المحبوب وان غلبته عليه وبعضهم (قوله
تكلف فى ص اطلاقه الاشتقاق) و أخذ التسمية بلفظ الشاهد (فقال انما سمى) ما ذكر (الشاهد) أخذا (من الشهادة)
بمعنى المعاينة

وتعد من الصين المحبوبين والله اعلم (قوله والواردات تكون الخ) اقول ذلك باعتبار حال السالك أما العارف فهو بالنسبة اليه تفرق ونقص اذ هو دائما فى حال جمع الحقيقة لا احساس له بشئ من سرور او حزن فقد يكون وارد السرور وضده من واردات العلم لا من واردات الحق كما تقدمت الاشارة اليه (قوله ومن ذلك لفظ الشاهد) اقول الذى يفهم من كلامهم فى معناه انه ما يغلب على قلب الخلق من دواعى الملك الحق (قوله هذا اللفظ يطلق الخ) محصله ان له معنيين حقيقيا ومجازيا ومراده هنا منه المعنى المجازى بمعنى الشاهد لغيره الحاضر عنده وما فى معناه وفيه ان الظاهر من كلام المصنف حمله على ما يكون حاضر قلب الانسان ثم يقال هو لازم لما ذكره الشارح فتأمل (قوله ويريدون الخ) محصله ان الشئ اذا غلب حضوره على القلب فهو يشاهده وان غاب عن حسه فتفهم من ذلك انهم قد أطلقوا لفظ الشاهد على المعنى المجازى له (قوله ما يكون حاضر قلب الانسان) اى لان ظواهر الامور تدل على حقيقة ما فى الصدور والاثر يدل على المؤثر والظاهر يدل على الباطن فخائص القلوب فعلى الوجوه يلوح اثره والكلام صفة المتكلم وما فيك يظهر على فيك وأدب الظاهر عنوان أدب الباطن لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ولتعرفنهم فى لحن القول قال الشاعر

دلائل الحب لا تخفى على أحد * كحامل المسك لا يخفى اذا عبقا

(قوله فهو شاهدك) اى حاضرك بسبب ما يجده الانسان فى سره (قوله وان لم يرك) فيه حذف تقديره (قوله فقال من أين لنا مشاهدة الحق الخ) محصله امتناع رؤية الحق تعالى بالبصر فى هذه الدار وهو كذلك بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم اما بالنسبة له فهى قد وقعت على أصح الاقوال وهذا كله بالنسبة للدنيا كما قدمنا اما فى العقبى فتقع لعموم المؤمنين على حسب اختلاف درجاتهم فى الفضيلة (قوله فان المحبة توجب الخ) اى ولذا قالوا من الناس من يسبق ذكره نوره ومنهم من يسبق نوره ذكره فالثانى هو المحب والاول من ذكر لتنور قلبه فهو السالك الطالب بخلاف الثانى فذكره اضطرارى (قوله توجب دوام ذكر المحبوب) اى بواسطة تجلى صفات كرم الحق على عبده والا فهو لا يليق الذكر من حيث هو ولا يقدر على تحصيله بنفسه فحصوله له من المنن الالهية قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا واعلم ان الذكر الظاهر ينشأ عن شهود باطنى فانه لولا غلبة الحقيقة على القلب ما أثر الذكر فى الظاهر فافهم

(فكأنه اذا طالع شخصا بوصف الجمال) جرى هذا البعض على عادة طائفة كانوا يأخذون أجمل شاب ويحلونه بأجمل الثياب والهيآت ويوقدون بين يديه شمعة فى حال السماع ويمتحن كل منهم حال نفسه هل هو مشغول بجماله وبشريته ملتفتة اليه او مشغول عنه بما هو فيه من حال السماع بحيث سقطت بشريته عنه (فان كانت بشريته ساقطة عنه ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال) المتلبس به (ولا اثرت فيه صحبته بوجه) من الوجوه (فهو) اى ذلك الشخص (شاهد له على فناء نفسه) وسقوط بشريته (ومن أثر فيه ذلك) بحيث لم تسقط بشريته عنه وشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من حاله (فهو شاهد عليه فى بقاء نفسه وقيامه بأحكام بشريته فهو) بما تقرر (اما شاهد له واما شاهد عليه وعلى هذا) الطريق المذموم الذى سلكه هذا البعض ولم يهتد فى الصدر الاول (حمل قوله ١٠٣ صلى الله عليه وسلم رأيت ربى ليلة المعراج فى أحسن صورة اى أحسن صورة رأيتها تلك الليلة) من رؤيتى صور الملائكة والانبياء وغيرهم على ما هم عليه (لم تشغلنى) تلك الرؤية (عن رؤيته تعالى بل رأيت) فى تلك الحالة (الصور فى) حال (الصورة) التى رأيتها (والمنشئ فى) حال (الانشاء) الذى رأيته ولم أشتغل بالصورة والانشاء (يريد بذلك رؤية العلم لا ادراك البصر) وهذا الطريق المذموم يستغنى عنه بأفضل العبادات وهى الصلاة فان الداخل فيها يحصل ما يحصله من ذلك الشخص بأن يمتحن فيها نفسه هل هو مشغول فيها برؤية ربه وكمال مناجاته او مشغول بصورتها متفكر فى سوء عاداته وشهواته وأما ما حملوا عليه الخبر مما ذكر فبعيد اذ لا خصوصية له صلى الله عليه وسلم بذلك فى تلك الليلة على سائر أحواله فى الارض فانه فى سائرها ناظر الى ربه لا يشغله شئ من الصورة الجميلة عنه بل ان صح الخبر فمحله ان رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه كانت فى أحسن صورة وعليه الانه تعالى خلق له من الادراك الذى رأى به ربه المنزه عن الاجسام والجهات والصور والهيآت ما لم يخلقه له قبل فتلك الصورة راجعة الى حاله صلى الله عليه وسلم التى خصه بها ربه من الادراك الشريف الذى يخلقه لاوليائه فى الدار الآخرة ويخصهم به وتكون الصورة منوية لا محسوسة

(قوله على عادة طائفة الخ) اقول هى وان كانت تظهر ما عليه الانسان من بقاء بشريته او فنائها غير ان فيها تعرضا الى الشبه ومظانها وقد نهينا عن ذلك فهى بهذا الاعتبار من شؤم العادات والله اعلم (قوله وعلى هذا الطريق المذموم) اى شريعة وطريقة وحقيقة لما تقدم ايضا فلا تغفل (قوله حمل قوله صلى الله عليه وسلم الخ) اقول ما درج عليه المؤلف فى تفسير هذه الجملة دعاه اليه اعتبار حال الوجود المقيد والا فلو حمل على حالة الوجود المطلق لم يحتج الى ما ذكره اذ الكائنات بأسرها كانت فى غيب الغيب باشارة خبر كنت كنزا مخفيا فلما اقتضت الحكمة العلية افاضة المظاهر على الاسماء والصفات كان ما كان بسر أن أعرف فافهم ولا تكن أسير التقليد قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله فمن اتسعت عليهم أرزاق العلوم والمعارف هم الواصلون قد أنفقوا على قدر ما وصل اليهم وذلك حكمهم وقتهم ومن قدر عليه رزقه هم السالكون أنفقوا بحسب ما وصل اليهم وذلك حكمهم لا يكلف الله نفسا الا وسعها وفضل الله مرجو للجميع سيجعل الله بعد عسر يسرا فافهم (قوله بل رأيت فى تلك الحالة المصور الخ) اى رأيت الخالق والموجد فى حال الصور على معنى انه لم يقف مع الصور بل شهد فى حال رؤيتها انها قائمة بالحق فلم يشهدها فى حال الغفلة عمن أوجدها ولذا قال يريد بذلك رؤية العلم اى الذى هو مصباح القلوب تمشى به فى ظلمة الاغيار فيرى المنافع والمضار ويبصر الحق والحقيقة ثم ذلك الابصار يوصل الى الايمان وبه ينتهى الى درجة العرفان حتى يصل الى مقام الاحسان ولذا قال كعب من أراد خير الدنيا والآخرة فليكثر من الفكر (قوله يستغنى عنه الخ) اى مع ما فيه من خطر من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (قوله كانت فى أحسن صورة) اى حالة من حالاته صلى الله عليه وسلم حيث اقدره الحق على رؤية من لا تدركه الابصار بقوة لم تقع له فى غير تلك الليلة ولا لغيره مطلقا (قوله باسكان الفاء) احترز بذلك عن النفس محركة الفاء فانه

(ومن ذلك النفس) بضم النون و باسكان الفاء (نفس الشئ فى اللغة وجوده)

وتطلق على الحقيقة يقال نفس الجوهر ونفس العرض ونفس العلم ونفس الجهل اى حقيقة كل منها وعلى الدم كقول الفقهاء ماله نفس سائلة اذا وقع فى مائع نجسه وعلى القالب الموضوع وهو الجثة (وعند القوم) أى الصوفية (ليس المراد من اطلاق لفظ النفس) على شئ (الوجود ولا القالب ١٠٤ الموضوع) بفتح الضاد (وانما أرادوا بالنفس ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذموما من أفعاله وأخلاقه) وكثيرا ما يعبرون بها عن مبدا الصفات المذمومة لقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء ولذلك عدت اعدى عدو الانسان لصعوبة الخلاص من شرها ألا ترى ان الانسان اذا صالح سائر الاعداء أمن من شرهم وان صالح نفسه أهلكته ولذلك كان جهادها الجهاد الاكبر (ثم ان المعلولات من أوصاف العبد) الشاملة لافعاله واخلاقه (على ضربين احدهما ما يكون مكتسبا له كمعاصيه ومخالفاته) لامر ربه كالزنا والسرقة وشرب الخمر والغيبة (والثانى اخلاقه الدنية) التى طبع عليها كالجبن والجراءة والميل للذيذ والنفرة عن الكريه (فهى فى انفسها مذمومة) ومع ذلك (فاذا عالجها العبد ونازلها) اى نزلها واتقل فيها (تنتفى عنه بالمجاهدة تلك الاخلاق على مستمر العادة) اى على العادة المستمرة وان لم يتغير الطبع وهو الميل لكل لذيذ والنفرة عن كل كريه فالنفس بطبعها تميل الى الدنيا لكونها لاتعرف سواها غيرها فاذا عرفت نقصها وحجبها عن الخيرات نفرت عنها فالذى كان لذيذا لها صار كريها لها وطبعها لم يتغير وانما تغير ظنه باللذيذ والكريه وكذلك من نظر الى الاعمال الصالحة ومشقة القيام بها والتفهم يجد نفسه نافرة عنها فاذا عرف ما يترتب عليها من الفوائد مال اليها وكره تركها فالذى كان كارها صار مائلا اليه والطبع لم يتغير

المراد به على ما تقدم الوظائف الوقتية لحق الحق او نفس الوقت باعتبار الواقع فيه من تلك الوظائف وكثيرا ما تراهم يعتبرون الوقت ومن ذلك ما حكى عن الجنيد من قوله الوقت أعز شئ واذا فات لا يستدرك وانشدوا فى ذلك حيث قال قائلهم

السباق السباق قولا وفعلا * حذر النفس حسرة المسبوق

وقال الجنيد ايضا ادركت اقواما كانوا على اوقاتهم اشد منكم حفظا على دنانيركم ودراهمكم وقال على كرم الله وجهه بقية العمر مالها ثمن يدرك به ما فات ويحيا به ما مات فكل نفس يقتضى تجليا والتجلى يقتضى عبودية وتلك العبودية تقتضى عبادة فالعبد فى كل نفس سالك طريقا الى الحق بنوع من السلوك ولذا يقال الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق فما من نفس جديد الا ولله فيه سر جديد وامر أكيد مثل شكر النعمة او التوبة من الذنب او الصبر على البلية او حمد الله على الطاعة فالاوقات مستحقة لما يوجد فيها من حق الحق فلا يصح اهمال الاشتغال بغيرها من حق النفس او حق الخلق اذ حق الجميع صورى ثم اقول وان تقدم بعض هذا فى محله فاعادته لمناسبة ما لزيادة فوائد لا تخفى على ذى بصيرة (قوله وتطلق على الحقيقة الخ) محصله انها تطلق على ثلاثة امور على الحقيقة والماهية وعلى الدم وعلى القالب والشخص المعين ولكن لا يريدون من النفس الا ما كان معلولا من الاوصاف البشرية والافعال بمقتضى الاخلاق الطبيعية وذلك منهم فى الغالب والاقل يريدون من النفس ذاتها من حيث انها منشأ الصفات الذميمة كما سيوضحه الشارح (قوله وعلى القالب الموضوع) اى الجسم القائم على شكل مخصوص (قوله ما كان معلولا الخ) اى ذا علة اى صفة ذميمة (قوله ولذلك) اى لاجل كونها مبدأ الصفات المذمومة وقوله ألا ترى الخ دليل لعدها من أعدى عدو الانسان وقوله ولذلك اى لما تقدم من عدها من أعدى عدو الانسان ودليل كان جهادها الجهاد الاكبر (قوله أهلكته) اى لان صلحها لا يكون الا بالاسترسال معها فى شهواتها ومألوفاتها الخسيسة (قوله والثانى اخلاقه الدنية الخ) أقول ومنها باعتبار حال المحققين البسط والقبض بحسبهما وجد وفقد وذلك الوقوف مع لذة النعمة وألم النقمة وهو نقص فى المشاهد قال صاحب الحكم اعطاؤك الخلق اعدمه فهو حظ عن الله فيه مع ما فى النعمة من خطر الغرور قلت لانك لو فهمت عنه لعلمت بما فهمته من بره ومنعه ان الكل منه رحمة وكرامة ولطف وبالجملة فمن علم ان الله تعالى رحيم به ومتفضل عليه ولطيف به لم يتأثر بنعمة فرحا ولا بنقمة ألما بل يرجع عن نظره الى من له الامر كله والله اعلم (قوله فاذا عالجها العبد الخ) اى عالجها وداواها بالقيام عليها بسياسة التعلم

(والقسم) اى الضرب (الاوّل من أحكام النفس ما نهى عنه نهى تحريم أو نهى تنزيه واما القسم) اى الضرب (الثانى من قسمى النفس) تفنن فى العبارة والا فالمناسب أن يعبر فيهما معا بقوله من أحكام النفس او بقوله من قسمى النفس (فسفساف الاخلاق والدنىء منها) العطف فيه للتفسير (هذا ححده) اى الثانى (على الجملة" ثم تفصيلها) اى واما تفصيل الجملة (فالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الاخلاق المذمومة وأشد أحكام النفس وأصعبها) فى ذاتها (توهمها ان شيأ) يصدر (منها حسن اوأن لها استحقاق قدر ولهذا عدّ ذلك من الشرك الخفى") وهو ظاهر (ومعالجة الاخلاق وترك النفس وكسرها أتم) اى أشد (من مقاساة الجوع والعطش والسهر) وفى نسخة والسفر (وغير ذلك من المجاهدات التى تتضمن سقوط القوّة وان كان ذلك ايضا من جملة) معالجة (ترك النفس) وكسرها والنفس والروح والقلب والسر والعقل عند محققى الصوفية بمعنى واحد وهو ما يفارق الانسان بموته من اللطيفة الانسانية والحقيقة الربانية ومن هؤلاء الغزالى حيث قال النفس يقال للدم وللحقيقة الربانية والعقل للعلم وللحقيقة الربانية والسر لما يكتم وللحقيقة الربانية والقلب للعضو الصنوبرى الشكل وللحقيقة الربانية والروح للبخار الذى فى جوف هذا الشكل وللحقيقة الربانية وفرق جماعة منهم الصوفية بينها كما يعلم مما يأتى فالنفس على ما قدمه هى الاوصاف والاخلاق المذمومة (ويحتمل ان تكون النفس لطيفة مودعة فى هذا القالب هى محل الاخلاق المعلولة كما ان الروح لطيفة مودعة فى هذا القالب هى محل الاخلاق المحمودة

والتفهم فى عواقب المستلذات والراحات التى تميل اليها النفس بحسب ما جبلت عليه وعلم فوائد التنزه عن ذلك وثمرات المجاهدات فى العبادة فربما ينعكس عند ذلك ظن حسن اللذة والراحة بشاهد العلم والتطبع الذى اذا دام قد يكون كالطبع (قوله والقسم اى الضرب الاوّل) يعنى به ما يكون كسب العبد كمعاصيه (قوله ما نهى عنه نهى تحريم) اى الشامل للصغائر والكبائر وقوله نهى تنزيه اى وهو المكروه فى حكم الشرع (قوله واما القسم الثانى الخ) يعنى به أخلاق العبد الدنية (قوله فسفساف الاخلاق الخ) المراد به ما يعد نقصا فى الكمال وان لم يرد فيه نهى شرعى (قوله فالكبر الخ) هو وما عطف عليه تفصيل لما يكون كسب العبد (قوله توهمها ان شيأ الخ) اى لان ذلك من نوع الكبر وظاهر ذلك وان كان العبد مستعمل نفسه فى طاعة ربه لان المدار على القبول وهو غيب عنه واعلم أن عدم القبول منع مصحوب بعطاء وعطاء مصحوب بمنع فمادار الكل عليه فلا عبرة بعمل لاقبول فيه فاذا أراد العبد تحصيل سبب القبول فعليه بالاخلاص مع اتقان العمل على طريق اتباع الحق والصدق (قوله أتم الخ) اى أتم فى طريق الوصول الى المقصود وذلك بين حيث انه يترك له فى مخالفة ما جبلت عليه النفس (قوله هى الاوصاف والاخلاق المذمومة) باعتبار انها مبدؤها اقول ومن ذلك يعلم ان من ادّعى محبة الله وانفسه بقية فدعواه زور وبهتان اذ المحب ميت بين يدى محبوبه ولذا قيل المحبة ان تهب كلك لمن انت له محب حتى لا يبقى لك منك شئ اذ العزيز يأبى ذل المشاركة ورحم الله ابن الفارض حيث يقول

انت القتيل بأى من احببته ۞ فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى

(قوله لطيفة مودعة الخ) اى سر من اسرار الله تعالى اودعه اى جعله وديعة مردودة لمالكها وقت انقضاء ما اقت لها من الزمان (قوله هى محل الاخلاق المعلولة) اى المذمومة فى نظر الشرع وانما سميت معلولة لان التخلق بها لاجل حظ النفس والهوى (قوله هى محل الاخلاق المحمودة) اقول كيف لا تكون كذلك وهى مناط العلوم والمعارف بجلى الفكرة المستقيمة وهى أنواع فكرة تفيد التصديق والايمان وتجرى فى دلائل الصنع طلبا للبرهان الحق وفكرة فيما دل عليه الايمان من لوازمه بعد تحققه كالفكرة فى عظمة الله وشرف رسوله وما جاء به وفكرة تقتضى الشهود والعيان وهى فيما يهدى لذلك من عظمة الله سبحانه ووجوه تصريفه فى خلقه بقضائه وحكمه وفكرة ناشئة عن شهود الحقيقة وهى حسبها الجولان القلب فى بساط التعظيم والاجلال من اشهاد المشهود وكشف الوجود حتى يرى كلا بحكمه على وجه لا تقدير فيه ولا اقتباس

ويعبر عن هذا بأن الروح جوهر نوراني علوي رباني والنفس ظلمانية سفلية شيطانية وأما القلب فمتقلب بينهما فالروح طيبة شأنها الموافقة والنفس خبيثة شأنها المخالفة والقلب ان مال الى الروح اتصف بصفتها وانقهرت النفس معهما او الى النفس فبالعكس (وتكون الجملة) اى جملة الانسان (مسخرا بعضها البعض والجميع انسان واحد) ولا يؤثر في الفرق بينهما اشتراكهما في اللطافة كما نبه عليه بقوله (وكون النفس والروح من الاجسام اللطيفة في الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة) فانه لا يؤثر في الفرق بينهما او اللطافة متفاوتة كلطافة الهواء في البدن والزبد في اللبن والدهن في الجوز ونحوه (وكما يصح ان يكون البصر) اى العين (محل الرؤية) للمرئيات (والاذن محل السمع) للمسموعات (والانف محل الشم) للمشمومات (والفم) الاولى والحلق او اللسان (محل الذوق) للمذوقات (و) مع ذلك (السميع والبصير والشام والذائق انما هي الجملة التي هي الانسان فكذلك محل الاوصاف الحميدة ١٠٦ القلب والروح ومحل الاوصاف المذمومة النفس والنفس جزء من هذه الجملة والقلب جزء من هذه الجملة والحكم) بعامة الاوصاف لها (والاسم) وهو لفظ الحال (راجع) كل منهما (الى الجملة) وهذا باعتبار العرف كما يقال للجالس في بقعة من المسجد انه جالس في المسجد والا فالتحقيق ان المعنى اذا قام بجزء استحال رجوع حكمه واسمه لغيره (ومن ذلك الروح الارواح مختلف فيها عند اهل التحقيق من اهل السنة) والجماعة (فمنهم من يقول انها الحياة) فقط ورد بأن الحياة عرض والعرض لا يبقى زمنين كما مر ومنهم من يقول انها مما استأثر الله بعلمه لقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وتقدم فيها أوائل الكتاب زيادة على ذلك (ومنهم من يقول) وهم جمهور المتكلمين (انها أعيان مودعة في هذه القوالب اللطيفة أجرى الله سبحانه العادة بخلق الحياة في القالب مادامت الارواح في الابدان) وعليه جرى المصنف فيما مر في المبحث السابق ويعبر عنه بانها جسم لطيف يشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر فالروح هو الذي يفارق الانسان بموته ويقبضه الملك ويكون في عليين للسعداء وفي سجين للاشقياء وفي حواصل طير خضر للشهداء كما جاءت به الاخبار (فالانسان حي بالحياة) القائمة به (ولكن الارواح مودعة في القوالب ولها ترق) اى صعود عن البدن (في حال النوم ومفارقة للبدن) حينئذ العطف فيه للتفسير (ثم) بعد مفارقتها للبدن لها (رجوع اليه) وفي نسخة اليها اى القوالب (و) يقول (ان الانسان هو الروح والجسد) معا (لان الله سبحانه سخر هذه الجملة بعضها لبعض) كما مر

ثم لكل فريق طريق يكون بحسب ظهور التحقيق والله اعلم (قوله ويعبر عن هذا الخ) محصله ان الروح باعتبار كونها نورانية علوية ربانية من عالم الامر طيبة لا تدعو الا الى الطيب وأن النفس باعتبار كونها ظلمانية سفلية شيطانية من عالم الخلق خبيثة لا تدعو الا الى الخبيث وان القلب باعتبار توسطه بينهما ان مال الى الروح زاد قهر النفس بهما او الى النفس كان الحال بالعكس (قوله جوهر) اى مجرد على شكل القالب غير متصل ولا منفصل (قوله نوراني) اى من عالم النور فهي من عالم الامر لا من عالم الخلق (قوله مسخرا بعضها بالبعض) اى حركة البعض تتبع حركة البعض الآخر (قوله وكون النفس والروح الخ) مراده أن كونهما من الاجسام اللطيفة ككون الملائكة والشياطين بهذه الصفة وقوله في انه الخ بيان لوجه التشبيه (قوله وكما يصح ان يكون البصر الخ) اى فكما أن القوى المذكورة في محال مخصوصة والمدرك بواسطتها الجملة فكذلك النفس والروح واعلم ان تخصيص القوى بهذه الحواس كل قوة بحاسة مخصوصة انما هو باعتبار عالم التركيب المقيد والحال ان العارف قد يخرج عنه الى فضاء عالم الاطلاق وحينئذ لا يتقيد ادراكه بقوى تلك الحواس على ما كانت عليه في عالمها المركب المقيد بل قد يسمع و يبصر و يذوق ويشم بحاسة واحدة او بغير حاسة أصلا وتدبر قول عاشق وقته العارف ابن الفارض قدس الله سره

ستغني بها الطيب راحة مفاق * فكادى محياه من عن الحسن سيات

تعلم ما ذكرناه لك والله اعلم (قوله فمنهم من يقول انها الحياة فقط) محصل ما ذكره ثلاثة أقوال فقيل هي عرض وقيل جوهر مجرد وقيل بالوقف (قوله انها أعيان الخ) ذلك

(والحشر يكون للجملة والمثاب والمعاقب الجملة) وفسر الاطباء الروح بانها بخار لطيف وقسموها الى ثلاثة أقسام روح حيوانى محله القلب حامل للقوى الحيوانية التى بها تكون الحياة وروح نفسانى محله الدماغ حامل للقوى النفسانية التى بها يكون الاحساس والحركات وروح طبيعى محله الكبد حامل للقوى الطبيعية التى بها يكون التوليد والتغذية والتنمية وهذه كلها أجسام لطيفة (والارواح مخلوقة) لكونها من الجملة المخلوقة (ومن قال بقدمها) من القائلين بالحلول (فهو مخطئ خطأ عظيما والاخبار) التى فيها وصفها بالهبوط والعروج والتردد فى البرزخ (تدل على انها ١٠٧ أعيان لطيفة) ع ان المقصود منها هنا آثارها وهو المعنى الذى له تعلق بالمشاهدات وبالاطلاع على المغيبات وحصول الانس بالله والقرب منه واعلم أن فى كل جسد روحين احداهما روح اليقظة وهى التى مادامت فى الجسد كان متيقظا فاذا فارقته نام ورأت المرائى ثانيتهما روح الحياة وهى التى مادامت فى الجسد كان حيا فاذا فارقته مات فالنوم انقطاع الروح عن ظاهر البدن فقط والموت انقطاعها عن ظاهره وباطنه والروحان فى باطن الانسان وقد يكون فى باطنه روح ثالثة وهى روح الشيطان واحدة اللطيفة الانسانية لكنها تختلف باعتبارات مختلفة ومقرها الصدر لقوله تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس ولاتموت أرواح الحياة بل ترفع الى السماء حية لكن لاتفتح أبوابها لارواح الكفار ثم اذا نزلت تكون فى القبور مجردة عن الاجساد منعمة بالثواب او معذبة بالعقاب نبه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقد أخذ فى الآية بظاهرها من بقاء الصدور على معناها وأكثر المفسرين على ان المراد بها القلوب كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك (ومن ذلك السر) وهو عند القوم (يحتمل انها) وفى نسخة انه (لطيفة مودعة فى القالب كالارواح واصولهم تقتضى انها محل المشاهدة كما ان الارواح محل للمحبة

يعنى قولهم بجوهر مجرد (قوله وفسر الاطباء الروح الخ) أقول ان ذلك مبنى على حدسيات وظنون ضعيفة والافلا مجال لتحقيق ذلك بالعلم (قوله والارواح مخلوقة الخ) اى لثبوت ذلك بالشرع والعقل كما هو معلوم من فن اصول الدين (قوله وهو المعنى الذى الخ) أقول يعنى بذلك صفة أهل الشهود والاستبصار ممن شهدوا الحق فعرفوه واستبصروا عن التحقيق فأبصروه فكانوا تارة يمشون فى الخلق بنور الحق وتارة بنور الحقيقة قال أبو العباس الحضرمى وهؤلاء هم القائمون فى كل شئ وهم معدن أسرار الله فى الخليقة وعلومهم ومعاملاتهم قد ارتفعت عنها حجب التقصير وبادرات همهم اخترقت حجب أنوار التوحيد ونفذت بصائرهم بالنظر فى حقائق تجريد التفريد فأنوارهم قد علت نور الوجود وسرهم قد ظهر فيه شعاع لبعض خواص أهل الشهود فهم شاهدون مشهودون اه (قوله واعلم أن فى كل جسد روحين الخ) ويدل له قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية (قوله واحدة اللطيفة الانسانية الخ) يشير الى أن التقسيم والاختلاف بحسب أمر اعتبارى والا فهى واحدة فى ذاتها (قوله ومن ذلك السر الخ) اعلم أن الوصول فى عبارة القوم بهذا السر فالمراد به وصول القلب للعلم بجلال الله وعظمته على وجه يانس حقيقة القلب وذلك بواسطة هذا السر فيجرى معناه فى الجوارح من غير توقف ولا اختيار والناس فى ذلك متفاوتون وان اتفقوا فى أصل الحقيقة قال فى عوارف المعارف كل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق فهو فى رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال فيفنى عنده فعله وفعل غيره فيخرج عن التدبير والاختيار ومنهم من هو فى مقام الهيبة والانس لما يكاشف به من مطالعة الجمال والجلال بتجلى الصفات ومنهم من ترقى الى مقام الفناء بتجلى الذات وهو لخواص الخواص المقربين وفوق هذه رتبة حق اليقين ويكون من ذلك فى الدنيا لمحة وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى يحضر بها روحه وقلبه بل وقالبه وذلك من أعلى مراتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد من هذه الاحوال الشريفة انه فى أول المنزل فأين الوصول هيهات هيهات والله أعلم (قوله وفى نسخة انه الخ) اى فالتأنيث باعتبار اللطيفة والتذكير باعتبار لفظ السر (قوله واصولهم تقتضى انها محل المشاهدة) اعلم أن المشاهدة والعيان رتبة نورانية من وراء الطمأنينة والبيان مدارها على تحقيق الامر

والقلوب محل المعارف) قال العلامة علاء الدين القونوى والظاهر انها اسماء لحقيقة واحدة وهى اللطيفة الانسانية لكنها تختلف باعتبارات مختلفة (وقالوا) أيضا (السر مالك) لكونها من الجملة المخلوقة (عليه اشراف) واطلاع (وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق سبحانه) لغفلة صاحبه عنه لكمال شغله بمن أسره له (وعند القوم على موجب مواضعاتهم) اى اصطلاحاتهم (و) على (مقتضى اصولهم السر) بحيث يخفى على الانس والجن والملك (ألطف وأشرف (من الروح والروح أشرف من القلب) باعتبار شرف آثارها اذ أثر القلب العلم وأثر الروح المحبة وأثر السر المشاهدة لان الشئ انما يحب بعد العلم به واذا احب تعلقت الهمة به ودام النظر الى مشاهدته فكانت المشاهدة فوق المحبة والمحبة فوق العلم (ويقولون) أيضا (الاسرار معتقة عن رق الاغيار من الآثار والاطلال) جمع طلل وهو ما شخص من آثار الدار (ويطلق لفظ السر) أيضا (على ما يكون مصونا) اى محفوظا (مكتوما بين العبد والحق سبحانه فى الاحوال) اى الواردات على العبد قالوا فمن لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصر والاولى قول غيره من فالسر مختص بمن طهر قلبه من كل شئ (وعليه يحمل قول من قال اسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم و) قول الذين (يقولون صدور الاحرار قبور الاسرار و) قول الذين (قالوا لو عرف زرى سرى لطرحته فهذا طرف من تفسير اطلاقاتهم) الالفاظ المذكورة فى هذا الجنس وبره ممامر (وبيان عباراتهم ... الاخفاء فيما انفردوا به من ألفاظ ذكرناها على شرط الايجاز) والاختصار (ولنذكر الآن أبوابا فى شرح المقامات التى هى مدارج) اى طرق (أرباب السلوك ثم) نذكر (بعدها أبوابا فى تفصيل الاحوال على الحد الذى يسهله الله تعالى بفضله ان شاء الله تعالى

حتى كأنه رأى العين لا يحتاج الى دليل ولا برهان ولقد قال بعضهم يخبر عن نفسه كبر العيان على حتى انه صار اليقين من العيان فلكل فريق طريق (قوله انها محل المشاهدة) اى حق اليقين وقوله كما ان الارواح محل المحبة اى الميل الكلى بالكلية وقوله والقلوب محل المعارف اى باعتبار اللطيفة الغريزية النورانية (قوله قال العلامة علاء الدين الخ) أقول هو المتعين اذ لا دليل على حقيقة هذا التقسيم (قوله وقالوا أيضا الخ) محصله أن السر هو الذى يمكن الاطلاع عليه من مقدور العبد وسر السر هو ما استأثر الله بعلمه هذا ما يظهر من عبارة المؤلف والذى يفهم من قول الشارح لغفلة صاحبه عنه الخ ان سر السر يمكن اشراف العبد عليه بخرزه والذى ظهر لى من مجموع كلام المتن والشارح ان السر ما يمكن العبد أن يصل اليه بكسبه وسر السر ما لا يمكنه الوصول اليه الا باعانة مولاه لكونه من الغيوب التى لا تحصل الا بالهبات الالهية (قوله وعند القوم الخ) محصله ان السر فوق الروح والروح فوق القلب فى الشرف وذلك لان متعلق القلب علم الرب بالالطاف فاذا دام ذوق ذلك العلم مالت الروح بالمحبة له لانها جبلت على حب من أحسن اليها ثم اذا ثبت القدم فى مقام المحبة دامت المشاهدة لذلك المحبوب وما يخصه به من عالم الغيب والشهادة فكانت بهذا الاعتبار مترتبة فى الشرف على الوجه المذكور والله أعلم (قوله الاسرار معتقة) اى محررة ومخلصة باعتبار سابق العناية أزلا باعانة بارئها عن رق الاغيار اى بحيث الركون اليها والوقوف معها (قوله والاطلال) اى معتقة ومحررة عن الشغف بها بل هى مشغوفة ومتعلقة بحب ساكنها كما يشير اليه قول قائلهم

وما حب الديار شغفن قلبى ۞ ولكن حب من سكن الديارا

(قوله ويطلق لفظ السر أيضا الخ) أنت خبير بأن ما تقدم يشمله وبعضه حيث هو من جملة ما للعبد عليه اشراف واطلاع عليه اهتماما به (قوله على ما يكون مصونا) اى فهو على ما تقدم من اللطائف الالهية وعلى ما هنا من الواردات الانفسية والله أعلم (قوله فمن لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصر) اى فمن لم يكن له جانب مع الله تعالى لا يطلع عليه أحدا من الغير والسوى فهو مصر على الجناية بعيد عن الوفاء (قوله اسرارنا بكر) أى بسبب عدم ولوج الاوهام فيها على حسب القسمة والتقدير وقوله لم يفتضها اى لم يطرقها نوع من أنواع الاوهام الجائزة فى حق غير المحفوظين (قوله صدور الاحرار) مراده المطهرون من رجس المخلوقات وقوله قبور الاسرار أى هى مثل القبور فى مطلق

الاخفاء وستر ما اشتمل عليه

(باب التوبة)

(باب التوبة)

اعلم وفقني الله واياك ان المقصود من التوبة خروجك عن كل ما يحجبك عن الحق من الذنوب وهي ثلاثة أقسام ذنوب الاعمال المتعلقة بالجوارح التي منشؤها القالب والنفس الامارة وذنوب الاحوال وهي المتعلقة بالقلب والروح والسر وذنوب الوجود المتعلقة باللطيفة الانانية الانسانية المختفية في الهيكل المخصوص الانساني المحتجب بهذا الوجود عن شهود نور الانوار وهذا آخر حجب تلك اللطيفة الانانية في طور انتفائها لان الحجاب هو ما يحجب عن الحق من الدنيا والآخرة حتى نفس وجود العبد الطالب المعراج الاقدس يسلك هذا السبيل الانفس ويهدي الله لنوره من يشاء من عباده وانما قلنا في الاول التي منشؤها القالب والنفس الامارة لان النفس محل تراكم الظلمات ومبدا قبيح الشهوات وفي الثاني قلنا المتعلقة بالقلب والروح والسر لانها وان كانت نورانية قد يطرأ عليها ادناس الاوساخ من غلبة مذموم الصفات كالوقوف مع استحسانها والعكوف على ملاذها مع الغفلة عن منحها وانما أضفنا الذنوب للوجود لقولهم وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * وانما كان كذلك لان الشخص اذا رأى له كونا ووجودا كان هذا من الحجب المانعة له من الوصول الى حضرة الحق تعالى فحذار اياك ان تركب مطية المعصية العرجاء فتنقطع في مسافة الطريق العوجاء بل سابق بالسير القويم على الصراط المستقيم فالحق انما أمرك بالتوبة ليطهرك من التدنيس ويلبسك أوصاف التقديس فأنق من أوصافك الذميمة وتخلق بالهمة الجميلة شعر

قد رشحوك لامر لو فطنت له ۞ فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

فاياك وترك التوبة فملازمة الفلاح اتباع طريقة النجاح واياك أن تبني قامة الاعمال على غير أساس التوبة فتكون كمن بنى على شفا جرف هار وتوبة العوام من الهفوات وتوبة الخواص من العادات وتوبة خواص الخواص من السوى والاغيار والركون الى المقامات والانوار ولا تأمن بعد التوبة الصادقة وان أتتك بشائر القبول فانه سبحانه لا يسئل عما يفعل وأنت المسؤل قال تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فقد أسقط اسم الظلم عن التائب ثم للتوبة شروط وحقائق وسرائر فشرائطها ثلاثة الندم والاعتذار والاقلاع وحقائقها ثلاثة تعظيم الجناية واتهام التوبة وطلب اعذار الخليقة وسرائر تلك الحقائق ثلاثة تمييز التقية من العزة ونسيان الجناية والتوبة من التوبة أبدا لان التائب داخل في الجميع من قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فأمر التائب بالتوبة قال في عوارف المعارف التوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهي أول المقامات وهي بمثابة الارض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له ثم اعلم ان من أصول التوبة العلم بالذنب ليصح قصد

هى أصل كل مقام ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له وهى كما يؤخذ مما يأتى لغة الرجوع من شئ الى آخر وشرعا الرجوع فى الواجبة عن الذنب بأن يقلع عنه ويندم عليه ويعزم على أن لا يعود اليه ويرضى الآدمى فى ظلامته ان تعلقت به وفى المندوبة عن البطالات والمباحات الى الطاعات او عن أدنى المندوبات الى أرفعها فى الدرجات ومنه قوله تعالى نعم العبد انه أواب اى رجاع الى طاعة الله ويقال للتوبة الاوبة والانابة لكن باعتبارات تأتى وبكل حال فهى مطلوبة (قال الله) سبحانه و (تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) اى تفوزون بالمقصود وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وقد (أخبرنا) الامام (ابو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله قال أخبرنا أحمد ابن محمود بن خرزاذ) بضم المعجمة وتشديد الراء ثم بالزاى المعجمة بعد الالف (قال حدثنا محمد بن فضل ابن جابر قال حدثنا سعيد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن زكريا قال حدثنى ابى قال سمعت انس ابن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

الاقلاع عنه والعلم بالرب الذى خالفه بأن تعلم جلاله وعظمته فتخشاه وجماله ورحمته فترجوه وستره وحلمه فتشكره ونظره واطلاعه فتستحى منه وندائه واستدعاءه لك فتجيبه وسعة جوده وكرمه فلا يعظم عندك ذنب وكبرياءه وعظمته فلا تستخف بذنب الى غير ذلك من أنواع المعارف وقولنا فيما تقدم ان التوبة أصل كل مقام لانها مجلاة النهايات تظهر فيها امارات النجح كظهور الصور فى المرآة والمدار على الصدق فيها حتى يقال من شرفت بدايته أشرقت نهايته من كانت بدايته أحمد كانت نهايته أكمل من كانت بدايته أصح كانت نهايته أوضح على قدر أهل العزم تأتى العزائم * هذا واعلم أن الذنب ربما كان سببا فى الوصول وذلك لانكسار قلب المذنب وفى الحديث القدسى أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى وفى الحديث النبوى رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقال أبو العباس المرسى فى اشارة قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يولج الطاعة فى المعصية ويولج المعصية فى الطاعة يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يعملها ويطلب من الله العوض عليها فهى حسنة أحاطت بها سيئات ويذنب الذنب فيلجأ الى الله ويعتذر منه ويستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات والله أعلم (قوله باب التوبة) أقول الكلام على التوبة وفروعها واصولها وشروطها وآدابها وحكمها وثمراتها لا يحتمله هذا المقام فقد أفرد بعضهم هذا الباب بالتآليف فارجع اليه ان شئت (قوله هى أصل كل مقام) اى أس ينبنى عليه جميع أنواع الشرف اذ المقامات والاحوال من حلل الصفاء والتلبس بالمألوفات من خسيس أنواع الجفاء والصفاء لا يجامع الجفاء فافهم (قوله ومفتاح كل حال) اى سبب كل صفة جميلة يتحلى بها الطالب ويتوصل بها الى جميع المآرب (قوله فمن لا توبة له الخ) تفريع على ما قبله ومحصله ان من لم يكن له أصل يبنى عليه ينهار بناؤه ومن لا سبب للفتح عليه لا يتحقق نوره وضياؤه (قوله الرجوع من شئ الى آخر) اى سواء كان ذلك الشئ دينيا أو دنيويا فهو أعم من المعنى الشرعى (قوله وشرعا الرجوع فى الواجبة الخ) محصله تقسيم التوبة الى واجبة ومندوبة والاولى تتحقق بالرجوع عن الذنب والندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لاربابها ان تعلقت بالغير والثانية بالرجوع عن المباحات لنيل القربات (قوله او عن أدنى المندوبات) اى الرجوع عن أدنى المندوبات الى الاعلى منها يعنى الاهم فى الوقت والحال لان الافضل فى حق العبودية الاشتغال بما هو الاولى من أحكام الالوهية (قوله وبكل حال فهى مطلوبة) اى وبكل تقدير فى معناها وان اختلفت المعانى باختلاف الاعتبارات فهى مطلوبة اى طلبها الشارع سواء كان الطلب واجبا او مندوبا (قوله فهى مطلوبة) اى على سبيل الوجوب او الندب (قوله نصوحا) قيل المراد بها ما تمنع من ملابسة الذنب ثانيا والله أعلم (قوله كمن لا ذنب له) اى فى عدم المؤاخذة لكن لا يعطى ما يقتضيه

وذلك لانه اذا أحبه ألهمه التوبة من الذنب او غفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (قيل يارسول الله وما علامة التوبة قال الندامة) اى على ما تاب منه (اخبرنا على بن احمد بن عبدان الاهوازى قال اخبرنا ابو الحسين احمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال أخبرنا الحكم بن موسى قال حدثنا غسان بن عبيد عن ابى عاتكة طريف بن سليمان عن انس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شئ أحب الى الله من شاب تائب) سواء فى ذلك التوبة الواجبة والمندوبة (فالتوبة) الواجبة (أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة فى لغة العرب الرجوع يقال تاب اى رجع فالتوبة) الواجبة (الرجوع عما كان مذموما فى الشرع) من ترك واجب او فعل محرم (الى ما هو محمود فيه وقال صلى الله عليه وسلم الندم توبة فأرباب الاصول من أهل السنة قالوا شرط التوبة حتى تصح) اى لتصح وفى نسخة شرط صحة التوبة (ثلاثة أشياء الندم على ما عمل من المخالفات) للشرع (وترك الزلة) اى الاقلاع عنها (فى الحال والعزم على أن لا يعود) فى الاستقبال (الى مثل ما عمل من المعاصى فهذه الاركان) مع ارضاء الآدمى فى ظلامته ان كانت (لا بد منها حتى تصح توبته قال هؤلاء) اى أرباب الاصول من أهل السنة (و) أما (ما فى الخبر) السابق من (ان الندم توبة) فهو (انما نص) عليه الصلاة والسلام (على معظمه) اى ركنها والاولى معظمها اى أركانها (كما قال عليه الصلاة والسلام الحج عرفة اى معظم أركانه عرفة اى الوقوف بها الا انه لا ركن فى الحج سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم اركانه الوقوف بها كذلك قوله الندم توبة اى معظم أركانها الندم

التشبيه (قوله او غفر له الخ) الذى يظهر منه ولو لم يتب وهو كذلك اذ فضل الله واسع (قوله قال الندامة الخ) أقول ولذلك اشار الجنيد حين سئل ما السبيل الى الانقطاع الى الله تعالى حيث قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك الاعمال واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل واعلم أن من أصول التوبة العلم بشهوات النفس ودناءتها بما طبعت عليه حتى يثمر ذلك دوام الانكسار والاستحياء وتحقيق عجزها عن أدنى شئ جلبا او دفعا فيرجع العبد الى رب الفضل منيبا تائبا والعلم بعنصرها الاصلى العلوى الروحانى وكونها مضافة الى جناب الحق منزلة من عالم الامر مختلفة فى المملكة ممدة بالعلم الاسمائى والصفاتى وحقائق الاشياء والندامة هى توجع القلب وتألمه على ما فرط من المخالفة (قوله ما من شئ الخ) مراده بايراده الترغيب فى التوبة زمن الشباب لنيل ما أعد الله من الاحسان للعبد وانما كانت فى هذه الحالة أحب لمشقتها مع توفر الدواعى (قوله أول منزل الخ) اى ولذلك كانت للمبتدئين من أرباب السلوك (قوله الندم توبة) هو على حد الحج عرفة (قوله قالوا شرط التوبة الخ) مرادهم بالشرط ما لا بد منه فيشمل الركن واعلم أن التوبة بعد توفر شروطها على حسب البدء فيها تكون نهايتها فمن دخل فيها بالله كانت نهايته منها الى الله ومن كانت بدايته بالتفويض الى الله كانت نهايته بالرضا عن الله ومن كانت بدايته بالتوكل على الله كانت نهايته بالرجوع الى الله ومن كانت بدايته بالاستعانة بالله كانت نهايته بحسن الظن بالله ومن كان لله كان الله له ومن كان فى الله فالله كان الله خلفه ومن كان لغير الله كان الغير حظه من الله ففى الخبر فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله الحديث (قوله فهذه الاركان الخ) ثم هى عن المحرم واجبة عينا على الفور وعن الشبهة وفضول المباح وكل شاغل فضيلة ثم عن رؤيتها لرؤية المنعم بها المديم شكره عليها واتهام النفس فى تحقيقها وتكميلها اورؤية تقصيره فيها نهاية وأرفع أنواعها التوبة عن تضييع الوقت وعن مقام ما فوقه أعلى منه ودون ذلك التوبة من تمهيل الذنب باستقلال المعصية اذ ذلك جراءة على الله تعالى فلا تنظر ما عصيت ولكن انظر من عصيته ولا يعظم عندك ذنب بحسن ظنك بربك فمن عرف ربه استصغر ذنبه فى جنب عظمته فلا كبيرة اذا واجهك فضله ولا صغيرة اذا قابلك عدله فافهم (قوله لا بد منها) اى لا غنى لتحقق حقيقة التوبة عن وجودها وان أردت ما يشفى الغليل فى التوبة فعليك بكتاب الاحياء للغزالى (قوله فهو انما نص على معظمه الخ) اى

ومن اهل التحقيق من قال يلحق الندم في تحقيق ذلك) اى ماذكر من التوبة (لان الندم يستتبع الركنين الآخرين) اللذين قدمهما (فانه يستحيل) على التائب (تقدير ان يكون نادما على ما هو مصر على مثله او عازم على الاتيان بمثله وهذا معنى التوبة على جهة التحديد) لها (والاجمال فاما) معناها ١١٢ (على جهة الشرح والابانة) لها (فان للتوبة أسبابا) تقتضيها وتقتضي الدوام عليها (وترتيبا وأقساما فأول ذلك) اى ماذكر من الاسباب وهو أول الاخذ في التوبة (انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ماهو عليه من سوء الحالة) التي هو متلبس بها (ويصل الى هذه الجملة بالتوفيق للاصغاء الى مايخطر بباله) اى بقلبه (من زواجر الحق سبحانه بسمع قلبه) بأن يخطر الله بقلبه التفكر فيما هو فيه ومو عظة في قلبه لاصلاح شأنه (فانه قد (جاء في الخبر واعظ الله في قلب كل امرئ مسلم) فاذا تنبه قلبه وتفكر فيما ذكر بحيث يعزم على التوبة منه حيي من موت الغفلات وهذا يعبر عنه بصلاح القلب (وفي الخبر ان في البدن لمضغة) وفي نسخة مضغة وفي أخرى بضعة (اذا صلحت صلح جميع البدن واذا فسدت فسد جميع البدن ألا وهي القلب فاذا فكر بقلبه في سوء مايصنعه وابصر ماهو عليه من قبيح الافعال سنح) اى خطر (في قلبه ارادة التوبة والاقلاع عن قبيح المعاملات فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والاخذ في جميل) وفي نسخة بجميع (الرجعى) الى الطاعة (والتأهب لاسباب التوبة) فصلاح القلب يحصل بما ينبهه الله عليه من الخيرات واذا صلح سعدت الجوارح في مهمات البر والطاعات

وانما كان الندم معظم أركان التوبة لانه يستلزم ماورا من بقية أركانها (قوله لان الندم يستتبع الركنين الآخرين) اى يتبعه الركنان بمعنى يستلزمهما او يتبعهما على معنى يحصل به فائدتهما (قوله فانه يستحيل الخ) لعل المراد من جهة الشرع (قوله فان للتوبة أسبابا الخ) اعلم أن من الاسباب الباعثة على التوبة تأمل وعيد الحق واشارات وعد الصدق وتقصير الامل واغتنام فرصة العمل بترك التسويف فأكثر صياح أهل النار من التسويف وقد أشار الى ذلك صاحب الحكم العطائية حيث قال احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس وقال أيضا لاتترقب فروغ الاغيار فانه يقطعك عن وجود المراقبة (قوله انتباه القلب الخ) اى تيقظه من رقدة الغفلة عما يعني فاذا تم له ذلك بمعرفة الحق تعالى بادر الى الانابة وفارق لذيذ العادة فكان كالوقت او كالسيف في قطع المألوفات من شهوات البشرية (قوله ويصل الى هذه الجملة) اى فيتوصل بالتوفيق الى انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ماهو عليه من سوء الحالة وذلك هو جملة ما تقدم (قوله بالتوفيق) أى بخلق قدرة الاصغاء المذكور وقد روى ان الجنيد رآه بعض أصحابه مهموما فسأله عن السبب فقال فاتني ورد من أورادي فقال له صاحبه اقضه فقال كيف أقضيه والوقت مشغول بأهم منه وفي وصية شهاب الدين السهروردي قدس الله سره لاتقل الى غد شغل يومك فان كل يوم آت بشاغله والعالك لاتلقه فتأمل هذا وبادر الى الاعمال لتصل الى شرف الفضائل واعلم أن التوبة هي أول السير والسلوك الى ملك الملوك قال تعالى كونوا قوامين لله وقال قل انما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله هذا وعندي ان القيام مستمر بداية ونهاية فقم أبدا ولاتؤخر سمعك غدا شعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون

وبادر لاغتنام الخير فيها * فلا تدري السكون متى يكون

(قوله بالتوفيق للاصغاء الخ) اى فمن أراد الله به خيرا فتح عين قلبه وازال صمم أذنه فرأى وسمع تالي زواجر الحق وتفكر وتذكر في مواعيد الصدق فنهض بحبال داعيه ملبيا من يناديه واقفا على قدم الامتثال راجيا بلوغ الآمال هذا معنى ما أشار المؤلف اليه وعول في كلامه عليه (قوله واعظ الله الخ) اى مايخلقه تعالى في قلوب المسلمين ممن أراد بهم خيرا في الدين فينتبهون به من غفلاتهم اللاتي تصيرهم كالموتى بل أسوأ (قوله اذا صلحت) اى باعتبار ما أودع فيها من اللطيفة الانسانية والا فهي في ذاتها من قبيل الجمادات (قوله فاذا فكر بقلبه الخ) أقول والهام هذه الفكرة من أسباب سعادة الموفق

وترك المعمومات التي منها مخالطة قرناء السوء كما قال (فأقل ذلك هجران اخوان السوء) اي أصدقائه فعلى العبد الفرار منهم أشد من فراره من الاسد والحيات فان ضرر هؤلاء في الدنيا خاصة وضرر أولئك في الدنيا والآخرة (فانهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد) الجميل (ويشوشون عليه صحة هذا العزم) الجليل (ولا يتم ذلك الا بالمواظبة على المشاهد) اي مشاهد الخير (التي تزيد رغبته في التوبة وتوفر دواعيه على اتمام ما عزم عليه مما يقوي خوفه ورجاءه) ومن ذلك مخالطته بالصالحين او سماع أقوالهم وأفعالهم المرسومة في الكتب عنهم اذ بذلك يتوصل الى معرفة امور كثيرة يجهلها وجوب بعضها او ندبها او حرمتها او كراهتها او تحريم الاستماع للغيبة والنميمة والحسد والغش في المعاملات (فعند ذلك تنحل من) وفي نسخة عن (قلبه عقدة الاصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال فيقف عن تعاطي المحظورات ويلجم) اي يجذب (لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة في الحال ويبرم العزيمة على أن لا يعود الى مثله) اي الذنب والاولى كما في نسخة مثلها اي الزلة (في الاستقبال فان مضى على موجب قصده) من الرجوع عن الزلة (ونفذ) في حاله (بمقتضى عزمه) على ذلك (فهو الموفق صدقا وان نقض التوبة مرة أو مرات و) كان مع ذلك (تحمله ارادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضا كثيرا فلا

١٥ يج في ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء) الذين ينقضون توبتهم فلا تمنعه زلته بعد التوبة من توبة أخرى ولا ييأس من روح الله فربما كان ذنبه اذا تاب منه ثم عاد اليه سببا لسعادته كما جاء في الخبر الصحيح ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك قال لا يزال نصب عينيه تائبا منه وذلك لما علم ما وقع فيه من النقص في الاعمال ولا يراها كافية فيما وقع فيه

الموفق ولا سيما اذا دام توجع قلبه على ما جنت نفسه وهذا ما أشار له صاحب الحكم العطائية حيث قال رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا أقول وذلك لان الخير في الطاعة بالذات والشر فيها بالعرض والمعصية بخلاف ذلك فاذا أوجبت الطاعة ما هو في المعصية بالذات كانت شرا واذا أوجبت المعصية ما هو في الطاعة بالذات كانت خيرا قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الذنب خير من العجب ما خلى الله بين مؤمن وبين ذنب أبدا وقال أبو مدين انكسار العاصي خير من صولة الطائع (قوله فاذا افتكر بقلبه الخ) حاصله ان التفكر المذكور يحقق للعبد الانزعاج بقرع قلبه بطوارق الخوف وبواسطة شهود ألطاف المولى العامة ينفتح له باب رجاء قبول الرجوع والاقلاع عما كان عليه من قبيح المعاملات مع الحق سبحانه بعقد العزيمة وتصحيحها فيأخذ في سبل الرجوع الى طاعة ربه وبالجملة فالمدار في كل خير على ارادته تعالى (قوله هجران الخ) اي بسبب ان الطباع سراقة يتبع بعضها بعضا على ان اغواءهم قد يكون أقوى من اغواء الشياطين بل هم الشياطين (قوله فان ضرر هؤلاء في الدنيا خاصة) اي مع التمكن من علاجه لو بقي الاجل على انه قد يترتب عليه خير في الدنيا والآخرة ان صبروا واحتسب (قوله وتوفر دواعيه) اي بواعثه القلبية (قوله مخالطته بالصالحين الخ) اي مخالطته لهم والمراد بهم العلماء العاملون القائمون بحق الحق وحق الخلق وقليل ما هم في هذا الزمان فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله لا سيما الخ) ما ذكره نفعنا الله به من كبائر الذنوب والجرائم اعظمها (قوله عقدة الاصرار) الاضافة بيانية وسبب هذا الاصرار الميل الى المألوف وتحسين الشياطين والمفسدين الانسية والجنية (قوله ويبرم العزيمة) أي يقطع ويصمم في اعتقاده على عدم العود لمثل ما كان عليه وجوبا في الواجب وندبا في المندوب (قوله فهو الموفق صدقا) أي لانه قد منح مفتاح السعادة الابدية (قوله فلا ينبغي قطع الرجاء الخ) أي لخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له وربما لمثل هذا المفتن التواب وهو مرجو له القبول باشارة خبر سيدنا الرسول (قوله ولا ييأس الخ) اي لان ذلك من الكبائر (قوله فربما كان ذنبه الخ) اي بسبب تأمله الى فاقته الدائمة الضرورية فيستوحش من كل شيء سوى من اليه فاقته فلا يعود أبدا الى شيء من المخلوق اذ لا يكون الرجوع الا بالغفلة عن تلك الفاقة ومن هي اليه ولا سيما عند الامتحان بدوام العافية التي ادعى بها فرعون الربوبية لانه عمر أربعمائة عام لم يصدع رأسه ولم يحم جسده ولم يضرب عليه عرق فلو أخذته الشقيقة ساعة واحدة لشغله ذلك عن الدعوى (قوله فيدخل بذنبه الجنة) أي

وإذلك قيل زلة واحدة بعد التوبة أعظم من سبعين زلة قبلها لقبحه لذلك على الجد في الاعمال وكلما زل عاد (فان لكل أجل) أي مدة (كتابا) مكتوب فيه تحديده (حكي عن أبي سليمان الداراني انه قال اختلفت الى مجلس قاص) يقص على الناس القصص ويذكرهم (فسمعت كلامه فاستحسنته (فأثر كلامه في قلبي فلما قمت) من مجلسه (لم يبق في قلبي منه شيء فعدت) اليه (ثانيا فسمعت كلامه فبقي كلامه) أي أثره (في قلبي في الطريق ثم زال) عن قلبي (فعدت) اليه ثالثا (فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت الى منزلي فكسرت آلات المخالفات لله) تعالى (ولزمت الطريق) الموصلة اليه (فحكي) الداراني (هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركي أباسليمان الداراني) يعني ان الدرجة التي وصل اليها الداراني من درجات الولايات أفضل من تذكير ذلك القاص (ويحكى أيضا عن أبي حفص الحداد انه قال تركت العمل) أي الكسب (كذا وكذا مرة فعدت اليه ثم تركني العمل فلم أعد بعده اليه) يعني ترك العمل في الدنيا للتفرغ في العبادة ثم غلبته محبته فعاد اليه ثم غلب عليه محبة تركه لشدة محبته في الاخرة فتركه ثم غلب عليه محبة العمل فعاد اليه ثم قوي حاله فترك العمل ولم يعد اليه ثم نفرت نفسه عنه ورغب فيما هو أفضل منه وربما كان سبب ترك العمل له ما حكي انه كان يعمل الحديد في دكانه فغلب عليه حاله فأدخل يده في الكير وأخذ الحديدة بيده وجعل يطرقها وهو لا يشعر فلما كلمه تلميذه في ذلك رجع الى حاله وهرب من الشهرة وعلم ان المراد منه ترك ما هو فيه (وقيل ان أبا عمرو بن نجيد في ابتداء أمره اختلف الى مجلس أبي عثمان) سعيد بن سلام الحراني وهو يذكر الناس فسمع كلامه (فأثر في قلبه كلامه فتاب) عما كان عليه (ثم انه وقعت له فترة) وعودة الى ما كان عليه قبل التوبة (فكان يهرب من أبي عثمان اذا رآه ويتأخر عن مجلسه) فلم يحضره حياء من رؤيته له بعد زلته (فاستقبله أبو عثمان يوما) في طريق (فحاد أبو عمرو عن الطريق) وفي نسخة عن طريقه (وسلك طريقا آخر فتبعه أبو عثمان فما زال به يتقفى) أي يتبع أثره (حتى لحقه ثم قال له يا بني لا تصحب من) وفي نسخة مع من أي لا توقع صحبتك مع من (لا يحبك الا معصوما) لان العصمة انما تكون للانبياء فمتى كان

فصل

يكون سببا في ذلك كما أشار اليه الشارح (قوله ولذلك قيل زلة الخ) أي لان الجفاء بعد ذوق لذة الصفاء من أقبح الجفاء (قوله فان لكل أجل الخ) أي فالمقدر كائن لا محالة والحذر لا ينجي من القدر والله أعلم (قوله حكي الخ) فيه تنبيه على ان الحق تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه وعلى ان المريد المسترشد قد يفوق بعناية الله درجة المرشد وفيه دلالة بالواقع على صدق المنقول بتكرر التأثر والعود الى الخلق المطلوب (قوله فقال عصفور الخ) أقول ولا مانع لرب العنايات ان ينقل عبده من الضلالات الى أرفع الولايات حيث ان الامر منه واليه ولا معقب لحكمه لديه هذا والغرض له بيان درجة أبي سليمان لا تحقير القاص كما لا يخفى (قوله ويحكى أيضا عن أبي حفص الخ) فيه تنبيه على ان كل شيء له وقت بالتقدير على حسب حكمة العليم الخبير (قوله تركت العمل الخ) أقول الترك الاول بالنفس والثاني بالقلب والروح فلذا دام الثاني ولم يدم الاول (قوله فغلب عليه حاله) أي بسبب ما ورد على قلبه من واردات الحق وغلبة أنوار الحقيقة فاستغرق في ذلك حتى فني عن الاحساس فحصل ذلك منه ولم يشعر به (قوله ثم انه وقعت له فترة) أي بسابق القضاء الازلي في مظاهر الربوبية ومثل ذلك لا يدافع بهمم العبودية ولذا أشار صاحب الحكم حيث قال سوابق الهمم لا تخرق أسوار الاقدار (قوله ثم قال له يا بني الخ) أي أفاده ان التوبة بدوام الاستمداد لا تكفي وانما جعلت وقاية للذي نعم من دام في التوبة على الحزم والعزم فهذا هو الصادق الصديق البالغ بسيره مقاصد الطريق فاياك والفترة والكسل فانهما من اخوة الهم والملل من صحبهم وقف به السير عن كل ما يرومه من كل ربح وخير (قوله لا تصحب الخ) فيه الحث مع لين القول وارجاع الى النظر في سعة فضل ربه وابعاد عن سبيل القنوط من الرحمة وفيه تأنيس له بترك ما حصل به من الوحشة والنفرة وذلك من كمال العقل وقوة الارشاد (قوله لان العصمة الخ) أي وأما الولاية فلها الحفظ وقد يجوز تخلفه بالقضاء ومع ذلك فلا يأس من نيل المقامات وثبوت أنواع الكرامات (قوله فمتى كان أحد الخ) أقول ليس الغرض له نفعنا الله به تسهيل سبيل المخالفة ولا عدم ذم المنكر بوجه الشرع بل مراده ارجاع المريد الى النظر في سعة

أحد لا يصحبك الا اذا كنت معصوما فلا تصحبه فان مآل صحبتكما الى الانقطاع لعدم الوفاء بما يريده فلكن بهذا الكلام قلبه وقال له (انما ينفعك أبو عثمان) يعني نفسه (في مثل هذه الحالة) التي وقعت لك (قال فتاب أبو عمرو بن نجيد وعاد الى الارادة) أي الحالة التي فتر عنها (ونفذ فيها) فيه تنبيه على ان الشيخ يحصل من تلميذه بعض ما يبدو منه من الزلل لضعف عقله وقلة أنسه بأسباب الدين (سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة) وعودة الى ما كان عليه قبل التوبة (فكان يفكر وقتا لو عاد الى التوبة كيف يكون حكمه فهتف به هاتف) من ملك أو ولي أو جني يقول (يا فلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك فان عدت الينا قبلناك فعاد الفتى) الذي تاب ثم فتر

(الى الارادة) أي الحالة التي فتر عنها ونفذ فيها في ذلك تنبيه على ان باب التوبة مفتوح بعد الزلل وان العبد اذا زل لا يعاجل بالانتقام (فاذا ترك العاصي وحل عن قلبه عقدة الاصرار) على شيء منها (وعزم على ان لا يعود الى مثله) أي مثل ما عصى الله به (فعند ذلك يخلص الى قلبه صادق الندم) أي الندم الصادق (فيتأسف) أي يتحزن (على ما عمله ويأخذ في التحسر على ما صنعه من احواله وارتكبه من قبيح أعماله فتتم توبته وتصدق مجاهدته ويستبدل) وفي نسخة واستبدل (بمخالطته الناس العزلة) والخلوة (وبصحبته) أي وبإيقاع صحبته (مع اخدان السوء) أي اصدقائه (التوحش عنهم والخلوة دونهم ويصل ليله بنهاره في التلهف) أي التحسر (ويعتنق في عموم احواله بصدق التأسف) بحيث (يمحو بصوب) أي بنزول دمع (عبرته) بفتح العين ما يجلب الدمع (آثار عثرته) بالمثلثة أي زلته (ويأسو) من الأسى بالقصر وهو المداواة أي يداوي (بحسن توبته كلوم) بضم الكاف أي جروح (حوبته) أي اثمه يقال حاب بكذا أي اثم تحوب حوبا وحوبة وحيابة قاله الجوهري (و) بحيث (يعرف من بين أمثاله بذبوله ويستدل على صحة حاله بنحوله وان يتم له شيء من هذا) أي مما ذكر من التوبة الصحيحة (الا بعد فراغه من ارضاء خصومه ومن الخروج عن مظالمه فان أول منزلة في التوبة) من التائب (ارضاء الخصوم بما أمكنه فان اتسع ذات يده) أي صاحبها أي ما فيها (لايصال حقوقهم اليهم أو سمحت نفوسهم باحلاله والبراءة عنه) الاولى عنها أي بان يحللوه أو يبرؤه منها فذاك

فضل ربه بما قدمناه حتى لا يقع في القنوط بواسطة استعظام الذنب ولا يقدم على صغيرة اجلالا لله وحياء منه اذ لا يليق معاملة الكريم بمثل ذلك والله أعلم (قوله انما ينفعك أبو عثمان) أي انما يكون سببا في انتفاعك بما يرشدك اليه من عدم استعظام الذنب المؤدي الى اليأس من الرحمة وعدم الاستخفاف به المؤدي الى التهاون (قوله قال فتاب الخ) يدل ذلك على ان الاستاذ من أهل الدلال المحبوبين (قوله فهتف به هاتف الخ) بالتأمل في تلك الاشارات والتفهم فيما يرد من الواردات يعلم ان الفضل مواهب وانه أقرب لذوي المصائب فحينئذ لا يقنط العبد وان كثرت منه الذنوب وتوالت عليه عظائم الخطوب حيث الوعيد حق غير انه في حق من لا يتوب فقو عزم الآمال لتحظ بلطف الافضال (قوله على ان باب التوبة مفتوح بعد الزلل) أي ويدل له قوله جل جلاله ان الله يحب التوابين لصدقه بما ذكر وقوله وان العبد اذا زل لا يعاجل بالانتقام أي بل قد تشمله الرحمة بالعفو عنه والغفران كيف وقد أمرنا بالعفو عمن جنى علينا فهو تعالى أولى بذلك منا (قوله وحل عن قلبه عقدة الاصرار الخ) أي بشهود ان الامور كلها قد أحاط بها علم العليم وانها في قبضة قدرة الحكيم فان علم ذلك يورث الجمعية على الله بالتوكل عليه والانابة له (قوله فعند ذلك الخ) اعلم ان الندم ركن عظيم في التوبة فهي لا تصح الا به بخلاف ما أشار اليه بقوله ويستبدل الخ فانه شرط في كمالها (قوله فيتأسف الخ) أي بواسطة تأمله في الوعيد الحق وتفكره فيما جناه على نفسه من خلاف الصدق وذلك يشير الى طرف من عناية الله حيث نقله بذلك واصطفاه (قوله ويستبدل الخ) المراد اعتزال الصفات الذميمة والتخلق بالحميدة وان لم ينفرد بشخصه عن أبناء جنسه وذلك بالنسبة لمن قوي يقينه اما ضعيفه ممن يتأثر بالمخالطة فالمراد بالعزلة بالنسبة له البعد والانفراد عن الخلق المشغلين الذين هم كالشياطين (قوله وان يتم الخ) أي وهو فيمن قد تعلق به حق آدمي سواء كان من الاموال أو غيرها (قوله أو سمحت نفوسهم الخ) أي ولو مع قدرته على وفاء حقوقهم

والافالعزم) أى فالواجب العزم (بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الامكان) اى عند تمكنه من ذلك (والرجوع الى الله سبحانه بصدق الابتهال) أى التضرع بالدعاء (والدعاء لهم) فعطف الدعاء على الابتهال من عطف العام على الخاص (وللتائبين صفات واحوال هى من خصالهم بعد ذلك) أى مجموعها (من جملة التوبة) وكمالها (لكونها من صفاتهم لا لانها من شرط صحتها والى ذلك تشير أقاويل الشيوخ فى معنى التوبة سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول التوبة على ثلاثة أقسام) باعتبار الحامل عليها وان كانت الاسماء مختلفة (أولها التوبة وأوسطها الانابة وآخرها الاوبة) والكل يرجع الى معنى الرجوع (فجعل التوبة بداية والاوبة نهاية والانابة واسطتهما فكل من تاب لخوف) وفى نسخة من خوف (العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا فى الثواب فهو صاحب انابة) وان كان صاحب توبة (ومن تاب مراعاة للامر) أى لامتثاله (لا لرغبة فى الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة) وان كان صاحب توبة (ويقال أيضا التوبة صفة المؤمنين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة صفة الاولياء والمقربين قال الله تعالى وجاء بقلب منيب) أى مقبل على طاعته (والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله تعالى نعم العبد انه أواب) أى رجاع فى التسبيح والذكر فى جميع الاوقات فى تاب خوفا من العقاب ورجاء الثواب فهو والساعى لنفسه غير مخلص لله تعالى ومن تاب حياء من الله لقدرته عليه وعلمه به لا خوفا من ناره ولا رجاء لثوابه فهو المخلص فى توبته

سبحانه

(قوله والافالعزم الخ) أى الذى هو جهد المقل (قوله والرجوع الى الله الخ) أى كما هو شأن من لم يقدر على المكافأة لذى الحق (قوله وللتائبين صفات الخ) مراده ان ما تقدم فى مطلق التوبة غير منظور فيه الى التائبين وما هنا فهو باعتبار التائبين ولذلك قسموها على ثلاثة أقسام كما يذكره المؤلف (قوله التوبة على ثلاثة أقسام الخ) أقول والداعى للكل انما هو العقل وهو القوة المستعدة لادراك الاشياء على ما هى عليه فاذا نظر عرف ان الباقى خير من الفانى وان الابقى خير من الباقى فاذا ادرك ذلك نشط الى التوبة طلبا للباقى والابقى قال سهل للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا (قوله باعتبار الحامل) أى الباعث عليها الاباعتبار ذاتها فانها باعتبار ذلك هى الرجوع عما لا يرضاه العبد من غير وصف الكمال (قوله فهو صاحب أوبة) أى وشتان بين توبة صاحب مشتاق وبين من تاب للخوف والاشفاق حيث الاول قد أهاجه الشوق الى شهود الجمال والثانى قد أزعجه الخوف من سطوة الجلال وفرق بين من تاب بشاهد الآثار وبين من تاب بشاهد نور الانوار حيث الاول نجته مشاهدات الجنان والثانى دعاه داعى شهود الرحمن (قوله التوبة صفة المؤمنين) أى لانهم لما نظروا بقوة ايمانهم وكمال عقولهم الى خسة الدنيا بما اشتملت عليه وشدة كدرها أعرضوا عنها وهربوا منها فارين الى قرع باب الفتاح بمطارق التوبة عسى أن يسعفهم فتح القبول ولله در من قال فى وصف الدنيا شعرا

خطاءة قد خلقت لنا وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

ولقد رأيت فى عالم الخيال امرأة طويلة عليها ثياب حافلة ووجهها الناحية أخرى فقلت من هذه قيل الدنيا قلت لو أرتنى وجهها قيل لى انها لا ترى وجهها الا عدلانه ما رآه أحد قط الا بغضه فحينئذ المراد صفة المؤمنين أى المتقين وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وقوله كن فى الدنيا كأنك غريب الحديث والغريب لا يتشبع بشئ ولا يعتد به بل هو فيما هو به من غربته وذلته كما قيل شعرا

ما للغريب وللتصابى والهوى * فكفاه ذلا ان تقول غريبا

والغريب شأنه طلب السلامة والمعاملة بالانصاف وعدم المنازعة والمسجون شأنه أن لا يرى ما يسره ويتوقع أسباب الهلاك وحينئذ فلا راحة للمؤمن بدون لقاء ربه (قوله صفة الاولياء) أى من دام على الرعاية وحسن المتابعة (قوله صفة الانبياء والمرسلين) أى الذين لا غرض لهم الا الحق (قوله فمن تاب خوفا الخ) أى فالتوبة تختلف باختلاف الباعث فادناها ما كان الباعث عليه الخوف وأوسطها ما كان الباعث عليه المحبة والاجلال ومن ذلك نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه واعلاها التوبة عما سواه

ومن تاب عن كل ما سوى الله تعالى فهو المقرب وهو أرفع درجة ومن ثم قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وقيل إخلاص المريدين رياء العارفين لأن المريد إذا تقرب بالطاعة ونظر إليها لم يكن منافيا لإخلاصه في حقه بخلاف العارف فإنه إذا اشتغل سره بغير الله نافى ذلك عرفانه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول التوبة) مبنية (على ثلاثة معان) وتقدم أنها شروط لها (أولها الندم) على ما تاب منه (والثاني العزم على ترك المعاودة إلى ما) ارتكبه مما (نهى الله تعالى عنه) وكأنه ضمنه الإقلاع عن الذنب لأمر أن شرط أيضا (والثالث السعي) وفي نسخة بالسعي (في أداء المظالم) لمستحقها إن علمه والا تصدق به عنه ولا يخفى أن لكل جارحة حظها من التوبة فالقلب نية الترك والندم والعين الغض عن غير المباح والأذن ترك الجائز فيه والرجل ترك السعي فيه والسمع ترك الإصغاء وهكذا (وقال سهل بن عبد الله) التستري (التوبة ترك التسويف) هذا ليس بتوبة بل من أسبابها أي يجب المبادرة إليها ولا يكفي فيها العزم عليها فالعازم عليها مع التمكن من تنجيزها ليس بتائب بل مسوف (سمعت الأستاذ محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا سعيد القرشي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث يقول ما قلت قط اللهم إني أسألك التوبة ولكني أقول أسألك شهوة التوبة) أي لأنها الأكمل لأنه إذا رزقها اشتمل على سائر مقامات التوبة كالتوبة من المكروهات

سبحانه وتعالى (قوله ومن ثم قيل الخ) توضيحه أن الالتفات إلى شيء من الكائنات ولو دينيا نقص يتاب منه بالنسبة لأولي الهمم العالية من المقربين وكمال بالنظر لغيرهم ممن يشهد أعماله في الحق سبحانه (قوله حسنات الأبرار) أي وهم العاملون العاملون على ظاهر أحكام الشريعة وقوله سيئات المقربين أي وهم العاملون العاملون بشاهد أنوار الحقيقة فمن عمل لخوف سطوات الوعيد والرغبة في ثمرات الوعد فهم الأبرار ومن عمل للأمر ولمحبة الآمر لا التفات له إلى غير ذلك فهم المقربون وحال الأولين عندهم ذنب يتاب منه وإن كان كمالا في نفسه (قوله أولها الندم الخ) أي ويلزمه التشمير لتدارك الفائت بقدره أنه ضيعه في دار ليست له الذي من شأنه العمل بما أمر به فيها والرجوع فيها إلى ما يريده تنويها واتكالا لأن حق الضيف أن لا يعول على صاحب المنزل بل يكون حيث أنزله وذلك هنا بامتثال أمره والاستسلام لقهره ومع الإلزام تذكره وشكره وعدم الالتفات لغيره فأصول الخير ثلاثة حفظ الحرمة وحسن الخدمة وشكر النعمة وأصول الشر ثلاثة خوف الخلق وهم الرزق والرضا عن النفس فالتبري من هذا أصل كل طهارة والتحلي بتلك أساس كل كمال (قوله والثاني العزم) أي تصميم القلب الجازم على ترك المعاودة إلى ما ارتكبه كالمعاصي مما نهى الله تعالى عنه نهيا جازما أو غير جازم احتمل التأويل أولا كما هو الاحتياط في حق من يعامل العظماء (قوله وكأنه ضمنه الإقلاع عن الذنب) أي حيث لم يصرح به اكتفاء بالعزم على عدم المعاودة اللازم له الإقلاع عن الذنب (قوله ولا يخفى أن لكل جارحة الخ) مراده أنها لا تتحقق في الحال إلا كذلك ويحتمل أنه إشارة إلى ثمرة التوبة في المستقبل فحصل ما ذكره الشارح أن التوبة لا تتحقق في الحال للعبد إلا إذا كان الأمر كذلك كما يصرح به الإقلاع عن الذنب والندم من أجله أو يكون ذلك للإشارة إلى ثمرة التوبة في المستقبل حتى تكون نصوحا وعلى كل حال فالمدار على حفظ ما به يكون الذنب من الجوارح الظاهرة والباطنة في الحال والاستقبال (قوله ترك التسويف) أي وهو قد يجب وقد يندب وقد يكون الأولى (قوله ما قلت قط الخ) أي بعدا عن توبة الكذابين وهي الصادرة مع غفلة القلب فتكون من حظ النفس فقط (قوله ولكني أقول الخ) أي وذلك لأنها هي التي أناخت ركاب النفس في مطايا القبول والإيمان في دائرة التقديس والمطلق من التقديس تقديس العبد لمولاه حتى لا يعصيه ثم لا يلتفت لغيره حتى لا يكون سواه ثم حتى لا يرى سواه حتى يفنى فيه في فنائه وعن فنائه فهو ذلك علمه بتقديسه عن العبودية للنفس والتنزه عن مخالفة الأمر والنهي وذلك هو بساط الأنس بالحق ومأمن جنابه حتى لا يكاد يصبر عن مولاه في نفس من الأنفاس ويصير لا يرى سوى بقاء معروفه لا للشيء من وجوده ولا يزال به التنزه إلى موقف العجز الذي لا نهاية له فافهم (قوله أسألك شهوة التوبة) أقول وهي إذا تحقق

بها العبد يكون كما قيل

لو قيل ما تتمنى والعبد يعطي مناه * لقلت منية قلبي وفي ان يطول بقاه

فهو انما سأل شهوة التوبة ليفي بذلك شهود لذة منازلاته في مقاماتها وبذلك يتم ما أشار له الشارح أولا وبعد قوله أخيرا وبقوله الخ ووجه بعده ظاهر بشاهد المتابعة حيث التوبة مطلوبة من الجميع ودليل ذلك قوله جل جلاله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون وقوله جل اسمه ان الله يحب التوابين وغير ذلك من الآيات ومن السنة كثير (قوله فسألني عن التوبة الخ) الذي يظهر ان السري فهم ان المسؤل عنه توبة الخاصة من وهج نار المخالفات لا توبة العامة العموم بين أرباب البدايات ولذلك أجاب بقوله ان لا تنسى ذنبك ومقام الاولى لم يخرج صاحبه عن البداية ومقام الثانية صاحبه في مقام الرعاية والعناية والبداية شغل بتعب المجاهدة والنهاية لذة بأنواع المشاهدة وان شئت قلت البداية تحقق ثم تخلق والنهاية تحول لنور التجلي وان شئت قلت البداية ملء الاناء بانا والنهاية تفريغ الاناء من أنت وأنا (قوله وقال بل التوبة ان تنسى ذنبك) أقول يؤيده ما ذكره في اسرار حقائق التوبة وهي ثلاثة تمييز التقية من العزة ونسيان الجناية والتوبة من التوبة أبدا فافهم (قوله قلت لاني الخ) أقول في بيان معناه وان كنت بعيدا عن مغناه ان السري وان جلت مرتبته وعلت درجته قد يحتجب عن مشاهدة المحبين وغايات المقربين اعتبارا بظاهر حال السائل ولهذا رجع بنظر ثاقب اذ الفضل بسابق التقدير لا يكون لكبير دون صغير فكان بهذا تأديبه المعلوم له تقريبه حيث صغر لديه الجنيد فكشف له عن بيت القصد وأسفر عن مناهل أهل الحب ومشهد مشاهدات أهل القرب ومثل هذا قد وقع لسيدنا الكليم فلا لوم حينئذ على هذا الاستاذ العظيم فان حكمة الفاعل المختار سبقت بتأديب الكبار بالصغار فالواجب على العاقل التسليم لباهر حكمة العليم الحكيم (قوله في حال الجفاء) أي البعد عن مقامات المقربين بسبب التلوث بدنس المخالفات وقوله فنقلني الحق الى حال الوفاء أي حيث قذف في قلبي بواعث الانوار والتنبه لطريق الاستبصار فسلكت طريق الوفاء بحق الربوبية ودرجت في مدارج أعمال العبودية حتى وصلت بذلك الى صفاء الحال فحينئذ تذكري لسبب الجفاء والذنب بعد من الجفاء الذي هو من مكدرات عيش المحبين ومن الرجوع الى أسفل سافلين والحاصل ان ما ذكره سيد المحبين هو المتعين في نظر العارفين يختص الله برحمته من يشاء ويهدي اليه من يشاء (قوله فتابع الخ) أقول ولهذا أشار صاحب الحكم العطائية حيث قال ربما معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (قوله فقيد عليه ما هو فيه) أي ما هو مشغول به من تصاريف الحق حيث هو الاولى في حقه ان لا يشتغل بغيره (قوله فالسري كلام الشاب الخ) محصله انه عامل معاملة

المتقين

ومن ترك المندوبات ومن ترك الاولى ومن الغفلات ومن رؤية الاعمال الصالحات فلا يزال بسؤاله اها مترقيا في درجات التوبة ويحتمل انه رأى التوبة منزلة رفيعة ولم ير نفسه أهلا لسؤالها فسأل سببا وهو ان يدرك الله همته لها (أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي رحمه الله قال سمعت أبا عبد الله ابن مفلح الاهوازي يقول سمعت ابن زيري يقول سمعت الجنيد يقول دخلت على السري) السقطي (يوما فرأيته متغيرا فقلت له مالك متغيرا (فقال دخل على شاب فسألني عن التوبة فقلت له) هي (ان لا تنسى ذنبك فعارضني وقال بل التوبة ان تنسى ذنبك فقلت) للسري (ان الامر عندي ما قاله الشاب فقال لم) كان ذلك (قلت لاني اذا كنت في حال الجفاء فنقلني الحق (الى حال الوفاء) أي الصفاء (فذكر الجفاء) يعني الذنب (في حال الصفاء) يعني التوبة (جفاء فسكت) السري وهو حسن اذ التورع من ذكر الذنب الحامل على الاعمال الجالبة للاحزان الفضل لانفس التائب فهو مثل ذنبه الجنة قيل كيف يدخل بذنبه الجنة يا رسول الله قال لا يزال نصب عينيه تائبا منه هاربا فاذا وصل العبد الى حال الترقي واستغرق فيه فالاشتغال بذنبه حينئذ اشتغال عما هو فيه فالسري كلام الشاب بما هو الاولى في حق التائبين فان ذكر ذنوبهم [illegible] ويحملهم على ما هو الاصلاح لاحوالهم

وكان الشاب ممن ارتفعت درجته في ذلك فكلام السري بما يناسب حاله المستلزم باستغراق صاحبه فيه نسيان ذنبه فتنبيهه بذلك على مقام شريف في درجات التوبة ولذلك أعجم وتغير لاشكال الامر عليه وهذا شأنه تعالى أن يؤدب الكبار بالصغار في السن ليفتقروا اليه (سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول سمعت أبا نصر السراج الصوفي يقول سئل سهل بن عبد الله عن التوبة فقال) هي (ان لاتنسى ذنبك) ووجهه ما مر انفا (وسئل الجنيد عن التوبة فقال ان تنسى ذنبك ومن ثم (قال أبو نصر السراج اشار سهل الى أحوال المريدين) أي المبتدئين (والمتعرضين) لارتكاب الذنوب (تارة لهم وتارة عليهم) بمعنى انهم يتوبون وينكثون فاذا ذكروا ذنوبهم ثار عليهم الخوف المانع لهم من النكث (فأما الجنيد فانه اشار الى توبة المحققين فانهم لايذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره) وشغلهم واعراضهم عن غيره حتى عن انفسهم وقيل معنى نسيانك الذنب ان تخرج حلاوته من قلبك خروجا لايبقى له في سرك أثر حتى يكون كمن لايعرفه قط وقيل المراد بنسيانه ترك العود اليه (قال) أبو نصر (وهو) أي ما قاله الجنيد (ضد ما) هي مصدرية (سئل رويم عن التوبة فقال هي التوبة من التوبة) أي من رؤية كونه تائبا فانه لايرى ذلك الا اذا كان مفرق القلب ناظرا لنفسه وتوبته فيحجب بذلك فكمال توبته دوام شغله بربه حتى ينسى توبته كما قال الجنيد وقيل معنى كلام رويم ما قالته رابعة استغفر الله من قلة صدقي في قولي أستغفر الله اشارة الى التوبة من التقصير في الاعمال والاستغفار بما عساه أن يقع فيها من ذهول أو اهمال أو نحوه مما لايليق بحضرة الحق تعالى (وسئل ذو النون المصري عن التوبة فقال توبة العوام) تكون (من الذنوب) وهي واجبة (وتوبة الخواص) تكون (من الغفلة) وهي مندوبة (وقال أبو الحسين النوري التوبة ان تتوب من كل شئ سوى الله تعالى سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي بن محمد التميمي يقول شتان) أي بعد (ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات) وأفضلهم الاخير وأفضل منه التائب من كل ما سوى الله ان لم يرجع اليه (وقال الواسطي التوبة النصوح لاتبقى على صاحبها أثرا من المعصية سرا ولا جهرا ومن كانت توبته نصوحا) أي خالصة لله (لايبالي كيف أمسى و) كيف (أصبح سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن ابراهيم بن الفضل الهاشمي يقول سمعت محمد بن الرومي يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول الهي لا أقول) عند عدم رجائي الحفظ والمعونة من الله (تبت) من ذنبي (ولا أعود) اليه (لما أعرف من خلقي) وطبيعتي (ولا أضمن) لنفسي (ترك) ارتكاب (الذنوب) في المستقبل (لما أعرف من ضعفي ثم اني) مع ذلك (أقول) عند رجائي الحفظ والمعونة من الله تبت و(لا أعود لعلي أموت قبل أن أعود

المبتدئين وذلك لما خفي عليه من سر رب العالمين (قوله سئل سهل الخ) المرض تقوية ما تقدم عن السري والشاب ونسأل الله بجاههم ان يحقق لنا المتاب (قوله وأما الجنيد الخ) توضيحه ان للتوبة سببين الخوف والاجلال والاول للمريدين والثاني للواصلين وحينئذ فلا حاجة لذكر الذنب الجالب للخوف لقيام الاجلال مقامه بالنسبة للواصلين وهو وجيه ومنه تعلم المعصوب لولم يخف الله لم يعصه (قوله ان تخرج حلاوته الخ) أي حلاوته وشيئه من الخاطر وقوله خروجا الخ معناه تحقق غفلة النفس عنه بحيث لاتخطر اياه قط بسبب اشتغالها بما ترقت له بعد مفارقتها اياه (قوله فقال هي التوبة من التوبة) يحتمل ان المراد بذلك الحث على النصوح فيها على معنى عدم ملابسته بعدها بما يجرح التوبة وذلك الاحتمال هو بالنسبة للسالكين وما أورده الشارح نفعنا الله ببركات علومه هو بالنسبة للعارفين الكاملين والله أعلم (قوله وقيل معنى الخ) محصله انه التوبة من عدم توفية المقام حقه في الطاعات وفي العبادات اذ المرء لايخلو عن تقصير في ذلك وله الاشارة بخبر سبحانك ما عبدناك حق عبادتك (قوله ان تتوب من كل شئ الخ) أي وذلك مقام العارفين من عباد الله (قوله شتان الخ) أي فان الاول من المقتصدين والثاني من الابرار المحسنين والثالث من الواصلين المحبوبين (قوله لاتبقي الخ) أقول هو اشارة الى امارتها التي هي عدم معاودة الذنب بعدها (قوله لايبالي الخ) أي بواسطة استغراقه فيما يرضى الحق سبحانه وتعالى (قوله لا أقول تبت الخ) محصله التبري من الحول والقوة واتهام النفس

وقال ذو النون) المصرى (الاستغفار) من الذنب (من غير اقلاع) منه (توبة الكذابين) فلا يكفى مجرد الاستغفار وان كان فيه
أجر (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت بن يزدانيار يقول وقد سئل عن العبد اذا خرج الى الله
تعالى على أى أصل يخرج) اليه (فقال على أن لا يعود الى ما منه خرج) بالتوبة (ولا يراعى الا من اليه خرج) وهو الله تعالى فلا يلتفت
لمدح الناس وذمهم له (ويحفظ سره عن ١٢٠ ملاحظة ماثيرا) وخروج (منه) فيكون قد خرج منه ظاهرا وباطنا (فقيل له
هذا حكم من خرج) الى الله تعالى
(عن وجود) أى مال (فكيف حكم
من خرج) اليه (عن عدم) لذلك
(فقال) حكمه (وجود الحلاوة فى
المستأنف) أى المستقبل (عوضا
عن المرارة) التى كان يجدها بفقره
(فى) الزمن (السالف) أى الماضى
كما قيل اذا افتقروا عضوا على
الفقر ضنة وان أيسروا عادوا
سراعا الى الفقر (وسئل البوشنجى
عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب
ثم لا تجد حلاوته عند ذكره) بل
تجد كراهته (فهو التوبة) وزاد
بعضهم وان تجد له مع كراهتك له
أثر ذلك فى ظاهرك وقد صح بعضهم
بمكان فغشى عليه فوجد ميتا على
الارض فلما أفاق سئل عن ذلك
فقال هذا المكان كنت عصيت
الله فيه وهذا انما يحصل بكمال
المعرفة بجلال الله ودوام مراقبته
والاستحياء منه فاذا وصل العبد
الى هذه المنزلة ظهرت عليه آثارها
(وقال يحيى بن معاذ زلة واحدة
للتائب أقبح من سبعين زلة قبلها
وقال ذو النون) المصرى (حقيقة
التوبة) بمعنى التائب من حالها (ان
تضيق الارض عليك بما رحبت)
أى مع سعتها أى سعتها (حتى لا يكون لك قرار) ولا مكان تطمئن اليه (ثم تضيق عليك نفسك) أى قلبك للغم
والوحشة بتأخر توبتك ولا يسعها سرور ولا أنس (كما أخبر الله تعالى فى كتابه بقوله وضاقت عليهم انفسهم وظنوا) أى أيقنوا
(ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم) أى وفقهم للتوبة (ليتوبوا) فتابوا

بعدم الوفاء ثم الالتفات الى معونة الحق سبحانه وتعالى (قوله الاستغفار من الذنب
الخ) أى ومن ذلك كل شئ كان غالب الخلق منه ذكر اللسان مع غفلة القلب (قوله
فقال على أن لا يعود الى ما منه خرج) يعنى من جند النفس الذى هو الظلمة التى يحصل
بها الاشتغال بالهوى والتلف والتخليط وهى اذا حصلت غلب الهوى وذهب الحق فاذا
أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الانوار وهى يحصل منها الكشف والعلم
والتحقيق فيباشر الالهام قلبه بما يلبس خيرا أو شرا حتى يقبل على الحق ويدبر عما سواه
وذلك لا يتم الا باليقين لا بد احتمال ذلك وعلى الاجتهاد له هوى والهام لا ينسد وهم قال الشاذلى
اذا أكرم الله عبدا اقتصه العبودية بين يديه فافهم (قوله فقال على أن لا يعود الخ)
فيحمل على علو الهمة فى التوجه الى الحق سبحانه وتعالى (قوله هذا حكم الخ) يشير
الى ان الخروج عنها لاثم النفوس مع توفر الدواعى بما تقدم وهو مع عدم توفرها بوجود
حلاوة الفقد فيما يأتى (قوله حكمه ما قيل الخ) فى غاية الرضا بالفقر عنده وجوده
والمسارعة للفقد وقت الوجود وهذا كله سببها قوة اليقين (قوله ثم لا تجد حلاوته
الخ) أى لان النور اذا كان تاما كشف الشئ على ما هو عليه واذا كانت البصيرة مستقيمة
حكمت بالشئ على وجهه فاقبل القلب فى محل الاقبال وأدبر فى محل الادبار واذا كان
النور مفقودا أو ناقصا والبصيرة غير مستقيمة أقبل القلب فى محل الادبار وادبر فى محل
الاقبال فكان شبيه حال الاعمى تارة يخطئ وتارة يصيب فاذا أصاب فعلى غير أصل
ولا حقيقة قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقد جعل الهداية فرع الشرح والشرح فرع
النور (قوله وقد صح بعضهم الخ) دليل على قوله وان تجد له (قوله أقبح من سبعين زلة
الخ) أقول لان الجفاء فى عين الصفاء أقبح منه فى استمراره اذ هو من كفر النعم (قوله ان
تضيق الخ) أقول قد تقدم هذا وتقدم الكلام عليه ومحصله الآن يقال حقيقة
التوبة ان تضيق عليك أرض الطبيعة البشرية الشهوانية مع رحبها وسعتها وتوفر
قواها وتيسر ما لوفاتها حتى لا يكون لك قرار فيها تسكن اليه ثم تضيق عليك نفسك
الحيوانية بغلبة اللطيفة الانسانية عليها غما ووحشة بما جنته يداها وتسويف توبتها
منه حتى تيقنت أن لا ملجأ من الله الا اليه فعند ذلك أدركتها عواطف الرحمة الالهية
فوفقها الله للتوبة فتابت وخرجت من ضيق أرض الطبيعة الحيوانية الى فضاء
الالهية

(وقال ابن عطاء التوبة) باعتبار العامل عليها (توبتان توبة الانابة وتوبة الاستجابة فتوبة الانابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته) وهي توبة واجبة (وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرمه) وقربه تعالى وهي مندوبة وظاهره كما قال العلامة القونوي أن الثانية أعلى رتبة من الاولى وان كانت مندوبة وتلك واجبة لان صاحبها ليس طالبا حظ نفسه بل عبودية ربه بخلاف صاحب الاولى وسميت الاولى توبة الانابة لافتقارها الى الانابة الى الله المفسرة بالرجوع اليه عما سواه والثانية توبة الاستجابة لاقترانها بالقرب في قوله تعالى فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وتقدم عن الدقاق ان التوبة تكون للخوف من العقاب وانها للمؤمنين والانابة للطمع في الثواب ١٢١ وانها للاولياء والاوبة لمراعاة الامر وانها للانبياء (وقيل لابي حفص لم يبغض التائب) مما ارتكبه (الدنيا فقال لانها دار باشر فيها) لما اشتملت عليه من الشهوات (الذنوب) ولبغض الله وذمه لها في خبر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء (فقيل له فهي أيضا دار أكرمه الله فيها بالتوبة فقال انه من الذنب على يقين ومن قبول التوبة) اي العفو عما تاب عنه (على خطر) لاحتمال عدم قبولها (وقال الواسطي طرب داود عليه السلام) اي سروره وخوفه من الله (وما هو فيه من حلاوة الطاعة أوقعه في أنفاس متصاعدة) يعني في حزن طويل (وهو على حالته الثانية) وهي حالة حزنه (أتم منه في وقت ما ستر عليه أمره) اي في حالته الاولى وهي حالة طاعته في كمال اجتهاده ورؤيته تقصيره فيها والطرب (وقال بعضهم توبة الكذابين) كائنة (على أطراف ألسنتهم يعني قول أستغفر الله) من ذنب من غير اقلاع عنه كما مر عن ذي النون (وسئل ابو حفص عن التوبة فقال ليس للعبد في التوبة شيء) اي تأثير (لان التوبة) واصلة (اليه لا) ناشئة (منه) كسائر الطاعات فان الله هو الموفق لها والمعين عليها وما قاله مأخوذ من قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم الله للتوبة فتابوا (وقيل اوحى تعالى الى آدم عليه السلام يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب) بخروجك من الجنة اي بسببه والعطف للتفسير

اللطيفة الانسانية (قوله وتوبة الاستجابة) أقول ومن هذا القبيل خبر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قوله وان كانت مندوبة الخ) أقول ولا بعد فيه فقد تفضل النافلة الفريضة وذلك كما في ابتداء السلام ورده (قوله لان صاحبها ليس طالبا حظ نفسه) أي لكونه لم يتشوف لشيء سوى عبودية ربه وذلك شاهد بتمام قربه وعدم تعلقه به بخلاف حال الاول لتشوفه لثمرات أعماله التي مرجعها حظوظ النفس (قوله فقال لانها دار الخ) أي ولذا قيل انها سجن المؤمن فاذا خرج منها وقع في راحة الابد أي لانه يصير الحال للرضا وعدم التغير بالاعراض فيكون كما قيل شعرا

أصبحت لا أمل ولا أمنية * أخشى ولا موعودة أترقب

فني عن الاغيار بحيث لا يبقى له اليها استناد ولا له عليها اعتماد بل يكون لمولاه وحده بلا علة لا تشوف لغيره وذلك عين التحرر عن رق العبودية لشيء غير مولاه فبذلك تقع راحة الابد كما تقدم (قوله فقال لانها دار الخ) تحصله الحث على الاعراض عنها مطلقا باعتبار انها دار ابتلاء محقق واكرام مظنون وشتان ما بينهما عند أهل البصيرة (قوله سروره وخوفه الخ) أشار بذلك الى أن سبب الطرب اما استغراقه في أنس السرور أو شهوده مظاهر الجلال ومع ذلك هو في حالة الحزن أرقى من حالة السرور في مشاهدة العبادة مع حسن المراقبة (قوله خفة تصيب الانسان الخ) أفاد بذلك ان الطرب لا يختص بدليل الفرح والسرور بل قد ينشأ عن الحزن أيضا خلافا لما يتوهمه بعض الناس من ان الطرب من الفرح فقط (قوله على أطراف الخ) أي فالذي يصيبهم منها مجرد الذكر مع غفلة القلب (قوله ليس للعبد الخ) أي بالنسبة لسابق القضاء أو القدر الازليين وان العبد يجري اضطرارا بقضاء الحق تعالى فلا فاعل الا الله وحده لا شريك له (قوله يا آدم ورثت ذريتك الخ) انظر هذه النسبة اليه والتعويل في النسب عليه تجده بظاهر الشرع من كسبه وبباطن التحقيق بقضاء ربه بحيث لا ينفع حذر من قدر كما ثبت في صحيح الخبر كيف وآدم ممن ثبتت عصمته وعلت في القرب مرتبته فلا تجوز في حقه المخالفات

قال الجوهري خفقة تصيب الانسان لشدة حزن او سرور

(وورثهم) أيضا (التوبة من دعائى منهم بدعوتك) اى بسؤالك لى التوبة عليك (لبيته كتلبيتك) اى أجبته اليها كما أجبتك
فيه حث على التوبة وان الله تفضل بها على ذرية آدم كما تفضل بها عليه ويؤيده قوله (يا آدم) أنا (أحشر التائبين من القبور
مستبشرين) بالخير (ضاحكين) لما منت به عليهم من فضلى ونعمتى (ودعاؤهم) مع ذلك (مستجاب وقال رجل لرابعة) العدوية
رضى الله عنها (انى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت الى الله هل يتوب على فقالت لا) اذ لا تأثير لفعلك حتى يكون سببا
موجبا لتوبته عليك (بل لو تاب) هو ١٢٢ (عليك) اى وفقك للتوبة (لتبت) لانه المؤثر فى الافعال وقد قال ثم تاب عليهم
ليتوبوا كما مر ولا ينافيه قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (قال الاستاذ الامام رضى الله عنه واعلم ان الله تعالى قال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومن قارف الزلة فهو من خطئه) بارتكابها (على يقين فاذا تاب فانه من القبول) لتوبته (على شك) لاحتمال عدم قبولها (لاسيما اذا كان من شرطه وحقه) اى من شرطها (أن يكون مستحقا لمحبة الحق) تعالى اياه (و) المسافة من حين التلبس بالمعصية (الى أن يبلغ العاصى محلا يجد فى أوصافه امارة استحقاق (محبة الله تعالى اياه مسافة بعيدة فالواجب اذا على العبد اذا علم انه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل) منه (والاستغفار) وبقاس بما تجب التوبة منه ما تطلب منه (كما قالوا استشعار الوجل) بفتح الجيم اى الخوف مستمر (الى الاجل)
يعنى ينبغى للعبد أن يكون خائفا من عدم صلاح أعماله مستمرا عليه الى حين موته كما قال تعالى يؤتون ما آتوا ذنب
وقلوبهم وجلة ثم حث على اتباع النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (وقال عز من قائل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله
وكان من سنته عليه السلام دوام الاستغفار وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان) اى ليغطى (على قلبى فأستغفر الله فى اليوم
سبعين مرة) وروى مائة مرة وفائدة استغفاره مع انه مغفور له طلب ما ينبغى أن يكون فانه ترقى من حال الى حال

ولا يقال قد غلبته الشهوات بل ما صدر فبفعل الحكيم على حسب سابق العلم القديم
لظهور سر التكوين من طلاسم السيد الامين اذ هو نسخة الوجود والسبب فى كل
موجود وانسان الله الكامل فى الازل والابد ومظهر مظاهر الفرد الصمد من أمد الله
به الاكوان وشرف بوجوده الكونين فهو نقطة عين النور وشمس سماء الظهور
ومرآة الكمالات من أول الأوليات ومفتاح التفضلات ومغلاق الرسالات فمن تقدم
عنه فبالنيابة ومن تأخر فله الحسنى وزيادة فتأمل بانصاف واحفظ رتب الاشراف
(قوله وورثهم التوبة الخ) أقول فى ذلك بشرى لذريته بثبوت مثل حظه لهم والله أعلم
(قوله فقالت لا الخ) أقول لعل صدور ذلك منها فى حال شهودها حقيقة الامر حيث كان
تأثير الباعث فى قلب الموفق بايجاده تعالى اذ لا فاعل غيره تعالى (قوله ولا ينافيه الخ) أى
لان توبة العبد انما تكون بالتوفيق الالهى (قوله ومن قارف الزلة الخ) مراده حث
التائب على أشرف طرق الوصول الى الحق تعالى وذلك بدوام انكسار النفس وذلها
برؤية عدم الاستحقاق لشئ من منح القبول بواسطة الرجوع عما سلف من التقصير
عسى بذلك يتم له قرع باب الفتاح (قوله فهو من خطئه بارتكابها على يقين) اى
وحيث كان كذلك وان أمر القبول من غيب الله الذى لا يعلمه سواه خصوصا اذا ناط
التوبة فان استحقاق المحبة من الله بتوبته مع بعد هذا الطريق لدى التأمل فلا يكون
للعبد حينئذ طريق أسلم من دوامه بعد التوبة ذليلا منكسرا متنصلا من ذنبه مستغفرا
منه وذلك عام فى كل توبة سواء الواجبة والمندوبة هذا حاصل ما أشار اليه (قوله الى
حين موته) لعل مراده بالموت سببه كالمرض والا فالمطلوب فى هذه الحالة مشاهدة رجاء
الفضل والاحسان كما هو معلوم من الفروع الشرعية (قوله انه ليغان على قلبى الخ) أى
أغيان أنوار وهى من الظلال الواقعة فى الصدور من المعانى التى أتت بها الواردات
وهى مطايا القلوب بايضاح الفهم الى حضرة علام الغيوب كما أن مطايا الاسرار بيان
العلم الى حضرة الملك الجبار فمن طلع النور فى قلبه سار على مطية فهمه ومن طلع
فى أفق سره سار بمطية علمه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فافهم (قوله طلب
ما ينبغى الخ) محصله ان الاستغفار من العبادة وهو سلم الترقى اذ لا يستدعى المغفرة سبق

وطلب زيادة الدرجات والاستدعاء لمحبة الله له الخاصة بالانبياء قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وأيضا
المغفرة هي الستر وطلبه الستر معناه استرعني المقام الذي ارتقيت منه حتى أكمل آداب المقام الذي ارتقيت اليه لان نظره
الى الاول يمنعه من تكميل آداب الثاني أو استرعني المقام الثاني حتى أكمل الاول وبالجملة فمقاماته كلها عالية ليس فيها أدنى
حتى يستغفر الله منه وانما اراد طلب ما ذكر (سمعت ابا عبد الله الصوفي يقول سمعت الحسين بن علي يقول سمعت محمد بن
احمد يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها) لان الفعل
القبيح من العالم بكمال قبحه أقبح من غيره ولهذا كان عذاب العالم أشد ١٢٣ من عذاب الجاهل وذكر السبعين هنا
وفى الخبر السابق ليس للتقييد بل للمبالغة كما فى قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وكذا ذكر المائة فى الرواية السابقة (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول فى قوله عز وجل ان الينا ايابهم قال) معنى ايابهم (رجوعهم) الى الله تعالى (وان تمادى بهم الجولان) اى الطواف (فى المخالفات) للاوامر فمن الحث على التوبة اختيارا فانهم ان لم يرجعوا اليه اختيارا رجعوا اليه اضطرارا يوم القيامة وهو المراد بقوله ان الينا ايابهم وقوله قال زائد (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الانماطى يقول ركب على بن عيسى الوزير فى موكب)
بكسر الكاف (عظيم) كما وكيفا (فجعل الغرباء) الذين لا يعرفونه ممن يحب الدنيا ويستحسنها (يقولون من هذا من هذا)
تعجبا مما هو فيه من المملكة (فقالت امرأة قائمة على الطريق) زاهدة فى الدنيا عارفة بها وبالآخرة (الى متى تقولون من هذا
من هذا هذا عبد سقط من عين الله) اى حفظه (فابتلاه الله بما ترون) من اشتغاله بالدنيا عن الآخرة (فسمع على بن عيسى ذلك)
فكانت موعظة له (فرجع الى منزله واستعفى من الوزارة وذهب الى مكة وجاور بها) فكان كلام هذه المرأة سببا لتوبته وسعادته
(باب المجاهدة)

ذنب (قوله وطلب زيادة الدرجات الخ) اى وتقدم أنه يحتمل التشريع أو ذلك بالنسبة لما لأمته ممن أطلعه الله على ما يقع منهم (قوله لان نظره الى الاول الخ) اى فات الاشتغال بغير الاهم يكون مانعا من الاهم (قوله وبالجملة فمقاماته كلها عالية الخ) أقول وكيف لا تكون كذلك وهو المختار للارشاد والمقصود من العباد على ان أرباب الكمالات والمقامات مرجعها اليه وتعويلها فى قربها من الحق تعالى عليه فلا ذرة من أحوال السعادة الا وهى بواسطته ولا جمال الحق الا تجلى صورته فى مرايا أمته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأهل محبته (قوله زلة واحدة الخ) اى لان المنع بعد ذوق لذة العطاء أضر من المنع ابتداء وأقبح وتقدم مثله فلا تغفل (قوله ولهذا كان عذاب العالم أشد) اى لما قام به من الجراءة بعد علمه بوعيد الحق سبحانه وتعالى (قوله بل للمبالغة) اى جريا على عادة العرب حيث كانوا اذا أرادوا التكثير عبروا بمثل ذلك (قوله قال معنى ايابهم رجوعهم الخ) اى فهو يشير الى انه حيث كان الامر كذلك فتجب التوبة وقت التمكن منها فى حالة الاختيار قبل المصير اليه تعالى اضطرارا والله اعلم (قوله فانهم ان لم يرجعوا الخ) أقول هو بحسب ظاهر الحال بحكم الشرع والا فالعبد فى تصريف الحق تعالى فى كل أطواره (قوله ركب على بن عيسى الخ) فيه تنبيه على أن التوسع فى الدنيا لم يكن من أخلاق الكمل من عباد الله باعتبار ان الشأن فيه الغفلة بسبب الاشتغال به عما يعنى واذا ورد فى الخبر اذا أحب الله عبدا زوى عنه الدنيا (قوله فقالت امرأة الخ) فيه تنبيه على ان الحظ فى الدنيا لا يجامع شرف الآخرة غالبا وله الاشارة بقوله جل شأنه أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات الآية

(باب المجاهدة)

اى الجهاد الاكبر للنفس كما يشير اليه خبر رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر اذ رد النفس عن مألوفاتها من أكبر الجهاد لعسر به ومشقته وكثرة الاجر المرتب عليه

وهي الاعمال التي تزيل الاخلاق الذميمة وتحصل الاخلاق الحميدة سواء كانت من أعمال القلوب أم الجوارح وهي مطلوبة (قال الله عز وجل والذين جاهدوا فينا ١٢٤ لنهدينهم سبلنا) اي طرقنا الحميدة (وان الله لمع المحسنين اخبرنا ابو الحسين علي بن احمد الاهوازي قال اخبرنا احمد بن عبيد الصفار قال حدثنا العباس بن الفضل الاسقاطي قال حدثنا ابن كاسب قال حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد فقال كلمة عدل عند سلطان جائر فدمعت عينا ابي سعيد) فان قلت روى البخاري خبران أفضل الاعمال الايمان ثم الجهاد وخبران أفضلها الصلاة لوقتها قلت الاجوبة مختلفة في أوقات فأجاب في كل منها بما هو الافضل في حق السامع فمن ظهر منه قلة الكلام في العدل عند السلطان قال له أفضلها كلمة عدل عند سلطان جائر ومن ظهر منه قلة ايمان قال له أفضلها الايمان ومن ظهر منه قلة صلاة قال له أفضلها الصلاة ومجاهدة كل أحد تكون بقيامه بحقوق ما أقيم فيه من امرية وتجايب في الله وتعلق قلبه في المساجد وغير ذلك فالامير يقوم بما يتعلق به من حقوق الناس والمتحابون في الله لا يصح لهم الحب فيه حتى تزول عنهم محبة الدنيا بالكلية ويؤثر كل منهم صاحبه بما أمكنه (سمعت الاستاذ اباعلي الدقاق رحمه الله يقول من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله

وهي مطلوبة وجوبا وندبا بحسب المجاهد فيه (قوله وهي الاعمال الخ) اي عملا بخبر الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني فعلى العاقل أن يستعمل طرق هضم نفسه عن غرتها ويوقظها من سنة غفلتها ويدوم على محاسبتها فذلك مقام عجيب لا بد منه لكل متوجه لما ورد حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وهي شعوب ومنازل وموارد ومناهل فينبغي لكل عاقل أن يحاسب نفسه كمحاسبة الشريك الشحيح لشريكه فلا يسامحها في شيء من حظوظها ومألوفاتها ما استطاع اذ الخواطر الى قسمين محمود ومذموم والمحمود الى قسمين رباني وملكي والمذموم كذلك نفساني وشيطاني ثم هو قد يكون من الملبوس بالوارد الرباني او الملكي فيحتاج المريد الى شيخ عارف وبصير ناقد ناصح يبين له ذلك ليتبع ما يصح اتباعه ويجتنب ما يلزم اجتنابه (قوله سواء كانت من أعمال القلوب الخ) اي سواء كانت تلك الاعمال التي يحصل بها اجهاد النفس وردها عن مألوفاتها من أعمال الجوارح الظاهرة أم من أعمال القلوب (قوله قال الله عز وجل الخ) استدلال على ان المجاهدة للنفس مطلوبة فقوله والذين جاهدوا فينا اي في مرضاتنا واذا تنا لنهدينهم سبلنا أي لنوصلنهم الى الطرق الموصلة لرضانا والمقربة من رحمتنا (قوله فقال كلمة عدل الخ) اي وانما كانت من أفضل الجهاد لما فيها من المخاطرة بالنفس باعتبار جور ذلك السلطان (قوله فان قلت الخ) محصله ان هذا الخبر يعارضه ما رواه البخاري المفيد صراحة ان أفضل الاعمال الايمان ثم الجهاد وان أفضلها الصلاة لوقتها ومحصل قوله قلت ان الاجوبة مختلفة باختلاف أحوال السائل فأجاب كلا بما هو الاولى في حقه (قوله قلت الاجوبة الخ) محصل ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما كان طبيبا روحانيا بعثه الله رحمة للعالمين وفيهم مرضى بأمراض مختلفة فقد داوى كل انسان بحسب ما وافق علته وجزاه الله تعالى عن أمته أفضل الجزاء (قوله ومجاهدة كل أحد الخ) محصله ان الامر من أنواع المجاهدة فيما أقيم فيه العبد من تصاريف الحق في الحال فعليه القيام بحقوق ما أقيم فيه من حقوق الحق وحقوق الخلق (قوله من زين ظاهره الخ) اعلم أن حكمة الحكيم قد اقتضت انه اذا قطع مدد الشهوة المذمومة عن النفس بالمجاهدة أشرق القلب وعوالمه وانكشفت له الحقائق وأمطرت عليه من سماء الفضل غيوث المعارف فيذوق لذة لم يدركها قبل ذلك ويباشر راحة لم ينلها الا من هنالك ويتصل به المدد الجهدي فيظل عند ربه يطعمه من أقوات العرفان ويسقيه من شراب المحبة فتسترق النفس السمع فتحن الى الالحان ومفاكهة الندمان ويسترق الطبع من الطبع فيرجع الى أحكام محو الشرع وبعبارة أخرى يقال أيضا ان بالمجاهدة ورد النفس عن عاداتها ترجع الى صحبة القلب بعد نفرتها منه بمقتضى شهواتها عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة

والله غفور رحيم فاذا ذاقت النفس من اللذات الملكوتية ما لم يخطر لها ببال ولم تذقه من اللذات الحسية الملكية صارت تطلب السبب الذي وصلها الى زيادة هذه اللذة ويوصل تلك اللذة اليها وهو لا يكون الا بحمل المشقة وتجشم الكلفة بالمجاهدة فصارت الحوائج تقضى الحوائج كما قيل شعرا

حوائجنا تقضى الحوائج بيننا * ونحن سكوت والهوى يتكلم

وشاهد هذا الطفل في أول أمره لا يسير الى محل التعلم الا بكلفة فلما كابد تلك المرارة مدة وتجرع هذه المشقة برهة حتى صار في مقام الامامة والتعليم وأقبلت عليه القلوب وأحدقت به العيون ونال من افتضاض الابكار من المعاني ما لم يتصل اليه بافتضاض الغواني صار لو قيد بالسلاسل لما امتنع عن هاتيك الفضائل فسبحان مقلب القلوب لا اله الا هو علام الغيوب تدبر تفهم والله سبحانه أعلم (قوله من زين ظاهره الخ) المراد ان ذلك امارة على حسن السرائر والافتراق بين الظاهر بسببه تنوير الباطن والله أعلم (قوله من لم يكن في بدايته الخ) البداية ابتداء التوجه الى نيل الوصول بالدخول في مظاهر الاصول (قوله من ظن انه يفتح له الخ) اى ودليله في الشاهد ظاهر اذ من طلب نفيسا في ظاهر الحال العاجل بذل غاية جهده في تحصيله فمن طلب الحق فهو أحرى في بذل الروح فضلا عن غيرها (قوله الا بلزوم المجاهدة الخ) اى بترك التسويف المؤدى الى فوات وقت الطاعة اذ في ذلك كرامات منها مبادرة الامر ومراقبة الذكر وعمارة السر وانشراح الصدر والتفرغ لوظائف الوقت وفي ذلك حجة على التارك والجانب قال الشاذلي قدس الله سره لا تؤخر طاعة من وقت لوقت فتعاقب بفوتها او فوت غيرها او مثلها فان لكل وقت سهما من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية شعر

يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن رام العلا سهر الليالى

(غيره)

وردنا بحر ابلى على كل خائض * ولم نخش من سطا السيوف البواتر

(غيره)

تهددون محبكم بمماته * ومماته في الحب عين حياته
لو انهم شربوا المدامة وجده * علموا الذي جهلوه من راحاته

واعلم أن كل ذلك انما هو بالنسبة للفضائل الكسبية فلا يعارض بما له تعالى من المنح الوهبية فان السبب والمسبب بايجاده والمنح والتشريف من اسعاده (قوله من لم يكن له في بدايته قومة الخ) اى فمن لم يذق المشقات في طريق السلوك الى ملك الملوك في بدايته لم يشرب من راحة الوصول في نهايته اذ من جد وجد ومن توانى يخشى عليه العطب (قوله ما أخذنا التصوف الخ) اى لم نكتف بنقل عبارات القوم وذكر أخلاقهم وما كانوا عليه في المعاملات لان الاكتفاء بذلك ضار غير نافع اذ هو مما تقوم به الحجة على

واعلم ان من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة) لانه اذا اجتهد في شبيبته في الاعمال وجد بركة ذلك حين عجزه وكبر سنه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت اباعثمان المغربي يقول من ظن انه يفتح له شئ من هذه الطريقة او يكشف له عن شئ منها الا بلزوم المجاهدة) يعني بغير لزومها (فهو في غلط سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة) وعن ابي محمد الجريري قال سمعت الجنيد يقول ما أخذنا التصوف من القيل والقال ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات

وقد قيل حقيقة الارادة استدامة الكد وترك الراحة وقال ابو عثمان عقوبة قلب المريد أن يحجب عن حقيقة المعاملات والمقامات الى اضدادها ومبنى طريق القوم في معاملاتهم على حسب المتابعة ومن ظن انه يبلغ غرضا او يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور وقال ابو سعيد الخراز كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وقال بعضهم من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة (وسمعته ايضا يقول قولهم الحركة) لله (بركة) اذ (حركات الظواهر) بالمجاهدات (توجب بركات السرائر) من تنوير القلوب ونفي الغفلة عنها بتكرار النيات بالحضور مع الله في سائر الاوقات (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت احمد بن علي ابن جعفر يقول سمعت الحسين ابن علويه) بفتح العين وضم اللام المشددة (يقول قال ابو يزيد البسطامي كنت اثنتى عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين كنت مرآة قلبي وسنة أنظر فيما بينهما فاذا في وسطي زنار ظاهر) بضم الزاي وهو خيط غليظ يشد به الذمي وسطه (فعملت في قطعه اثنتي عشرة سنة ثم نظرت فاذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف أقطعه فكشف لي

غير المتخلق بمثل أخلاقهم (قوله حقيقة الارادة الخ) اى تحقق العبد بوصف العبادة لا يتم الا باستدامة الجد بجهاد النفس وترك راحتها (قوله عقوبة قلب المريد الخ) اى فعدم القيام بوظائف الطاعة والبعد عن معاملاتها دليل على عقاب القلب وكفى بظلمة القلب بالترك عقوبة وأى عقوبة (قوله ومبنى طريق القوم) اى أصلهم وأساسهم الذى يبنون عليه في معاملاتهم مع الحق تعالى ومع الخلق على حسن متابعته صلى الله عليه وسلم اذ هو الطريق لا طريق غيره (قوله ومن ظن أنه يبلغ غرضا الخ) تأمل ذلك وقابل به حال أهل زماننا المدعين انهم من الفقراء الزاهدين بل يدعون انهم من الاولياء المعظمين مع ما ابتدعوه من الضلالات وارتكبوه من السيآت حيث جعلوا هذا سببا في وصولهم الى العرض الفاني واشتغالهم به عن تحصيل الاجر الباقي ولا سيما كثرة ذكرهم وتصنع حالهم والتفوه بما لا يعقله عقل ولا يشهد لصحته نقل فعلى العاقل أن يجتنبهم ويبعد عن مخالطتهم اذ الفرار منهم أقرب والله بعباده أعلم (قوله كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل) اى كل حال من الاحوال الباطنة لم يشهد لصحته شاهد علم الظاهر من أحكام الشريعة المحمدية فهو باطل لا يجوز اعتقاده ولا العمل به (قوله من أمّر السنة الخ) اى من لم يخرج عن متابعة سيد الكمل في سائر حركاته وسكناته أثمر ذلك له بواسطة اشراق نور المتابعة انه ينطق بالحكمة ومن تابع هواه وشهوات نفسه أثمر ذلك له بواسطة ظلمات جهالاته انه ينطق بالبدعة (قوله الحركة لله بركة) أى ويشهد له خبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم (قوله توجب بركات السرائر) اى حيث دوام العمل بتوجه القلب حضورا مع الحق من أقوى أسباب الترقي الى نيل الدرجات (قوله سمعت محمد بن الحسين الخ) تقدم الكلام على هذا المبحث مستوفى ونهاية القصد من تكراره الحث على التبري من الحول والقوة وعدم الوقوف مع الاسباب والاحوال والمقامات نظرا الى تصاريف الحق في كافة الخلق (قوله قال ابو يزيد الخ) أقول ولمثله قد أشار قدوة العارفين ابن الفارض قدس سره حيث قال شعرا

ولقد أقول لمن تحرش للهوى ۞ عرضت نفسك للبلا فاستهدف
أنت القتيل بأى من أحببته ۞ فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي
قل للعذول أطلت لومي طامعا ۞ ان الملام عن الهوى مستوقفي
دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى ۞ فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

فأشار بدر نظمه ونظم دره الى ان من ادعى المحبة قد عرض نفسه لبلائها وتلاف نفسه في حبالها فهو اذا كان صادقا في دعواه لا بد له من الهلاك وتلف النفس في محبته فعليه حينئذ أن يختار من يكون هلاكه بسببه وحصله البقاء بعده فيكون تلافه عين صلاحه وموته عين حياته وتعبه في مرضاته هي حقيقة راحاته ولا شئ بهذا الوصف الا الذات العلية ولا وصول لها الا بالمتابعة الاحمدية ثم هو اذا وصل الى هذا الكمال ودمغه

إيمان

فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات) أشار بذلك الى كمال مجاهدته في أول بدايته اذ شأن الحداد أن يحمي الحديد ثم يطرقه حتى يبرد فيخرج أوساخه ثم يعيده الى النار فيعيده حتى يستقيم على ما يراد منه فلذلك قال أقمت ثنتي عشرة سنة أعمل جوارحي من سمعي وبصري ولساني وسائر أعضائي بالخوف والرجاء حتى استقامت على الخيرات ثم عالجت قلبي في ازالة الاخلاق الذميمة والتخلق بالاخلاق الحميدة خمس سنين ثم نظرت فيما حصل لي من الخير من جمال باطني وظاهري سنة فوجدت نفسي ملتفتة الى الخلق محبة لاطلاعهم على حسن أعمالي ومدحهم لي على ذلك فشبهته بعلامة الشرك وهو الزنار الظاهر لما فيه من الالتفات الى غير الله فعملت في قطعه ثنتي عشرة سنة ثم نظرت فاذا باطني استحسان لاعمالي ولمدح الناس لها على ذلك فشبهته بالزنار الباطن وهو العجب بالعمل او بعلمه فعملت في قطعه خمس سنين ثم نظرت في انخلاصي من ذلك فوجدت الطريق فيه أن يغلب على قلبي حال انفراد الحق تعالى بالافعال وهو انه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع الا هو فشهدت غيره من الخلق بالموتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات ونفضي منهم فعاش رحمه الله بذلك الحياة الحقيقية التي أحياه الله بها وشغله عن سواه (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري) السقطي (يقول يامعاشر الشباب

لسان الحال على العذول القال بدع عنك تعنيفي الى آخر ما ذكره الذي محصله ان الذي دعا عذوله لتعنيفه بلومه الطويل طمعه في كون لومه يستوقفه عن هوى من أتلف نفسه في محبته وذلك منه جهل وحمق فانه لو ذاق طعم هواه وشرب من خمر هناه ما أمكنه اللوم بل يصير من اشراف القوم والله أعلم بكلام أوليائه وأسرار أصفيائه (قوله فرأيتهم موتى) اى بالنظر الى حقيقة الامر اذ لا فاعل الا الحق تبارك وتعالى والاذن بجملة الخلق من يرزقه أهل الارض (قوله أشار بذلك الخ) اى حيث المجاهدة في أول البداية وبدوام حكم التكليف الى النهاية تصير لذة للنفس فيعمل صاحبها عليها وذلك لان المريد أولا يكلف نفسه عبادة ربه حتى تمرن عليها وتعتادها فتصير كالحق لها واليه الاشارة بخبر ان لنفسك عليك حقا فتطالب صاحبها به فيتكفل لها به حتى تكلف العمل وتشغف به وتلتذ به والى ذلك أشار عارف وقته ابن الفارض قدس الله سره حيث قال شعرا

لاتحسبوني في الهوى متكلفا * كلفي بكم خلق بغير تكلف

(قوله اذ شأن الحداد الخ) الغرض للشارح توضيح ما أشار اليه الشيخ بابداء وجه التشبيه الذي انطوى عليه كلامه الذي محصله اجمالا ارتكاب المشاق والتكلف الزائدة ابتداء طلبا لتعديل النفس واستقامتها على ما أريد منها باعتبار ظاهر الجوارح وباطنها حتى استقامت وتعدلت وصارت لها العبادة حقا من حقوقها تطالب به كما أوضحناه قبل (قوله فوجدت نفسي الخ) اى بحسب ما جبلت عليه من محبة اظهار محاسنها والثناء عليها بذلك (قوله فشبهته الخ) الغرض المبالغة في التنفير عن مثل هذه الاخلاق (قوله ان يغلب على قلبي الخ) اى بعلم انه كريم وان الكريم لا تتخطاه الآمال لان جماله يغني عن اعتبار غيره واحسانه يصرف الوجه اليه دون ما سواه ولا سيما ولا غير الا به وله فالرجوع اليه أولى في كل حال لمن عقل فقد ورد في بعض الآثار يقول الله تعالى عبدي اجعلني مكان همك أكفك كل هم ما كنت بي فأنت في محل القرب وما كنت بك فأنت في محل البعد فاختر لنفسك او كما ورد (قوله فشهدت غيره الخ) اى بسبب غلبة هذا الحال عليه من ان الخلق محل لتصريف الحق في نفس الامر والا فنسبة النفع للخلق ثابتة بحكم الشرع كما قدمنا (قوله فكبرت الخ) منه يفهم انه شرع في مقام الجمع بعد ان تحقق بحق الفرق والله أعلم (قوله ونفضي منهم) اى لكونهم في هذه الحالة مضمحلة بمقام الوجود به تعالى (قوله يامعاشر الشباب الخ) أقول وجه حثه على الجد في العبادة تابع لما قيل انه لما علم الحق ان من ينهض لمعاملته دون تنبيه ولا تأكيد من العباد قليل وان أكثر الخلق اغنا بطالب الدنيا وعمل مع الهوى عزمهم بالايجاب ليكون حجة للعاقل وحجة على الغافل فلزمهم ذلك طوق أعناقهم كالسلاسل قال صاحب الحكم فساقهم اليه بسلاسل الايجاب قلت فقد أشار الى وجوه ثلاثة عدم الانفكاك بكل حال وكونها

فائدة اوسائقة وتوصيلها الى المراد لا من حيث تعلقت به فافهم والله أعلم (قوله جدوا فى العبادة الخ) اى وذلك بتكليف النفس واخراجها عن عاداتها فالشرع لايجيء الا بخرق العوائد ومن ثمة ضل أهل الزيغ بسكونهم اليها قال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا فعلى العبد تبديل أوصافه روحانيته بعد تبديله لاوصاف حيوانيته فالنفس باعتبار أوصافها الحيوانية من الشهوة والغضب امارة بالسوء فاذا ارتفعت عنها الى الاوصاف الانسانية تصير لوامة فاذا تخلقت بالاخلاق الروحانية صارت مطمئنة قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به (قوله وكان هو فى ذلك السن الخ) فيه تنبيه على انه معان بالعصمة بسابق عناية التوفيق الالهى (قوله بنى هذا الامر الخ) أقول لما عظم البلاء بشهوة البطن وفلتات اللسان أشار الى طريق المداواة من ذلك بما ذكره امتثالا للاخبار وليصل الى درجة الابرار (قوله على ثلاثة أشياء) اى والناس أيضا ثلاثة رجل نهض لامر ربه وخدمته لمحض العبودية وحق الخدمة فهو حر كامل ورجل نهض لحسن الخدمة أو حسن من نسبت اليه الخدمة فهو مريد طالب او عارف مستبشر ورجل نهض لرجاء الثواب وخوف العقاب فهو من عوام المؤمنين وكافة أصحاب اليمين (قوله أن لا تأكل الا عند الفاقة الخ) اى لان الاكل من حظ النفس الحيوانى وبقلته يقوى اخلاق الشهوانى وقوله ولا تنام الخ اى لان النوم أخو الموت الذى هو من أعظم أسباب الفوت (قوله ولا تتكلم الا عند الضرورة) اى لان فلتات اللسان أضر من وقع السنان ولقولهم من كثر لفظه كثر سقطه ولقولهم ما ندم من سكت فاللسان وان صغر جرمه فقد عظم جرمه (قوله من حسن اسلام المرء الخ) اى والحسن انما يتحقق كماله بترك المحرم والمكروه وخلاف الافضل (قوله حسب ابن آدم الخ) اى كافيه ذلك واللقيمات المذكورة مقدرة فى الشرع بثلث البطن كما يشير اليه باقى الخبر والحاصل ان المرغب فيه ما يبقى معه النشاط للعبادة من الطعام ونهايته الى ثلث البطن والزيادة عن ذلك خلاف الافضل أو مكروهة وذلك لخبر ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه والحس شاهد عدل بذلك (قوله وقال مالك) اى الامام وهو ممن ثبت انه يدوم على محاسبة نفسه حتى قيل انه مر يوما فى بعض طرق المدينة الشريفة فوجد دارا تنشأ فسأل لمن هذه الدار فقيل له انها لفلان فلما أمسى حاسب نفسه على ما صدر منه فى ذلك اليوم فوجد هذا السؤال فرأى انه مما لا يعنيه فصام عاما كاملا كفارة لهذا السؤال والله أعلم (قوله من عد كلامه الخ) اى فعلى العاقل الامساك عنه الا فى خير دينى (قوله وهل يكب الناس الخ) أقول لعله فى المحرم منه او هو من قبيل الزجر (قوله فقد أتلفه فى لاشئ) اى مع عدم التمكن من تدارك الفائت (قوله سمعت ابراهيم الخ) قد تقدم هذا فاعادته لاجل المبالغة فى الحث على الجد والاجتهاد فى العبادة

(قوله

جدوا) اى اجتهدوا فى العبادة (قبل أن تلقوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا) عنها (كما ضعفت وقصرت) عنها (وكان) هو (فى ذلك السن) وفى نسخة الوقت (لا يلحقه الشاب فى العبادة وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت عبد العزيز البحرانى يقول سمعت الحسن القزاز يقول بنى هذا الامر) اى علم التصوف (على ثلاثة أشياء أن لا تأكل الا عند الفاقة ولا تنام) عن فعل الطاعات (الا عند الغلبة ولا تتكلم الا عند الضرورة) لعموم خبر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وخبر حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولقوله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الآية وقال مالك رضى الله عنه من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وفى الخبر وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم وعمر الانسان رأس ماله الذى فيه تجارته فاذا ضيعه فيما لا يعنيه فقد أتلفه فى لاشئ (وسمعته) أيضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت احمد بن خضرويه يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول ان ينال الرجل درجة الصالحين

حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق) من أغلق (باب النعمة ويفتح باب الشدة والثانى يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث
يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع يغلق باب النوم ويفتح باب
السهر والخامس يغلق باب الغنى
ويفتح باب الفقر والسادس
يغلق باب الامل ويفتح باب
الاستعداد للموت) ولا تحصل
هذه الخصال الا بالمبالغة فى
المجاهدة لانها خلاف المعتاد
للناس فانهم يفزعون من التعب
والفقر والشدة والسهر والذل
والاستعداد للموت ويجمعها
كلها الاخير فانه انما يحصل بالقيام
بالطاعات ومفارقة الشهوات
وهذه الحكاية قدمها الشيخ ايضا
فى باب ذكر مشايخ هذه الطريقة
بالسند المذكور لكنه ذكر ثم
بدل شيخه السلمى شيخه محمد بن
الحسين وان ابراهيم ذكر ذلك
لرجل فى الطواف (سمعت الشيخ
اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله)
الانسب بما تقدم وبما يأتى أن
يقول وسمعته (يقول سمعت
جدى اباعمرو بن نجيد يقول
من كرمت عليه نفسه) ووافقها
فيما تحب من الشهوات وترك
مشقة الطاعات (هان عليه دينه
وسمعته) ايضا (يقول سمعت
منصور بن عبد الله يقول سمعت
اباعلى الروذبارى يقول اذا قال
الصوفى بعد خمسة ايام) اى او
نحوها (انا جائع فالزموه السوق
وامروه بالكسب) له أى بان يكتسب
لنفسه نبه بذلك على ان العبد
لا يعرض نفسه الى الطلب من
الناس بترك التكسب وان كان قادرا على الصبر على الجوع (واعلم أن اصل المجاهدة وملاكها)
بفتح الميم وكسرها وهو ما يقوم بها (فطم النفس) أى قطعها (عن المألوفات وحملها على خلاف هواها فى عموم الاوقات)

(قوله حتى يجوز ست عقبات الخ) اقول ومن العجيب المقصود من هذا مع انه مما يوصل
الى الجنة الدائم نعيمها وهى انواع جنة الطاعة وجنة المجازاة وجنة المشاهدة وهى
اعظمها وذلك لان جنة الطاعة مستلزمة لجنة المجازاة اذ هى ثوابها والله لا يخلف وعده
والآتى قطعا كالموجود فى الحال ومن جملة نعيم الجنة الى المشاهدات لرب الكائنات
والحاصل ان الجنان اربع جنة المعاملة بالالتذاذ بعظم المنة وجنة الفتح بظهور الكرامة
وهما فى الدنيا وجنة الجزاء فى الدار الآخرة وفيها تكون جنة المشاهدة رزقنا الله
الجميع بمنه وكرمه (قوله حتى يجوز الخ) أى وذلك عين الكمال ومع ذلك فالاولى ان يدوم
العبد على اتهام النفس عملا بقوله جل شأنه حكاية عن الصديق وما ابرئ نفسى الآية
لان حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى وفى الطاعة باطن خفى كالعجب والرياء وخطره
اعظم كما قيل ان فى الطاعات من الآفات ما يغنيكم أن تطلبوا المعاصى فى غيرها وعلى
ذلك حمل قوله جل شأنه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ولذا اشار البوصيرى حيث
قال * وان هما محضاك النصح فاتهم * (قوله ويجمعها كلها الاخير) أى ولذا قال صلى
الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكر فى كثير الا قلله ولا فى قليل الا كثره
(قوله فانه انما يحصل الخ) اعلم ان الله تعالى غنى عنك وعن طاعتك وحيث كان كذلك
وجب أن لا تقصر فان ساعدك القدر على ذلك فالامر ظاهر والا فلا تيأس من رحمة
مولاك لان ذلك قادح فى يقينك كما قال صاحب الحكم من استغرب أن ينقذه الله من
شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية قلت وذلك لانه ربما
قد استغرق منها شيأ هو صلاح حاله والله اعلم (قوله من كرمت عليه نفسه الخ) اى فالذى
ينبغى خلافها فيما تشتهى وتهوى ليتم لها النعيم بالشفاء من امراضها المردية لها (قوله
اذا قال الصوفى الخ) الغرض الحث على تقوية العزائم على تحمل المشقات فى طريق
السير اليه تعالى اذ المعونة على قدر المؤنة وعلى قدر اهل العزم تأتى العزائم (قوله واعلم
ان اصل المجاهدة الخ) اقول لا تستصعب ذلك فى نفسك بحسب ما استرسلت فيه من
حظوظك قال تعالى وكان الله على كل شئ مقتدرا اذ من جملة اقتداره تبديل اخلاقك
الذميمة بغيرها حميدة فانه قد فعل ذلك بجماعات من الخلق كابراهيم بن ادهم وفضيل بن
عياض وبشر الحافى وعبد الله بن المبارك وابى بكر الشبلى وذى النون المصرى وغيرهم
فانظر حكاياتهم فانها عون لك فأكثر اللجأ الى الله تعالى فيما عسر عليك من قياد نفسك
موقنا بانه المالك لصلاح شأنك وبتوفيقك وتسديدك ولا تيأس من رحمة الله التى وسعت
كل شئ والله اعلم (قوله واعلم الخ) اقول ما ذكره يشبه ان يكون من جوامع الكلم
فى طريق الارشاد الى سلوك طريق الحق فتدبره بقلبك وعض عليه بنواجذك (قوله
فطم النفس الخ) اى وتقدم للجنيد التصريح بمثله حيث قال اذا الفت النفس هواها صار

فان العبد كلما اندفع عنه الصارف والمانع سهل عليه تحصيل العمل النافع ولذلك قال المشايخ الارادة ترك ما عليه العادة والنفس تحتاج الى سائق وقائد فى ابتداء أمرها فالرجاء يقودها والخوف يسوقها فاذا استقام السائق والقائد مشت الى الخير بسهولة ومتى أفرط القائد ذللها وأمنها ومتى افرط السائق قنطها وقتلها (والنفس صفتان مانعتان لها من الخيرات انهماك فى الشهوات وامتناع عن الطاعات فاذا جمحت) أى غلبت صاحبها (عند ركوب الهوى يجب عليه كبحها) أى جذبها (بلجام التقوى واذا حرنت) عليه بفتح الراء وضمها أى وقفت ولم تنقد (عند القيام بالموافقات) أى المأمور بها (يجب عليه سوقها على خلاف الهوى واذا ثارت) اى هاجت (عند غضبها) من استنقاص قدرها (فمن الواجب) على صاحبها (مراعاة حالها فما من منازلة) أى نزول فى مرتبة (احسن عاقبة من غضب يكسر) بالبناء للمفعول (سلطانه) أى قوته (بخلق حسن وتخمد نيرانه) أى يسكن لهبها (برفق واذا استحلت شراب الرعونة) أى الحمق (فضاقت فى نفسها عن كل شئ (الا عن اظهار مناقبها والتزين لمن ينظر اليها ويلاحظها فمن الواجب) على صاحبها (كسر ذلك عليها واحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة اصلها وقذارة فعلها) قال الغزالى كسر النفس الجموح يحصل بثلاثة اشياء احدها منعها الشهوات فان الدابة الحرون تلين اذا نقص من علفها ثانيها حملها اثقال العبادات فان الدابة اذا زيد فى حملها مع نقص علفها ذلت وانقادت ثالثها الاستعانة بالله والافتقار اما تسمع قول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى انه

داؤها دواها فلا تغفل عن حكم المتقدمين لتكون من السابقين (قوله الارادة الخ) اقول اصطلاحهم نفعنا الله ببركاتهم انهم يطلقون الارادة ويريدون منها العبادة فعليك بخلاف العادات تنل كل المرادات (قوله فى ابتداء امرها) احترز بذلك عن زمن النهاية فان السائق والقائد فيه انما هو المحبة والاجلال وذلك لان الرجاء والخوف من منازل النفس ومقاماتها ولان زمن النهاية فى نظر العارف لما يشعران به من عدم الاكتفاء بالقسمة الازلية التى لا تقبل تبديلا ولا تغييرا فالعارف شأنه الرضا بكامل ما تقتضيه القسمة اتباعا مرادات فى مرادات سيده (قوله ومتى افرط القائد الخ) أى فالاولى التوسط بين درجة الافراط والتفريط اذ خير الامور اوساطها (قوله والنفس صفتان الخ) مراده تمهيد طريق سياسة النفس لردها عن معايبها حتى تتخلق بمحاسن الاخلاق فعض عليها بالنواجذ (قوله انهماك فى الشهوات) اى وهو يستدعى انه كلما اراد العبد النهوض اخلده وان نهض بالفعل امسكه عن السير وان سار منعه من الاسراع وان اسرع ثبطه فى الطريق فكلما اجتمع له رغبة فكره فرقها جنود الشهوة فلا يصح ارتحاله عن عوالم طبعه الى بساط الحق ما دام مع شهواته فلذلك لزم الانخلاع عنها لمن اراد القرب (قوله وامتناع عن الطاعات) عطفه على ما قبله من عطف اللازم على الملزوم وذلك لان قوة الشهوات من الاسباب القوية فى الابعاد عن الخيرات (قوله بلجام التقوى) هو من اضافة الصفة للموصوف وما أجمع ما قاله الجنيد فى معنى التقوى حين سئل عنها حيث قال ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك والله اعلم (قوله واذا ثارت اى هاجت عند غضبها) اى واذا ثارت نيران غضبها بمقتضى الطبيعة من استنقاص قدرها اطفأها بالالتفات الى مصدر الافعال وهو الحق سبحانه وتعالى اذ لا فاعل فى الحقيقة غيره وهو لا يفعل عبثا بل اما لحكمة التأديب واما لحكمة التكميل (قوله فمن الواجب الخ) قال بعض العارفين قيل لى فى يقظة كالنوم أو فى نوم كاليقظة لا تبدين فاقة الى غيرى فأضاعفها عليك مكافأة لسوء ادبك وخروجك عن حد عبوديتك انما ابتليتك بالفاقة لتفزع منها الىّ وتتضرع بها لدىّ وتتوكل فيها علىّ سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن نفسك بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسى بالغنى فان وصلتها بى وصلتك بالغنى وان وصلتها بغيرى قطعت عنك مواد معونتى وحسمت اسبابك من اسبابى طردا لك عن بابى فمن وكلته الىّ هلك (قوله بما يذكرها الخ) اى واقوى طرق التذكير التدبر فى ابتدائها والتفكر فى انتهائها وغاية ضعفها فيما بين ذلك (قوله بثلاثة اشياء) اى مع القيام على النفس بها تدريجا على حسب ما تقتضيه السياسة لاجل عدم نفورها بسبب الهجوم عليها كرة واحدة (قوله اما تسمع قول يوسف) اى حيث اشار الى

(وجهد العوام) بضم الجيم وفتحها يكون (في توفية الاعمال) اى تمامها وتكثيرها (وقصد الخواص) يكون (الى تصفية الاحوال) اى تكميلها (فان مقاساة الجوع والسهر) وان كان شديدا هو بالنسبة الى مراعاة الاحوال والانتقال عن الاخلاق الذميمة والتخلق بالاخلاق الحميدة (سهل يسير ومعالجة الاخلاق والترقي عن سفسافها) اى دنيئها (صعب شديد ومن غوامض آفات النفس ركونها الى استحلاء المدح) لها (فان من تحسى منه جرعة حمل) لاجله (السموات والارضين) مثلا (على أشفاره) أى اطراف اجفانه التي ينبت عليها الهدب لان العبد يتحمل في وقت الهوى وشدة الرغبة في المقصود ما لا يتحمله في غير ذلك الوقت لاسيما اذا غلب على ظنه ان ذلك المقصود ينقله الى ما هو أعلى منه (وامارة ذلك انه اذا انقطع عنه ذلك الشرب) أى نصيبه من المدح (آل) أى رجع (حاله الى الكسل) اى التثاقل عن الاعمال (والفشل) اى الضعف عنها (و) لهذا (كان بعض المشايخ يصلي في مسجده في الصف الاول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الابتكار الى المسجد عائق فصلى في الصف الاخير) فوجد في نفسه انكسارا وتألما وتمام عنده أن سببه ان نفسه كانت فرحة بمدح الناس لها وملازمتها للصف الاول مراعية لذلك (فلم ير بعد ذلك مدة فسئل عن السبب فقال كنت اقضي صلاة كذا وكذا سنة صليتها) في الصف الاول (وعندي) أي عند نفسي (أني مخلص فيها لله سبحانه وتعالى فداخلني يوم تأخري عن) البكور الى (المسجد) اجل (شهود الناس اياي في الصف الاخير نوع خجل) منهم (فعلمت ان نشاطي طول عمري انما كان على رؤيتهم) اياي في الصف الاول (فقضيت صلاتي ويحكى عن ابي محمد المرتعش انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد) القاسي فيها التعب والجوع (فبان لي أن جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سألتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في) اعمال (الحجات كانت لحظ وشوب) وفي نسخة وشرب (النفس اذ لو كانت نفسي فانية) عن حظها (لم يصعب عليها ما هو حق) اى واجب عليها (في الشرع) ويسهل عليها ما هو نفل فيه

انه لا طاقة لبشر على رد النفس الا بواسطة اعانة الحق له باحسانه وافضاله (قوله وجهد العوام الخ) أى اجتهادهم انما هو في توفية الاعمال بالاتيان بها وافية كاملة على طريق المتابعة وتكثيرها (قوله وقصد الخواص الخ) اى ولهذا قال الجنيد لا يصفو لاحد قدم في العبودية حتى تكون افعاله كلها رياء واحواله كلها دعاوى وقال النهرجوري من علامة من تولاه مولاه في احواله ان يلهمه التقصير في اخلاصه والغفلة في اذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المبالاة في فتوره فتكون افعاله عنده غير مرضية ويزداد فقره الى الله تعالى في سيره حتى يفنى عن كل ما دونه اه (قوله ومعالجة الاخلاق الخ) أى ولهذا قال نبي الله شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب فذكر الانابة والتوكل للاستسلام كما ذكر ارادة الاصلاح للعبودية وذكر التوفيق للتبري من الحول والقوة فافهم (قوله ومن غوامض الخ) الغرض منه الحث على التبري من شهود حسن الاعمال وحب الثناء عليه بذلك (قوله فان من تحسى الخ) أى فينبغي الحذر من أن يكون للنفس غرض دنيء في انواع العبادة كحسن الثناء والشهرة بها فيلزم اخلاص القصد له تعالى ليتخلى العبد بالقبول ويدوم له التوفيق (قوله حمل لاجله السموات والارضين الخ) أى تحمل الاثقال العظيمة قياما بحظ نفسه مع كونه يصير هباء منثورا على أنه قد يكون السبب في هلاكه ولا حول ولا قوة الا بالله (قوله ولهذا كان بعض المشايخ الخ) فيه تنبيه على تمام مراعاته لاحواله وصدقه في اخلاصه وزيادة تشويقه لمثل مرغوباته (قوله فعلمت ان نشاطي الخ) اقول من ذلك يعلم ان ما وقع له امامن التأديب او التقريب المذكورامن أن الظلم مثل الشهوات اذا وردت على قلب الانسان تارة تكون طردا وتارة تكون تأديبا وتارة تكون تقريبا فاذا اثمرت التبري عن الحول والقوة كانت تقريبا واذا اثمرت انكسارا وتذكيرا كانت تأديبا واذا اثمرت فواتها كانت طردا فاعرف ذلك (قوله فعلمت ان مطاوعة نفسي الخ) أى وذلك لان النعم انما يعرف قدرها بفقدانها واذا قيل الولد العاق المصر على التأفف انما يعرف قدر الاب يوم وفاته وقيل ايضا انما يعرف قدر الماء من ابتلي بالعطش في البادية لا من كان على شاطئ الانهار

(وكانت امرأة عجوز قد طعنت في السن فسئلت عن حالها فقالت كنت في حال الشباب اجد من نفسي نشاطا) في العمل
(واحوالا) تزعجني (اظنها قوة الحال) الذي يحصل للصوفي (فلما كبرت زالت) هذه الاحوال (عني فعلمت ان ذلك) انما (كان
قوة) أي عمل قوة (الشباب) والنفس (فتوهمتها احوالا) اذ لو كانت عن اليقين والعرفان لدامت بدوامها في كل زمان (سمعت

الشيخ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول ما سمع احد هذه الحكاية من الشيوخ الا رق لهذه العجوز وقالوا انها
كانت منصفة) من نفسها (سمعت
محمد بن الحسين رحمه الله يقول
سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان
يقول سمعت يوسف بن الحسين
يقول سمعت ذا النون المصري
يقول ما أعز الله عبدا بعز هو اعز له
من ان يدله على ذل نفسه وما أذل
الله عبدا بذل هو اذل له من ان
يحجبه عن ذل نفسه) وذلها بان
يعرفه الله قدرها في اصلها وتقلبها
في اطوار خلقها من دم الى نطفة
الى علقة الى مضغة وعجزها عن
جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها
عنها وبان يعرفه أنها مربوبة
مكلفة مسؤلة مؤاخذة بكل
حركة وسكون من افعالها فان
احسنت وقامت بما كلفها به ربها
سعدت ونجت وان اهملت
وفرطت عثرت وهلكت فما اعز
الله عبدا بعز اعز له من ان يدله على
هذه الامور فاذا عرف قدر نفسه
سلم من عجبها وكبرها وسائر آفاتها
وان عرف تكليفها وما هي
مؤاخذة به اجتهد في العمل
للقيام بما عليها واخذ مالها
(وسمعته) ايضا (يقول سمعت
محمد بن عبد الله الرازي يقول
سمعت ابراهيم الخواص يقول ما هالني) أي افزعني (شيء) مجوزه الشرع من جوع وسهر ومخالفة ما اعتيد ولا
من كسب الارزاق التي فيها شبهة (الا ركبته وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت محمد بن الفضل
يقول الراحة هو الخلاص من اماني النفس) أي شهواتها واختياراتها فكمال الراحة في الدين بلوغ العبد الى مقام التوكل
والرضا ولا يتم ذلك له الا بعلوه ان الحق سبحانه ارحم به واعلم بما يصلحه

والاودية الجارية فحينئذ درجة الكمال انما هي في دوام النشاط المطلوب من المكلف
واجبا كان او مندوبا بلا فرق فيما طلب منه والافضل ذلك على سقط النفس فيما فيه
نشاطها والله اعلم (قوله فعلمت ان ذلك الخ) اقول فقد اشعر حالها رحمها الله تعالى بانها
كانت لا تشغلها النعم عن شكرها الا ان ذلك نقص ينشأ عن عيوب النفس فقد قال داود
عليه السلام الهي ابن آدم ما فيه شعرة الا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن اين يكافئها فاوحى
الله تعالى اليه يا داود اني اعطي الكثير وارضى بالقليل أو اليسير وان شكر ذلك ان تعلم
ان ما بك من نعمة فمني اه هذا واعلم ان من راعى الصدق في حال الشباب حفظه الله
في حال قرب المآب (قوله وقالوا انها كانت منصفة) أي لاتهامها نفسها في حال
الشباب (قوله ما أعز الله عبدا الخ) اي ويؤيده خبر من عرف نفسه فقد عرف ربه وذلك
لان النفس من اقوى الحجب بين العبد وربه وحينئذ لا يتم له زوال ذلك الحجاب الا بمعرفة
قدرها ومعرفة ما خلقت له حتى تقوى على خلاف عاداتها ومألوفها (قوله وما اذل الله
عبدا الخ) اي لانه قد ابتلاه وبلاه عضال لا تزيده المداواة الا تمكنا وذلك لان الهوى ثابت
بمقتضى داعية النفس في مقابلة داعي الحق وانما كان داء عضالا لوجوه احدها أنه
راتب في النفس لازم لها ملازمة الاوصاف لموصوفاتها فلا تسمح به الا بعد جهد جهيد
الثاني انه لا يكون غالبا الا ملتبسا بحظ يحقق كونه مضرا الا بعد نظر دقيق الثالث ان
الهوى اذا تمكن اعمل علي وفقه فكان في موضع الحجة على صاحبه بفتح باب التأويل
والجدل الذي هو مفتاح الضلال قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الآية (قوله بأن
يعرفه الله قدرها في اصلها) أي ويعرفه ايضا ما يؤل اليه امرها من هلاكها بالموت وطول
رقدتها في القبر وحيدة ذليلة مأكولة للدود ممزقة للحشرات بالية آيلة الى الثرى لا ينفعها
في ذلك كله غير ما قدمته في حياتها من اعمال البر والخير فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله
ما هالني شيء الخ) اي فقد ارتكب التعاسف بعد ما عن اكاذيب التسويف وطلب المعالي
الامور بما قد يقصم الظهور وهكذا تكون صفة المحبين في السير الى ديار المحبوبين اذ
من طلب الجواهر ترك ملوثات الظواهر ومن رام الوصول تنزه عن الفضول ومن تمنى
شهود الجمال فقد تعب طبع الانسان وهان عليه بذل الروح وسهل له طريق البكاء والنوح
ودام على قرع الباب عسى ان يكون من الاحباب تدبر فهم وربنا بالحال اعلم (قوله
الراحة هو الخلاص من اماني النفس) اي لان النفس مجبولة على ان لا تتمنى الا ما يريحها

ولا يميل الا الى ما يؤذيها فاذا قدر العبد على التخلص من امانيها واعرض عن كل شئ يطغيها فقد حاز انواع الراحات وتم بالرتب ذوى السعادات من اهل العنايات (قوله هو الخلاص من امانى النفس) أى شغلا بالواحد الاحد الصمد اذ القلب او ان الملك بشهادة خبر لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن بمعنى من حيث المعرفة والاعتقاد لا من جهة الحلول والاتحاد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قوله من امانى النفس الخ) اشار بذلك الى خلق ذميم يدخل به الشيطان على ابن آدم الغفير خاصة وعامة من أبناء الدنيا والدين وهو الغرور فلا يكاد يسلم منه عالم ولا عامل ولا زاهد ولا عابد ولا عارف ولا جاهل ولقد شرح الغزالى قدس الله سره حكمه وأوضح امره فى كتابه الاحياء ولولا الاطالة لذكرت لك نبذا منه واعلم ان اكثر ما يدخل به الشيطان على اهل الخير الرضا عن النفس وكيف ومن كانت حقيقته دعاوى لا تكون دعاويه دعاوى ومن كانت محاسنه مساوى لا تكون مساويه مساوى (قوله وملازمة العادة) لا يخفى عليك ان عطف هذا وما بعده على ما قبله من عطف العلة أو السبب (قوله كلما هاج الخ) اقول ولا ينفع من هذا الداء الا خوف مزعج او شوق مقلق فالخوف لانزعاج السر عما هو من الوزر عند مشاهدة القهر والشوق اهتياج القلق اتمكن الخوف وقد قال ابو العباس الحضرمى اعلم ان الموعظة الحقيقية هى جذب الحق لك ولطف الحق بك وأن يخلق الله فى قلبك الخوف الشديد فتستحضر عظمة الله تعالى فترجع اليه قال تعالى ففروا الى الله الآية (قوله سجنك نفسك) أى وانما كانت كذلك لانها باعتبار ما جبلت عليه تحبس عن مقامات المقربين فاذا وفقك الحق للتخلص من ذلك الحبس بقيامك عليها بشاهد العلم حتى تخالف هواها المذكور فقد وصلت الى على المقامات وسنى المشاهدات وبعبارة اخرى ان تقول انما كانت سجنا لتعلقها بالاكوان وانطباعها فيها اما من حيث الاعتماد عليها والاستناد اليها أو من حيث جمالها واستحسانها الموجب لمحبتها والعبودية لها أو من حيث الشهوة الموجبة للاستغراق فى الغفلة وكل ذلك من اعظم الحجب المانعة عن درجة المقربين فهى من هذه الاعتبارات رجس وأى رجس وحبس وأى حبس اه واعلم انها حيث كانت سجنا فكيف يستغيث المسجون بالمسجون قال الشاذلى قدس الله سره يئست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لها ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وسئل عن الكيميا فقال اقطع طمعك من الله ان يعطيك غير ما قسم لك ومن الخلق ان ينفعوك أو يضروك فتأمله فانه فى غاية النفاسة والله أعلم (قوله اذا خرجت منها الخ) أى وذلك لا يكون الا بقوة الايمان قال بعضهم اذا كان الايمان فى ظاهر القلب أحب العبد نعمته ودنياه وكان مرة مع نفسه ومرة مع ربه فاذا دخل الايمان القلب وتمكن من باطنه ابغض العبد دنياه وهجر هواه أقول وذلك لان الايمان نور وهو لا يبقى معه ظلمة فلا مانع انه وذلك النور الا الاشتغال بالنقائص والفضول (قوله

(سمعت الشيخ اباعبد الرحمن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت اباعلى الروذبارى يقول دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة) مع النفس (فسألته ما سقم الطبيعة فقال اكل الحرام) لانه يلازم سقمها (فقلت) له (ما ملازمة العادة فقال النظر والاستماع بالحرام والغيبة) وذلك بان لا يثبت فى امور حتى يعرف ما يجوز له وما لا يجوز بل يجرى على مقتضى عادته المعروفة (قلت) له (فما فساد الصحبة) مع النفس (قال كلما هاج فى النفس شهوة تبعتها) فالصحبة النافعة معها التى بها نجاتها ان يخالف العبد هواها ويحملها على ما طلبه منها ربها فحصل من مجموع ذلك ان الفساد دخل من أكل الحرام وقلة التثبت قبل الفعل والتصرف بمقتضى الهوى وعطف الاستماع على النظر من عطف العام على الخاص عكس عطف الغيبة على الحرام (وسمعته) أيضا (يقول سمعت النصراباذى يقول سجنك نفسك) أى انت محبوس فيها (اذا خرجت منها) أى باعراضك عن شهواتها وعن العمل بمقتضى أوامرها وجعل تصرفاتك كلها لاوامر الله خاصة

(وقمت في راحة الابد) بقربه تعالى منك وهذا قريب مما قال أبو يزيد رأيت الحق سبحانه في المنام فقلت يارب كيف أجدك قال فارق نفسك وتعال وسيأتي هذا في الباب الآتي (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد الفراء يقول سمعت ابا الحسين الوراق يقول كان أجل احكامنا في مبادي أمرنا في مسجد أبي عثمان الحيري الايثار بما يفتح علينا) بان نعطي ما نحن محتاجون اليه لمن نراه مساويا لنا أو أحوج منا ونصبر (وأن لا نبيت على معلوم) بل اذا اخذنا قدر حاجتنا وفضل شئ آخر جناه للمحتاج (و) ان (من استقبلنا بمكروه) واساءة (لا ننتقم لانفسنا) منه ١٣٤ (بل نعتذر اليه) باننا الذين أسأنا الى الاساءة علينا حيث لم نبادر الى حصول مقصوده قبلها (ونتواضع له) ونتذلل حتى يزول ما في نفسه منا (واذا وقع في قلوبنا حقارة) وازدراء (لاحد قمنا بخدمته والاحسان اليه) والتواضع له (حتى يزول) ما في نفسه منا وما في نفسنا منه (وقال أبو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها سرها) بسكون الراء ومعناه (ونور سراجها التوفيق فمن لم يصحبه في سره) يعني معاملته لربه (توفيق من ربه كان ظلمة كله) لانه يبقى في ظلمة جهله وشهواته ومن صحبه من ذلك توفيق في علمه وعمله بقي في نور علمه (قال الاستاذ الامام أبو القاسم القشيري) رحمه الله (معنى قوله سراجها سرها يريد به) (سر العبد الذي بينه وبين الله تعالى وهو محل اخلاصه) ومحل معاملته لربه (وبه) أي بما قاله أبو حفص من ان نور سراج النفس انما هو بتوفيق الله (يعلم العبد ان الحادثات) انما تحدث (بالله لا بنفسه ولا) هي ناشئة (من نفسه) لكون متبرئا من حوله وقوته على استدامة أوقاته ثم هو (بالتوفيق) اتمام يعتصم من شرور نفسه فان من لم يدركه التوفيق) من ربه (لم ينفعه علمه بنفسه ولا بربه ولهذا قال الشيوخ من لم يكن له سر) أي بينه وبين الله (فهو مصر) أي على المخالفات (وقال أبو عثمان لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن) وفي نسخة مستحسن (من نفسه شيأ) أو لا يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الاحوال) لان المبتدي حسن ظنه بنفسه ورضي بافعالها لم يتهمها فلم يفتشها

وقمت في راحة الابد) أي حيث انقطعت عن التشوف الى شئ من الاكوان الدنيوية والاخروية فلا يكون لك مطلب غير الحق تعالى وشهود جماله وكماله (قوله كيف أجدك) أي كيف الطريق الموصل الى القرب من شهودك في كل حال ومقام وقوله قال فارق نفسك وتعال معناه اخرج عن سجن حظوظ نفسك ومألوفاتها تصل الى مطلوبك وتترقى الى شهود محبوبك فتحصل ان النفس بما جبلت عليه من أقوى الحجب المانعة لكل كمال (قوله كان أجل أحكامنا الخ) أقول اذا تأملت تلك الاحكام تجدها من الاخلاق المحمدية والسيرة الاحمدية يهدي الله لنوره من يشاء (قوله النفس ظلمة كلها الخ) اقول كيف لا تكون كذلك وهي تنازعه تعالى في افعاله بادعائها ما ليس لها من الاخلاق والاحوال والمقامات وسكونها اليها ووقوفها معها اذ النفس وان صدقت فيما ادعته من ذلك فقد أعجبت وتكبرت وافتخرت بما ليس لها في الحقيقة اذ لا تضاف الاشياء مصدرا وموردا الا للحق تبارك وتعالى وحده ألا ترى الى علماء هذه الطريقة تأولوا قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن بدعوى ما ليس للعبد ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ألا وقول الزور قال الراوي فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت فنفسك وما اشتملت عليه ليس لك منها شئ فافهم ولا تكن أسير ما يظهر (قوله النفس ظلمة الخ) أي باعتبار ما جبلت عليه وسراجها سرها فسبب تنويرها متابعة سيد الكاملين عليه صلاة وسلام رب العالمين نسأل الله التوفيق مع القبول متوسلين في ذلك بحضرة سيدنا الرسول (قوله وسراجها سرها) محصله ان سر التنوير انما هو في اخلاص المقاصد في العبادة على طريق المتابعة مع التبري من الحول والقوة بشهود ان الله هو الفاعل المختار (قوله يعرف العبد الخ) أقول وله اشار عارف زمانه في تائيته حيث قال

وأين السهاعن أكمه عن مراده ۞ سهاعها لكن أمانيك غرت

(قوله من لم يكن له سر الخ) السر لطيفة ربانية أودعها الله قلوب العارفين التي هي محل أسراره ومناط اخلاص عبادته فاذا تخربت قيل لصاحبها انه مصر (قوله من لم يكن له سر فهو مصر) أي لان السر نور والاصرار ظلمة فمتى وجد أحدهما انتفى الآخر ومتى انتفى احدهما تحقق الآخر (قوله وقال أبو عثمان الخ) محصله انه ينبغي للانسان أن يدوم على

فلم يطلع على عيبها وهذا غرور ولذلك قيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا فالاولى بالعبد أن يسيء ظنه بنفسه لما يعرفه من عوائدها الرديئة ورضاها بالاقوال دون الافعال ومدح الناس اياها ولو بالمحال فعلمه بذلك يوجب له تهمتها وتفتيشها ليتخلص من خدعها وخدع ابليس (وقال أبو حفص ١٣٥ ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فان المعاصي)
الناشئة من عدم معرفة عيب النفس واتهامها (بريد الكفر) أى طريقه (وقال أبو سليمان) داود بن نصر الطائي (ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته) اى فاعتددت (به) أى الغالب من الاستحسان الغير الشرعي فساد الاعمال (وقال السري) السقطي (اياكم وجيران الاغنياء) يعني مجاورتهم لان الطبع يميل الى افعال جاره فاذا جاورهم العبد ورأى ما هم فيه من السعة والتحدث بأمرهم مالت نفسه الى ما هم فيه فبعد عنهم اولى به ليدوم له قناعته بفقره والرضا بما قسم له ربه ويتأسى بنبيه صلى الله عليه وسلم في قناعته في الفقر ودعائه الالهي كما قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا لا اقتارا ولا اسرافا واياكم (وقراء الاسواق) لانهم يهينون كتاب الله تعالى بتلاوته فيها الاسيما اذا جعلوه سببا لطلب الدنيا كما هو الغالب واياكم (وعلماء الامراء) لان الغالب من حال الامراء عدم الجريان على القوانين الشرعية فالعالم اذا لازمهم على ما هم عليه فاما أن يعينهم بالقول والتحسين واما أن يقر ما هم عليه من غير كراهة ولا انكار وكلاهما خطأ (وقال ذو النون المصري انما دخل الفساد على الخلق من ستة اشياء الاول ضعف النية) المطلوبة (بعمل الآخرة) لان العبد اذا ضعفت نيته في العمل قلت رغبته فيه الى ان ينفر عنه (والثاني) ان (صارت ابدانهم رهينة لشهواتهم)

اتهام نفسه ليكون حاملا له على تفتيشها على ما يخفى من خداعها وتلبيسها (قوله وعين الرضا الخ) محصل معناه أن العبد في رضى عن شئ كل لسانه عن عيوب ذلك الشئ لعدم علمه بها لشغله من محبته واذا أبغض شيئا فتش وبحث عن عيوبه ونشرها فالداء العضال في الرضا عن النفس نسأل الله السلامة منه (قوله ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه الخ) أى ولا سيما الخلق منها لان العيوب حجاب ظلماني اذا قوي أعمى البصيرة فربما أوصل صاحبه الى الكفر بسبب مساهلته في المعاصي واستخفافه بها ولذا قال بعض الحكماء لا ترجو ان تصح ولك عيب ولا تطمع ان تنجو وعليك ذنب (قوله فان المعاصي الخ) يريد أن الاصرار على المعاصي بعدم تجديد توبة منها وعدم تفتيش النفس عما يكنه من ذميم اخلاقها طريق يوصل الى الكفر بسبب كثرة ظلمات القلب بالمخالفات ونكت الملك اثر الذنب في القلب الذي اذا عم قلب العبد ولم تسبق له عناية بما يرققه من ذلك النكت من قبول الانابة صار القلب أعمى أصم لا يرى عيوبه ولا يسمع زواجره فيؤديه ذلك الى الكفر والعياذ بالله تعالى (قوله وقال أبو سليمان الخ) محصله ان استحسان الاعمال بدون شاهد العلم مفسد لها (قوله وقال السري الخ) محصله الحث على التباعد عما يشغل عن الحق مما شأنه ان تتأثر به النفس اذ هو من باب من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والمراد بالاغنياء في كلامه من شغلهم غناهم عن طاعة مولاهم أو المراد بهم الاعم من ذلك ومن الموفق منهم وسبب ذلك التحذير انه ما دام العبد على بساط الاقبال يرجى له عالي النوال لانه قد أتى الامر من بابه وتوصل اليه بوجود أسبابه فيرحم الله من قال شعرا

ومارمت الدخول عليه حتى * حللت محل ذي العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها * وصنت النفس عن قال وقيل

(قوله اياكم وقراء الاسواق الخ) أى احذروا من مخالطتهم فان اخلاقهم ذميمة فهو من اسباب العطب في الدين وقد بين الشارح وجهه وقوله وعلماء الامراء الخ أى احذروا مخالطتهم كذلك اذ هم ممن عق صلى الله عليه وسلم بطلبه السوء حيث جعلوا ثمرة العلم طلب الفاني من عرض الدنيا وكسب الشهوة ومن ذلك وقد قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (قوله انما دخل الفساد الخ) اقول جماعها أى الستة المذكورة حجاب النفس بما جبلت عليه من الشهوات والاخلاق الذميمة ومحصله انهم قد حجبوا بانفسهم عنهم وهم عدم فالعدم حينئذ قد حجب بالعدم ولذلك الاشارة بقول صاحب الحكم العطائية مما يدلك على وجود قهره سبحانه ان حجبك عنه بما ليس بموجود

هـذا ثمرة الاول لان العبد اذا
انتقل عن شهواته بقوة نيته وعزمه
في طاعته فاذا فاته ذلك صار بدنه
رهين الشهوات فصارت حركاته
وسكناته في مصلحة نفسه وهواها
(والثالث) ان (غلبهم طول الامل
مع قرب الاجل) لانهم اذا اجابوا
للطاعة اجلا خسروا انفسهم
في الحال وقد يفاجئهم الموت قبل
بلوغ الاجل وان داموا اليه تأكد
تعلق قلوبهم بالشهوات وعسرت
عليها الطاعات (والرابع) ان (آثروا
رضا المخلوقين على رضا
الخالق) لان ذلك ناشئ من قلة
الدين وضعف الايمان بأنه لا ضار
ولا نافع ولا معطي ولا مانع الا الله
(والخامس) ان (اتبعوا اهواءهم
ونبذوا) أي القوا (سنة نبيهم صلى
الله عليه وسلم وراء ظهورهم) لان
ذلك من سوء الاعتقاد وقبح
الاعمال (والسادس) ان (جعلوا
قليل زلات السلف) رضي الله
عنهم (حجة لانفسهم ودفنوا كثير
مناقبهم) هذا ثمرة الخامس وهو
اتباع الهوى واعتقاد انه على
الحق فيما فعل أو نوى فاذا عورض
من انقص بذلك فيما هو فيه قال قد
فعل ذلك من هو أفضل مني
ويتمسك بقضيته في ظنه انه زلة
وليست كذلك ويترك كثير مناقبهم
ويجهل فضائلهم فلا يقتدي بها
لكونه بعيد الهمم فيهم من
الخيرات والجد في الطاعات

(باب الخلوة والعزلة)

اقول ثم استجاب العدم بالعدم دليل على ظهور الوجود بالوجود البتة قال معروف الكرخي رحمه الله تعالى طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع حمق وجهل وفيما ذكر لمن تامله غاية الموعظة والحاصل ان جماع المفاسد الدينية الثاني في كلامه وانما صرح بالباقي اهتماما بها التحذر ايضا والله اعلم (قوله هذا ثمرة الاول الخ) أي لان النية اذا ضعفت صارت الابدان رهينة للشهوات كما صرح به الشارح واذا قويت ضعفت الشهوات بل قد تنعدم بطاعته تعالى فينتقل العبد من حضيض الطبيعة الى علاء الهمة والرفعة (قوله ان غلبهم طول الامل) أي المشار اليه بما اشتهر من طال امله ساء عمله ومفهومه ان من قصر امله حسن عمله (قوله والرابع ان آثروا الخ) اي وسببه غلبة الباطل وظلمات الجهالات التي اعمت القلوب وا كثرت الغفلات واثمرت ضعف اليقين والبعد عن عز التمكين (قوله والخامس ان اتبعوا اهواءهم الخ) وعبارته تغني عنه الاول نعم قد يقال انه من ذكر العام بعد الخاص (قوله والسادس ان جعلوا قليل زلات الخ) أي وذلك بواسطة ظلمة بصائرهم عن تعريف الحق في خواص الخلق حيث انه قد يؤديهم علاءهم بسبب بعض هفواتهم الى دوام الانكسار بشهود الفاعل المختار فيزعم الغبي من الناس ان يكون له مثل هذا استقاص بسبب غفلته عما لهم من غلبة الخيرات ودوامهم على جد المجاهدات مع ان الاعتبار بغالب الاحوال لا بنادر من احكام الافعال (قوله ويتمسك بقضيته في ظنه انها زلة) أي مع انه قد يكون فيها مخرج وعلى فرض عدمه فقد تكون سببا لتعالي الاخلاق بما يترتب عليها من الانكسار القلبي وشهود التقصير

(باب الخلوة والعزلة)

اقول والناس في ذلك على ثلاثة اقسام منفرد بقلبه لا بشخصه وهو كائن بائن واصل قاطن فهذه حال الاقوياء واهل الكمال ومنفرد بشخصه دون قلبه وهذا سالم ان توفرت شروطه متعرض لنفحات الرحمة وان كان لا عبرة به في الحال ومنفرد بهما معا وهو المتخلي وأنواعه ثلاثة معتزل ليسلم ومعتزل ليغنم ومعتزل ليتم فشرط الاول القيام بواجبات وقته وسلامة الناس من سوء ظنه وشرط الثاني التحفظ في السنة مع الجد في العمل وشرط الثالث تحرير الاحوال والتبري من المقال والله اعلم (حكاية فيها موعظة) قيل ان بعضهم أراد أن ينزل عن عزلته ومجاهدته الى قتال الكفار فاتهم نفسه خوفا من ان يكون لها فيه حظ فلجأ الى الله تعالى فالهمه ان مرادها ان تقتل في الجهاد فيشتهر لها صيت الشهادة فاختارت ذلك القتل على قتلها بالمجاهدة المعنوية لان ذلك قتلة واحدة وهو يقتلها كل يوم كذا كذا مرة والموت الاضطراري شدته ساعة وهذا الاختياري دائم لا ينقضي (قوله والعزلة) اقول وهي متأكدة للمريدين لضعف قواهم عن الصبر على محنة المخالطة مع غيرهم وفي العزلة انقطاع عن الخلق اشتغالا بالحق وبعد عن ابناء

الناس ثمن تكون أخلاقهم كالرجس والذي يظهر من عطف العزلة على الخلوة
مغايرتهما وهو كذلك لان الخلوة في اصطلاحهم الاعتكاف في مكان خاص وعن لينقطع
فيه لعبادة ربه باشارة مرشد ناصح يلقنه الذكر الذي يناسبه ثم ينقله لغيره بحسب ما يراه
من استعداده حتى يبلغه الى درجة كماله مع رياضة او بدونها على حسب ما يعلمه من
حاله ومن بصيرته والعزلة هي الاعتزال عن الناس والبعد عنهم بشخصه طلبا للسلامة او
الغنيمة او التنعم بلذة الذكر والعبادة (قوله وهما مطلوبتان) اى مطلوبتان ومحبوبتان
لصحتهما لدفع الاثم والفسوق والافتتان (قوله رجلا آخذا الخ) اى معيشة رجل الخ ومثله
مقدر فيما بعده (قوله يبتغي الموت او القتل) لعل المراد انه يبتغي الموت شهيدا أو قتل غيره
بحكم الشرع (قوله او رجل في غنيمة له) أقول ذلك هو محل الاستدلال (قوله ليس هو
من الناس الا في خير) اى ليس هو في هذه الحالة دون غيره من الناس في حالة من الاحوال
الا في خير لانفراده عن كل شاغل يشغله عن عبادة ربه وسلامة الناس منه وسلامته
منهم (قوله على ما يأتي بيانه) اى من علمه ما يلزمه مما يصحح اعماله واستغنائه عن الناس
(قوله الخلوة صفة الخ) أقول حكي عن بعض شيوخ الشيخ عبد الرحمن العقلي
أنه قال كنت أخلو لأسلم فصرت أخلو لأغنم فصرت أخلو لأفهم فصرت أخلو لأعلم
فصرت أخلو لأتنعم فانظر رحمنا الله واياك الى هذه المقامات الجليلة التي انتقل منها
اليها واحدة بعد واحدة فأولها طلب سلامة الناس منه فحصل في القسم الذي شهد له
صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه بالاسلام حيث يقول المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده ثم ترقى من هذا المقام السني الى ما هو أسنى منه وهو حصول الغنيمة فهو
في اعمال الآخرة ينتجها اذ ان الخلوة فيها اعانة على اقتناص ذلك والنهوض اليه لعدم
العوائق ثم بعد حصول هذا المقام الشريف ترقى الى ما هو أشرف منه وهو الفهم عن
الله تعالى في آياته وأحكامه وفي تدبير خلقه واحسانه الى أوليائه ثم انتقل بعد هذا
المقام الاسنى الى ما هو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم لانه اذا فهم علم وهذا تام
في العلم بالله وبأحكامه اذ لا يوجد جاهل بأحكام الله عالم بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهي
اليه بخلاف العلم بأحكامه فان لها نهاية كما هو معلوم فلما حصل هذه الرتبة العلية انتقل
الى ما هو أسنى منها وهو التنعم في خلوته والتلذذ بالطاعة التي يجد حلاوتها اذ انه عبد قد
خلعت عليه خلع القربة التي لا يستحقها ولا يعدمها الا بفضل ربه وتكرمه وامتنانه
اذ لا فرق بينه وبين غيره من اخوانه المسلمين فتكون خلع عليه دونهم هذا فضل عظيم
لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بجاه محمد وآله
صلى الله عليه وسلم فاذا حصل في هذا المقام السني بجانبه الالطاف تترى حتى تشبهه
بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكرهم يتنعمون فان الذكر بالنسبة
لهم كالنفس لنا ومن كانت هذه حاله تكون العبادة له كالغذاء ولذا نقل عن بعضهم

وهما مطلوبتان (اخبرنا ابو
الحسين علي بن احمد بن عبدان
قال اخبرنا احمد بن عبيد البصري
قال حدثنا عبد العزيز بن معاوية
قال حدثنا القعنبي قال حدثنا عبد
العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن
بعجة بن عبد الله بن بدر الجهني عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
من خير معايش الناس لهم
رجلا آخذا بعنان فرسه في سبيل
الله ان سمع فزعة او هيعة كان
على متن فرسه) اى ظهرها (يبتغي
الموت او القتل في مظانه او رجل
في غنيمة له في رأس شعفة من هذه
الشعاف او في بطن واد من هذه
الاودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة
ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين) اى
الموت (ليس) هو (من الناس
الا في خير) هذا الخبر روي بالفاظ
مختلفة وكلها متفقة على ان العزلة
عن الناس للتفرغ للعبادة أفضل
من الاختلاط بهم على ما يأتي بيانه
والشعفة بفتح العين رأس الجبل
وجمعها شعف وشعوف وشعاف
وشعفات ذكره الجوهري

(الخلوة صفة اهل الصفوة والعزلة من امارات الوصلة) الى الله تعالى ومحل طلبهما من العبد اذا استغنى عن الناس واستغنوا عنه والا فتى دعاه الشرع الى المخالطة بهم اما فى التعلم منهم او التعليم لهم فلا خير فى البعد عنهم وبهذا يجمع بين الادلة الدالة على طلب العزلة والادلة الدالة على طلب المخالطة (ولابد للمريد فى ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه) اى عن الناس ليبعد عما طبعوا عليه من الاخلاق الرديئة والاعمال الذميمة (ثم فى نهايته) اى ثم لابد له فى نهاية حاله (من الخلوة لتحققه بانسه) تعالى لانه باجتماع همته على مقصوده وانفراده ١٣٨ بمحبوبه لتكمل مناجاته ويترقى فى درجات قربه وحقيقة الخلوة الانقطاع من الخلق الى الحق لانه سفر من النفس الى القلب ومن القلب الى الروح ومن الروح الى السر ومن السر الى واهب الكل (ومن حق العبد اذا آثر العزلة) على المخالطة (أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق فان الاول من) هذين (القسمين نتيجة استصغار نفسه) ومعرفته بآفاتها وسوء أخلاقها (والثانى) منهما (شهود مزيته) اى فضيلته (على الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن رأى لنفسه مزية على أحد) بأن تعاظم بها واستصغر غيره (فهو متكبر) قال صلى الله عليه وسلم الكبر بطر الحق وغمط الناس اى رد الحق واستحقار الناس (و) قد (رؤى بعض الرهبان فقيل له انك راهب فقال لا بل) أنا (حارس كلب) وهو نفسى (ان نفسى كلب) اى ككلب (يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها) فيه استحقار نفسه ورؤية نقصها (ومر انسان) اى رجل (ببعض الصالحين) أى بشيخ منهم (فجمع) ذلك الشيخ (ثيابه منه فقال له الرجل لم تجمع عنى ثيابك بالخلق ليست ثيابى نجسة فقال له الشيخ وهمت فى ظنك) انى أعتقد ان ثيابك نجسة بل (ثيابى هى النجسة جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك بها الا لكى لا تنجس ثيابى) بثيابك ومعلوم ان ثياب كل منهما لم تكن نجسة ولكن الشيخ أدب هذا الرجل على سوء ظنه بالناس المفهوم من كلامه السابق لانه لا يدرى لم جمع الشيخ ثيابه ولعله جمعها لمقصود آخر لا لنجاستها

انه لابد أن يختلى كاملا في الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى سنة وبعضهم لاهذا ولا هذا يختص برحمته من يشاء والله اعلم (قوله الخلوة صفة اهل الصفوة الخ) اى صفاء القلوب والسرائر من كدورات العادات وقوله والعزلة من امارات الوصلة اى الوصول الى الحق اى الوصول لمظاهر أسمائه وصفاته اما ذاته تعالى باعتبار الكنه فهى من غيب الغيب الذى لا يعلمه غيره تعالى فمن طمع فى الشهود لها او عول على شئ فى الوصول اليها فهو أحمق وأعمى البصيرة وهذا غير سيد الواصلين تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله فقد أرشد الى النظر فى النعم لانها من جنس الناظر اذ هى حادثة فلا يدرك الانسان شيأ الا اذا كان بوصفه ولا يفهم ولا يسمع ولا ينظر الا بوصفه فمنافاة الحادث عليه باب الادراك للذات العلية (قوله ومحل طلبهما من العبد الخ) حاصله ان الخلوة والعزلة لا يطلب كل منهما الا بالنسبة لمن لم يحتج الى غيره ولم يحتج اليه غيره فى التعلم والتعليم والا فلا يطلبان وعلى هذا التفصيل يحمل الخلاف فى طلبهما وعدمه وفيه ان هذا سيأتى للمؤلف التنبيه عليه (قوله ولابد للمريد الخ) اى بعد استغنائه عن غيره واستغناء غيره عنه على ما تقدم ليقوى على السفر عن نفسه وعن قلبه (قوله ثم فى نهايته الخ) أقول لعله باعتبار المريدين اما باعتبار نهاية الوصول فلا فرق فيه بين المخالطة والعزلة لفناء الواصل عن شهود ما سواه تعالى (قوله الانقطاع الخ) اى الانقطاع بالقلب وهو قد يجامع الاختلاط وذلك بالنسبة لمن قوى يقينه وانعدمت مشغلاته (قوله لانه سفر من النفس الخ) اى ولما كان المعتبر فى السير الى الحق تعالى مفارقة ميل النفس بالطبع وعدم الوقوف مع واردات القلب وعدم القنع بمشاهدة ما فى السر حيث المقصود من ذاته الامر لزم لمن توجه قصده لذلك هذا السفر على حسب ما قدمنا (قوله ومن حق العبد الخ) فيه تنبيه على تحسين الخلق بالدوام على أسباب هضم النفس ليتهيأ الى بلوغ الكمالات المعنوية (قوله وغمط الناس) هو بالطاء المهملة ويقال بالصاد أيضا (قوله وقد رؤى بعض الرهبان الخ) فيه تأييد لما قدمه من قوله ومن حق العبد اذا آثر العزلة الخ (قوله فقال لا الخ) فيه تنبيه على انه مراقب لنفسه عارف بمضارها ومكايدها (قوله وهمت فى ظنك الخ) اى وذلك مما لا ينبغى اذ الحمل على أحسن الحالات بعد عن سوء الظن

وثياب الانسان قد تطلق على حالته التى هو فيها من سوء خلقه وكثرة وقوعه فى الغيبة والكذب والكلام فيما لا يعنيه ونحوها فكأنه قال نفسى هى الحقيرة التى لا تصلح أن تخالط الناس وهذا هو اللائق بما قصده من ان العبد يقصد بعزلته عن الناس سلامتهم من شره لا سلامته من شرهم (ومن آداب العزلة أن يحصل) العبد قبل اعتزاله (من العلوم ما يصحح به عقد توحيده لكيلا يستهويه الشيطان) اى يطلب منه عند انفراده به ان يتبع هواه (بوساوسه) فى ايمانه وسائر طاعته (ثم) بعد تحصيله ذلك (يحصل من علوم الشرع ما يؤدى به فرضه) ونفله (ليكون بناء أمره على أساس محكم) اى متقن فى احتمال اعتقاده او علمه بالاحكام وقع فيما لا ينبغى (والعزلة فى الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة) والاتصاف بالحميدة وان اختلط صاحبها بالناس فمتى كان العبد بهذه الصفة كان فى عزلة وان كان بين الناس لان ما يحصل بها حاصل مع ذلك لانه حينئذ لا يضر الناس ولا يتضرر بهم لصفوه عما يبدو منهم لعلمه ببراءتهم منه وبراءته من الاتصاف بالخير الا بعون الله تعالى (فالتأثير) اى فتأثير العزلة انما هو (لتبديل الصفات لا للتنائى) اى التباعد (عن الاوطان ولهذا قيل من العارف) بالله (قالوا كائن بائن) يعنى كائن مع الخلق بالظاهر (بائن عنهم بالسر) اى فيما بينه وبين الله ومنهم من يعبر عنه بقوله كائن بجسمه مع الخلق بائن عنهم بشغله مع الحق من الاخلاص والتعظيم والاجلال والتفكر ونحوها (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول

بالخلق هو الاولى بالكاملين (قوله وثياب الانسان الخ) اى فيحمل على ان هذا الشيخ تباعد عن ذلك الانسان خوفا عليه من ملابسة بعض الاخلاق الذميمة له بواسطة الاختلاط به فعبر عن ذلك بجمع الثياب (قوله ومن آداب العزلة الخ) الغرض بذلك تقييد ما تقدم من طلب الخلوة والعزلة وان محله فى عبد استغنى عن غيره فى التعلم وتقدم أيضا انه لا بد من استغناء الغير عنه تعلما وتعليما فهى لا تنفع الا من تابع هديه صلى الله عليه وسلم بتعلم العلوم المحتاج اليها فى اعماله زمن عزلته واستغنى عنه غيره كذلك (قوله ثم بعد تحصيله ذلك الخ) اى فاول واجب على المكلف معرفة الحق سبحانه بما يجب فى حقه وما يجوز وما يستحيل وذلك ظاهر اذ لا تثبت النبوات الا بعد تحقق الالهيات بالبراهين ثم بعد ذلك يلزمه أن يحصل من علم الفروع ما يصحح به اعماله فرضا كانت او نفلا (قوله والعزلة فى الحقيقة الخ) أفاد بذلك ان العزلة قد تكون بالابدان والقلوب او بالابدان دون القلوب او بالقلوب دون الابدان وان النافع منها ما كان بالقلوب سواء مع الابدان وهو أتم أولا والغرض الحث على ما به الانتفاع فى نفس الامر والا فالعزلة بالبدن سر ظاهر ولا سيما فى أول الامر وفى زماننا هذا (قوله اعتزال الخصال الذميمة الخ) قال أبو العباس المرسى رحمه الله ونفعنا به أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله عليه فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منه بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله تعالى عليه ان هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر الى آخر ما قال هذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قالوا ماذا له يارسول الله قال أولئك لهم الامن وهم مهتدون فتدبر (قوله فمتى كان العبد بهذه الصفة الخ) اى فالمدار على انتفاء الاخلاق الذميمة والاتصاف بدلها بالحميدة والعزلة انما قصدت لذلك فاذا تم هذا للعبد فلا يضره حينئذ الاختلاط بالغير لما أوضحه الشارح (قوله فالتأثير الخ) اى حيث ان الاعتزال بالبدن وسيلة الى تبديل الصفات فلا حاجة اذا الى التنائى عن الاوطان ومع ذلك فلا يخفى ان الوسائل لها حكم المقاصد وسرها فى الابتداء ظاهر وحاصل كلامه ان الغرض من العزلة تبديل الصفات فاذا تحقق ذلك فالامر ظاهر والا فلا ثمرة لمجرد التنائى عن الاوطان (قوله ولهذا الخ) اى لكون القصد انما هو تبديل الاخلاق الذميمة بالحميدة قيل الخ وفيه ان ذلك بالنسبة للعارف لا للمريد اما بالنسبة للمريد فالعزلة بالبدن أشد له تأثيرا لضعف حاله فى ابتداء أمره (قوله ومنهم من يعبر عنه الخ) ان لم يكن عين ما قبله فى المعنى فهو قريب منه ثم أقول يشير الى هذا

البس مع الناس ما يلبسون وتناول) اى وكل معهم (مما) وفي نسخة ما (يأكلون وانفرد عنهم بالسر) اى فيما بينك وبين الله (وسمعته) ايضا (يقول جاءني انسان وقال جئتك من مسافة بعيدة) يعني أنا معجب فيك وفي قربك والتخلق بأخلاقك وزيارتك (فقال ليس هذا الحديث) اى عند الصوفية اى حصوله (من حيث قطع المسافات ومقاساة الاسفار) بل من حيث تغيير الاخلاق الذميمة بالحميدة وهي مراده بقوله (فارق نفسك ولو بخطوة فقد حصل مقصودك) من مخالفة الهوى والجري على سمت التقوى (ويحكى عن ابي يزيد) البسطامي (قال رأيت ربي عز وجل في المنام فقلت) له (كيف أجدك) اى كيف الطريق الى القرب منك (فقال) له (فارق نفسك وتعال) اى اذا خالفت هواك وعملت بما أمرتك به فقد وجدتني وقربت مني وما يرى في المنام مثال لا عين الممثل به لان الشخص ١٤٠ الواحد يراه عدد كثير في اماكن مختلفة في وقت واحد ويراه واحد شيخا وآخر شابا وآخر كهلا وحقيقة الرؤيا الصالحة أن يخلق الله في قلب النائم وفي حواسه الاشياء كما يخلقها في اليقظان وسيأتي بيانه في باب رؤيا القوم (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا عثمان المغربي يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا) ارادة (رضا ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب) لان الشئ العزيز لا ينال العبد بعضه حتى يعطيه كله ولا أعز من قرب الله تعالى وحفظه (فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية) فان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقد صح في الخبر يأتي الشيطان أحدكم ويقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته فعلى

بل

العبد أن يديم ذكره لربه ويعرض عن الاسباب المشوشة عليه ويجتهد في تحصيل رضاه عنه حتى يحفظه عن عدوه ويكفيه شره (وقيل الانفراد في الخلوة أجمع لدواعي السلوة) اى دواعي تطييب النفس يقال سلوت سلوة وسلوانا اى طابت نفسي عنه قاله الجوهري (وقال يحيى بن معاذ انظر) اذا حصل لك أنس هل (أنسك) كان (بالخلوة او أنسك) كان (معه) تعالى بدوام مناجاته وما يجريه عليك من عطاياه وأنواع كراماته (في الخلوة فان كان أنسك) كائنا (بالخلوة ذهب أنسك) وتألمت (اذا خرجت منها) واختلطت بالناس (وان كان أنسك) كائنا (به) تعالى (في الخلوة) لكمال معرفتك به ودوام مناجاتك له (استوت بك الاماكن في الصحاري والبراري) وغيرهما فانت في خلوتك بربك وان اختلطت بالناس ولذلك قالوا

قوله جعل جلاله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله البس مع الناس الخ) الغرض منه الحث على ستر السر بموافقة الناس فيما لا يضر (قوله جاءني انسان الخ) فيه اشارة الى ان العمل ولو شق في الظاهر لا يفيد مع عدم طهارة السرائر (قوله فارق نفسك الخ) اى فارق ما تميل اليه نفسك بمقتضى ما جبلت عليه وقوله ولو بخطوة يشير به الى ان ما به النفع هو السفر عن المألوفات ولو لم يقطع العبد شيأ من المفازات (قوله فقد وجدتني) اى حيث اهتديت الى الطريق الموصل القريب من رحمتي (قوله وما يرى في المنام الخ) محصل ذلك ان الرؤيا من شهود المثال لا من قبيل ما تخيله الاوهام وقد قرب ذلك بحال الخلق في الرؤيا ليعلم ما يتعلق بالحق تعالى منها (قوله من اختار الخلوة) اى من اختارها بعلو قدر شروطها وصحة منازلها في حقه ينبغي له فيها أن يكون خاليا من جميع الاذكار المشغلة له عن ذكر ربه ليتفرغ سره لمقصوده من ذكر ربه وعبادته والا كانت خلوته محنة وبلية (قوله وخاليا من مطالبة النفس الخ) اى وينبغي له أن ينقطع عن الاسباب المعطلة له عما هو بصدده (قوله وان لم يكن بهذه الصفة) اى التي هي خلوه عن كل ذكر الا ذكر ربه وعن كل سبب الا اكتفاءه به تعالى (قوله توقعه الخ) اى لانه اذا كان منفردا في الخلوة ولم يشغله ذكر الحق تعالى كان للشيطان عليه سبيل وأي سبيل (قوله في فتنة او بلية) اى افتتان وابتلاء بما يورده الشيطان على قلبه مما لا يجوز في حقه سبحانه وتعالى (قوله فليستعذ بالله) اى لانا نهينا عن التفكر في ذات الله تعالى وأمرنا به في آلائه (قوله اجمع لدواعي السلوة) اى وذلك لما يحصل في الخلوة من الانس بالله تعالى بواسطة التعمل فيها من الحاضرات والمشاهدات التي توجب له الوحشة من الخلق والنفرة منهم (قوله وقال يحيى الخ) محصله ان الخلوة في الحقيقة ليست بدنية فقط

الصوفى كائن بائن كما مرّ وعطف البارى على المصارى للتأكيد كعطف الرحمة على الصلوات فى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة (وسمعته ايضا يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل الى زيارة ابى بكر الورّاق فلما) ان زاره ثم (أراد أن يرجع قال له أوصنى فقال وجدت خير الدنيا والآخرة فى الخلوة) عن الناس (و) فى (القلة) من الطعام والمنام والكلام (وشرهما فى الكثرة) من ذلك (و) فى (الاختلاط) بالناس اذا استغنى العبد عنهم واستغنوا عنه كما مرّ وتقدم خبر من حسن اسلام 141 المرء تركه مالا يعنيه والذى لا يعنيه مالا تدعو اليه حاجة وهى اما دينية او دنيوية فالدينية مالا يعتان به على العلم والعمل والدنيوية ما يستقيم به البدن والعقل (وسمعته) ايضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الجريرى يقول وقد سئل عن العزلة) الحقيقية (فقال هى الدخول) اى ان تدخل (بين الزحام) الحاصل بخلطة الناس اى بينهم (وتحفظ سرك أن لا يزاحموك) اى يشغلوك عنه (وتعزل نفسك عن الآثام) بالمثلثة او بالنون (ويكون سرك مربوطا بالحق) تعالى ما قالوه مأخوذ من قولهم الصوفى كائن بائن وتقدم بيانه (وقيل من آثر العزلة) عن الناس على الخلطة بهم (حصل العزلة) من الله تعالى فى كلامه الحناس العرف (وقال سهل لا تصح الخلوة الا بأكل الحلال) الذى لا يحصل للعبد الا بعد تحصيل ما يحتاج اليه من العلم والعمل ومنه العلم بالحلال والحرام وأخذ القدر الذى يكفيه من الحلال وصرف الفاضل لمستحقه (ولا يصح أكل الحلال الا بأداء حق الله) من زكاة وغيرها وما قاله هو الخلوة بالله وهى أفضل الخلوات فان من كانت خلوته بعده عن الناس تشوّش حاله منهم اذا خالطهم بخلاف من كانت خلوته بالله لكمال معرفته به ودوام مناجاته له كما علم مما مرّ (وقال ذو النون المصرى لم أر شيأ أبعث على الاخلاص من الخلوة) لسلامة صاحبها من المراآة والاعجاب فاذا تكرر عليه ذلك حصل يقين فى قلبه الثقات لغير الله من طلب حمد وخوف ذم وجزاء على عمل كان مخلصا حقيقة لانه لم ير الا واحدا

بل هى انما تتحقق بفراغ القلب عن كل ما سواه تعالى استغراقا فى مقامات الصدق وهذا يظهر عند الامتحان للنفس فيعلم بذلك انه ممن يكرم او يهان وفيه تنبيه على علو الهمة باخلاص المقاصد له تعالى وهو انما يتم بفناء النفس عن شهود اعمالها فضلا عن أولاها وتفضلها (قوله فقال وجدت خير الدنيا والآخرة فى الخلوة عن الناس) أقول ولا تغفل عن معناها لمن قصدها وعناها من كون القصد فراغ السرائر لمراقبات ما يرد على الضمائر من اشارات تلك المظاهر (قوله وفى القلة من الطعام والمنام والكلام) اى لان ثمرة قلة الطعام تنوير القلب وخفة الجسم فى العبادة وثمرة قلة المنام عدم فوات شئ من أسباب الخيرات وثمرة قلة الكلام السلامة من آفاته (قوله وشرهما فى الكثرة من ذلك) اى لان كثرة الطعام تثقل البدن وتظلم القلب وتقسيه وتوجب كثرة النوم الذى هو مثل الموت فى كونه من أعظم أسباب الفوت وكثرة الكلام تسقط الاحترام وقد توقع فى كبير الآثام (قوله والذى لا يعنيه الخ) اى لان السبب فى الكمال قصر الهمة فى السير الى الحق على طريق المتابعة ودوام الجد والاجتهاد بشهادة علم الظاهر والاقتصار من امور الدنيا على ما يقوم به البدن والعقل مما يسد الرمق (قوله مالا يعتان به على العلم والعمل) اى مالا يستعين به على تحصيلهما وتحققهما له وقوله والدنيوية ما يستقيم به البدن والعقل اى لا ما زاد عن ذلك لكونه من المطال عن بلوغ الآمال هذا والاولى أن يقول وما يزيد عما يستقيم به البدن والعقل على مالا يخفى (قوله هى الدخول الخ) قد أجاب بمقام الكمل من عباد الله حيث حمل على فراغ القلب من الشواغل بشهود تلك الفضائل وان كان بجسمه مع ابناء جنسه (قوله من آثر العزلة حصل العزلة) مراده بالعزلة الاعم من البعد عن الاختلاط وفراغ القلب عن الشواغل ولو مع الاختلاط خلافا لما ذكره الشارح نفعنا الله به (قوله وقال سهل الخ) مراده ان الخلوة لا تثمر الا بعد تعلم العلم الشرعى والعمل بموجبه (قوله وقال ذو النون الخ) لعل مراده بما ذكره بالنسبة للمبتدئين فى طلب الحق لا من هم فى مقعد صدق (قوله كان مخلصا) اى وحينئذ فخلوته لا تنافى خلطته وذلك لطهارة سره عن الاغيار بدوام

وبهذا الاعتبار فسل رياء العارفين افضل من اخلاص المريدين فهذا العارف التفات نفسه الى حسن عمله رياء اذهو التفات الى غيرالله فى العمل (وقال ابوعبدالله الرملى ليكن خدنك) اى رفيقك وصاحبك (الخلوة) التى تلازمها (وطعامك) الذى تقتات به على أمرك (الجوع) لانه معين لك على صلاح قلبك وخفة بدنك (وحديثك) الذى يحدث به لسانك (المناجاة) اى المكالمة مع الله من سؤال ودعاء وذكر وثناء وغيرها من أنواع المناجاة (فامان تموت) وأنت ساع فى الوصول الى الله (واما ان تصل الى الله سبحانه) قبل الموت وبالجملة اذا بعد العبد بالخلوة عن المشوشات وفرغ قلبه ونشطت جوارحه بالجوع ودام شغله بالله وتبرأ من حوله وقوته استقامت احواله فظفر بمهمه من نيل الدرجات والولايات (وقال ذوالنون المصرى ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله تعالى) لان احتجاب العبد عنهم بالخلوة حجاب محسوس يمكن الخلق الاطلاع عليه فى وقت واحتجابه عنهم بالله حجاب معنوى يصونه ١٤٣ عنهم من جميع الآفات ولايدرك هذا المحجوب الامن قاربه فى الدرجات فان حاله انما يدرك بالامارات (سمعت الشيخ اباعبدالرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت ابابكر الرازى يقول سمعت جعفر ابن نصير يقول سمعت الجنيد يقول مكابدة العزلة أيسر) على العبد (من مداراة الخلطة) لان مكابدة العزلة اشتغال بالنفس خاصة ومداواة امراضها بخلاف مداراة الخلطة بالناس مع اختلاف أخلاقهم وشهواتهم واغراضهم ومايبدو منهم من الاذى ومايحتاج اليه من الحلم والصفح (وقال مكحول ان كان فى مخالطة الناس خير فان فى العزلة السلامة) من الشر والسلامة منه آكد من تحصيل الخير ثم ان وجبت الخلطة لتحصيل علم او عمل لم تصح الخلوة بحال (وقال يحيى ابن معاذ الوحدة جليس) يعنى شعار (الصديقين) لان أنسهم انما هو فيها بمناجاتهم ويقوى فيها اقول
بعدهم وصدقهم واستغراقهم فى مطلوبهم وتلذذهم بمحبوبهم (سمعت الشيخ اباعبدالرحمن يقول سمع) بالبناء للمفعول (ابو بكر الشبلى يقول الافلاس الافلاس) اى احذروا ذلك (ياناس فقيل له ياابابكر ماعلامة الافلاس فقال من علامة الافلاس الاستئناس بالناس) اذلو كمل وجدهم وتحققوا بوجودهم لاشتغلوا عن انفسهم فضلا عن غيرهم ثم علامات الافلاس التلذذ بحديث الناس وقوله من علامة الافلاس محذوف من بعض النسخ (وقال يحيى بن كثير من خالط الناس داراهم) بان يتألفهم ويطيب نفوسهم ويؤثرهم على نفسه بالدنيا (ومن داراهم راآهم) بأن يدع لهم شيأ من دينه مراعاة لهوى حظوظهم لذلك من الخلطة لانها تحوج الى المداراة التى يخشى منها أن يخرج العبد منها

الاشتغال بالفاعل المختار (قوله وبهذا الاعتبار الخ) اى وذلك هو معنى قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله فامان تموت الخ) اى فعلى أى حال لابد من ثمرة عظيمة اودرجة جليلة اما التحلى بحلية الابرار اوذوق شراب المقربين الاطهار (قوله وقال ذوالنون الخ) أقول لما كانت الخلوة ربما كان للنفس فيها حظ قد يسهل نفعها اللهم على الاشرف فقال ليس الخ اى فالموصل للكمال انما هو الاحتجاب بالله على معنى ان يكون القلب مستغرقا فيه سبحانه تعالى وليس له التفات الى غيره فهذا هو الحجاب وأى حجاب لا المحسوس من الخلوة وغيرها (قوله الامن قاربه) اى او من ماثله او كان أعلى منه بالاولى والله أعلم (قوله مكابدة العزلة الخ) يريد الحث على الاشق لنيل الفضل بذوق خير الاجر على قدر النصب اى وحيث كان كذلك فيقال ان وثق العبد بنفسه فى حالة اختلاطه بغيره الذى يحتاج فيه الى مداراتهم مع اختلاف أخلاقهم فالاختلاط افضل فى حقه ولاسيما وقد يترتب له به زيادة اجور بتحمله مايبدو منهم وبجاهه وصفحه عنهم وان لم يثق بها فالافضل فى حقه مكابدة العزلة والله أعلم ان قلت ينافى ماتقدم من التفصيل ماسيذكره مكحول قلت لاينافيه لان محله فيمن لم يثق بنفسه (قوله ان كان فى مخالطة الناس الخ) ويؤيده قولهم درء المفاسد مقدم على جلب المصالح (قوله الوحدة جليس) اى حيث ان ثمرتها الانس بالله والانس بغير ذلك باطنه الوحشة (قوله الافلاس الافلاس) أقول انما سمى بذلك لانه تجرد عن الثمرات الباقية بملابسة الحظوظ الفانية (قوله التلذذ بحديث الناس) اى لانه يدل على بقاء حظوظ النفس الدنية اذلو فنيت عنها لكان بدل الانس الوحشة وبدل الاختلاط النفور (قوله من خالط الناس الخ)

الى المراياة والمداهنة او التشبع بما لم ينل من مقامات الدين والخلوة تريحه من جميع ذلك (وقال شعيب بن حرب دخلت على مالك بن مسعود بالكوفة وهو في داره وحده فقلت له أما تستوحش وحدك فقال له ما كنت) قبل كلامك هذا (ادرى) اى أظن (ان أحدا يستوحش مع الله) تعالى فيه دليل على كمال معرفته بربه وكمال محبته له وأنسه به حتى استنكر وقوع ذلك من الناس فعبر عن حاله وحكم به على غيره من الخلق * وكل اناء بالذى فيه ينضح * (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت ابا عمرو الانماطى يقول سمعت الجنيد يقول من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة) اى يستوحش فيه من الناس (والعاقل من اختار فيه الوحدة) هذا قول الجنيد فى زمنه فكيف تطلب السلامة بغير عزلة فى زماننا الذى لا يجتمع فيه اثنان و يفترقان غالبا الا عن خسارة منهما باذكر أحدهما للآخر من ذكر نقص بعض الاخوان متوجعا بذلك ومتألما به وهو غيبة ١٤٣ وحظ من الشيطان (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول قال ابو يعقوب السوسى الانفراد) عن الناس (لا يقوى عليه الا الاقوياء) فى الدين (ولامثالنا) من الضعفاء (الاجتماع) مع الناس (أنفع) من الانفراد من جهة انه (اعا يعمل بعضهم على رؤية بعض) لانهم اذا انفردوا كسلوا واذا اجتمعوا بغيرهم ورأوه يعمل حركتهم رؤيتهم ونشطتهم للعمل فالخلطة أنفع لهم بشرط سلامتهم من الرياء (وسمعته) ايضا (يقول سمعت اباعثمان سعيد بن سعيد يقول سمعت ابا العباس الدامغانى يقول أوصانى الشبلى وقال الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم) بحيث تنسى كأن لم تكن (واستقبل الجدار) اى القبلة باشتغالك بالله و بكثرة عملك (حتى) اى الى ان (تموت) حكى ان رجلا سمع كلام الجنيد الذى يجرى على لسانه من مواهب الحق تعالى فقال له من أين لك هذا فقال من جلوسى تحت تلك الاسطوانة كذا كذا سنة (وجاء رجل الى شعيب بن حرب فقال له ماجاء بك فقال أكون معك قال يا أخى ان العبادة لا تكون بالشركة) لانها انما تكون بالاخلاص لله وحده لا شريك له (ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشئ) بعده وبه ولما كان العبد قد يفتقر فى عبادته لكونه ضعيفا الى رؤية غيره ومساعدته فيها وكان شعيب قويا أراد أن ينقل هذا الرجل الى مقام القوة ليشتغل بالله وحده ولا يفتقر فى عبادته الى رؤية غيره ومساعدته فيها (حكى ان بعضهم قيل له ما أعجب ما لقيت فى سياحتك فقال لهم لقينى الخضر فطلب منى الصحبة فخشيت أن يفسد على توكلى) لان النفس اما ولى اونبى على الخلاف فيه ومن صحب من هذه صفته سكن قلبه اليه وعلم انه لا يعوزه شئ مما هو محتاج اليه

أقول قد حذر من المشروع خوفا من تدريج الوقوع وذلك باشارة خبر دع ما يريبك الى ما لا يريبك (قوله الى المراياة والمداهنة) اى وهما من كبائر الذنوب (قوله وحكم به على غيره) اى كما يشير اليه خبر المؤمن مرآة المؤمن (قوله من اراد أن يسلم الخ) أقول حيث ثبت هذا فى زمنه مع القريب من أثر بركة النبوة وكان الحكم فى ذلك الوقت الندب فهى فى وقتنا آكد بل لو قيل بالوجوب لم يكن بعيدا (قوله لا يجتمع فيه اثنان الخ) أقول ومثل هذا فى وقتنا يقال له عند الخاصة والعامة المسامرة فيتبع منهم كأنه من المباحات فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله الانفراد عن الناس الخ) الذى عندى ان الاجتماع فى هذا الزمن الذى قدر الله بوجودنا فيه ينبغى ان يكون على قدر ما تدعو اليه الضرورة كالتعلم لما يجب و يندب العبادة وتحصيل ما يلزم لضرورة المعيشة لان ما ذكره من داعى الاجتماع فهو غير متيسر لان الخلق فى هذا الزمن كانهم ارتضعوا من ثدى واحد (قوله ولامثالنا) مراده ان اجتماع الضعفاء مع العمال أبعث لهم على العمل وذلك طلب المشاكلة ولا تغفل عما قدمناه لك قبل (قوله أوصانى الشبلى الخ) أقول مثله نفعنا الله به قد منح الحكمة واطلع بواسطة تنويره على ما قدر له فعض عليه بالنواجذ (قوله فقال من جلوسى الخ) اى وذلك لان العمل بالسنة يظهر ينابيع الحكمة بدليل خبر من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكم على لسانه وقلبه او كما ورد (قوله لا تكون بالشركة الخ) أقول لما ضعفت الهمم عن حفظ القلوب مع الاختلاط حمل هذا الاستاذ على الانفراد طلبا للسلامة فى النفس باخلاص العبادة لله تعالى هذا ما ظهر خلافا لما أبداه الشارح (قوله فقال لهم الخ) فيه دلالة على

وهو لا اعتماد على غير الله وهو قوى على مقام التوكل الحالى يخشى أن يشتغل عليه حاله بسكونه الى من عاشره فيعود به منزلته وبذلك علم ان كراهة المخالطة للعبد انما هو لمعنى فيه أو فى غيره (وقيل لبعضهم ههنا احد تستأنس) اى (به فقال نعم ومد يده الى مصحفه ووضعه فى حجره فقال هذا) أستأنس به (وفى معناه أنشدوا) وكتبك ياربى (حولى ماتفارق مضجعى * وفيها شفاء للذى انا كاتم) وذلك لان من 144 فهم كتاب الله وتفكر فيه عظمت فى قلبه معرفته تعالى وغلب عليه جلاله وعظمته فكان له كتابه احسن جليس واعظم أنيس (وقال رجل لذى النون المصرى متى تصح لى العزلة قال اذا قويت على عزلة النفس) وعزلتها بمفارقة أخلاقها الذميمة واتصافها بالحميدة فمتى فارق العبد المألوفات وفعل اولا المشقات فى الطاعات فقد بعدت عنه الآفات وخفت عليه العزلة ومفارقة الشهوات (وقيل لابن المبارك مادواء القلب قال قلة الملاقاة للناس) لان الاخوين فى الله اذا تلاقيا بعدت سلامتهما مع كمال جدهما فى الخير وشدة حذرهما من الشر فكيف من سواهما (وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يحبك ويكثر ذكرك قال انه ليحبنى وأعرف قدره لكن يهون على أن ألقى الشيطان مائة مرة ولا ألقاه مرة واحدة فقيل له كيف ذلك فقال اخشى أن أتزين له ويتزين لى) اى لان الشيطان عرفت عداوته فيستحذر منه والاخ الصالح النفس مطمئنة ساكنة له (وقيل اذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية الى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة) لان الوحدة تسلمه من آفات المخالطة والقناعة تمنعه من أسبابه الكثيرة ورؤيته لعيوب نفسه تعينه على الانتقال عن الاخلاق الذميمة الى الاخلاق الحميدة والله اعلم المتقين

(باب التقوى)

انه قد قوى يقينه بما عند مولاه يخشى تغير الحال بالركون الى شئ آخر (قوله ومد يده الخ) فيه تنبيه على انه ينبغى للعبد أن لا يستأنس بشئ خلاف ماشرعه الله تعالى بواسطة نبيه صلى الله عليه وسلم (قوله وتفكر فيه الخ) اى تفكر فى ترتيبه العجيب واسلوبه الغريب وحكمه الظاهرة والفاظه الرقيقة ومعانيه الدقيقة واسراره الغريبة الفيبية وآياته الدالة الجلية كيف وهو صفة الحق ودليل رسول الصدق والله أعلم (قوله قال اذا قويت الخ) أنت خبير بأن هذا لا يتم الا بعد تعلم علم الشريعة اذ هو الكاشف عن النعيم من الاخلاق وضده (قوله قال قلة الملاقاة الخ) أقول هذا فى حق من قصرت همته عن حفظ نفسه مع ملابسة الامثال ولو مع كمال الجد فى طريق الخير ومن ذلك يتحقق لزوم ذلك فى زمننا بل اولى اذ لا تجد بل الا هو بالضد (قوله فقال اخشى الخ) اى يخشى بمقتضى ميل النفس الخبيثة (قوله من ذل الخ) انظره فانه جامع كل خير ذنال الله التوفيق لمابه (قوله فقد أعطى خير الخ) ان قلت لم كانت الآخرة دار جزاء المؤمنين قلت لكونها تحتمل اتساع عطائه وذلك فى الصفة والمقدار ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم يقول تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية ومعناها فى كل وجه وفى كل معنى وفى كل جزء وفى كل فرع وثانيهما لكون ما أعده الحق فيها كامل البقاء لا يحول ولا يزول لان الآتى قطعا كالموجود فى الحال وما كان مآله الى الزوال فكانه قد زال وقد جاء فى الخبر لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لاختار العاقل الذى يبقى على الذى يفنى فرحم الله القائل

فما الدنيا وزخرفها بشئ * وما أيامها الا عوارى
وليس بعاقل من يصطفيها * أيشرى الفوز ويلك بالبوار

(باب التقوى)

اعلم أنه تعالى أكرم المتقين بكرامات الاولى العلم قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله الثانية العاقبة قال تعالى والعاقبة يعنى الجنة للمتقين وفى ذلك بشارة بأن عاقبتهم محمودة وانه لا مؤاخذة عليهم وفيه تحريض على الاخذ بكل سبب من أسبابها الثالثة الفرقان قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال سهل يعنى نورا فى القلب يفرق به بين الحق والباطل الرابعة محبة الله تعالى لهم قال تعالى ان الله يحب

المتقين الخامسة نصرة تعالى لهم قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الفضيل رحمه الله اى اتقوا الله فيما نهاهم عنه وأحسنوا فيما أمرهم به السادسة الحسنة قال تعالى للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير السابعة النجاة قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا الثامنة ركوب النوق من القبور الى القصور قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا أى ركبانا على الابل قال على كرم الله وجهه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم يحشرون على نوق أرجلها الذهب ونجائب سروجها اليواقيت التاسعة الكرامة قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم قال بعضهم يستدل على تقوى الرجل بثلاث خصال حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نزل وحسن الصبر فيما قد فات العاشرة القبول قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين وفى الرقائق عن فضالة بن عبيد لان أكون أعلم ان الله تقبل منى مثقال ذرة أحب الى من الدنيا وما فيها الحادية عشرة وقاية العذاب قال تعالى ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم الثانية عشرة جوار الله تعالى قال تعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر الثالثة عشرة المخرج قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الرابعة عشرة اليسر قال تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أى يسهل عليه أمر الدارين ويخلصه من شدائدهما الخامسة عشرة والسادسة عشرة التكفير وعظم الاجر قال تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا السابعة عشرة الجنة قال تعالى تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا الثامنة عشر الفوز قال تعالى ان للمتقين مفازا أى فوزا ونجاة من النار التاسعة عشرة الرحمة قال تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون العشرون صلاح الاعمال قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم اى يزكيها ويتقبلها ويغفر لكم ذنوبكم اى يسترها ويمحها ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اى نال غاية مطلوبه اه من نشر المحاسن لليافعى

(تنبيه) حكى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان فى المسجد يوما مع المهاجرين والانصار واذا بامرأة وقفت على باب المسجد وبين يديها طفل تربيه فقالت يا أمير المؤمنين عسى الآن تأخذ ابنك هذا عنى فقد ضاق به ذرعى فرفع عمر لها رأسه وقال لها يا هذه ومن أين هو ابنى فقالت هو ابنك من الزنا فقال يا معشر المسلمين هذا شئ ما أحببته قط فى الجاهلية فكيف أحبه فى الاسلام فقالت يا أمير المؤمنين هذا ولدك وولد لى شحمة فقال عمر وكيف فقالت خرجت ذات يوم ألتمس المعيشة فدخلت خربة لبنى النجار فجلست فيها أتفكر فى أمرى فغلبنى النوم فما استيقظت الا وابنك قد واقعنى وغلبنى على وانصرف وتركنى بهذا المولود فقال لها عمر قفى يا هذه الجارية حتى يأتى ابنى وأسأله بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عمر الى ابنه فوجده يأكل

خبزا بزيت وملح يتغدى به فقام الشاب الى أبيه فقال له عمر اقعد يا ولدى حتى يتم غداؤك
فقال الولد لابيه هل لك ان تشاركني في طعامى فقال عمر لا يا ولدى مالى اليه من سبيل
ربما يكون آخر طعامك من الدنيا فقال يا أبتي أنزل عليك وحى فقال له يا ولدى لا وحى
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الولد فما الخبر يرحمك الله فأخبره عمر بقضية المرأة
فلما سمع ذلك اصفر لونه ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال له عمر يا بنى اعلم ان
الدنيا فانية والآخرة باقية ونعيم الدنيا لا يدوم وعذابها لا يدوم ومن أدى حق الله
فى الدنيا لم يطلبه الله فى الآخرة وأريد منك أن تصدقنى بالحق فى هذا اليوم وتخبرنى
بما وقع منك فى هذه المرأة فقال يا أبت والله انها الصادقة فقال عمر وكيف جرى ذلك
يا ولدى فقال يا أبتى خرجت من منزلى يوما فلقينى يهودى فأخذ بيدى وأدخلنى منزله
وأطعمنى طعاما وسقانى شرابا اى خمرا فلما سكرت أخرجنى من الدار وأغلق بابه فجعلت
أمشى فى أزقة المدينة حتى دخلت خربة لبنى النجار فوجدت فيها تلك المرأة نائمة فواقعتها
فبكى عمر فقال له يا أبتى فما الذى أبكاك لا بكيت عيناك فان كنت تريد اقامة الحد على
فأنا أصبر لقضاء ربى فأخذ عمر بيد ولده وخرج به الى المسجد وقعد مع المهاجرين والانصار
وقال لهم يا معشر المسلمين هذا ولدى قد اعترف على نفسه بالزنا ثم نادى عمر غلامه فقال له
يا غلام ناد فى أزقة المدينة ليجتمع الناس حتى يشهدوا عذاب ولدى على الزنا فان الله
تعالى يقول فى كتابه وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين فخرج الغلام ينادى فى أزقة
المدينة يا معشر المسلمين ان عمر بن الخطاب أراد أن يقيم الحد على ولده فى هذا اليوم
فاشهدوا عذابه فاجتمع الخلائق من كل جانب ثم قال عمر يا غلام اخلع الثوب عنه
وخذ السوط بيدك واضربه كما أمرك الله ورسوله فقال الغلام وكيف أضربه وهو
سيدى وابن سيدى فقال عمر يا غلام انك عبد مأمور فلا تترك من حق الله شيأ فيحاسبك
الله عليه غدا يوم القيامة فنزع الغلام ثوبه وأخذ السوط بيده وضربه واحدة فانشق
منها جلده وجرى دمه فلما رأى الغلام ذلك جعل يبكى فقال عمر يا غلام اضرب كما أمرك
الله ورسوله ألم تسمع قول الله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر فلما كمل عليه عشرة أسواط قال الشاب الى تائب فقال يا ولدى
لا يطالبك الله الا بما مضى ثم قال يا غلام اضرب فلما كمل عليه عشرين سوطا قال يا أبت
مالى صبر على البلاء قال عمر يا ولدى هذا العذاب أهون عليك من العذاب غدا بين يدى
الله تعالى فسمعت أمه بذلك فخرجت من بيتها وهى مريضة متكئة على امرأتين حتى
وقفت خلف المسجد وسمعت ابنها يضرب وهو يستغيث بالله ويدعو فقالت يا أمير
المؤمنين انظركم بقى على ولدى من حدود الله تعالى واصرفه الى وأنا أحج عن ابنى كل سنة
وأعتق عنه رقبة فقال لها عمر اذهبى يا مسكينة فهذا حكم ما أمر الله به ولا رسوله فقال
المسلمون يا أمير المؤمنين هل يجوز لنا أن نقتسم ما بقى عليه من الحد فقال لهم يا قوم

ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الحد الامن فعل الذنب ثم قال يا غلام اضرب
كما أمرك الله ورسوله وأنت حر لوجه الله فضربه الغلام حتى وقع الشاب في الارض
وعمر يبكي والحاضرون يبكون والملائكة في السماء قد تعجبت من صبر عمر فقال الحاضرون
أمهلك ابنك على يديك فقال والله يا قوم لآخذن حق الله فلما كمل عليه مائة سوط وقع
الشاب على الارض مغشيا عليه فرفعه أبوه الى بيته فمكث خمسة ايام ومات رحمه الله
فلما دخل عليه ابوه وهو ميت تراهى عليه وقبله وهو يبكي ويقول لبيتني يا بني ما كنت
امير المؤمنين حتى لا يكون موتك على يدي فهكذا قضى عليك علام الغيوب فغسله عمر
ودفنه فرآه رجل من الصحابة تلك الليلة في المنام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له سلم على ابي وقل له جزاك الله عني خيرا كما رحمتني من عذاب الله في الآخرة فاني
قدمت على ربي وأراني ما كان اعدلي من العذاب فقال لي يا ابن عمر لولا ما اخذ منك ابوك
الحد في الدنيا ما نجوت اليوم من العذاب الاليم فتدبر حكم التقوى لتأخذ بالسبب
الاقوى والله اعلم من نشر المحاسن اليافعي واعلم ان الارادة حلية العوام وهي تجريد
القصد وجزم النية والجد في الطلب وذلك في طريق الخواص نقص وتفرق ورجوع
الى النفس اذ الارادة من حظ النفس فهي عين الدعوى وانما الجمع والوجود فيما يراد
بالعبد لا فيما يريد العبد وان يرد لك بخير فلا راد لفضله ولذا قيل شعرا

اريد وصاله ويريد هجري ٭ فاترك ما اريد لما يريد

قال بعضهم والتقوى بساط تزكية النفس وتطهيرها من العيوب فمن أراد التقوى فعليه
بذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله اعلم وقال بعض آخر التقوى
بساط العلم قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله قال الداراني اذا اعتقدت النفوس ترك
الآثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرائف الحكم من غير ان يؤدي اليها عالم
علما فبلغ ذلك أحمد بن حنبل رضي الله عنه فصدقه وذكر الحديث من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم أقول وتمام معنى التقوى للعبد انما يكون بالغفلة عن سائر الاكوان
شغلا عنها بالمكون لها فمن شهده فيها فاعلا مختارا مدبرا نسيها به فافهم (قوله هي اسم
جامع الخ) اعلم ان طرق الاهتداء على نوعين بالنسبة للمهتدين توجه ومواجهة فظاهر
الاول الاستدلال للتوصل والعمل للتوسل والتعلق للتقرب وظاهر الثاني التوفيق
للهداية والالهام للعناية والتحقق للولاية ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فافهم (قوله
فتارة يحذر العبد تضييع الواجبات الخ) اي يحذر تركها بالكلية أو ترك ايقاعها في أوقاتها
المحدودة لها وقوله فيتقيه أي يجتنبه وذلك انما يتحقق بالقيام بها حيث أمر وفي الوقت
الذي أمر (قوله وتارة يحذر ارتكاب المحرمات الخ) انظر وجه مغايرته لما قبله مع
تلازمهما ثم يقال انه من جهة صحة اعتبار كل وملاحظته على انفراده واعلم أن حذر
تضييع الواجبات أو المندوبات وحذر ارتكاب المحرمات أو المكروهات من أقل درجات

هي اسم جامع للحذر من جميع
ما أمر الله ان يحذر منه كما يؤخذ
مما يأتي فتارة يحذر العبد تضييع
الواجبات او المندوبات فيتقيه
وتارة يحذر ارتكاب المحرمات
أو المكروهات فيتقيه وتارة
يحذر فوات اعالي الدرجات
فيتقيه بان لا يشتغل بأدونها

واتفقت الامة على فضيلة التقوى وطلبها (قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقال ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (وأخبرنا ابو الحسين على بن احمد بن عبدان قال اخبرنا احمد بن عبيد الصفار قال حدثنا محمد بن الفضل ابن جابر قال حدثنا ابن عبد الاعلى القرشى قال حدثنا يعقوب القمى عن ليث عن مجاهد عن ابى سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أوصنى فقال عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير) أى جمعه (وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلم) أى شعاره وانقطاعه للعبادة (وعليك بذكر الله فانه نور لك) يهديك الى الصراط المستقيم (واخبرنا على ابن احمد بن عبدان قال اخبرنا احمد بن عبيد قال اخبرنا عباس ابن الفضل الاسقاطى قال حدثنا احمد بن يونس قال حدثنا ابو هرمز نافع بن هرمز قال سمعت انسا رضى الله عنه يقول قيل يا نبى الله) وفى نسخة يا محمد (من آل محمد قال كل تقى) من اتباعه وهذا ما اختاره الازهرى وغيره من المحققين وقيل آله عترته والاصح عند الشافعى وجمهور الاصحاب انهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب (و) بالجملة (التقوى جماع الخيرات) كلها (وحقيقة التقوى التحرز بطاعة الله سبحانه عن عقوبته يقال اتقى فلان بترسه) أى تحرز به عما يضره من عدوه

المؤمنين لان ذلك يقتضى الايمان والتصديق القلبى (قوله واتفقت الامة الخ) أى فدليل فضيلتها وطلبها الاجماع والكتاب والسنة (قوله قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم) أقول فيه الاشارة الى من لا التفات له الى غيره تعالى سواء فقد أو وجد اطاع او عصى اذ كان لله فكان الله له بلا علة من نفسه فهم هم رضى الله عنهم ورضوا عنه

(شعر)

هم الرجال وعيب ان يقال لمن * لم يتصف بمعالى وصفهم رجل

(قوله قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم) وجه الدلالة افادة الآية الشريفة ان الاكرام يترتب على التقوى وزيادته على زيادتها ولا يكون ذلك الا اذا كانت التقوى مطلوبة ولها فضيلة وضدها منهى عنه لان الامر بالشئ نهى عن ضده (قوله وقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب الآية) افادت ايضا طلب التقوى منا معاشر الامة المحمدية ومن أوتى الكتاب من قبلنا فهى محققة من الشرائع القديمة وقوله وقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا هى اظهر فى الدلالة على طلب التقوى كما لا يخفى (قوله فقال عليك بتقوى الله) اى الزمها وقوله فانه جماع الخ اى فان المذكور الذى هو التزام التقوى جماع كل خير اى يجمع خير الدنيا والآخرة فان تحقق بمعنى التقوى قبل ان الجنيد لما سئل عن معنى التقوى اجاب السائل بقوله ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك فتأمل فيما فيه الحق من شرب الخلق المحمدى حتى كان ما ذكره من جوامع الكلم نفعنا الله ببركات علومه وقوله وعليك بالجهاد اى الزم الجهاد الشامل لجهاد النفس وقوله فانه رهبانية المسلم اى فانه تبتله وانقطاعه لعبادة ربه وقوله وعليك بذكر الله أى الزم ذكره تعالى بلسانك وقلبك فانه نور لك أى فانه يثمر لك النور المعنوى فى قلبك فتهتدى به الى الصراط المستقيم واذا فاض من القلب ظهر على صفحات الوجه (قوله قال كل تقى الخ) اعلم ان المنصوص عليه عند امامنا الشافعى رضى الله عنه ان المراد منه يكون بحسب المورد فان ذكر فى الزكاة فالمراد به مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وان ذكر فى مقام المدح فالمراد به كل تقى وان ذكر فى مقام الدعاء فالمراد به مطلق المؤمن ولو كان عاصيا اذ هو الاحوج للدعاء (قوله والتقوى جماع الخيرات كلها) أى فمن اتصف بها فقد حاز جميع الخيرات ولا سيما اذا قام بكل معنى أريد منها من حذر تضييع الواجبات والمندوبات وحذار ارتكاب المحرمات والمكروهات وحذر فوات أعالى الدرجات (قوله وحقيقة التقوى الخ) اعلم انه قيل لسيدنا عيسى صلوات الله وتسليماته على نبينا وعليه من ادبك قال ما أدبنى أحد ولكنى رأيت جهل الجاهل فجنبته ولقد صدق فلو اجتنب الناس ما يكرهون من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدب فما أعظم المصيبة على من فقد قلبا واعيا وما اسرع العقوبة على من فقد طرفا باكيا وما أكثر حسرة من كان فى امره متوانيا وما أدوم ندامة من أمسى وأصبح لاهيا (قوله التحرز بطاعة الله الخ) وقيل هى

(واصل التقوى اتقاء الشرك) بالله (ثم بعده) اتقاء (المعاصي والسيئات) غير الشرك (ثم بعده) اتقاء (الشبهات ثم يدع) أي يترك (بعده الفضلات) بخلاف الاولى وقد نزل بعضهم قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات

ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على هذه المراتب دفعا للتكرار (كذلك سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول) أي هكذا يقول (سمعته يقول) ذلك (ولكل قسم من ذلك باب) يذكر فيه (وجاء في تفسير قوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته ان معناه ان يطاع الله فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر) وهذا أعلى درجات التقوى اذ حق التقوى ان يتقى العبد الغفلات عن ذكر ربه ومكره وهذا عزيز يعجز عنه ولهذا لما سمع الصحابة رضي الله عنهم ذلك خافوا العجز عن القيام به فانزل الله تخفيفا عليهم فاتقوا الله ما استطعتم (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول سمعت احمد بن عاصم يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا معين الا الله تعالى ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد الا التقوى) أي العمل الصالح (ولا عمل الا الصبر عليه) أي على العمل لان الله تعالى يبتلي عبده بالمرض والعافية والفقر والغنى وغيرها فان صبر على المشق المؤلم اثابه وان شكر على النعم اثابه (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الكتاني يقول قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة) وفي نسخة الجنة (على التقوى) لقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون

ان لا ترى نفسك خيرا من أحد وقيل هي الاقتداء به صلى الله عليه وسلم وقيل انها أول منازل العابدين وقيل من كان رأس ماله التقوى كلت الالسنة عن وصف ربحه هذا ولكل جارحة حظ من التقوى فافهم (قوله واصل التقوى الخ) أي أسها واساسها اتقاء الشرك بالله وذلك لانه لا عمل معه والعياذ بالله تعالى ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات أي وذلك أقل درجات المؤمنين ثم بعده اتقاء الشبهات اي وذلك من مقامات الزاهدين ثم بعده اتقاء الفضول أي وهو من نعت الكاملين أقول وبعده اتقاء الالتفات الى ماسوى رب العالمين وهو من منازل الواصلين (قوله وقد نزل بعضهم الخ) أي حمل التقوى أولا على اتقاء المعاصي بدوام الاعمال الصالحة وثانيا على اتقاء الشبهات وثالثا على اتقاء الفضول مع مراقبة مقام الاحسان المشار اليه بخبر ان تعبد الله كانك تراه (قوله ان معناه ان يطاع الله فلا يعصى) أي لتدوم ثمرة التقوى وقوله ويذكر أي باللسان والقلب فلا ينسى أي لتدوم ثمرة المراقبة وقوله ويشكر فلا يكفر أي بصرف العبد جميع قواه وجوارحه الظاهرة والباطنة فيما خلقه الله له من العبادة في مقابلة انعام الحق عليه اذ لو لم يكن كذلك لا يكون شاكرا بل يكون كافرا بنعمه تعالى والله اعلم (قوله وهذا عزيز الخ) اقول ولو نظر الى ان المعنى بحق التقوى عبادته تعالى على ما يليق بعظيم جنابه جل جلاله لما كان ذلك في وسع مخلوق فسبحان الرؤف الرحيم (قوله فانزل الله تخفيفا الخ) أي وعليه فحق التقوى في الآية الاولى بحسب الاستطاعة ومقدور العبد اذ هو جل شأنه لا يكلف الله نفسا الا وسعها أي طاقتها (قوله لا معين الا الله تعالى الخ) اي لانه الفاعل المختار لا فعل لغيره خلافا لجهلة المعتزلة وقوله ولا دليل الا رسول الله أي لانه ختام المرشدين من رسل رب العالمين مع جمع شريعته لما تفرق في غيرها من الشرائع باشارة قوله جل جلاله ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله ولا زاد الا التقوى أي لانها خير الزاد النافع في المعاد بذوق آية وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقوله ولا عمل الا الصبر بمعنى حبس النفس على فعل المأمورات واجتناب المنهيات والرضا بالامتحانات الالهية (قوله ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أقول كيف لا يكون كذلك وهو صلى الله عليه وسلم قد جمع في اخلاقه الشريفة ما تفرق من كمالاتها في غيره من النبيين والمرسلين زيادة عما خصه الله به مما لم يشاركه فيه غيره منهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وقولي قد جمع الخ مأخوذ من قوله عز اسمه فبهداهم اقتده ومن المعلوم ان الذي أمر بالاقتداء بهم فيه انما هو أصول الدين وكمالات الاخلاق ولا شك انه اقتدى بهم بالفعل لوجوب عصمته فهو حينئذ قد جمع ما تفرق فيهم من كمالات الاخلاق صلى الله عليه وسلم (قوله قسمت الدنيا على البلوى) أي لاجل البلوى أي الابتلاء فعلى بمعنى لام التعليل ولذلك كان الموفق فيها يشتاق بلاؤه لما يظهر من جزائه وقوله وقسمت الجنة على التقوى اي لاجلها كذلك حيث هي دار جزاء

ونظيرانما هي اعمالكم ترد عليكم (وسمعته) أيضا (يقول سمعت ابابكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول من لم يحكم بينه وبين الله عزوجل التقوى والمراقبة) بأن يأتي بالمأمورات وينكف عن المنهيات على وجهها (لم يصل الى الكشف والمشاهدة) والمراد بها غلبة حال الحق على القلب حتى لا يلتفت الى غيره وتقدم تحقيقهما (وقال النصراباذي التقوى ان يتقي العبد ما سوى الله) تعالى عما يشغله عنه (وقال سهل من اراد ان يفتح له باب التقوى فليترك الذنوب كلها) بأن يجتهد في ان لا يقع في شيء منها (وقال النصراباذي من لزم التقوى اشتاق الى مفارقة الدنيا لان الله تعالى يقول وللدار الآخرة خير للذين يتقون وقال بعضهم من تحقق) ودخل (في التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا) وذلك لان النفس مائلة الى كل لذيذ فاذا تقابل عندها لذيذان مالت الى اتمهما والعامل على الطاعات رجاء الخلود في الجنان ورضا الملك الديان فاذا عمر العبد بها أوقاته حتى رزقه الله فيها اللذة وتنعم بالمناجاة زهده في الدنيا واشتاق الى شغله بالآخرة (وقال ابو عبد الله الروذباري التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى) من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات خوفا من العقاب او فوات درجات الاحباب (وقال ذوالنون المصري التقي من لا يدنس ظاهره بالمعارضات) أي بالاعتراضات من جهة الشرع بشيء من المخالفات (ولا باطنه بالعلالات) جمع علالة أيضا وهي ما تعلل به والمراد انه يعرض بباطنه عن الشهوات ويحسن نيته في الصبر لنيل المقامات العاليات (ويكون واقفا مع الله موقف الاتفاق) منه مع الله بان يكون راضيا بما يجري به الله ويرضاه القاهرة فيتفق رضاه بما رضيه مولاه فيصدق به قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول للتقوى ظاهر) يعمل بظاهر البدن (وباطن) يعمل بباطنه وهو القلب

واحسان فهي من ثمرة كسب العبادة والمجاهدة في الدنيا (قوله ترد عليكم) أي يرد عليكم جزاؤها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله من لم يحكم) أي يتقن بينه وبين الله التقوى والمراقبة على معنى من لم يكن أساس أعماله عليهما لم يصل أي لم يتوصل الى طريق الكشف والمشاهدة المراد منهما علم اليقين وحقه (قوله ان يتقي العبد ما سوى الله الخ) فيه دليل على علو همته حيث انبأ عن اشرف المنازل (قوله ان يفتح له باب الخ) أي ولا سبيل الى ذلك الا بالبعد عما يشغل عن حق الحق تعالى (قوله فليترك الذنوب كلها) أي بعد ان يغتسل من جنابة الغفلة بماء الغيبة عما سواه تعالى لان مقام التقوى دائرة ولاية الله تعالى ولا يدخلها الا المطهرون فالتطهير من هذه الجنابة المعنوية انما يكون بطهرة معنوية وهو الذكر والفكر (قوله لان الله تعالى يقول وللدار الآخرة خير للذين يتقون) أي وحيث كانت الآخرة هي الخير لهم لزم انهم يشتاقون مفارقة الدنيا ليصلوا الى ما هو الخير لهم (قوله من تحقق ودخل الخ) مراده بالدخول في التقوى ذوق لذتها بقوة يقين ثمرتها حبا وعد الحق فاذا تم له ذلك هان عليه الاعراض عن الدنيا بشاهد يقين فنائها وخستها في جنب اقل الاقل من نعم الآخرة والله أعلم (قوله مالت الى اتمهما) اي بشهود العلم الذوقي والنقلي فتطبع النفس بذلك حتى تميل الى اللذات المعنوية وترجع عن الشهوات الحسية باعتبار ما يترتب على كل (قوله واشتاق الى شغله بالآخرة) أي رغب في الاشتغال بالاعمال الموصلة الى نعيم الآخرة (قوله خوفا من العقاب الخ) أي وذلك من درجات المتوسطين من الابرار (قوله وقال ذوالنون الخ) فيه دلالة على علو همته حيث جعل غيره تلويحا على هذا المقام (قوله ويكون واقفا الخ) اقول وما ألطف ما قيل مما يشير الى هذا المعنى شعرا

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... طربا بذكرك فليلمني اللوم

فانه يدل على فناء مرادات هذا القائل في مرادات الحق سبحانه وتعالى والله اعلم (قوله بأن يكون راضيا) أي يشاهد العلم النقلي عما يصح الرضا به من تصاريف الحق تعالى (قوله فيصدق به قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه) أي حيث يندرج فيمن ذكر ومعنى رضا الله عنهم احسانه اليهم ورحمته بهم ومعنى رضاهم عنه دوام شكرهم وذكرهم وفكرهم وصبرهم ومحبتهم له تعالى (قوله للتقوى ظاهر الخ) حاصله ان التقوى مظهرها الجوارح

الظاهرة والباطنة فاذا تدنس الظاهر منها بعدم الوقوف مع حدود الله دل ذلك على دنس
الجوارح الباطنة واذا تدنست الجوارح الباطنة بملابسة العيوب الخفية كالرياء
والكبر والعجب والحسد والحقد وغيرها تدنس الظاهر منها فعلى العاقل ان يطهر مقاصده
ويقوم جوارحه بشاهد علم النقل ومتابعة سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم (قوله
والقلب اول عامل الخ) أى لانه محل القصد والعزم والنية والاخلاص الذى لابد منه
لصحة العبادة وتحققها فهو أول عامل بواسطة ما يرد عليه من البواعث والدواعي فاذا
تحقق باشراق نور الاخلاص تبين له باعث الحق فظهر سر التقوى على جوارحه وصفات
وجهه والله أعلم هذا ولايخفى ان البواعث القلبية تختلف قوة وضعفا فهى مقولة
بالتشكيك وعلى حسب ذلك تكون اعمال الجوارح الظاهرة فروعها وسر قبولها خلاص
المقاصد من الشواغل (قوله فاذا ثبت العبد وميز الخ) اقول وحيث تحقق بهذا الوصف
كان المعنى بخبر استفت قلبك وان أفتاك المفتون (قوله ولاعيش) اى لامعيشة هنيئة
الامع رجال قلوبهم جبلت على الميل للتقوى وراحتها فى دوام ذكر الله تعالى وذلك لان
صحبة مثل هؤلاء تكون سببا فى زيادة الهمة ويؤخذ منه بطريق المفهوم خلاف
ذلك فى مباشرة قرناء السوء والله أعلم (قوله قلوبهم تحن الخ) أى بواسطة ما أودع فيها
من الانوار والحكم باعتبار ما استقر فيها من اللطيفة الربانية والاسرار الالهية (قوله وفى
نسخة بالذكر) أقول وهى أبلغ فتأمل (قوله ووجد القلب الخ) اى بالنسبة لضعيف الهمة
اما قويها فلا حاجة له الى ذلك والله اعلم (قوله تظافرت الهمم) أى قوى بعضها بعضا
على نيل المطلوب (قوله فهؤلاء القوم الخ) اقول كيف وقد قيل هم القوم لايشقى جليسهم
فكيف يكون الحال فيمن عمل بعملهم (قوله يستدل على تقوى الرجل) اى يتحقق له
الاتصاف بها حقيقة باجتماع هذه الامور الثلاثة وانما الاقتصار عليها لكونها امهات
الفضائل والشرف (قوله بثلاث الخ) اى وهى لاتتم الااذا تجرد العبد عن جميع
الحظوظ النفسانية (قوله بحسن التوكل منه الخ) اى بتفويض كل أموره اليه تعالى على
وجه حسن فيمالم ينله من مطالبه عملا بخبر لو اطلع احدكم على الغيب لاختار الواقع وقوله
وحسن الرضا منه اى بواسطة قناعة القلب وعدم تشوفه الى الزيادة عما ناله وقوله وحسن
الصبر منه اى حبس النفس على الرضا بما فاته ولم ينله مما يحبه بشاهد النفس والله اعلم (قوله
عما يحبه) اى باعتبار ما جبل عليه من حظوظه لا باعتبار اعمال البر المقربة اليه تعالى فانه
لاينبغى الرضا والصبر على فواتها بل عليه ان يتدارك فعلها والله اعلم (قوله عمل بطاعة
الله على نور من الله) معناه القيام بالوظائف الواجبة فى اوقات طلبها حالة كون ذلك مصحوبا
بالمتابعة لسيد الكاملين لانه لانور الانوره ولاهدى الاهديه وقوله مخافة عقاب الله اى
بسبب فواتها فى اوقاتها ولايخفى عليك ان ذلك اول قدم للمؤمن بعد ايمانه وحقيقة ايقانه
(قوله عمل بطاعة الله الخ) اى ولهذا ورد بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء

(فظاهره) اى مااذكر من التقوى
(محافظة الحدود) أى حدود الله
فلا يتجاوزها (وباطنه النية
والاخلاص) اللذان محلهما
القلب والقلب أول عامل من
العبد لانه محل ورود الخواطر من
الحق ومن عدوه فاذا ثبت العبد
وميز بين الدواعى الى الاعمال
وعرف داعى الحق من داعى
عدوه قصد ايقاع عمله على وجه
الاخلاص (وقال ذو النون
المصرى رحمه الله منشدا

ولاعيش الامع رجال قلوبهم
تحن الى التقوى وترتاح للذكر)

وفى نسخة بالذكر لان العيش
الطيب انما يكون مع حياة القلب
وحياته بزوال الغفلة عنه ودوام
اليقظة لما خلق له واذا صلح
القلب صلح الجسد كله واذا فسد
فسد الجسد كله وان ضعف لما
وجد القلب من يقصد مقصده
تظافرت الهمم على نيل المطلوب
فهؤلاء القوم اذا وجدوا راحوا
الضعيف بقوتهم وعاشت همته
برؤيتهم ورؤية مجاهدتهم (وقيل
يستدل على تقوى الرجل بثلاث
بحسن) وفى نسخة حسن (التوكل)
منه على الله تعالى (فيمالم ينل)
من الرزق (وحسن الرضا) منه
(فيما قد نال) من ذلك (وحسن
الصبر) منه (على ما قد فات) مما يحبه
(وقال طلق بن حبيب التقوى)
اى الواجبة بقرينة آخر كلامه
(عمل بطاعة الله على نور من الله

مخافة عقاب الله سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد الفراء يحكي عن أبي حفص أنه قال التقوى) أي كمالها
(في الحلال المحض) اى المباح الخالص (الاخير) كالخوف من العقاب والرجاء الثواب وكمال تقوى
العبد ان يتقي ما لا يضره قد نداه
ولا أخراه وانما يخشى من شغله به
ان يشغل قلبه عن محبة لكمل
أدبه معه فيغيبه عمن سواه
(وسمعته) أيضا (يقول سمعت
أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا
الحسين الزنجاني يقول من كان
رأس ماله التقوى كلت الالسن
عن وصف ربحه) أخذا من قوله
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله
واتقوا الله ويعلمكم الله وقوله
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم
ذنوبكم (وقال الواسطي رحمه الله)
التقوى ان يتقي) العبد (من تقواه
بعني من رؤية تقواه) بان يعرض
عنها ولا يركن اليها اشتغالا بمولاه
وافتقارا من سكونه الى غيره من مولاه
(والمتقي) هو (مثل ابن سيرين) حيث
(اشترى أربعين حبا) بضم المهملة
أي خابية (سمنا فاخرج غلامه فارة
ميتة من حب) فيها (فسأله من أي
حب أخرجتها فقال لا أدرى
فصبها كلها على الارض) ورعا
لالتباس حب الفارة المتنجس بها
عليه بغيره فكمال الورع ان يترك
العبد ما لا بأس به حذرا مما به
بأس (ومثل أبي يزيد) البسطامي
حيث (اشترى بهمذان حب
القرطم ففضل منه شيء فلما رجع الى بسطام رأى فيه غلتين فرجع الى همذان فوضع الغلتين) ورعا حيث لا فعال
ردهما الى موطنهما وأنسهما بأهلهما وقد قال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم

فقيل يا رسول الله ومن هم الغرباء قال الذين يصلحون اذا فسد الناس فيا عباد الله عليكم بالتقوى فانها عروة ما لها انفصام وذروة ما لها انهدام فبالتقوى تغفر الذنوب وتصلح الامور وتقل الهموم ويكثر السرور ويحصل النصر والظفر وبها يحصل الامان في الدارين وتتسع الارزاق وتتنور القلوب والقبور الا وانها كم عن معاصي الله فانها من سخط الله وتسلب النعمة وتجلب النقمة وتخرب العمر وتهتك الستر وتورث القلة وتكسب الذلة وتقل الاصدقاء وتكثر الاعداء (قوله على نور من الله) اى مقتبس من شاهد العلم صادر بواسطة التوفيق (قوله مخافة عقاب الله) اقول واشرف من ذلك واعلى مقاما ايقاع الطاعة لله محبة واجلالا (قوله في الحلال المحض) اى وذلك انما يكون بالورع عن الشبهات وعن مظانها ويسهل هذا التمسك بالتقلل والاقتصار على ما يسد الرمق فاذا تم له ذلك قوي على قصر فعله على المطلوب منه واجبا كان او مندوبا رغبة في الثواب وبعدا عن سبيل العقاب هذا ويقول الشارح اى كمالها تعين ان المراد بقوله في الحلال المحض اى في تجنب الحلال المحض وذلك يحصل بنقل مباحاته الى درجة المطلوب ندبا بحسب حسن المقاصد كان يأكل بقصد القوة على الطاعة ويشرب كذلك وينكح بقصد دفع الشهوة عن النظر لما لا يحل او التوالد لتكثير سواد المسلمين وامثال ذلك والله اعلم (قوله وكمال تقوى العبد ان يتقي ما لا يضره الخ) اى يحقق كمال تقواه بتجنب ما لم ينه عنه نهي تحريم او تنزيه خشية من شغل قلبه عن محبه (قوله كلت الالسن الخ) أي لان الجزاء على ذلك من محض فضله واحسانه تعالى وهو لا يقدر كما اشار له الشارح بما اورده من الآيات الشريفة (قوله أخذا من قوله تعالى الخ) اقول عدد الادلة القرآنية الدالة بذلك على تعدد ثمرات التقوى وقد ذكرنا ثمراتها قبل في اول الكلام على التقوى فلا تغفل (قوله ان يتقي العبد من تقواه) اى لان الكمال انما هو في ايقاع الطاعة لمحض ذاته تعالى محبة واجلالا (قوله فصبها كلها على الارض) اقول لعل السمن كان مائعا وما امكنه الاجتهاد فيما تنجس منها والا فكان يكفي القاء ما باشر النجاسة اذا تعين الاناء الذي وقعت فيه الفارة على انه يمكن الانتفاع به في مثل الاستصباح فانظر وجه الاراقة (قوله فكمال الورع الخ) اى ويدل له حديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك *(فائدة)* ومن التقوى مجانبة الفساق واهل المعاصي والاهواء فان مجاورتهم من غير ضرورة فسق كامن ومعصية منتشرة في القلب لان الله تعالى ذم قوما من عباده حيث قال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم فلم يعذرهم من أقام فيها واذا كان هذا في مساكنهم فكيف يكون الحال في الاجتماع بهم وفي مخالطتهم وفي صحبتهم (قوله فرجع الى همذان الخ) فيه تنبيه على قوة ورعه ورحمته ومراقبته

(ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله انه كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول قد جاء في الخبر كل قرض جر نفعا فهو ربا وقيل ان أبا يزيد غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له فقال له صاحبه نعلق الثوب في جدران الكرم فقال لا نغرز الوتد في جدران الناس) بغير اذنهم (فقال نعلقه في الشجر فقال لا انه يكسر الاغصان) اثقلها بالميل (فقال نبسطه على الاذخر فقال لا انه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره الى الشمس والقميص) اى الثوب (على ظهره حتى جف جانب) منه (ثم قلبه على الوجه الآخر حتى جف الجانب الآخر) فيه تنبيه على التورع والاحتراز عن مثل ذلك (وقيل ان أبا يزيد) أيضا (دخل يوما الجامع فغرز عصاه في الارض) وكانت رملا أو ترابا يمكن غرزا لعصا فيها وكانت الشيوخ ١٥٣ يغرزون فيها عصيهم ليسهل عليهم أخذها وقت القيام والانحناء عليها (فسقطت عصاه (ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الارض) فالقتها (فانحنى الشيخ) بعد قيامه (وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد الى بيت الشيخ واستحله وقال كان السبب في انحنائك تفريطي في غرز) وفي نسخة كان بسبب (عصاي حيث احتجت) به (الى ان تنحني) وانما استحله في الحال اما لخوفه من شهرة نفسه بكمال هذا الورع أو لحمل نفسه مشقة المشي الى منزل الشيخ بعض التعب للادب أو لكمال الاجر (وروى عتبة الغلام بكان) وبدنه (يتصبب عرقا في الشتاء) بحيث غشي عليه (فقيل له في ذلك فقال انه مكان عصيت فيه ربي فسئل عنه) أي عن عصيانه فيه (فقال كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل بها ضيفا لي يده ولم أستحل من صاحبه) فخشي على نفسه من ذلك مع ان مثله يتسامح فيه (وقال ابراهيم بن أدهم بت ٢٠ حج في ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه من هوهنا فقال الآخر ابراهيم بن أدهم فقال ذلك الذي حط الله سبحانه درجة من درجاته فقال) له (لم قال) له (لانه اشترى بالبصرة تمرا) من رجل بقال (فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال فلم يردها على صاحبها قال ابراهيم) بن أدهم (فمضيت الى البصرة واشتريت التمر) اى تمرا (من ذلك البقال) وفي نسخة الرجل (وأوقعت تمرة) منه (على تمره) الذي باعني منه (ورجعت الى بيت المقدس وبت في الصخرة فلما كان بعض الليل اذا أنا بملكين) وفي نسخة بملكين (نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من هوهنا فقال الآخر ابراهيم ابن أدهم فقال ذلك الذي رد مكانه ورفعت درجته) نبه الله بذلك على ابراهيم ما ذكره ولا يشعر فهو زيادة كرامة وكل ما ذكر غاية في الورع والتقوى (وقيل التقوى على وجوه) متفاوتة لان أهلها مسلمون وصالحون واولياء وانبياء ولكل منهم تقوى

لافعال نفسه والفضل كله لله وحده لا شريك له (قوله وقيل ان ابا يزيد الخ) ما تقدم عن الامام رضي الله عنه ابلغ مما فعله ابو يزيد (قوله فولى ظهره الخ) فيه تنبيه على دوام جده واجتهاده في تزوده ليوم معاده كما هو اللازم لكل عاقل ولذا قيل شعرا

يا نفس جدي في الخلاص وبادري ۞ وتزودي يا نفس زاد مسافر

ثم ازهدي في كل فان زهد من ۞ ترك البقاء بباطن وبظاهر

يا نفس قد سبق المجدون الالى ۞ وبقيت انت قطيعة في الآخر

الله يوفقنا واياكم لاعمال المتقين ويرزقنا واياكم السلامة يوم الدين ويغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين ونسألك اللهم رضاك برحمتك يا أرحم الراحمين (قوله فمضى ابو يزيد الخ) فيه تنبيه على قوة مراعاته الحقوق والتخلص من ورطتها وان دقت وقلت وهكذا شأن الكمل (قوله وقال ابراهيم بن ادهم الخ) لا ينافي هذا ما نقل عن بعضهم من قوله ان من الورع ما يمقت الله عليه في شأن ما يتسامح فيه من سفاسف الامور لانه بالنسبة للعامي دون اهل القرب والكمال وفيه تنبيه على ان ابن ادهم كان من ارباب العناية الالهية حيث ذكره الحق على السنة الملائكة الكرام (قوله وأوقعت تمرة منه الخ) انظره مع ان استحلال صاحب التمر أقرب في التخلص من حقه وذلك لاحتمال عدم تساوي التمرتين فلعل نفعنا الله ببركاته قد اطلعه الله تعالى على تساويهما والا كتفى بما فعله والله اعلم بحقيقة الحال (قوله وقيل التقوى على وجوه الخ) اقول اعلاها بذل الوسع واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار والسكون الى مجاري الاقدار حتى يكون كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء شعر

الى القلب الامر وفاصبحت ۞ مشيئته ان زارها أو تجنبا

وقال آخر اذا هبت الارواح من نحو جانب ۞ به اهل مي هاج قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما ۞ هوى كل نفس حيث كان حبيبها

اذ (للعامة تقوى الشرك) لانهم تابوا عنه (وللخواص) بالنسبة للعامة وهم الصالحون (تقوى المعاصي) غير الشرك لانهم تابوا عنها (وللاولياء تقوى التوسل) بالافعال التي هي الوسائل الى أعلى الدرجات (وللانبياء) عليهم الصلاة والسلام (تقوى نسبة الافعال) لانفسهم (اذ تقواهم) ناشئة (منه) تعالى راجعة (اليه) أي الى تفضله بان يروا انه المتفضل عليهم بالوسائل والمعين لهم على القيام بها (وعن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال سادة الناس في الدنيا الاسخياء بأموالهم) وبجاههم وانفسهم لانهم الذين ١٥٤ يقصدون في الحوائج والمهمات والنوازل (وسادة الناس في الآخرة الاتقياء) لانهم الذين يشفعون في الخلق وتفزع الناس اليهم في الشدائد (أخبرنا علي بن أحمد الاهوازي قال أخبرنا أبو الحسين البصري قال حدثنا بشر بن موسى) قال (حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن زحر) بالزاي والحاء المهملة (عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نظر الى محاسن امرأة فغض بصره في أول مرة أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه) لمبادرته الى الكف عن وقوعه في محرم (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول كان الجنيد جالسا مع رويم والجريري وابن عطاء فقال الجنيد ما نجا من نجا الا بصدق اللجاء) بفتح اللام والمد أي الالتجاء الى الله (قال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الآية وقال رويم رحمه الله ما نجا من نجا الا بصدق التقوى) وفي نسخة التقى (قال الله تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال الجريري ما نجا من نجا الا بمراعاة الوفاء) بالعهود (قال الله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال ابن عطاء ما نجا من نجا الا بتحقيق الحياء من الله قال الله تعالى ألم يعلم بان الله يرى) أي ما صدر منه أي يعلمه فيجازيه عليه وهذه الاقوال الاربعة ناظرة الى أسباب النجاة المكتسبة من العبد والثاني منها وهو قول رويم مستلزم للبقية لان معظم مقتضاها انما هو بصدق التقوى المصرح به فيه وهو المناسب للباب وعن

فاذا قيل مثل هذا في صحبة الامثال فما ظنك فيمن هام في جمال رب الكمال فافهم (قوله للعامة تقوى الشرك الخ) أي وهي ادون بالنسبة لما بعدها وان كانت عالية في ذاتها وقوله وللخواص تقوى المعاصي اي والمعاصي تختلف على حسب الهمم كما لا يخفى على عارف وقوله وللاولياء تقوى التوسل اي توسلهم باعمالهم لرجاء المثوبة بل شأنهم ونعتهم قصد ذات الحق تعالى محبة له واجلالا مع فنائهم عن شهود اعمالهم وقوله وللانبياء تقوى نسبة الافعال اي بالتبري من الحول والقوة اي لانه لو انخرق للشخص حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولأشرق نور الايمان الاوضح وسود الاكوان فافهم (قوله سادة الناس في الدنيا الخ) اقول وذلك من اكمل صفة السخاء ولذا عز وجوده ولو قيل بفقده في زماننا لم يكن بعيدا (قوله وسادة الناس) أي أشرافهم في الآخرة الاتقياء اي وقد تكون سادة الدنيا هم سادة الآخرة فكما تفزع الخلق اليهم عند الشدائد في الدنيا تفزع اليهم عند الكروب في الآخرة (قوله فغض بصره الخ) منه يعلم ان النظر الاتفاقي بدون قصد لا مؤاخذة به وهو كذلك كما هو مقرر في الفروع الفقهية (قوله فقال الجنيد الخ) بالتأمل في كلامهم تعلم انه بالنظر لكسب العبد فذكر كل منهم بهذا الاعتبار على حسب ما ذاقه من شاهد علم الشريعة المطهرة (قوله الا بصدق اللجاء الخ) أي وذلك بشهود انه لا ضار ولا نافع الا الحق تعالى ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فلا يقع الا ما يريده مما تعلق به علمه الازلي واقتضته حكمته الباهرة فحينئذ يرجعوا اليه ويولوا في أمورهم عليه (قوله الا بصدق التقوى) قد تقدم انها متفاوتة على حسب الهمم فلا تغفل (قوله الا بمراعاة الوفاء الخ) أقول ان لم يكن عين ما قبله فهو قريب منه واعلم انه قد تكلم كل منهم على حسب شربه وما اذاقه الحق من شاهد علمه والله اعلم (قوله الا بتحقيق الحياء) أقول يرجع الى ما قبله وانما الاختلاف باعتبار الباعث فتأمل (قوله وهذه الاقوال الخ) أقول ما نقله عن القشيري اخيرا هو المعول عليه والكمال في التسليم لفعل الحكيم العليم ولذا نقل عن بعض المشايخ انه قال أوقفني الحق بين يديه فقال لي اتريد الكشف قلت لا قال اتريد الفرق قلت لا قال فماذا تريد قلت اريد أن لا اريد فان ارادتي لا تساوي شيئا

وعن ابي يزيد رضي الله عنه انه قال ركبت مركب الصدق حتى بلغت الهوى ثم ركبت مركب الشوق حتى بلغت السماء ثم ركبت مركب المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى فنوديت يا ابا يزيد ماذا تريد فقلت اريد أن لا اريد لاني انا المراد وانت المريد اه

(باب الورع)

اقول هو ينقسم بالنظر الى احكامه الى واجب ومندوب وا كمل منه وبالنظر الى متعلقه الى ما نهي عنه نهي تحريم وتنزيه والى مشتبه متردد بين الحل والحرمة والى ما كان السبب في تحصيله فعل لا محرما وان كان ملكه محققا والورع باعتبار ذاته ونفسه اصله الخوف والحذر وهو يكون لخوف العقاب او اللوم والعتاب او فوات الثواب او النزول عن المراتب او فراق الاحباب وفي الصحاح الورع بالتحريك الجبان قال ابن السكيت واصحابنا يذهبون بالورع الى الجبان وليس كذلك وانما الورع الصغير الضعيف الذي لا غناء عنده والورع مصدر ورع الرجل يرع ورعا والورع بكسر الراء الرجل المتكف وعليه فالورع الكف وهذا المعنى موجود في المعنيين قبله وحقيقة الورع الشرعية الكف عما يحذر شرعا امتثالا لامر الله تعالى وحكمه يختلف بحسب ما أضيف اليه فتعتريه الاحكام والدليل عليه من الكتاب قوله تعالى منه آيات محكمات الآيات ثم اعلم أنه قد اختلف في المحكم وغيره فقيل المحكم ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا في اللغة والمتشابه ما احتمل فيها أوجها وقيل المحكم ما كانت حجته واضحة لا حاجة الى طلب معانيها والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر وعلى كل فالمتشابه مظان الاختلاف وتعدد الاحتمالات وقد روى الترمذي برفعه الى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام فمن تركها استبراء لعرضه ودينه فقد سلم ومن واقع شيئا منها يوشك أن يواقع الحرام كما أنه من رعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه (قوله هو ترك الشبهات الخ) أقول وأ كمل من ذلك أن يقال هو ترك ما سوى الله تعالى واعلم وفقني الله واياك أن كلا من الورع والزهد باعتبار الحال الاكمل من أخلاق العوام في ابتداء سيرهم الى الله تعالى لانه حبس النفس عن الملذوذات وامساكها عن فضول الشهوات ومخالفة دواعي الهوى وترك ما يفنى من كل شيء وكل هذا نقص في طريق الخواص لانه تعلق بالدنيا وبالاشيا وتضييع للوقت في منازعة النفس وكل ذلك عن الرجوع اليها بل طريقهم صرف الرغبة اليه تعالى وتعلق الهمة به والاشتغال به عن كل شيء ليتولى هو حسم هذه الاسباب عنهم كما قيل ان بعض المريدين سأل بعض الشيوخ فقال له بأي شيء تدفع ابليس اذا قصدك فقال لا اعرف ابليس فأحتاج الى دفعه نحن قوم صرفنا همتنا اليه فكفانا ما دونه والله اعلم (قوله وهو الورع المندوب الخ) اى والندب منه ترك ما زاد عن الحاجة مما تحقق حله وا كمل منهما

(وقال الاستاذ الامام) أبو القاسم القشيري رحمه الله (ما نجا من نجا الا بالحكم والقضاء قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقال ايضا ما نجا من نجا الا بما سبق له من الاجتباء قال الله تعالى واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) هذا القول معرض عن الاسباب فان قائله انما تكلم على ما سبق لمن نجا عند الله

(باب الورع)

هو ترك الشبهات كما سيأتي وهو الورع المندوب الشائع وقد يطلق على ترك المحرمات وهو الورع الواجب وكل منهما مطلوب (اخبرنا ابو الحسين عبد الرحمن ابن ابراهيم بن محمد بن يحيى المزكي) رحمه الله تعالى (قال حدثنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال اخبرني محمد بن الحسين بن قتيبة قال حدثنا احمد بن ابي طاهر الخراساني قال حدثنا يحيى بن المغيرة قال حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن الاجلح عن عبد الله ابن بريدة عن ابي الاسود الدؤلي

عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) رواه البخاري وغيره
ورووا خبرا انه صلى الله عليه وسلم وجد تمرة في منزله أو على الطريق فقال لولا أن أخشى أن تكون من تمر الصدقة لاكلتها
(أما الورع فانه ترك الشبهات) خوفا من الله تعالى (كذلك قال ابراهيم بن ادهم الورع ترك كل شبهة قال الامام

القشيري (وترك ما لا يعنيك) المذكور في الحديث السابق (هو ترك الفضلات) اي الحلال وما لا تدعو اليه حاجة دينية ويقال له الزهد (وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع) اي نترك (سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام) لا سيما في الطعام لخبر كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به والمراد بالسبعين المبالغة في كثرة ترك الحلال ويحتمل ارادة العدد المخصوص كما قيل في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة (وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة) رضي الله عنه (كن ورعا تكن أعبد الناس) لما فيه من مخالفة الهوى والاعراض عن الشبهات وقد روى البخاري وغيره الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه فترك الشبهات على هذا أفضل من فعل المندوبات لان السلامة مقدمة على الغنيمة (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول
سمعت ابا العباس البغدادي يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري) السقطي بالجمع
(يقول كان اهل الورع في أوقاتهم أربعة حذيفة المرعشي ويوسف بن اسباط وابراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا
في الورع فلما ضاقت عليهم الامور) بان بالغوا في التفتيش عن الحلال فلم يقدروا على مراده (فزعوا الى التقلل) كاستعمال اليسير منه
كسبهم صافيا بحسب امكانهم زيادة في ورعهم اذ لا حساب عليهم فيه

ترك ما سوى الحق تعالى اكتفاء به عما سواه (قوله تركه ما لا يعنيه) اي والذي يعنيه هو ما طلب منه وجوبا او ندبا فعلى الكامل قصر حركاته وسكناته على ذلك بشاهد قوله جل شأنه تلك حدود الله فلا تعتدوها الآية ويؤخذ من مفهوم الخبر ان من لم يترك ما لا يعنيه لم يحسن اسلامه بل يكون متساهلا فيها وكفى بذلك ذما في نظر العقل (قوله وجد تمرة الخ) فيه دلالة على ترك ما فيه شبهة وذلك حقيقة الورع المندوب (قوله اما الورع فانه ترك الشبهات) اي أصل حقيقته ذلك اما كماله فترك ما سواه تعالى اكتفاء به (قوله هو ترك الفضلات الخ) قصره عليها بالنظر الى حال الورع الكامل والا فهو يصدق بترك الحرام والمكروه وما فيه شبهة وخلاف الاولى كما قدمته (قوله ويقال له الزهد) اي وعلى ذلك فغاية الورع هي حقيقة الزهد (قوله كنا ندع الخ) اي ويدل له خبر دع ما يريبك الى ما لا يريبك واشارة من حام حول الحمى الخ كما فهم (قوله من سحت) اي حرام (قوله والمراد بالسبعين المبالغة) اي جريا على عادة العرب في ذلك (قوله كما قيل في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة) فيه ان المراد به في الآية المبالغة كما تقدم مثل ما هنا فلعل الشارح قد اطلع على ان المراد به فيها العدد المخصوص (قوله كن ورعا) اي بترك الفضول من المباحات تكن أعبد الناس اي من أكثرهم عبادة كما وكيفا او كيفا فقط وقد بين الشارح وجهه حيث قال لما فيه من مخالفة الهوى الخ اي والخير كله في مخالفة النفس والهوى (قوله الحلال بين الخ) اي بشاهد علم الشريعة حيث وضحت الشريعة الحلال وأظهرت الحرام فلا عذر للعبد بعد ذلك وقوله وبينهما مشتبهات اي حيثما خفيت شبهها منهما مع عدم دليل واضح يشهد برجوعها الى أيهما (قوله فمن اتقى الشبهات) اي فمن تجنبها فقد استبرأ لدينه أي طلب براءة لدينه من ملابستها (قوله ومن حام حول الحمى) اي من قارب الشيء المحمي يوشك اي يقرب أن يقع فيه من غير قصد لسبب خفاء عليه فحينئذ السلامة في البعد عنه (قوله لان السلامة مقدمة الخ) اي لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح * (فائدة) * اعلم أن لكل جارحة ورعا تعتريه الاحكام كما لا يخفى على من له المام والاعتماد على ما في القلوب حيث هي عرش تجلي المحبوب (قوله كان اهل الورع الخ) أقول الحصر فيهم لاشتهارهم به وذلك لا ينافي ثبوت الورع لغيرهم في زمنهم و بعد زمنهم بشاهد خبر أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره والله اعلم (قوله صافيا) حال من التقلل بجعل قيد اللازم اي فطلبهم للتقلل مقيد

فى الخبر الصحيح لا حق لابن آدم الا فى ثلاث بيت يكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء وما عدا ذلك حساب (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا القاسم الدمشقى يقول سمعت الشبلى يقول الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى) لان الورع مجانبة الشئ كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورعوا اللص ولا تراعوه اى جنبوه رحالكم ولا ترصدوه حتى يقع ومنه قول العرب ورّع الابل اى جنبها كل ما يضرها (وسمعته) ايضا (يقول اخبرنا ابو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا احمد ابن ابى الحوارى قال حدثنا اسحق بن خلف قال الورع فى المنطق) الذى أهلك أكثر الناس وحذر منه النبيون والصديقون (أشد وأكمل (منه) اى من الورع (فى الذهب والفضة) لان من قوى على الاقوى كان على الاضعف أقوى (والزهد فى الرياسة) التى قيل فيها آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة التى منها التفات العبد الى أعماله وحسن هيئته وامتيازه بمقامه الشريف عن غيره (أشد) وأكمل (منه) اى من الزهد (فى الذهب والفضة لانك تبذلهما فى طلب الرياسة) وتحصيلها بهما (وقال ابو سليمان الداراني الورع أول الزهد) لانه ترك الشبهات والزهد ترك الحلال الخالص ومن عجز عن الاول فعجزه عن الثانى اولى (كما ان القناعة طرف من الرضا) من حيث ان القانع يقنع بما فتح الله به عليه من القليل والراضى يرضى بجميع ما يجرى به الحق عليه سواء وافق هواه او خالفه اذا كان فيه رضا الله (وقال ابو عثمان ثواب الورع) عند الله وفوائده عظيمة وأقلها (خفة الحساب) فى الآخرة لان صاحبه يحاسب نفسه فى الدنيا كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا (وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم) اى على ما يشهد به العلم الشرعى من انه لا شبهة فيه (من غير تأويل) فمن تأول فقال لم يثبت ان هذا حرام فاقدم فليس متورعا فالفرق بين من يقول لا أقدم على شبهة وانما أقدم على ما ثبت حله ومن يقول اقدم على ما لم يثبت تحريمه (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينورى يقول سمعت عبد الله بن الجلاء يقول اعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة فلم يشرب من ماء زمزم) مع كثرة بذل الناس الحج تحصيل بركته (الا ما استقاه بركوته ورشائه) بكسر الراء حبله اعله

بالبحث عن وجه حله بخلاف القابل من الكسب صافيا بحسب امكانهم (قوله لا حق الخ) اى فلا لوم عليه فى واحد من الثلاثة وما زاد فحسابه (قوله عن كل ما سوى الله) اى وهو ورع الكمل من عباد الله لان ما عداه تعالى حقيق بأن لا يبالى به ولا يلتفت اليه حتى يكون فى تركه فضيلة (قوله ولا تراعوه) اى لان فى مراعاته شغل النفس بغيره تعالى وتضييع الوقت وذلك نقص (قوله أشد وأكمل منه الخ) اى لان غوائل النطق تذهب بالحسنات بل قد تذهب بأصل الدين والعياذ بالله تعالى فاللسان وان صغر جرمه عظيم جرمه (قوله لان من قوى الخ) اى فمن أقدره الله على حفظ لسانه كان على غيره أحفظ بتوفيق الله (قوله والزهد فى الرياسة) اى حب التقدم على الغير بشهود فضيلة لنفسه على ذلك الغير وذلك من أقوى أسباب الكبر وهو من أعظم الحجب المانعة عن كل خير (قوله التى منها التفات العبد الخ) اى وذلك فى طريق الكمال من الشرك الخفى (قوله لانك تبذلهما الخ) اى وحينئذ فقد آثرتها عليهما (قوله الورع أول الزهد) اى فالورع دون الزهد فى الدرجة باعتبار أصل حقيقته والا فكمال الورع يتحقق به مقام الزهد كما ذكرناه قبل (قوله طرف من الرضا) اى لان الرضا ما حصل بالقسمة الازلية من غير اشراف على زائد وهو من افراد مطلق الرضا بتدابير الحق فى الخلق ولك أن تقول كون القناعة طرفا من الرضا هو باعتبار أصل معناها والا فغاية القناعة يتحقق معها مقام الرضا كما تقدم فى الورع مع الزهد فلا تلتبس التفاصيل (قوله خفة الحساب) معناه يعلم انه لا بد من الحساب وهو كذلك فيمن لم يقتصر على حقه الضرورى وهو الامور الثلاثة المحكية فى الخبر التى هى من ضروريات المعاش اما هى فلا حساب على العبد فيها (قوله لان صاحبه يحاسب نفسه الخ) اى ومحض حساب النفس وتوقفه مما يشاهد المتابعة لسيد الكاملين صلى الله عليه وسلم (قوله الوقوف على هذا العلم) اى وهو مقام متوسط لبعض العباد (قوله فالفرق الخ) اى لسلامة الاول وكون الثانى على خطر الهلاك (قوله اعرف من أقام بمكة الخ) فيه تنبيه على قوة يقينه وزيادة ورعه

بالوجه الذى اتخذه منهما بخلاف ركوة غيره ورشائه الذين يوثق بهما غالبا من أموال السلاطين (ولم يتناول) شيأ (من طعام
جاء به من مصر) بل كان يصبر عنه الى ان يجد ما يحصله بكسبه لان ما يكسبه أبعد عن الوقوع فى الشبهات (وسمعته) ايضا
(يقول سمعت ابابكر الرازى يقول سمعت على بن موسى التاهرتى يقول وقع من عبد الله بن مروان فلس فى بئر قذرة) اى
مكروهة (فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه) منها (فقيل له فى ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى) فيه تنبيه على كمال
تعظيمه لربه حتى عظم ما عليه اسمه ومن ذلك ما حكى ان بشر بن الحرث انما رفعه الله على أقرانه لكونه وجد رقعة فيها اسم الله
فاشترى طيبا وطيبها ورفعها فى موضع فرأى فى منامه انه قيل له لاطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة (وسمعته) ايضا (يقول سمعت
ابا الحسن الفارسى يقول سمعت ابن علوية ١٥٨ يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول الورع على وجهين ورع فى الظاهر وهو
أن لا يتحرك الا لله تعالى وورع
فى الباطن وهو أن لا يدخل قلبك
سوى الله تعالى) فالجمع بينهما بأن
يتورع عن غير الله عقدا وفعلا
من اعلى مقامات الورع (وقال
يحيى بن معاذ من لم ينظر فى الدقيق
من الورع لم يصل الى الجليل من
العطاء) لان العبد انما يشرف
عند مولاه بعلو همته فى طلب ما
يرضاه فمن دق نظره فيما يخشاه
نال من فضل الله أشرف عطاياه
ومن لا فلا (وقيل من دق فى الدين
نظره جل) اى عظم (فى القيامة
خطره) اى قدره ومنزلته (وقال
ابن الجلاء من لم يصحبه التقى
فى فقره) وسلوكه (أكل الحرام
النص) لان التقوى هى الحافظ
عما حذر الله منه فاذا لم يكن عند
العبد حذر من ذلك وأقدم على
كل ما تهواه نفسه أكل الحرام
الصرف (وقال يونس بن عبيد الورع الخروج عن كل شبهة ومحاسبة النفس فى كل طرفه) وسلطنة الورع (قوله
يكون فى خواطر القلوب وفى سائر أفعال الجوارح عبادات كانت او عادات (وقال سفيان الثورى ما رأيت أسهل من
الورع) على من كمل زهده فى الحلال لانه اذا كمل اعراضه عن الحلال فهو على المشكل أشد اعراضا وأخف حملا (ما حاك)
اى تحرك (فى نفسك تركته) يعنى والورع ترك ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس (وقال معروف الكرخى احفظ
لسانك من المدح كما تحفظه من الذم) فالورع يجرى فى المدح كما يجرى فى الذم وفى الحديث فى القول لان العبد قد يمدح غيره
فان مدحه بضد ما يعتقده كان كاذبا أو بما يعتقده فقد يدخل الممدوح فى غرور يقطع ظهره لوقوعه فى كبر أو عجب او غيرهما
مما يتعلق برؤية النفس ورفعتها

وعلو همته وفائق صبره على حبس نفسه عن الفضول (قوله جاء به من مصر) اى لعدم
محافظة أغنياء اهل الامصار غالبا (قوله اى مكروهة) اى لكون النفوس تعافها
(قوله ومن ذلك ما حكى الخ) تقدم ذكره فلا تغفل (قوله الورع على وجهين) اى ومع
هذا فلا يلتفت الكامل الجامع لهما الى فضيلة له فيه لان ذلك نقص فى مقامه (قوله
من لم ينظر الخ) اى وذلك لان المواهب على حسب الهمم والنصب يكون على حسب
الجزاء (قوله من دق الخ) اى لان المنازل فيها على حسب سالف الاعمال كما ثبت ذلك
بشاهد علم الشريعة ونصوص الاخبار الصحيحة (قوله من لم يصحبه التقى فى فقره الخ)
أقول انما قصر الكلام على حالة الفقر لان للنفس فى حالاته تأويلات وتلبيسات
وللشيطان ايضا فيها دسائس فمن دام على حبس نفسه فى هذه الحالات يرجى له خير الدنيا
والدين (قوله الخروج الخ) اى فحق الورع أن يكون فى ظاهر الفعل وباطن السر
(قوله ما رأيت أسهل من الورع) اى لما تقدم من أنه دون الزهد فمن كان أزهد كان
أورع ولا ينعكس (قوله ما حاك) هو بالحاء المهملة بمعنى تحرك كما ذكره الشارح وقوله
تركته اى أعرضت عنه كما انك فى كل ما كرهت أن يطلع عليه غيرك منك مما خفى
من أمرك لزمك تركه ليتحقق ورعك (قوله احفظ لسانك من المدح) اى صنه عن الثناء
على غيرك بما لم يشهد به علم المتابعة مثل ما تحفظه وتصونه عن ذمك اياه اذا علمت ذلك تعلم
ان مدح الشخص نفسه أقبح بدليل قوله سبحانه فلا تزكوا أنفسكم الآية هذا وقد
سمعت من بعض مشايخى ان مثل من مدح نفسه مثل من ينظف نفسه بلحس لسانه
(قوله لان العبد قد يمدح الخ) محصله النهى عن مدح الغير سواء كان كاذبا فى المدح
أم صادقا لكونه آثما فى الحالة الاولى موقعا للممدوح فى ضرر عجبه وكبره فى الثانية

وقد جاء في الخبر كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع فليحفظ لسانه عن نقل أخبار الناس خوفا من الوقوع في الكذب (وقال
بشر بن الحرث أشد الأعمال) أي أشقها على النفوس (ثلاثة) أحدها (الجود في القلة) والحاجة لأن الحامل عليه حينئذ
كمال الإيثار والإعراض عن النفس وحظها (و) ثانيها (الورع في الخلوة) عن الناس لأن العبد قد يتورع عن الشيء إذا كان
مع الناس لكونه مرائيا أو يجد معينا فإن العبد قد يعمل برؤية غيره وينشط بنشاطه بخلاف من يتورع وحده بحيث لا يراه أحد
فإن ذلك إنما هو لكمال الإخلاص وخوفه (و) ثالثها (كلمة حق عند من يخاف منه ويرجى) فيها السلامة منه لما فيه من كمال
التقرب بالنفس وتعريضها للإهانة (وقيل جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل) وكانت لا تحب أن تتصرف في شيء من أموال
الولاة (وقالت) له (إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الولاة) (الطاهرية ويقع الشعاع) أي شعاعها (علينا) فيزداد النور به
عندنا زيادة على نور السماء (أفيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال أحمد) لها لمعرفته ١٥٩ رفعة سؤالها وكمال حالها (من أنت
عافاك الله قالت أخت بشر الحافي
فبكى أحمد بن حنبل) رحمه الله على
ذهاب بشر وأمثاله من الدنيا
(وقال) لها (من بيتكم يخرج
الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها)
في ذلك تنبيه على أن المفتي ينبغي
له أن يراعي في الفتيا حال السائل
فإن لم يعرف حاله الكامل أفتاه
بالجائز وإلا فبالأفضل والأكمل
وذلك لأن غزلها في الشعاع
وإن لم يكن تصرفا في مال الغير
كالاستظلال بجداره والنظر في
المرآة المغصوبة فيه مظنة انتفاع
به في الجملة (وقال علي العطار
مررت بالبصرة في بعض الشوارع
فإذا مشايخ قعود وصبيان بجانبهم
(يلعبون) بما يكره ويستحيى
منه (فقلت لهم أما تستحيون من
هؤلاء المشايخ فقال صبي من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم) إذ لو كمل ورعهم لنهونا عن ذلك فلما لم ينهونا قلت
حرمتهم عندنا في ذلك تنبيه على ما تضمنه الخبر الصحيح من تأديب الصبيان وأمرهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين وضربهم عليها
وهم أبناء اثنتي عشرة سنة (وقيل إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح) أي يقع (له أن يأكل شيئا من تمر البصرة
ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه) تورعا إما لشبهة يعرفها فيه أو لمخالفة شهوته أو لغير ذلك (وكان إذا انقضى وقت الرطب قال
يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم) شيء ومن ذلك ما حكي أن بشر بن الحرث قال إني لأشتهي الشواء منذ
أربعين سنة ما صفا لي ثمنه كما مر مع بيانه في ترجمته وهذا من الورع الكامل (وقيل لإبراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم
فقال لو كان لي دلو لشربت منه) فلم يشرب بدلو غيره تورعا وإن كان الماء في نفسه حلالا فافهم (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق
رحمه الله يقول كان الحرث المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس إصبعه عرق

(قوله كفى بالمرء إثما أن يحدث الخ) أي كفاه إثمه في تحدثه بكل مسموعاته ما صح منها
وغيره مما قيل في العقل وما لم يقبل منها (قوله أشد الأعمال الخ) أي وإنما كانت أشد
الأعمال لكونها ليست من حظوظ النفس التي تميل إليها بل من التي تنفر منها (قوله ويرجى
فيها السلامة) قيد في جواز الإقدام عليها وإلا امتنع شرعا (قوله وقالت له الخ) انظر
كمال متابعتها وزيادة مراقبتها لحركاتها حيث شددت على نفسها من غير كسبها وذلك
غاية الورع ولذلك لما علم الإمام علو همتها ونور بصيرتها أجابها بما يوافق سجيتها وطهارة
فطرتها رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم عنا (قوله أفتاه بالجائز) أي اعتبارا بأقل
درجات المؤمن لأنه المحقق (قوله وإلا فبالأفضل) أي فإن عرف حاله وأنه من الكاملين
أفتاه بالأفضل لأنه هو المناسب لحاله ومقامه (قوله فقال صبي الخ) محصله أن تضييع
مظاهر الأمر والنهي يوجب عدم احترام المشايخ لأنهم لو داموا على المتابعة لداموا لهم
التعظيم جزاء وفاقا (قوله وقيل إن مالكا الخ) فيه دليل على قوة صبره وعلو همته ولله
الفضل حيث هو الموفق (قوله ما صفا لي ثمنه) انظر فإذا لم يتيسر لمثل هذا في زمنه هذا
المقدار من تحقق الحل فكيف الحال لمثلنا في هذا الزمن فلا حول ولا قوة إلا بالله (قوله
وقيل لإبراهيم بن أدهم الخ) أي وعنه أيضا أنه قال لا يتم الورع إلا بتسوية الخلق كلهم
في قلبك واشتغالك عن عيوبهم بذنبك وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل
فكر في قلبك وتب إلى ربك يثبت الورع في قلبك واحسم الطمع إلا من ربك أقول
وكل ذلك صحيح إذ الورع نوع من الخوف منه تعالى (قوله فقال لو كان لي دلو الخ) أي

فيعلم انه غير حلال) كما مر ايضا في ترجمته هذا من حفظ الله تعالى لاوليائه وتنبيههم على ما خفى عليهم من الامارات وان لم يؤثر مثل ذلك في الاحكام لانه ليس بدليل شرعي ومن ذلك ما تقرر في الشرع ان الصبي يجب الرد فهذا لا يعرف الا بدليله الشرعي واما انه صبي اولا فيعرف باهل الخبرة ولا يلزم ان يكون المعرف له دليلا شرعيا (وقيل ان بشرا الحافي دعي الى دعوة) بفتح الدال على المشهور وهي الطعام (فوضع بين يديه طعام فجهد ان يمد يده) اليه (فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام فيه شبهة ما كان اغنى صاحب هذه الدعوة ان يدعو هذا الشيخ) هذا من جنس ما قبله وكل منهما يدل على ان لكل من الطعام الحلال وغيره تأثيرا في القلوب سواء اعرف الآكل ذلك ام لا فالاول تنوير في القلوب ونشاط في الجوارح وغيرهما من امارات الخير والثاني بعكس ١٦٠ ذلك وقول القائل ان يده لا تمتد الخ في هذا المحل مشوش على صاحب هذه الدعوة وعلى بعض الحاضرين (اخبرنا احمد بن محمد بن يحيى الصوفي قال سمعت عبد الله بن علي بن يحيى التميمي قال سمعت احمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول سئل سهل بن عبد الله) التستري (عن الحلال الصافي فقال) الحلال الصافي (هو الذي لا يعصى الله تعالى فيه) بان يناله بوجه شرعي لا شبهة فيه فهذا فان زعم انه لا حلال الا ما لم تتناوله الايدي كالحشيش النابت في الصحاري (وقال سهل الحلال الصافي) هو (الذي لا ينسى الله تعالى فيه) بان لا يصيبه العبد بحجة شديدة بحيث يشغله عن رؤية ربه ومناجاته (ودخل الحسن البصري مكة فرأى غلاما من اولاد علي بن ابي طالب رضي الله عنه قد اسند ظهره الى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال له ما ملاك الدين) اي اصله (فقال الورع فقال له فما آفة الدين قال الطمع) في الدنيا الورع (فتعجب الحسن منه) لان غفل العبد عن الورع الواجب والمندوب او ارتكب الطمع بحيث لم يتوقف عن شيء يحصل له تلف دينه (وقال الحسن) ايضا (مثقال ذرة من الورع السالم) من الرياء والكبر والعجب (خير من الف مثقال من الصوم والصلاة) لان فيهما الغنيمة وفي الورع السلامة وهي مقدمة على الغنيمة كما مر (واوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام) في صحفه (لا يتقرب الي المتقربون بمثل الورع والزهد) لذلك (وقال ابو هريرة رضي الله عنه جلساء الله تعالى غدا) اي يوم القيامة (اهل الورع والزهد) لانهم تقربوا اليه بافضل القربات وهو بغض ما ابغضه الله وكراهة ما كرهه على ما دلت عليه الادلة الخ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء (وقال سهل بن عبد الله) التستري (من لم يصحبه

فتقدم درء المفسدة على جلب المصلحة نفعنا الله به (قوله فيعلم انه غير حلال) ان قلت يلزم من ذلك ايذاء صاحب الطعام باظهاره ذلك قلت هو غير لازم لامكان امتناعه عنه بوجه لا ضرر فيه على صاحب الطعام على انه قد يكون صاحبه ممن لم يبال بالذنب ومثل لا يبالي بزجره (قوله وان لم يؤثر مثل ذلك الخ) اي اعتبارا بظاهر احكام الشرع كما اشار اليه الشارح والا فهو يؤثر باعتبار باطن الحقيقة وذلك يشاهده العلم الذوقي والله اعلم بالحقيقة (قوله ومن ذلك) اي من الذي له دليل شرعي يناط الحكم به وان توقف تحققه وثبوته على شيء آخر كاهل الخبرة الذين ليسوا من الدليل الشرعي (قوله فقال رجل الخ) فيه انهم يتهاونون الايذاء من غيرهم فكيف القبيح فيه قلت لعل له وجها قد خفي بالنسبة لنا (قوله هو الذي لا يعصى الله فيه) اقول وذلك هو المعول عليه بظاهر الشرع وحكم الطريقة وما بعده من المغالاة والمبالغات (قوله هو الذي لا ينسى الله تعالى فيه) اي وضده ما استولت عليه النفس بمجرد حظها منه غافلة عن حق الحق فيه (قوله فقال الورع) اي لان به يتم الانقياد الظاهري والباطني (قوله فما آفة دينه) اي وذلك بارتكاب المحرم او بترك ما هو الافضل في حقه كما لا يخفى (قوله لان فيهما الغنيمة) اي للاجر وفي الورع السلامة اي من الوزر ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح ولا سيما ان تعلقت الحقوق بالآدمي (قوله بمثل الورع) اي لان من قدر على حبس نفسه عليه فهو على غيره من المأمورات اقدر (قوله لذلك) اي لما فيه من السلامة وهي مقدمة على الغنيمة (قوله جلساء الله الخ) المراد بهم من اكرم واتحف بانواع الاكرام كما يكرم الجليس من الكرام (قوله لو كانت الدنيا الخ) اي وانما كانت كذلك لانها دار امتحان وابتلاء مع فنائها وزوالها بسرعة واشغالها بطلبها عن حق الحق تعالى (قوله من لم يصحبه

الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع) اى اشتدت رغبته فى الدنيا وفى أكله ما يطيب وما لا يطيب (وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز) رضى الله عنه (مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال انما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن اجد ريحه دون المسلمين) هذا من أكمل الورع وحكى انه أمر من يقسمه ان يبعد عنه لئلا يجد رائحته حين قسمه بين الناس خوفا من أن يتنعم برائحته هو ومن حضره دون بقية المسلمين الذين هم شركاء ومن عادته فى الورع (وسئل ابو عثمان الحيرى عن الورع فقال كان ابو صالح حمدون عند صديق له وهو فى النزع فمات الرجل فنفث ابو صالح فى السراج فقيل له فى ذلك فقال الى الآن كان الدهن له فى المسرجة) بفتح الميم (ومن الآن صار) الدهن (للورثة اطلبوا دهنا غيره) فعله تورعا وتقدم فيه كلام فى ترجمته (وقال كهمس أذنبت ذنبا وها انا أبكى عليه منذ اربعين سنة وذلك انه زارنى اخ لى فاشتريت لاجله بدانق سمكة مشوية) ليأكلها (فلما فرغ) من اكلها (اخذت قطعة طين من دار جارلى حتى غسل بها يده ولم استحله) قبل اخذى لها فبكاؤه على أخذ دمع على تحريمه وتركه الاستحلال قبل أخذه وفى ذلك دلالة على غاية احترازه من الذنوب المستحقرة عند الناس (وكان ١٦١ رجل بمكة يكتب رقعة وهو فى بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت) وكان مبنيا بالطين او نحوه (فخطر بباله) اى بقلبه (ان البيت بالكراء ثم انه خطر بباله انه لاخطر لهذا) القدر الذى لا يمنع منه عادة (فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا) اى يوم القيامة (من طول الحساب) فى ذلك تنبيه على رفعة منزلة هذا الرجل عند الله تعالى اكرمه بتنبيهه على البعد عن مثل ذلك (ورهن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى سطلا له عند بقال بمكة حرسها الله تعالى فلما أراد فكاكه أخرج البقال اليه سطلين وقال خذ أيهما هو لك فقال احمد اشكل على سطلى فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وأنا اردت أن اجربك فقال) احمد (لا آخذه ومضى وترك السطل عنده) تورعا وتمريقاله بأن اهل الدين والزهد لا يلتفتون لشئ من الدنيا فيتأدب بذلك ولا يمتحن أحدا (وقيل سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت الدابة فى زرع قرية سلطانية) اى زرعت بأموال السلطان وهى مشتركة بين المسلمين (فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها) بأن أباحها لمن يتملكها ووهبها لصاحب الزرع تورعا لحصول لها من القوة بما اكلته من الزرع المذكور (وقيل رجع ابن المبارك من مرو الى الشام فى) اى بسبب (قلم استعاره فلم يرده على صاحبه) لان العارية مضمونة مؤداة فرجع اليؤديها وان كان مثل ذلك قد يتسامح فيه (واستأجر) ابراهيم (النخعى دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فأخذ السوط) من الموضع الذى سقط فيه (فقيل له لو حولت الدابة الى الموضع الذى سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال انما استأجرتها لامضى) عليها (هكذا لا هكذا) اى الى هذه الجهة لا الى هذه الجهة ففعل ذلك تورعا وان كان تركه مما يتسامح فيه

الورع الخ) اى فهو أس فى نزاهة النفس عن الفضول فاذا تجرد عنه العبد فقد تعرض للهلاك بالتهافت على الدنيا (قوله انما ينتفع من هذا بريحه) اى فشم ريحه هو المقصود منه وهو حق الغانمين فكره أن يتقدم عليهم بشم ريحه وذلك غاية الورع كما صرح به الشارح (قوله وتقدم فيه كلام الخ) حاصل ما تقدم ان الشارح قد اعترض عليه بأنه من حقوق الميت كباقى مؤن التجهيز وحينئذ فلا داعى لاطفاء السراج لان بقاء الميت فى بيت مظلم مما يزرى به وقد تقدم لما رده هذا الاعتراض بأن مؤن التجهيز وان كانت من حقوق الميت غير انها لا تختص بعين من أعيان التركة بل الوارث يتصرف فيها بحسب ما يرى لانتقال الحق له بالموت فتدبر ولا تغفل (قوله اذنبت ذنبا الخ) أقول هو وان كان من الذنوب حقيقة غير انه مما يستخف به عند الناس بجهلهم فبكاؤه عليه هذه المدة يدل على زيادة ورعه مع انه قد يتسامح فى مثله (قوله فسمع هاتفا الخ) حكمته قبح استصغار الزلات وفى ذلك عناية الله بهذا العبد لاجل انه يبعده عن مثله وهكذا عباد الله المحبوبون (قوله ورهن احمد الخ) فيه تنبيه على انه كان متحققا بحقيقة الورع نفعنا الله به ورضى عنه (قوله وقيل سيب ابن المبارك الخ) هو من حقيقة الورع كالذى قبله اذ الاموال السلطانية من الحقوق العامة (قوله لان العارية مضمونة مؤداة) اى يثبت ضمانها اذا تلفت عينها ويجب دفعها لمالكها ما بقيت عينها (قوله فسقط سوطه)

وفيه ورع آخر وهو انه كان يمكنه ان يقف موضعه ويأمر غيره أن يناوله السوط ولا يرجع ولكنه تورع عن سؤال الناس وتسخيرهم كما حكي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان راكبا على بعير فسقط مقود البعير من يده الى الارض فنوخ بعيره واخذ مقوده وركب عليه فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسألوا الناس شيأ (وقال ابو بكر الدقاق تهت في تيه بني اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق) اى رجعت وغلب علي العطش (استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء فعادت) أي رجعت (قسوتها على قلبي وتألمت) بها (ثلاثين سنة) لان الغالب على الجند قلة التحفظ فيما يأخذونه وتقدمت هذه الحكاية في ترجمته (وقيل خاطت رابعة العدوية شقا في قميصها في ضوء مشعلة سلطان ففقدت قلبها) اى حضوره (زمانا حتى تذكرت) هذه القصة التي حصل بها قسوة قلبها (فشقت قميصها فوجدت قلبها) اى حضوره هذا من جنس ما مر عن المحاسبي وبشر وذلك حفظ وتأديب من الله تعالى لمن عظمت رتبته (ورؤي سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا ١٦٢ المقام فقال بالورع بالورع) هذا المنام ترغيب في الورع ولهذا أكد طلبه بتكرير قوله بالورع وسائر المنامات التي تذكر أمثلة تدل على الترغيب والترهيب لمن أراد الله به خيرا لا أدلة شرعية (ووقف حسان ابن ابي سنان على أصحاب الحسن البصري (فقال) لهم (أي شئ أشد) اى أشق (عليكم فقالوا الورع فقال ولا شئ أخف علي منه فقالوا فكيف) ذلك (فقال لم أرو) اى لم أشرب (من نهركم منذ أربعين سنة) تورعا لاحتمال ان النهر حصل بظلم في حفره وتهيئته وهذا منه يدل على كمال زهده لان من تعود الزهد خف عليه الورع فأراد رحمه الله أن ينقل أصحاب الحسن من الورع الى الزهد فدلهم على ذلك بفعله الذي هو أنجع في الوعظ من قوله وهو انه لم يشرب من نهرهم المتيسر عليهم دائم اربعين سنة (وكان حسان بن ابي سنان لا ينام) بالليل (مضطجعا) بل على حالته التي هو عليها (ولا يأكل سمينا ولا يشرب ماء باردا ستين سنة) لكمال شغله بربه (فرؤي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا الا اني محبوس عن الجنة بابرة) اى بسبب ابرة (استعرتها فلم اردها) الى صاحبها هذا يدل على كمال ورعه مع انه لم يسامح بابرة فاذا كان الحبيب القريب لم يسامح في حقوق الناس فكيف بمن أكثر ليله ونهاره يخوض باعراض الناس في الغيبة والنميمة والسب والقذف وغيرها من المحرمات فانا لله وانا اليه راجعون وهذا من جنس ما مر في القلم والتمرة (وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين) عديدة (وتعبد أربعين سنة وكان في ابتداء أمره كيالا فلما مات رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا غير اني محبوس عن الجنة وقد أخرج) أي أظهر الله (علي من غبار القفيز الذي اكتلته أربعين قفيزا) لان الكيال اذا كال ما فيه تراب حصل التراب في أسفل الكيل فان لم ينفضه في الحال وكال به مرة أخرى تزايد التراب وحصل بواسطته في المدة الطويلة نقص كثير فيما يكال

اى في غير جهة مقصده كما يعلم من جوابه (قوله وفيه ورع آخر الخ) اى وهو بترك ذل سؤال الغير أن يناوله السوط وهو مما ينبغي لارباب النفوس العالية التخلق به اذ هو من الاخلاق المحمدية (قوله وقيل خاطت الخ) أقول ذا من قبيل حسنات الابرار سيآت المقربين والافلا ذنب أصلا (قوله فشقت قميصها) ان قلت على فرض ان أصل الخياطة في ضوء مشعلة السلطان من التصرف في غير المالك فأي فائدة في شق القميص قلت لعله من التوبة من مثل ذلك بالنسبة لمقامها ولذلك ترتب عليه وجود قلبها (قوله تدل على الترغيب والترهيب الخ) اى تدل على ذلك بطريق الاشارة ويشاهد علم الذوق وقوله لا أدلة شرعية اى فلا يثبت بها حكم شرعي (قوله فقالوا الورع الخ) اى لما فيه من حبس النفس عن مألوفاتها وهذا يدل على انهم في ابتداء السلوك ولذا دلهم حسان على أعلى منه وهو الزهد (قوله وكان حسان الخ) يدل هذا على انه قد فنيت بشريته وقويت لاهوتيته (قوله مع انه لم يسامح الخ) اقول عدم مسامحته يدل على زيادة قربه وتنوير بصيرته وحينئذ فلا ينبغي قنوط غيره من رحمة ربه ممن لم يصل الى مثل هذه المقامات يختص برحمته من يشاء (قوله فكيف بمن أكثر ليله الخ) أقول مثل هذا من أخلاق خاصة اهل زماننا فضلا عن عوامهم فكانهم يعتقدون اباحة ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وكان لعبد الواحد الخ) فيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي أن يكون

دائم اليقظة في مراقبة الافعال حيث ثبت الحساب في حقير الاشياء ولكن مع هذا
فالخاص في مثله للتحليل لا للتخفيف اي العقاب بنار التطهير والا فأي تخفيف أشد منه
ولاسيما في هذا الموطن الصعب (قوله وحمل عليه بعض المفسرين الخ) اي حيث قال
في معنى عرفها لهم اي بطريق الالهام (قوله فأنا مطالب به الخ) اي ويدل عليه
في شرعنا قوله جل جلاله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية (قوله أدّ الامانة الخ)
الامر فيه للوجوب والنهي للتحريم (قوله هذا توبيخ الخ) اي فلا ينبغي أن يأمر
الانسان غيره او ينهاه الا بعد أن يأتمر وينتهي شعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(قوله ومتع) عطف على داخل من قوله وهو داخل الخ فهو خبر بعد خبر

(باب الزهد)

اقول من ثمراته العاجلة البعد عن ذل التشوّف لما في أيدي الناس اذ من طمع ذل على
قدر طمعه لانه مقرون بثلاث التملق للمطموع فيه واستشعار الخيبة عند الطلب او
سلطنة المعطي عند المساعدة وبذل ماء الوجه عند المواجهة مع ما ينضاف لذلك من
أصله وفرعه قال المرسي الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوّفة فصاحبه بطن كله لا يشبع
أبدا وقال صاحب الحكم العطائية ما قادك شيء مثل الوهم وقال ايضا أنت حر مما أنت
منه آيس وعبد لما أنت له طامع والدليل عليه قوله جل شأنه بقيت الله خير لكم ثم الزهد
وان كان من المحمود فهو يتفاوت باعتبار كل شاهد ومشهود فزهد المريد في أمتعة الدنيا
والاموال وزهد العابد فيما يشغل منه البال وزهد الاكمل في مباح الحلال وزهد
السالك فيما يحجب عن قيام الدين وزهد اهل الاحوال في أحوال غيرهم من الرجال
وزهد أرباب المقامات فيما يصدهم عن المشاهدات وزهد أصحاب المعارف فيما يعطلهم
عن العوارف وزهد المحققين الكبار فيما سوى الحق من الاغيار فهؤلاء يرون الزهد
عين الحجاب وقشرا اشتغل به اهله عن اللباب شعر

قالوا تزهد قلت لي حجب * عن الحقيقة في اطوار تحقيق
الزهد غيروما للغير من أثر * عند العيان اذا ترقى بتوفيق اهـ

(تنبيه) المزهود فيه انما هو الدنيا المذمومة المحقرة على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الكتاب والسنة وعلى ألسنة العلماء نفعنا الله ببركات علومهم قال تعالى
زين للناس حب الشهوات الى أن قال ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب
فذكر سبحانه أنواع ما يحبه الناس ثم حقر ذلك بقوله ذلك متاع الحياة الدنيا اي
ما يستمتع به فيها والمآب المرجع الى الجنة وفي ذلك تفضيل للمآب وتعظيم له وقال
صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا عالما او متعلما الحديث والزهد لغة قلة

انه متخلق بما لم يفعل او مراء طالب للمنزلة في قلوب الخلق

تحبس عن الجنة بذلك وروى البخاري خبر ان المؤمنين اذا خلصوا من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار
ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا فاذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فلاحدهم
أعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله
الذي كان في الدنيا يلهمون ذلك
وحمل عليه بعض المفسرين قوله
تعالى ويدخلهم الجنة عرّفها لهم
والقفيز يقال لما يكال ولما يكال
به وهو الاصل قال الجوهري
القفيز مكيال وهو ثمانية مكاكيك
والمكوك مكيال وهو ثلاثة امنان
وسبعة اثمان منّ والمنّ رطلان (ومرّ
عيسى ابن مريم عليهما السلام
بمقبرة فنادى رجلا منهم) اي من
أهلها (فأحياه الله تعالى فقال من
أنت) وكيف حالك (فقال كنت
حمالا أنقل للناس أمتعتهم فنقلت
لانسان يوما حطبا فكسرت منه
خلالا تخللت به فأنا مطالب به
منذ مت) وان كان مثله مما يسامح
فيه وذلك لخبر أدّ الامانة الى من
ائتمنك ولا تخن من خانك (وتكلم
ابو سعيد الخراز في الورع فمر به
عباس بن المهتدي فقال له يا ابا
سعيد أما تستحي) من الله (تجلس
تحت سقف ابي الدوانيق وتشرب
من بركة زبيدة وتعامل) مع غيرك
(بالدراهم المزيفة) اي المغشوشة
(و) مع ذلك (تتكلم في الورع)
هذا توبيخ لمن يتكلم في الورع ولم
يتخلق بكماله وهو داخل في قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون ومتع لنفسه

(باب الزهد)

رغبة النفس فى الدنيا يقال زهد فى الشئ وعن الشئ يزهد زهدا وزهادة والمزهد القليل المال والزهيد القليل وفلان يزهد فى عطاء فلان يعده قليلا واعلم أن الزهد ينقسم الى واجب ومندوب والمندوب الى فاضل وأفضل فالزهد فى الحرام واجب وفى المكروه مندوب وفى ترك الفضول من الحلال أندب فالزاهد من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره كما نقل ذلك عن سفيان بن عيينة والزهرى أقول وماذكراه من ثمرات الزهد اذ من ضعفت شهواته لزهده قوى صبره ولا تشغله الشهوات لو وجدت عن شكر المنعم فتأمل تفهم والله أعلم (قوله هو الاعراض الخ) أقول والاعراض والتهافت على تحصيل الدنيا سواء لانه لا يتعدى وصول المقسوم فى الازل فالاعراض لا ينقصه والتهافت لا يجلب زائدا عليه ولا بأس بايراد قول عروة بن أذينة الشاعر وقصته حيث هو يقول

هو الاعراض بالقلب عن الدنيا وهو رأس كل طاعة لانه ضد حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعنينى

وحاصل قصته ان عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل * لقد علمت وما الاسراف من خلقى * الخ وأراك قد جئت تضرب من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال له لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت فى الوعظ واذكرت ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها وسار راجعا نحو الحجاز فمكث هشام يومه غافلا فلما كان الليل تعار على فراشه فذكره وقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد الى فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع هذا شاعر لا أدرى ما يقول فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه فقال لا جرم ليعلمن ان الرزق سيأتيه ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفى دينار وقال ألحق بهذه ابن أذينة فاعطه اياها فسار اليه فلم يدركه الا وقد دخل بيته فقرع عليه الباب فخرج فأعطاه المال فقال ابلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولى سعيت فأكديت ورجعت الى بيتى فأتانى المال الذى هو رزقى فتأمل هذه القصة فانها تحث على اليقين واعلاق الامل بالخالق دون المخلوقين واعلم أن قول هذا الشاعر وما الاسراف من خلقى يصح قراءته بالسين المهملة وبالشين المعجمة بمعنى التطلع الى الشئ والاستشراف له اه من درة الغواص (قوله هو الاعراض الخ) أقول ومما يسهل الزهد قصر الامل ولذا ورد كفى بذكر الموت مزهدا (قوله وهو رأس كل طاعة الخ) اى ولذلك كثرت ثمراته فمنها فراغ القلب عن المشغلات وعزة النفس بالرب والاستغناء عن جميع المخلوقات والتلذذ بالمناجاة والسلامة من التبعات وغير ذلك هذا وقول الشارح هو الاعراض الخ قال بعضهم اهل عده من المقامات باعتبار بعض السالكين والا فهو يستدعى منازعة النفس وهى عين الدعوى ومعارضة ما هو أكمل منه اوهو الاشتغال بالحق تعالى فهو حينئذ باعتبار الخواص من

العارفين

ولولم يكن فيه الا انه يبعد به عن الدنيا التي هي ملعونة الّا لكفى به فضلا وشرفا (اخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني قال اخبرنا ابو الحسين عبيد الله بن احمد بن يعقوب المقري ببغداد قال حدثنا جعفر بن مجاشع قال حدثنا زيد ابن اسمعيل قال حدثنا كثير بن هشام قال حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى بن سعيد عن ابي فروة عن ابي خلاد وكانت له صحبة) بالنبي صلى الله عليه وسلم (قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل قد اوتي زهدا في الدنيا ومنطقا) فيها بالوعظ (فاقتربوا منه فانه يلقن) وروي يلقى (الحكمة وقد اختلف الناس في الزهد) لا من حيث معناه بل من حيث حكمه والتنعم بما تيسر وغيرهما كما سيأتي (فمنهم من قال الزهد) يكون (في الحرام لان الحلال مباح من قبل الله سبحانه فاذا أنعم الله تعالى على عبده بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه له باختياره لا يقدم على امساكه له بحق اذنه) تعالى له فيه فلا يكون تركه زهدا عند هذا القائل (ومنهم من قال الزهد) في الحلال والحرام لكنه (في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة فان اقلال المال والعبد صابر في) بمعنى على (حاله راض بما قسم الله تعالى له قانع بما يعطيه اتم من توسعه وتبسطه) في الدنيا (فان الله سبحانه زهد الخلق في الدنيا بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وغير ذلك من الآيات الواردة في ذم الدنيا والتزهيد فيها) كقوله تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين

العارفين المحققين صرف الرغبة اليه تعالى وتعلق الهمة به والاستغناء به عن كل شئ وهو يتولى حسم أسباب الحجاب عنهم (قوله التي هي ملعونة الله الخ) قال بعضهم ذم الدنيا باعتبار ماطبعت عليه من كونها مشغلة عن الحق تعالى وهو لا ينافي مدحها باعتبار من وفقه الله في تصاريفه فيها ولذلك قيل بهذا الاعتبار انها مزرعة الآخرة (قوله فاقتربوا منه الخ) اى فتقربوا منه لتنالوا من بركات أنفاسه حيث كان لا ينطق الا بالحكمة بواسطة اشراق نور بصيرته (قوله لا من حيث معناه الخ) اى لانه لم يختلف فيه من هذه الحيثية لاتفاق على انه الاعراض بالقلب عن الدنيا وقوله بل من حيث حكمه اى متعلق حكمه كما لا يخفى (قوله وتعبده بالشكر عليه الخ) اى طلب منه الشكر عليه الذي هو صرف جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق له او هو انفاقه في مرضاة الله ولم يتعبده بغير ذلك فحينئذ تركه في حالة الاختيار وامساكه بحق اذنه سواء (قوله لا يقدم على امساكه الخ) اى فالامران سواء لا أولوية لاحدهما على الآخر فتركه مثل امساكه في الفضيلة (قوله ومنهم من قال الزهد الخ) اى لان كلا من الحلال والحرام يشغل عن الحق وشأن التوسع الاطغاء والدنيا بهذا الاعتبار مبغوضة له تعالى فالزهد في الحلال هو الزهد حيث درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وحاصل القولين هذا والذي قبله ان صاحب القول الاول نظر الى ثمرة الانفاق بوسائط التوفيق فلم يعد ترك المال اختيارا في هذه الحالة زهدا ولا فضيلة وصاحب القول الثاني نظر لشأن المال من انه يطغي ويشغل عن الحق ومبغوض له تعالى ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح فرأى ان ترك الحلال في حالة الاختيار هو الزهد وعلى هذين القولين يتفرع الخلاف المشهور وهل الغني الشاكر أفضل أم الفقير الصابر الفقهاء على ترجيح الاول وسادة الصوفية على ترجيح الثاني وأقول لكل وجهة هو موليها فتأمل (قوله فان اقلال المال الخ) هذا ترجيح لما عليه سادة الصوفية من ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وأقول قلبي يميل الى ما رجحه الفقهاء من ان الغني الشاكر أفضل لان ما يذم من المال فيما اذا صحبه الحظوظ أما اذا تجرد عنها فقد يبلغ به العبد المقصود دينا ودنيا مع ما فيه من مواساة الفقراء من الاخوان المسلمين في الحال وما بعده بجهة وقف وارصاد ولا سيما اذا نظرنا لاهل زماننا اذ لا قوة لهم على الصبر على الفقد والله أعلم (قوله فان الله سبحانه زهد الخلق في الدنيا) قيل هي من الدنو لقربها من الآخرة او من الدناءة لكونها خسيسة محقرة ويقابلها الآخرة اى المتأخرة وذات الشرف بالنسبة لمن آمن واتبع فالسعيد من لم يشتغل بالدنيا وأعرض عنها لفنائها وسرعة انقضائها واضرها العاجل والآجل والشقي من غفل عن ذلك كله (قوله كقوله تعالى الخ) اى وكقوله جل شأنه ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الآية قال الطبري اى يصيرون كفارا أو يميلون الى الدنيا ويرفضون الآخرة

وكخبر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وخبر البخاري تعس عبد الدينار والدرهم

والقطيفة والخميصة ان أعطي
رضي وان لم يعط لم يرض وخبر
الترمذي ما الدنيا في الآخرة
الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه
في اليم فلينظر بماذا يرجع الى
قول من قال الفقير الصابر أفضل
من الغني الشاكر (ومنهم من قال
اذا أنفق العبد ماله في الطاعة
وعلم من حاله الصبر وترك
التعرض لما نهاه الشرع عنه
في حال العسر فحينئذ يكون
زهده في المال الحلال) وفي نسخة
في المال غير الحلال (أتم) منه
في الحرام (ومنهم من قال ينبغي
للعبد أن لا يختار ترك الحلال
بتكلفه ولا طلب الفضول مما
من شئ (لا يحتاج اليه ويراعي
القسمة) اى قسمة الله وغيره
(فان رزقه الله مالا من حلال
شكره وان وقفه على حد الكفاف
لم يتكلف في طلب ما هو فضول
المال فالصبر أحسن بصاحب
الفقر والشكر أليق بصاحب
المال الحلال وتكلموا في معنى
الزهد فكل نطق عن وقته وأشار
الى حده) ومنه (سمعت الشيخ
ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله
يقول حدثنا احمد بن اسمعيل
الازدي قال حدثنا عمران بن
موسى الاسفنجي قال حدثنا
الدورقي قال حدثنا وكيع قال
قال سفيان الثوري

بلا ماء الخ (قوله وكخبر لو كانت الدنيا الخ) اى وكخبر لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى اليه ثانيا ولو كان له واديان لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب حيث دل على ميل الخلق الى الدنيا الا من تاب فتاب الله عليه (قوله تعس عبد الدينار الخ) اى خاب وخسر وفيه مبالغة في ذم من تعلق قلبه بالدنيا حيث رضي لنفسه عبوديتها لاخس الموجودات ولكن من يضلل الله فلا هادي له (قوله ما الدنيا في الآخرة الخ) أقول هو من التقريب للعقول القاصرة والا فلا نسبة ولا مناسبة والله أعلم (قوله الى قول من قال الخ) اى من الصوفية وتقدم ان الفقهاء على ان الغني الشاكر أفضل (قوله ومنهم من قال الخ) أقول يشبه أن يكون هذا القول جامعا بين القولين السابقين (قوله وفي نسخة في المال غير الحلال) في ذلك نظر لا يخفى فالاولى ما في النسخة الاولى (قوله أتم منه في الحرام) فيه انه يقتضي تفضيل المندوب على الواجب أقول ولا مانع من ذلك اذ له نظائر (قوله ومنهم من قال ينبغي للعبد الخ) تأمله فانه نفيس جدا وفيه النصفة هذا والزهد في الحقيقة محله القلوب لا مجرد ترك الدنيا لان كثيرا من الخلق يتركها كسلا وضعف همة مع ميل قلبه اليها وكثيرا منهم يأخذها ويتعاطاها مع زهده فيها وقلة رغبته في ملاذها فيعمل فيها باذن ربه خاصة وبذلك اختلفت أحوال الناس (قوله شكره) اى بالتصرف فيه على حسب الاذن الشرعي بل ربما يؤثر به غيره (قوله وان وقفه على حد الكفاف الخ) اى عملا بخبر رواه أبو أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى قال أبو عيسى هذا حديث صحيح (قوله فالصبر أحسن الخ) اى فاللازم للعبد أن يكون فانيا المراد في مراده تعالى لا يختار لنفسه حالا دون حال فيكون عمله بحسب تصريف ربه ان فقد صبر وان وجد شكر (قوله فكل نطق عن وقته الخ) اى تكلم على حسب شربه مما أنعم به عليه ربه واذا فلا خلاف في الحقيقة كما هو غني عن البيان (قوله قال قال سفيان الثوري الخ) اعلم أن سفيان هو ابن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحرث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور الثوري هكذا نسبه الهيثم بن عدي ومحمد بن سعد وأما ثور فهو ابن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار قال يحيى بن معين وغيره ولد سفيان الثوري سنة سبع وتسعين من الهجرة قلت وهو كوفي الدار طلب العلم في صغره قال يحيى بن أيوب المقابري قال حدثنا أبو المثنى قال سمعت الناس بمرو يقولون قد جاء الثوري قد جاء الثوري فخرجت أنظر اليه فاذا هو غلام قد بقل وجهه وقال يزيد بن هرون أخذ العلم عن سفيان الثوري وهو ابن ثلاثين سنة قلت سمع سفيان من عمرو بن مرة وسلمة بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعبد الله بن دينار وعمرو بن دينار

وابي

وأبي اسحق ومنصور والاعمش وعبد الملك بن عمير وحصين بن عبد الرحمن وصالح مولى
التوأمة وأبي الزناد وسهيل بن أبي صالح وأيوب السختياني وخلق من طبقتهم وافق جماعة
من كبار الصالحين قال رجل للثوري لم لا تأتي الزهري قال لم يكن لنا دراهم وقد كفانا معمر
وقال ابو نعيم كتبت عن نيف ومائة شيخ ممن كتب عنهم سفيان وقيل ان سفيان أدرك مائة
وثلاثين من التابعين وانه أخذ عن ستمائة نفس او أكثر قلت روى عنه مسعود بن جريج
ومحمد بن عجلان والاوزاعي ومحمد بن اسحق وابو حنيفة وهم أكبر منه وأقدم وشعبة
والحمادان وابن أبي ذئب ومالك وسليمان بن بلال وزائدة وزهير بن معاوية وهم من أقرانه
وابن المبارك ووكيع ويحيى القطان وأبو نعيم وعبد الرحمن بن مهدي ومحمد بن يوسف
الفريابي وعبيد الله الاشجعي ويحيى بن يمان وعبد الرزاق وقبيصة بن عقبة وأبو حذيفة
النهدي ومحمد بن كثير وأحمد بن عبد الله بن يونس وعلي بن الجعد وأمم لا يحصيهم الا الله
تعالى حتى ان الحافظ أبا الفرج بن الجوزي ذكر في مناقبه انه روى عنه أكثر من عشرين
ألفا ومما يدل على قوة ورعه انه ورد عن بشر بن الحرث أنه قال كان عشرة ينظرون
في الحلال والحرام النظر الشديد لا يدخل بطونهم الا الحلال ولو استفوا التراب فذكر
منهم الثوري وعن زيد بن الحباب قال نفدت نفقة الثوري بمكة فقدم عليه رجل وقال له
لا تمعي عشرة دراهم قال من أين قال من غزل فلانة قال ائتني به فاني منذ ثلاث أسف الرمل
ومما يدل على تواضعه وخموله قال محمد بن عبد الوهاب الحارثي رأيت سفيان بالكوفة
وعليه قباء أبيض محشو وقلنسوة بيضاء وكساء يركب الحمار ويحمل ابن أخته وراءه
وكان أبيض الرأس واللحية وقال بشر بن الحرث كان سفيان ربما أخذ عباءة الجمال
فيغطي بها رأسه وقال خلف بن تميم رأيت سفيان الثوري بمكة وقد كثر عليه أصحاب
الحديث فقال انا لله وانا اليه راجعون أخاف أن يكون الله قد ضيع هذه الامة حيث
احتاج الناس الى مثلي وقال علي بن ثابت ما رأيت سفيان في صدر مجلس قط انما يقعد
الى جانب الحائط ويجمع بين ركبتيه ومما يدل على شدة خوفه من الله وفكره وبكائه
ما قاله أبو أسامة ما رأيت رجلا أخوف من الله تعالى من سفيان الثوري وقال ابو بكر
ابن ابي الدنيا حدثني عبد الله التيمي حدثني خالد بن الصقر السدوسي قال كان ابي خالصا
لسفيان قال اني استأذنت على سفيان في نحر الظهيرة فأذنت لي امرأته فدخلت عليه
وهو يقول أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ثم يقول بلى يارب وينتحب ودموعه
تسيل وكنت جالسا ما شاء الله ثم أقبل الى مجلس مني وقال منذ كم أنت ههنا ما شعرت
بمكانك وقال ابو اسامة كان من رأى سفيان كأنه في سفينة يخاف الغرق اكثر ما تسمعه
يقول يارب سلم سلم وقال حمزة بن ربيعة سمعت سفيان يقول وددت اني أنفلت من هذا
الامر لا لي ولا علي ومما يدل على زيادة مجاهدته قال وكيع عن سفيان ما عالجت شيأ قط
أشد علي من نفسي مرة علي ومرة لي وقال احمد بن يونس حدثنا علي بن الفضيل بن

عياض رأيت سفيان الثوري ساجدا حول البيت فطفت سبع أسابيع قبل أن يرفع رأسه وقال مؤمل بن اسمعيل قدم سفيان مكة وكان من عادته انه اذا صلى الغداة جلس يذكر الله حتى ترتفع الشمس ثم يطوف سبع أسابيع يصلى لكل اسبوع ركعتين يطول فيهما ثم يصلى حتى ينتصف النهار ثم ينصرف الى منزله فيأخذ المصحف فى حجره فيقرأ فربما نام كذلك ثم ينادى بالظهر فيخرج فيصلى الظهر ثم يتطوع حتى يصلى العصر فاذا صلى العصر أتاه أصحاب الحديث واشتغل معهم الى الغروب فاذا صلى المغرب تنفل الى العشاء الآخرة فاذا صلى العشاء الآخرة طاف سبعة اسابيع ثم انصرف فان كان صائما أفطر ثم يأخذ المصحف فربما قرأ ثم ينام وهو قاعد فاذا نودى بالصبح خرج فلا يزال يطوف حتى يصلى الغداة فأقام بمكة نحوا من سنة على هذا رواه ابن ابي الدنيا فى مناقب الثوري ومن كلامه فى الزهد والاخلاص والوعظ عن يحيى بن يمان عن سفيان قال الدنيا بمنزلة رغيف عليه عسل جاءه ذباب فوقع على العسل ليأكل منه فانقطع جناحه فمات واذا مرّ برغيف يابس مرّ به سليما وقال وكيع سمعته يقول لو ان اليقين وقع فى القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقا الى الجنة وخوفا من النار وقال له رجل أوصني قال اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها وعنه انه قال عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا وعليك بالورع يخفف الله حسابك وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك ودع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال سليمان بن داود حدثنا يحيى بن المتوكل سمعت سفيان الثوري يقول اذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء قيل كيف ذلك قال يراهم يعملون المعاصي فلا يغير عليهم ويلقاهم بوجه طلق وما يدل على صدعه بالحق قال الحسن بن الربيع البوراني سمعت يحيى بن عبد الملك بن ابى غنية يقول ما رأيت أحدا أصفق وجها فى ذات الله من سفيان الثوري وقال الوليد بن شجاع بن الوليد ما كنت أخرج مع سفيان الثوري فلا يكاد لسانه يفتر من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعن عمرو بن حسان كان سفيان نعم المداوى اذا دخل البصرة حدث بفضائل عليّ واذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان وعن على بن قادم سمعت الثوري يقول ان هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة فاتركوا لهم الدنيا واذا أردت الوقوف على بقية مناقبه فارجع الى ما كتبه شيخ الاسلام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن الذهبي والله اعلم (قوله الزهد فى الدنيا قصر الامل) اقول انما كان قصر الامل زهدا لان ثمرته كثمرة الزهد كالجد فى العبادة وتشمير الساعد فيما يرضى الرب سبحانه وراحة القلب بعدم التشوف الى شئ وعدم المشغلات عن الطاعة وبالجملة فقصر الامل من أسباب الزهد الباعثة عليه وليس عينه (قوله ليس بأكل الغليظ الخ) اى ولذلك قال يحيى بن معاذ طلب العاقل للدنيا أفضل من ترك الجاهل لها (قوله انه سبحانه سلب الدنيا الخ) اى فقد اتفق حال الاولياء والاصفياء والمحبين على البعد عن الدنيا فدل ذلك على

انّ

الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العبا) ونحوهما زهدا فى الحقيقة من امارات الزهد (وسمعته) ايضا (يقول سمعت سعيد بن احمد يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى السقطي يقول ان الله سبحانه سلب الدنيا عن أوليائه) اى منعهم اياها

وان أحبوها حفظالهم (وحاها) اى أمسكها (عن أصفيائه) فلم يعطهم اياها اكراما لهم لئلا تشتغل قلوبهم (واخرجها من قلوب اهل وداده) اى حبه فلم يخطرها ببالهم شغلا بمحبته والانس به وأشار الى التعاليل السابقة بقوله (لانه لم يرضها لهم) فالاولياء أخرجها عنهم خيرا لحفظهم وسلامتهم من شرها والاصفياء لم يجعلها لهم حفظا لا.. والهم واهل وداده لم يخطرها لهم بجمع هممهم عليه (وقيل الزهد) مأخوذ (من قوله سبحانه لكيلا تأسوا) اى تحزنوا (على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فرح بطر بل فرح شكر (فالزاهد) باعراضه عن الدنيا وقلة رغبته فيها (لا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها) لا كتفائه عما يفقده وهذا فى الحقيقة من ثمرات الزهد وصفات الزاهدين (وقال ابو عثمان) رحمه الله (الزاهد الذى يترك الدنيا ثم لا يبالى من أخذها) اى لا يكترث به (وسمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول الزهد أن تترك الدنيا كما هى لاتقول أبنى بها رباطا او) وفى نسخة ولا (أعمر بها مسجدا) أو نحوه مما ترتاح النفس اليه من حب الثناء عليها به وبالجملة فقد اتفقوا على ان الزاهد اذا أعرض عن الدنيا لا يبالى بمن أخذها ولا فيما صرفها واذا تركها لم يبق فى قلبه التفات اليها (وقال يحيى بن معاذ الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح) فالزاهد لا كلفة عليه فى بذل الدنيا وان جلت والمحب يسهل عليه بذل روحه لله وشتان بين من هان عليه بذل ملكه لله ومن هان عليه بذل نفسه له

ان الزهد أصل كل خير (قوله سلب الدنيا عن أوليائه) اى ولم يشغلهم بها لما ملأ به قلوبهم من انوار امداده فماذا بعد الحق الا الضلال قال ابو الحسن لو كشف عن أنوار قلوب الاولياء لعبدوا لان أوصافهم من أوصافه ونعوتهم من نعوته قال فى لطائف المنن فلو كشف الحق عن أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر فى مشرقات أنوارهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوبهم لا كسوف لها ولا غروب وقال نور الشمس تشهد به الآثار ونور القلوب يشهد به المؤثر وشتان ما بين ذلك (قوله وان أحبوها الخ) اى بحسب بشريتهم فى بعض أوقاتهم لغرض انفاقها فى الذى يقربهم منه تعالى (قوله وحماها الخ) وقوله بعد ذلك واخرجها الخ عند التأمل تعلم رتب المتعاطفات (قوله فلم يعطهم اياها) اى وان استشرفوا لها لحق الحق منها (قوله فالاولياء الخ) اذا تأملت كلام الشارح تراه حمل الاولياء على المؤمنين والاصفياء على المتقين واهل الوداد على المحبين المحبوبين وهو نفيس (قوله وقيل الزهد الخ) محصله انه يتحقق الزهد للعبد باستواء الوجود والفقد عنده وذلك يساعد من قال فيما تقدم ان الزهد أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه الى آخر ماذكره (قوله الزاهد الذى يترك الدنيا الخ) هو قريب مما قبله فيؤول اليه (قوله لاتقول أبنى الخ) اى لاتقول ذلك بشاهد حظ نفسك اما اذا كان بشاهد علم المتابعة فهو فضيلة (قوله وبالجملة الخ) محصله ان الزاهد هو الفانى عن حركاته وسكناته لا يشهد غير فضل ربه (قوله وقال يحيى بن معاذ الخ) اقول يميل كلامه الى تفضيل التقلل من الدنيا على الاكثار منها مع التوفيق فى تصاريف العبد فيها حيث جعل مقام المحبة أعلى من مقام الزهد وفيه ان التكثر مع التوفيق فى الانفاق يوجب زيادة الحسنات المقربة اليه تعالى ولا كذلك حال التقلل فات رب العطاء الذى لا معقب لحكمه يجوز فى حقه ان يعطى من رغب عن الدنيا تعففا فيها لموافقته تعالى فى ذلك زيادة عما اكثر الانفاق وربك على كل شئ قدير (قوله وشتان بين من هان عليه الخ) اقول وذلك من طرق التقريب للعقول القاصرة والا فالمحب حقيقة لا يشهد التفاضل فى بذل الارواح لواسطة علمه بأن الحق تعالى هو المالك المطلق وانما البشر محل للعوارى فقط وشأن العوارى الرد للمالك ولمثل هذا المقام قد أشار قتيل الغرام حيث قال فى لاميته

فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل

فمن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

وقال ايضا فى قصيدته الفائية

قلبى يحدثنى بأنك متلفى * روحى فداك عرفت ام لم تعرف

(وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر) اى نظرك (الى الدنيا بعين الزوال لتصغر فى عينك) وتعرف قدرها عند الله (فيسهل عليك الاعراض عنها وقال ابن خفيف علامة الزهد وجود الراحة فى الخروج عن الملك) لما فيه من تعلق القلب عنده وجوده من التشويش فى حفظه ومن خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف يصرفه (وقال ايضا الزهد سلو القلب عن الاسباب) اى أسباب تحصيل الاملاك لما يحصل فيها من الآفات والتكليفات (ونفض الايدى) عن ملك ما حصل (من الاملاك) فحال الزاهد أن لا يطلبها لحبتها واذا حصلت أخرجها لقلة رغبته فيها (وقيل الزهد عزوف النفس) اى اعراضها (عن الدنيا بلا تكلف) فيه لان قلبه امتلأ بصغر قدرها وما ترتب ١٧٠ عليه من ضررها بخلاف المتزهد فانه يتكلف الاعراض عنها فقوله بلا تكلف اشارة الى الفرق بين الزاهد والمتزهد (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت النصراباذى يقول الزاهد غريب) اى قليل (فى الدنيا والعارف بالله تعالى غريب فى الآخرة) لان أكثر العمال لها انما يعملون خوفا من العقاب او رجاء للثواب ومن لم يعمل الا لذلك ترك عمله اذا زال الخوف او الرجاء بخلاف العارف بالله فانه لمعرفة جلال الله تعالى وعظمته وتحقق وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك العمل أصلا وهذا غريب قليل فى ابناء الآخرة (وقيل من صدق فى زهده) فى الدنيا (أتته الدنيا راغمة) اى اضطرارا لان الزاهد لا رغبة له فيها وما قدر الله له ما لا بد منه يأتيه جبرا بحكم الضمان الالهى اولان الله قد يمتحن الزاهدين بها فيجريها عليهم كما قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملا وان أحسن العمل فيها الزهد (ولهذا قيل لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت الا على رأس من لا يريدها) قطع ولا يحبها فهى تقع له ابتلاء وامتحانا ولا ارب له فيها وليس هذا لكل الزهاد بل يحفظ الله تعالى بعضهم ولا يبتليهم بها بالكلية اما لضعفهم او لقوتهم (وقال الجنيد الزهد خلو القلب عما) اى عن محبة ما (خلت منه اليد) من الدنيا لا خلو اليد عن الملك او رد العبد ما يأتيه كما زعمه بعضهم لان ذلك من ثمرات الزهد لا نفسه اذ الزهد انما يكون من اعمال القلوب

لم اقض حق هوالذى كنت الذى * لم اقض فيه اسا ومثلى من يفى
مالى سوى روحى وباذل روحه * فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتنى * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

والله اعلم (قوله الزهد هو النظر الخ) اقول ذلك من اسباب الزهد وليس عينه والله اعلم (قوله وقال ابن خفيف الخ) اقول هو احكم مما قبله * وكل اناء بالذى فيه ينضح * (قوله علامة الزهد وجود الراحة الخ) اقول هو مذاق محمدى غير ان التعليل المذكور فى كلام الشارح انما يناسب حال المبتدى كما لا يخفى (قوله سلو القلب الخ) ذلك يرجع الى الفناء عن المرادات الاختيارية والتبرى من الحول والقوة بشهود أن لا تأثير فى شئ لغيره تعالى فهو قريب مما قبله بل هو أوضح منه (قوله عزوف النفس الخ) هو ايضا قريب مما قبله ويرجع اليه (قوله الزاهد غريب الخ) يشير الى ان مقام الزاهد دون مقام العارف وذلك لان الطاعة والبعد عن المعصية بين أحدهما الخوف والرجاء وهو للعامة والثانى المحبة والاجلال وهو للخاصة ممن لم يشغلهم عن الحق غيره وقوله غريب فى الدنيا اى فى اهل الدنيا وذلك لعزته فيهم ويحتمل ان المراد أنه بخموله بالزهد صار كالغريب لعدم الالتفات اليه (قوله غريب الخ) فيه الحث على علو الهمة نسأل الله التوفيق لها به (قوله وقيل من صدق فى زهده الخ) فيه تنبيه على الالتفات الى ان المقدر كائن لا محالة فراحة السر من البر حيث اعراضه عن الدنيا لا يمنع ما قدر كونه له ولا تهافته على الدنيا يجلب زيادة عنه على أن العطا قد يعلق على الاعراض وربك يخلق ما يشاء ويختار فافهم ولا تنظر ان لم يعلم (قوله ولهذا قيل الخ) اى وذلك المذكور منظور فيه للعادات الالهية التى هى على وفق المعلومات الازلية (قوله وليس هذا لكل الزهاد الخ) اى لان بعضهم قد فطر على طهارة القلوب فلم يكن له سوى الحق مطلوب وبعضهم يلزمه فى طريقه الامتحان لما قد يغلب عليه من عادة الانسان (قوله خلو القلب الخ) أنت خبير بأن ٣ ما ذكره من امارات الزهد وليس عينه ومحصله ان المدار فى مقام الزهد على

٣ (قوله ما ذكره من امارات الزهد) أنت خبير بأن خلو القلب الخ هو عين الزهد لا من أماراته فتأمل

وقال ابو سليمان الداراني الصوف) اى لبسه (علم من أعلام الزهد فلا ينبغي للزاهد ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم) اى رغبة لبس صوف بخمسة دراهم أشار بذلك الى ان الزهد فى القلب لا بلبس الغليظ ولا بأكل الخشن وان كان ذلك علامة له لان الزهد ضد الرغبة وهو من اعمال القلوب كما مر وقد يقال فى الطعام غير الزاهد لشهوة على نفسه او بجمعه المال لغرض (وقد اختلف السلف) رضي الله عنهم (فى الزهد) ايضا (فقال سفيان الثورى واحمد بن حنبل وعيسى ابن يونس وغيرهم الزهد فى الدنيا انما هو قصر الامل وهذا الذى قالوه يحمل على انه من امارات الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعانى الموجبة له) عرفا فان العبد اذا قصر أمله واستشعر سرعة موته ومفارقته الدنيا قلت رغبته فيها وفترت همته عن تحصيلها وقد جاء فى الخبر كفى بذكر الموت مزهدا (وقال عبد الله ابن المبارك الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر وبه قال شقيق البلخى ويوسف بن اسباط وهذا أيضا من امارات الزهد فانه لا يقوى العبد على الزهد الا بالثقة بالله تعالى) مع حب الفقر (وقال عبد الواحد بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم ونحوهما) كطعوم وملبوس (بقلبه) اما تركهما بجوارحه ففى ثمرات الزهد التى منها برودة القلب عن كسب الدنيا وعدم الالتفات اليها عند حصولها وصرفها فى وجوهها وذلك لان من قلت رغبته فى الشئ لم يحفظه ولم يحرص عليه وبذله للمحتاج اليه (وقال ابو سليمان الدارانى الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى) اى بقلبه والا فهو من ثمرات الزهد فقد يترك الانسان ما يشغله عن الله لا لزهد بل لشغله بما هو أشرف منه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن على يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول وقد سأله رويم عن الزهد فقال هو استصغار الدنيا ومحو آثارها) بحيث لا يذكرا (من القلب) هذا أيضا من ثمرات الزهد

قطع علق القلب من الدنيا وان لابسها بظاهره بحسب الاذن الشرعى (قوله الصوف الخ) اقول ذلك من قبيل تربية المريدين والا فالاعتبار بتجرد القلوب عن كامل الشواغل ولا بأس فى الظاهر بالدنيا والحاصل انه لابد من موافقة الظاهر والباطن فى حالة السير والا كان من النفاق والرياء أعاذنا الله منه (قوله وقد اختلف السلف فى الزهد) اى فى حقيقة الزهد وفى أسبابه وقوله انما هو قصر الامل اى بعد الالتفات الى عطب ملابسة الدنيا وذلك لانه اذا رغبتك البدايات زهدتك النهايات أعنى اذا رغبتك البدايات بحصول الفوائد زهدتك النهايات بوقوع النوائب وان رغبتك البدايات بوجود المنافع زهدتك النهايات بوقوع الفجائع وان رغبتك البدايات بتحصيل ما تريد زهدتك النهايات بوقوع ما لا تريد اى وذلك الاختلاف سببه ان كلا منهم تكلم بحسب شربه بما أذاقه الله تعالى فترجم من حاله ومقامه (قوله انما هو قصر الامل الخ) اى ويؤيده خبر أكثروا من ذكر هاذم اللذات الحديث (قوله كفى بذكر الموت مزهدا) اى فهو أكبر واعظ وأعظم دال على خسة الدنيا وحقارتها وقرب زوالها اى وحيث كان ذكر الموت من أعظم المزهدات فى الدنيا يلزم أن من زهد فى الدنيا رغب فى عمل الآخرة لما يراه من دوام لذتها ونعيمها (قوله هو الثقة بالله الخ) اى الوثوق بحصول ما تكفل به وقوله مع حب الفقر اى ميل النفس الى التقلل وذلك بشاهد العلم النقلى والذوقى المفيد كل منهما زجر النفس عن طلب التوسع فى الدنيا بشهود أنه مما يطغى ويلهى عما يعنى (قوله ترك الدينار والدرهم الخ) محصله ان الذى يضر انما هو تعلق القلب المشغل عن حق الحق لا مجرد الملابسة مع التوفيق فى تعاطى ذلك دخولا وخروجا لان هذا مما حصل عليه خير الدنيا مزرعة للآخرة ثم التقلل طريق محمدى وهدى أحمدى والله اعلم (قوله ترك ما يشغل عن الله تعالى الخ) اى فالذى ينبغى للعبد أن يقتصر على قدر الكفاية ويترك ما يشوش مما زاد على ذلك فيكون حينئذ سالما من آفات اقبال الدنيا وادبارها بعد ذوق لذتها المتوهمة ففى الكفاية كرامات ثلاث الراحة من التعب جلبا ودفعا والتفرغ للخدمة قالبا وقلبا وتحصيل الشكر والصبر فى حالة واحدة ولذلك قيل انه أفضل من الغنى مع الشكر ومن الفقر مع الصبر حتى سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ولعياله ولآله (قوله والا الخ) اى والا يكن ترك ما يشغل بالقلب بل كان للشغل بالاشرف فيكون الترك حينئذ من ثمرات الزهد لا عين الزهد (قوله هو استصغار الدنيا الخ)

(وقال سري) السقطي (لايطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه) بغيرها من شهواتها الدنيوية لان شغله بنفسه انما هو باعراضها عن محبوباتها الدنيوية فاذا عدل عنها الى غيرها فقد اشتغل عنها وعن اعراضها عن ذلك فلا يكون زاهدا ومن زهد في شئ من الدنيا وبقي عليه شئ لم يزهد فيه لم يكمل زهده ولذلك لما سئل الجنيد رحمه الله عمن لم يبق عليه من الدنيا الا النعم بعض نواة قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أشار به الى ان من بقي عليه ما ذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات (ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه) عن مولاه لان شغله انما هو بمولاه فلا تطيب نفسه باشتغاله بها بل باشتغاله بمولاه عما سواه (وسئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال خلو اليد من الملك والقلب من التتبع) داوى بذلك من رآه ينفق دنياه في جهات البر ثم يتبعها بكلامه او بقلبه ملاحظة ومحبة او ندما وحسرة فان تتبعها محبة لصنعه تعالى وما يجري به عليه لم يكمل زهده فكمال زهده أن لا يلتفت الى ما خرج من يده (وسئل الشبلي عن الزهد فقال ان تزهد) بقلبك (فيما سوى الله تعالى) حتى في نفسك (وقال يحيى ابن معاذ لا يبلغ أحد حقيقة الزهد) وهي غلبة أحواله على القلب (حتى يكون فيه ثلاث خصال) احداها (عمل بلا علاقة) اي خالصا لله تعالى لا لعلة من علل الدنيا كحب الحمد وخوف الذم والطمع فيما في أيدي الناس في الدنيا او كخوف العقاب ورجاء الثواب في الآخرة فكمال زهده في الاخلاص الماحي له والا فحسبه ان يكون عمله لوجه ربه خاصة دون غيره اى

(و) ثانيها (قول بلا طمع) اي خالص لا لطمع عاجل ولا آجل فيخلص في أقواله كما يخلص في اعماله

اى بعده صغيرة حقيرة دنية سريعة الزوال فانية لهوا ولعبا ومتاعا وشغله عن الاهم والله اعلم (قوله لايطيب عيش الزاهد الخ) اى وذلك لان مطلوبه قطع المشغلات فاذا لم يشتغل بعد قطعها بما ينفعه من القربات لم يطب عيشه اذ الاعراض عن الدنيا وسيلة لتحصيل الخيرات والاحوال والمقامات وهذا كله في حق الزاهد اما العارف فراحته وعيشه في اشتغاله بمعروفه وجمال صفاته بل في فنائه في ذلك عن نفسه وارادته فافهم (قوله اذا اشتغل عن نفسه) اى عما يصلحها بأن يتهافت على شهواتها الدنيوية فحينئذ شغله بنفسه يعني بما يصلحها يتحقق باعراضه عن محبوباتها الدنيوية حتى لم يتعلق بشئ منها باشارة خبر المكاتب عبد ما بقي عليه درهم (قوله لم يكمل زهده) اى باعتبار ان الشئ اذا أطلق انما يحمل على الفرد الكامل (قوله المكاتب عبد الخ) اى فمن بقي في رق النعم بعض النواة لم تتمحض حريته (قوله ولا يطيب عيش العارف الخ) محصله انه لايتم له تمامه الا اذا فنى عن نفسه ومالها من الخير اشتغالا عن ذلك بالله سبحانه (قوله خلو اليد من الملك الخ) اى بشهود أن الكائنات الدنيوية عوارض مستردة وامتحانات للعبيد المستعدة لظهور بذلك الشريف من الخسيس قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم الآية (قوله ثم يتبعها بكلامه) اى وذلك يفسد ثواب الانفاق قال تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى لان المن غير محمود الا منه تعالى وقوله او بقلبه اى أو يتبعها بقلبه ملاحظة ومحبة بأن يميل قلبه الى الثناء عليه بالبذل بحسب طبعه او يتبعها ندما وتحسرا على بذلها بمقتضى ما جبل عليه من الحرص والبخل (قوله فان تتبعها محبة لصنعه تعالى الخ) هذا مقابل لقوله قبل ثم يتبعها بكلامه الخ فان قلت اى مفسدة وخلل في هذا حتى ينافي الكمال قلت لان الكمال الذي هو صفة العارفين انما يكون في الفناء عن نفوسهم وما يجري به الحق من آثار يفنيا حكامها لها (قوله ان تزهد بقلبك فيما سوى الله) اى فلا تلتفت الى شئ صدر من نفسك من اعمال البر لان ذلك من نوع المساوي (قوله حتى يكون فيه ثلاث خصال) محصلها صدق الاخلاص له تعالى قولا وفعلا وخلقا (قوله عمل بلا علاقة الخ) اى وذلك لان من صح زهده كانت اعماله مبرأة من الآفات ووعظه وتنبيهه مبرأ عن الطمع وكذلك يكون عزيز النفس لاستغنائه عن غير ربه وليس عزه رياسة على الخلق وكبرا بل هو مستغن عنهم راحم لهم مشفق عليهم (قوله كحب الحمد الخ) محصل ما ذكره تجرد النفس عن حظوظها ولو في الآجل وقوله كخوف العقاب اى لان ذلك ينافي الكمال ولذا قيل عن رابعة العدوية أنها قالت عبدوك خوفا من لظى عبدوا لظى لا ربا (قوله قول بلا طمع الخ)

(و) ثالثها (عز بالرياسة) بأن يكون عزيزا عن ان يذل نفسه فى طلب الدنيا فيقتصر على الامور الخسيسة التى تزرى بقدره فلا يكون عزه الا بمولاه وربما أغناه به من فضله عما سواه (وقال ابو حفص الزهد لا يكون الا فى الحلال) الخالص (ولا حلال) خالص (فى الدنيا) الا نادرا الاسيما مع كثرة التخليط فى التصرفات فى هذه الاوقات (فلا زهد) الا نادرا (وقال ابو عثمان) رحمه الله (ان الله تعالى يعطى الزاهد) فى الدنيا (فوق ما يريد) منها لحاجته الكمال قنعه فأى شئ أتاه منها فهو فوق مراده (ويعطى الراغب) فيها (دون ما يريد) منها لانه لكمال محبته فيما يريد منها يرى ان ما اعطيه دون ما أراده (ويعطى المستقيم) اى من استقامت أحواله ورضى بكفايته (موافقة ما يريد) لانه يقنع بأى شئ أتاه فكان موافقا لما له (وقال يحيى بن معاذ الزاهد) لكون قلبه امتلأ بهوان الدنيا عند الله وكثرة آفاتها بحيث انك تجد أكثر كلامه فى بيان نقائصها كله (يسعطك) بأطالها (الخل والخردل) من حيث انه يؤلمك بكلامه وينكر عليك ما انت فيه ويستقذره لك (والعارف) بالله لكون قلبه امتلأ بمعرفته به وبجماله وجلاله وتوالى انعامه وافضاله على خلقه بحيث انك تجد اكثر كلامه فى بيان ذلك كله (يشمك المسك والعنبر) من حيث انه يرغبك فى قبل المقامات ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه فكل من الزاهد والعارف تكلم بما غلب عليه وامتلأ قلبه به ﴿ وكل اناء بالذى فيه ينضح ﴾ (وقال الحسن البصرى الزهد فى الدنيا ان تبغض أهلها وتبغض ما فيها) من حيث انها مبغوضة لله تعالى وانها تشغلك عن مطلوبك وهذا من ثمرات الزهد لا نفسه

اى لان الطمع ينافى الانفة التى هى عدم الاستشراف الى شئ سواء كان عاجلا او آجلا وهى من صفات الكاملين (قوله عزيزا عن ان يذل نفسه الخ) أقول وأقبح طرق الاذلال التعرض الى ما يحصله ولو بلسان الحال وأشنع من ذلك اذا كان بالقال وقد اشتهر السؤال ذل ولو أين الطريق واعلم أن التعرض للعرض الفانى هو خلق فقراء زماننا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله ولا حلال خالص الخ) مراده نفى حقيقة الزهد بنفى متعلقه بشاهد أن النادر لا حكم له والحث على التقلل من الحلال الصرف (قوله ان الله يعطى الزاهد الخ) أقول والفوقية المذكورة بالاضافة الى أعواض الدنيا لا على الاطلاق فلان الزاهد اى شئ فتح الله عليه به فحاجته الى ما دونه والراغب لو فتح الله عليه باضعاف ما تعلق به أمله فرغبته أبدا فى مزيد ومن قلت رغبته ولم يبلغ درجة الزاهد فهو قانع بما قسم له به كائنا ما كان فهو موافق لما يريد لان ارادته فيما يسره الله تعالى (قوله فوق ما يريد) اى لان العبد الموفق لقوة رضاه بما يجريه الحق تعالى يرى ان كل ما وصل اليه زائد عن مراده بخلاف غير الموفق ممن له رغبة فى الدنيا (قوله ويعطى المستقيم الخ) اى وحال هذا متوسط بين الاول والثانى (قوله الزاهد الخ) أقول ومع ذلك هو مقام عامى وأما مقام الخاصة فذكر الدنيا بكثرة ولو كان على سبيل ذمها نقص وتفرق لانه يشغل عن المقصود وتضييع للوقت بما يشبه تحصيل الحاصل مع ما فى ذلك من اشارة الى الاهتمام بها وأن لها اقدرا والله أعلم (قوله يسعطك الخ) اى لانه قد امتلأ قلبه بآفات الدنيا وضرر الاشتغال بها فهو لا يتكلم الا ببيان نقصها ونقص المنهمكين على حبها وهم يتألمون بذلك فلا جل ذلك شبهه باسعاط الخل والخردل والعارف الغالب على قلبه رؤية الافضال عليه وعلى غيره من العالمين وشهود كمال مولاه وجماله فهو يحرك القلوب الى الله بدوام التذكير ويطيب النفوس بحسن الظن فشبه بمن يشم المسك والعنبر لملاقاة القلوب به (قوله يشمك المسك والعنبر الخ) أقول وطيب قوله من طيب قصده اذ بزيادة نور السر تظهر ينابيع الحكم على لسان الجهر وهذا بخلاف من زين الظاهر وخرب الباطن فهو وان رق لفظه لا يفيد وعظه فالله يرزقنا التوفيق لنصل الى مقام التحقيق (قوله وكل اناء الخ) أقول ويعلم هذا بشهود التأثير وعدمه فمجرد جمال الظاهر لا يكفى اذ الحلو قد يضر والمر نفعه قد يسر فلا تغفل عن الدقائق فى ذوق تلك الرقائق (قوله ان تبغض أهلها الخ) اى من حيث شاهد العلم لما قدمناه مرارا من ان الضرر انما هو فى تعلق القلب بالدنيا تعلقا يوجب تضييع حق من حقوقه تعالى لا مطلقا ومع هذا فذلك من شيم العوام اما خلق الخواص فهو من

(وقيل لبعضهم ما الزهد فى الدنيا فقال ترك مافيها) على من فيها اى بقلبه اما بجوارحه فهو من ثمرات الزهد لا نفسه كما مر نظيره
(وقال رجل لذى النون المصرى) رحمه الله تعالى (متى أزهد فى الدنيا فقال اذا زهدت فى) حظوظ (نفسك) من مطعم ومشرب
وملبس ومنكح وجاه ونحوها لانك اذا زهدت فيها قلت رغبتك فى الاسباب التى تحصلها بها واذا قلت رغبتك فيها زهدت
فى الدنيا (وقال محمد بن الفضل ايثار الزهاد) ١٧٤ يكون (عند الاستغناء) عما يؤثرون به (وايثار الفتيان) يكون
(عند الحاجة) لما يؤثرون
به (قال الله تعالى) فى مدح
الانصار بايثارهم مع حاجتهم
(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة) والتفاوت بين
الزهاد والفتيان أن الزهاد انما
زهدوا فى الفضول والفتيان فى
المحتاج اليه (وقال الكتانى الشئ
الذى لم يخالف فيه كوفى ولا مدنى
ولا عراقى ولا شامى هو الزهد فى
الدنيا وسخاوة النفس والنصيحة
للخلق يعنى ان هذه الاشياء لا يقول
أحد انها غير محمودة) بل محمودة
ففضيلة الزهد قال بها سائر الاقاليم
المذكورة وغيرها (وقال رجل
ليحيى بن معاذ متى أدخل حانوت
التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد
مع الزاهدين فقال اذا صرت)
اى وصلت (من رياضتك لنفسك
فى السر الى حد لو قطع الله عنك
الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى
نفسك فاما مالم تبلغ هذه الدرجة
فجلوسك على بساط الزاهدين جهل
ثم لا آمن عليك ان تفتضح بينهم)
هذا منه تنبيه على انه لا ينبغى للعبد
أن يقطع الاسباب ويتجرد عنها
حتى يجد من نفسه قوة على الصبر
على ألم الجوع فهو ثلاثة أيام ولا يجد منها الضعف عن عبادته والا كان مغرورا ومعرضا نفسه
الى سؤال الخلق (وقال بشر الحافى الزهد) اى كماله (ملك لا يسكن الا فى قلب مخلى) اى لا يتحقق الا فى قلب انقطع طمعه
عن الدنيا وتخلى عن حبها

التفرق عندهم ومن تضييع الوقت اذ لا التفات لهم الى الغير أصلا (قوله فقال ترك
مافيها) اى من جواهر واعراض على من فيها اى من افراد الثقلين حتى لا يشغل قلبك
عن الحق شاغل من ذلك (قوله من مطعم الخ) اى حيث كان تعاطى ذلك لمجرد الشهوة
واللذة أما اذا أكل لقرض التقوى على العبادة وشرب كذلك ولبس بقصد ستر العورة
امتثالا ونكح لقصد كف الشهوة وللتوالد وهكذا كانت افعاله جميعها طاعة والله أعلم
(قوله ايثار الزهاد الخ) يشير الى تفضيل الفتى عن الزاهد بما منحه الحق تعالى من قوة
البذل لماله وجاهه بل ونفسه فقد فرق بين المقامين باظهار شرف الثانى على الاول لحمل
على علو الهمة (قوله فى الفضول) اى فيما فضل عن حاجتهم وقوله والفتيان الخ جمع
فتى وهو من قوى بذله لماله وجاهه بل وانفسه بحسب مادل عليه علم النقل (قوله الذى
لم يخالف فيه الخ) اى لان الزهد فى الدنيا أصل عظيم فى جميع الخيرات قد وقع عليه
الحث فى كثير من الروايات ويقوى ماذكره المصنف قول الفضيل بن عياض
جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل
مفتاحه الزهد فيها (قوله بل محمودة) أقول كيف لا وقد أجمع أهل الاقاليم على
حسن هذه الصفة وحينئذ فلا عذر فى عدم التخلق بالزهد فى الدنيا (قوله فى السر
الخ) انما قيد به لان طهارته هى المعتبرة فى قبول طاعة الانسان وزيادة التوفيق لدوام
العبادة مع التفويض والتسليم لفعل العليم الحكيم (قوله ثلاثة أيام الخ) انما قيد بهذه
المدة لما قيل من ان العبد لا يعيش مدتها بدون الغذاء حيث لم يتقدم له عادة الرياضة ومع
ذلك فالغرض الحث على الرضا بما يجرى به الحق من تصاريف أحكامه فى الخلق (قوله
ثم لا آمن عليك الخ) اى لانه حينئذ متكلف لا صاحب خلق فهو عرضة لتغير الحال
ويؤيد ماذكرناه قول بعضهم

قالت لنا سودة الاحداق والمقل ۞ ليس التكحل فى العينين كالكحل

(قوله والا كان مغرورا الخ) اى والا يجد من نفسه الصبر المذكور والقوة على العبادة
هذه المدة بأن انتفى صبره فيها وانتفت قوته على العبادة كان مغرورا وعرضة لسوء
الخلق وذلك من قواطع الطريق (قوله الزهد اى كماله الخ) أقول انما خص
التشبيه بالملك لكونه نورانيا والزهد نورانى ووارد رحمانى فالسر فى التخلى عن التدبير
هذا اذا قرئ بفتح اللام وان قرئ بكسرها فوجه الشبه مطلق النظافة والبعد عن
القاذورات

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت محمد بن محمد بن الاشعث البيكندى يقول من تكلم فى الزهد ووعظ الناس ثم رغب فى أموالهم رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه) لانه اذا زهدهم وأوهمهم انه متخلق بما امرهم به ونهاهم عنه مع خلو قلبه عن ذلك كان مرائيا او متشبعا بما لم يفعله وكلاهما معصية توجب رفع حب الآخرة من قلبه (وقيل اذا زهد العبد فى الدنيا وكل الله تعالى به ملكا) من ملائكته (يغرس الحكمة فى قلبه) بفضله تعالى وعونه لفراغ قلبه بالزهد عن المشغلات له بالحظوظ الدنيوية (وقيل لبعضهم لم زهدت فى الدنيا فقال لزهدها فى) لان العبد لا يناله من الدنيا التى لا تزن عند الله جناح بعوضة الا اليسير فاذا بعد عنه اكثرها ونال منها اليسير حمله ذلك على الاعراض عن اليسير المفاد بقوله لزهدها فى وفيما قاله تنبيه على أنه اراد أن يبعد عن دعوى الزهد بالكلية حتى لا يرى لنفسه مقاما فيه (وقال احمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه الاول ترك الحرام) بالقلب (وهو زهد العوام) من المسلمين (والثانى ترك الفضول من الحلال) بالقلب (وهو زهد الخواص) منهم

القاذورات (قوله من تكلم فى الزهد الخ) أقول وغير الزهد مثله فينبغى فى كل صفة ان المتكلم بها يكون متخلقا بها حتى يؤثر كلامه فى المخاطب له والا فقد أشبه حاله حال المنافقين الذين يقولون مالا يفعلون (قوله رفع الله حب الآخرة من قلبه) اى لم يوفقه لاعمالها فيكون من الخاسرين وذلك من أشد الجزاء أعاذنا الله وأحبتنا والمؤمنين من ذلك (قوله وكل الله به ملكا الخ) اى لان القلب اذا تجرد عن الحظوظ كثرت أنواره وغرست اصول الحكمة فيه وتفرعت أغصانها منه وترجم اللسان عما أشرق فى السر من واردات الرب سبحانه (قوله فقال لزهدها فى) أقول ولله در أبى العباس الثقفى رحمه الله تعالى حيث قال اف لاشتغال الدنيا اذا أقبلت واف لحسرتها اذا أدبرت والعاقل لا يركن الى الشئ اذا أدبر كان حسرة واذا أقبل كان شغلا وأنشدوا فى معنى ذلك

وقائلة مالى أراك مجانبا * امورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة * فنحن اناس بالسلامة نفرح

تدبره فانه نفيس ثم أقول ويؤيده ما اتفق لبعضهم حسبما أخبر عن نفسه انه قال تركت الدنيا لكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها اه واعلم أن معرفة ماذكر بالتجربة والذوق أتم من معرفته بالتعلم والتعليم (قوله لان العبد الخ) اى ولاسيما ان كان من المحبوبين وذلك لخبر اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا اوزوى عنه الدنيا الحديث (قوله حمله ذلك على الاعراض عن اليسير الخ) مراده باليسير اليسير ولو فى المعنى وان كان كثيرا فى ظاهر الحال اذ هو وديعة مستردة ووقت الخروج عن ذلك قريب شعر

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع

(قوله الزهد على ثلاثة أوجه الخ) أقول وذلك باعتبار قوة العلم وضعفه لان العلم النافع هو الذى قد تمكن فى الصدر وأشرق نوره فيه فتصورت الامور حسنها وسيئها فوقع بذلك ظل فى الصدر بصور تلك الامور فيلاقى العبد حسنها ويذر سيئها وذلك لا يكون الا بواسطة علم القلوب اما علم اللسان فانما هو شئ قد استدعى الحفظ والشهوة غالبة على صاحبه قد أذهبت تلك الشهوة ظلمتها ضوءه والله أعلم (قوله الاول ترك الحرام بالقلب) أقول ولله در من قال

اذا أقبلت كانت على القلب حسرة * وان أدبرت كانت كثيرا همومها

وذلك زيادة عن جزاء الآثام بالنسبة لمتعاطى الحرام (قوله ترك الحرام بالقلب) انظر وجه مناط الترك القلوب تعلم سر الامر المطلوب (قوله والثانى ترك الفضول الخ) قال أبو هاشم الزاهد وسم الله الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريد به تعالى دونها وليقبل المطيع عليه تعالى بالاعراض عنها فأهل المعرفة بالله تعالى من الدنيا مستوحشون والى

(والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى) بالقلب (وهو زهد العارفين) بالله تعالى وهم خواص الخواص اما ترك ذلك بالجوارح فهو من ثمرات الزهد لا نفسه كما مرّ نظيره (سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول قيل لبعضهم لم زهدت في الدنيا فقال لما زهدت في أكثرها انفت) اى استنكفت (من الرغبة في أقلها) كما مرّ قريبا (وقال يحيى بن معاذ الدنيا كالعروس المجلوة) تراها الابصار وتحبها ١٧٦ القلوب وتقصدها الانس من حيث ان الله حلاها وجملها بالمال والبنين وغيرهما كما قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا (ومن يطلبها) ويقصدها (ماشطتها) من حيث انه يزيدها حسنا للمغرورين (والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها) من حيث انه لما عرف نقصها وفناءها وقطعها العبد عن عبادة اشتغل بتزهيد الخلق فيها وتقبيح محاسنها الظاهرة (والعارف مشتغل بالله تعالى لا يلتفت اليها) لكمال شغله بالله ومعرفته وجماله وجلاله ومناجاته عن ذمها فضلا عن مدحها كما قالت رابعة لما رأت طائفة من الزهاد يذمون الدنيا ويحقرونها من احب شيئا اكثر من ذكره لو اشتغلتم بالله تعالى ومعرفته اشغلكم عن سواه فالعارف قد انقطع قلبه عنها فلا يعبأ بها ولا يذمها وربما غفل عن ثواب آخرته (سمعت ابا عبد الله الصوفي يقول سمعت ابا الطيب السامري) بفتح الميم وتشديد الراء نسبة الى سر من رأى بلدة ببلاد العجم (يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد) كالزهد في المطعم والملبس والمنام وفضول الكلام (الا الزهد في) لقاء (الناس) والتبسط معهم في المقال والاستئناس بمحادثتهم (فاني لم ابلغه ولم اطقه) اي لانه امّا لقاؤه اياهم لنفعه بهم في دينه اولنفعهم به في دينهم فلا يزهد فيه ولا يذم العبد فيه نفسه على عدم نيل الزهد فيه وقد يزهد العبد في لقاء الناس ويبقى عليه الزهد في نفسه من الراحة وحب الكسل ونحوهما وقد يزهد في راحة نفسه ولا يزهد في بذل نفسه لله اذا حضر جهاد في سبيل الله

الآخرة مشتاقون والى ربهم مسارعون والله اعلم (قوله والثالث ترك ما يشغل العبد الخ) اى ويقال لاصحاب هذا المقام أصحاب الانفة وهي صفة تمنع صاحبها من التشوف لما سوى ربه من كل عاجل وآجل دنيوي أو أخروي والله اعلم (قوله فقال لما زهدت في أكثرها الخ) هذا منه نفعنا الله ببركاته من التقريب للعقول القاصرة على حسب ظاهر الحال والا فالدنيا باسرها قليلة بالنسبة لاقل القليل من نعيم الآخرة (قوله الدنيا كالعروس المجلوة الخ) اى كحالة العروس وقت زفافها وهذا بحسب ظاهر الحال والا فالباطن سم قتال ولذا أشار تعالى بقوله جل جلاله كمثل ريح فيها صر الآية فظاهرها حلو وباطنها مر وذلك لدسائسها وخستها رفعتها ربي عن المقامات والدرجات وثبت في الخبر أنها جيفة قذرة وأن طلابها كلاب فافهمها بنور البصيرة لئلا تقع في الحيرة والله اعلم (قوله ماشطتها) اى فهو يكون مثلها في تحسين الشيء بحسب الظاهر وان كان قبيحا باعتبار الباطن (قوله يسخم وجهها الخ) اى يقبح وجوهها الظاهر جماله والباطن قبحه وخبثه وذلك بكشفه عن معايبها ونشره غوائلها الكامنة في دسائسها (قوله ومعرفته) اى معرفة كماله وقوله وجماله اى جماله الذى هو ظاهر في مظاهر أسمائه وصفاته وأفعاله وقوله وجلاله اى عظمته وقوله ومناجاته اى اشتغاله بذكره وتلاوة آياته وكلماته (قوله من أحب شيئا أكثر من ذكره) ظاهر الخبر الشريف ان ذلك فيمن يميل بقلبه الى الشيء وعمومه يشمل ما اذا أظهر ذمه على انه قد لا يكون الا تملقا ولهذا نبهت رابعة رضى الله تعالى عنها من أكثر عندها من ذم الدنيا ووضح ذلك قولها لو اشتغلتم بالله الخ فلله درها (قوله فالعارف قد انقطع الخ) اى وانقطاع قلبه بواسطة فنائه ذاتا وصفة وفعلا في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله فحينئذ التفاته الى الدنيا ولو بالتحقير لها يعد من التفرق والحجاب بالنسبة لمقامه (قوله وربما غفل الخ) اى ويقال لهذا اصحاب الانفة كما تقدم وهي صفة تمنع من التشوف الى ما سواه تعالى (قوله مارست كل شيء الخ) مراده ان الزهد يختلف قوة وضعفا بحسب اختلاف المزهود فيه وان أقوى الزهد هو الزهد في الناس باعتبار ما للنفس فيهم من الحظ ولهذا قد قيل من الافلاس الانس بالناس (قوله اما لقاؤه الخ) أقول ذلك باعتبار حال المبتدى اما المحقق العارف فهذا بالنسبة له من التفرق والحجاب (قوله فلا يزهد فيه) اى لانه مطلوب من

فالزهد يتنوع على حسب المزهود فيه (وقيل ما خرج الزاهدون) بزهدهم فى الدنيا من حظهم الخسيس (الا الى) حظ (انفسهم) النفيس (لانهم تركوا النعيم الفانى) النكد الممزوج بالهموم والاحزان (للنعيم الباقى) الكامل الذى لا نكد فيه ولا ألم (وقال النصراباذى الزهد حقن دماء الزاهدين) فيه اى منع من حقنه عما أبقاه الله لهم من حظوظ أنفسهم فانه أبقى لهم منها ما يعيشون به وجعله حقهم ولم يجعله منافيا لزهدهم فان الزهد كامن فى فضول الحلال (وسفك دماء العارفين) بالله من حيث انهم صاروا لا يلتفتون لانفسهم لكمال شغلهم بربهم (وقال حاتم الاصم الزاهد يذيب كيسه) اى ما فيه (قبل نفسه) لان أول ما يبدأ به الزاهد اخراج ماله من يده لانه أخف عليه ثم اخراج جاهه من قلبه ثم اخراج راحته من بدنه ثم بذل نفسه لربه (والمتزهد يذيب نفسه قبل) اخراج ما فى (كيسه) لانه لا يخرج شيأ من ماله لشدة محبته له الا بكره من نفسه بأن يكرهها ويحملها على اخراجه فهو يذيبها قبل أن يخرج ما بيده (سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا على بن الحسين الموصلى قال حدثنا احمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا) لخبر حب الدنيا رأس كل خطيئة (وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد) لان العبد اذا أعرض عن الدنيا تيسرت له الخيرات لذهاب القواطع عنه والمشغلات

(باب الصمت) يقال صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا اى سكت

العبد ثمرها (قوله فالزهد يتنوع الخ) اى وأعلى الزهد هو الزهد فى النفس لانه به يصل العبد الى مقامات القرب (قوله ما خرج الزاهدون الخ) أقول وسبب ذلك ما أكرموا به من علم خشية الله تعالى المصحوب بمعرفته الدال على تحقيق عبوديتهم له تعالى لانه علم شريف الاصل والفرع اذ الاشياء تشرف بشرف موضوعاتها ومقاصدها والحق تعالى اجل معلوم فالمعرفة به أفضل العلوم وعلم الخشية علم مهابة يصحبه تعظيم فهو يوقف فى مواقف الادب والمراقبة وذلك يقتضى الوقوف مع الامر والنهى فيكسب صاحبه حقيقة الوراثة النبوية فمن كان على غير هذه الصفة من العلماء فهو مثاله كالشمعة تضىء على غيره ويحرق نفسه هذا ومحصل ما ذكره الاشارة الى ثمرة الزهد والغرض تنشيط العبد فعساه أن يتدارك ما فاته والله اعلم (قوله الممزوج الخ) اقول بطريق المبالغة ان مدة عيش الدنيا فى صرف الهموم والاحزان لان الحكم فى كل شئ باعتبار غالب أحواله فالله يرزقنا التوفيق (قوله الزهد حقن دماء الزاهدين فيه الخ) اى منع من اراقة دمائهم بواسطة ما أبقاه الله لهم من لوازم بشرياتهم التى لا تنافى زهدهم لما جعلهم فيه وقوله وسفك دماء العارفين الخ اى أراق دماءهم من حيث انه تعالى أفناهم عن أنفسهم وغيبهم عنها (قوله الزاهد يذيب الخ) الغرض بذلك بيان هذين المقامين وتفضيل الاول منهما على الثانى (قوله جعل الله الشر الخ) محصله ان حب الدنيا باعتبار انه موصل الى كل دنىء وخسيس يكون سببا للشرور والقبائح والزهد باعتبار انه موصل الى كل شريف يكون سببا للطاعات والقربات

(باب الصمت)

اعلم أن منشأه ان من دخل الى حضرة الحق ناظر النفسه اذا أراد أن يظهر له ما جرى فى حقه من الكرامات ناداه منادى الحقيقة تذكر كرامتك ولا تذكر ذاتك فيقف حينئذ عند حده ويقرع بابا له عوضا من فرحه به فيكون حاله قبضا فى قبض وكتمانا فى كتمان وسترا فى ستر وهو حال الزهاد والعباد واهل الطاعة والاوراد ممن لم يخص بالمعرفة ولا تبرأ من نفسه اما من دخل ناظرا الى احسان الله تعالى عاملا بما به تولاه راجعا اليه فيما من به عليه وأولاه فذلك الذى ينطق لسانه ويسترسل بالاظهار بيانه فلا يحتشم عن التعبير ولا يبالى بما فيه من جليل وحقير لانه لا يرى نفسه منفردا من البين ويشاهد معروفه الحق رؤية العين فافهم هذا واعلم أن الكمال كله فى صمت اللسان والقلب فغير ذلك لا خير فيه لان الصمت والسكوت عن الاسرار مع غير الاهل من شأن الكاملين ومن خاف المحبوبين اما مع الاهل والاقران فهو من دأب المحبين

(اخبرنا عبد الله بن يوسف الاصبهانى قال حدثنا ابو بكر محمد بن الحسين القطان قال حدثنا احمد بن يوسف السلمى قال حدثنا عبد
الرزاق قال اخبرنا معمر عن الزهرى عن ابى سلمة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره
ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا أو ليصمت) رواه الشيخان
دل على ان المقصود من الكلام
قول الخير فان لم يعلم العبد أن فى
كلامه خيرا فالصمت خير له وقد
قال تعالى لا خير فى كثير من
نجواهم الا من أمر بصدقة او
معروف او اصلاح بين الناس
وسئل صلى الله عليه وسلم فيم النجاة
فقال فى حفظ اللسان وروى
الترمذى خبر من صمت نجا
(اخبرنا على بن احمد بن عبدان قال
اخبرنا احمد بن عبيد قال حدثنا
بشر بن موسى الاسدى قال حدثنا
محمد بن سعيد الاصبهانى عن ابن
المبارك عن يحيى بن أيوب عن
عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد
عن القاسم عن ابى أمامة عن
عقبة بن عامر قال قلت يا رسول
الله ما النجاة فقال احفظ عليك
لسانك وليسعك بيتك وابك على
خطيئتك) رواه الترمذى وحسنه
بلفظ أمسك عليك وآفات اللسان
كثيرة منها الغيبة والنميمة والهمز
واللمز والاستهزاء والكذب فى
الاحكام وغيرها فلا بد من تثبت
العبد خوفا من دخوله فى قوله
تعالى وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله ويفترون على الله الكذب وهم يعلمون ومما أنشدوه فى ذلك
احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * قد كان هاب لقاءه الشجعان

فبالصمت تكون السكينة والوقار وبالقيل والقال قد تهتك الاسرار وبعبارة أخرى
تقول الصمت هو السكوت عن المحرم والمكروه وخلاف الاولى او هو السكوت
عما لا يعنى مما لا يجب من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والدليل على مشروعية الصمت
قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الطواف فمن نطق فلا ينطق الا بخير (قوله من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) اى من له جوار وهو الكائن فى دار من أربعين
دارا من كل جانب لدار الانسان وظاهره ولو كان ذلك الجار كافرا ذميا او معاهدا أو
مؤمنا وهو كذلك لان ايذاء الجار من كبائر الذنوب وقوله ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه اى اذا كان من اخوانه المؤمنين وقوله ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليقل خيرا الخ هو محل شاهد الباب قال بعضهم فى حثه على السكوت عبارة
رقيقة دقيقة وهى دع ذكر ياطاقك ومريم نفسك يسكتا يشارك الله تعالى عيسى قلبك
فى مهد صدرك بالحكمة ينطق صبيا ويحيى سرك يحيى باسمه تعالى نجيا (قوله فان لم يعلم
العبد) اى بعلم الشريعة ان فى كلامه خيرا يشاهدها فالصمت خير له بل هو الخير كما
لا يخفى (قوله لا خير فى كثير من نجواهم الخ) اى فالآية الشريفة تشير الى ان النطق
لا يكون مأذونا فيه الا اذا تحققت خيريته وهو كذلك لمن رغب فى الخير (قوله فقال
فى حفظ اللسان) أقول لما كانت جرائم اللسان كثيرة مهلكة أجاب سيد الحكماء صلى الله
عليه وسلم بقوله فى حفظ اللسان وكذلك قال بعض الحكماء ما ندم من سكت فافهم (قوله
من صمت نجا) فيه مبالغة بادعاء انه جميع أسباب النجاة ترغيبا فيه وحثا عليه فهو على
حد الحج عرفة والندم توبة وامثالهما (قوله احفظ عليك لسانك) اى صنه عما لا يعنيك
وعما لم يأذن فيه الشارع بالاولى وقوله وليسعك بيتك اى فعليك بالعزلة عن الخلق والزم
خاصة نفسك وقوله وابك على خطيئتك اى جدد لها توبة تمحو أثر الخطيئة واذا تأملت
ما ذكر تجده بالغا فى باب الارشاد اصلاح النفس جزى الله سلفنا عنا خيرا حيث
حفظوا أقواله عليه الصلاة والسلام التى بها نتمكن من المتابعة (قوله منها الغيبة
الخ) اعلم أن الغيبة من الكبائر محبطة لثواب العمل وهى ذكرك أخاك بما يكره ولو فى حال
حضوره والنميمة كبيرة ايضا وهى نقل الحديث بقصد الافساد بين الناس والهمز
واللمز قيل هما متحدان وقيل متغايران الاول يقال للاشارة بالعين والثانى يقال
للاشارة باليد ولهما حكم النطق (قوله احفظ لسانك أيها الانسان الخ) اى صن لسانك
عن لغو الحديث وعما لا يعنى منه وعما لم يأذن فيه الشارع يا أيها الانسان ولا يخفى عليك
ما فى قوله أيها الانسان حيث هو يشير الى ان من فيه انسانية هو المخاطب وهو الذى
يتأتى منه سماع الموعظة والعمل بها وقوله لا يلدغنك الخ الغرض منه بيان غوائل
النطق

وبالجملة (الصمت سلامة) وهو الاولى (وهى) اى السلامة (الاصل) اذ لا غنيمة الا بعد السلامة فكل غانم سالم (وعليه)
اى الصمت (ندامة اذا ورد عنه الزجر) اى الزجر عنه لكون النطق مطلوبا (فالواجب ان يعتبر الشرع
والامر) يعنى يعتبر فيه الامر به
(والنهى) عنه شرعا (و) من ثم
قالوا (السكوت فى وقته صفة
الرجال) كأن يسكت خوفا من
وقوعه فى الزلل (كما أن النطق
فى موضعه من أشرف الخصال)
كأن يأمر بتغيير منكر او يتكلم
بكلمة حق عند من يخاف او يرجى
خوفه (سمعت الاستاذ ابا على
الدقاق رحمه الله يقول من سكت
عن الحق فهو شيطان أخرس
والصمت من آداب الحضرة قال
الله تعالى واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم
ترحمون وقال تعالى خبرا عن الجن
بحضرة الرسول صلى الله عليه
وسلم فلما حضروه قالوا أنصتوا
وقال تعالى وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الا همسا وكم بين
عبد يسكت تصاونا عن الكذب
والغيبة وبين عبد يسكت
لاستيلاء سلطان الهيبة عليه)
عا يطرقه من الحياء والخجل وغلبة
الاحترام وقد يغلب الاحترام على
قلب المحترم بالحضور حتى ينسى
جميع ما حضر لاجله (وفى معناه
أنشدوا

أفكر ما أقول اذا افترقنا
وأحكم) اى أتقن (دائبا) اى
جادا من دأب فلان فى عمله اذا
جد وتعب (حجج المقال فأنساها اذا نحن التقينا فأنطق حين أنطق بالمحال) الذى لا يفيد الغرض لما يغشى قلبى من احترام
الحال او الفرح بالقرب والنوال فيشغلنى لذة الاجتماع عن ايراد ما حررته فى فكرى

النطق بدون اذن شرعى اهل الزجر عنه يؤثر فى الامتناع منه وانما اقتصر على ضرر
اللسان الدنيوى وان كانت غوائله الدينية أشد باضعاف مضاعفة عملا بالمألوف
المحسوس والله أعلم (قوله الصمت سلامة) اى سبب السلامة وقوله وهو الاولى أى
والصمت الذى هو سبب السلامة الاولى للعبد تقديمه على الغنيمة لان ذلك من قبيل
قولهم درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وقوله وهى اى السلامة الاصل اى أصل
ما يبقى عليه العبد من أعماله وقوله اذ لا غنيمة الا بعد السلامة علة لما قبله من قوله وهى
الاصل وقوله فكل غانم سالم اى جريا على تقديم السلامة على الغنيمة ولا يلزم العكس
مطلقا بل على الوجه المذكور (قوله وعليه اى الصمت ندامة الخ) محصله ان كلا من
الصمت والكلام يعتبر فيهما حكم الشرع أمرا ونهيا فيدور العبد مع حكم الشرع
فيهما (قوله ومن ثم) أى من جهة ان المعتبر فيهما حكم الشرع قالوا السكوت الخ
(قوله من سكت عن الحق) اى حيث كان من قوله يجدى ولا يترتب عليه فتنة ولا ضرر
(قوله والصمت من آداب الحضرة) اى من آداب اهل الحضور ممن يدوم على حال
المراقبة له تعالى فى جميع حركاتهم وسكناتهم مثل الزهاد والعباد وأصحاب الاوراد
ممن لم يتم لهم الشهود ولم يتحقق عندهم الورود اما الكاملون فى مقام العرفان
المشاهدون مشاهد العيان ممن غلبت على قلوبهم غلبات الحقيقة فلا يبالون بالنطق
حيث انهم قد تحققوا بالحق (قوله قال تعالى الخ) جميع ما أورده من الآيات المذكورة
القصد به الاستئناس لحكم الباب لا أدلة حقيقية له (قوله قال الله تعالى واذا قرئ
القرآن الخ) حملها امامنا الشافعى رضى الله عنه على الخطبة للادلة التى ثبتت عنده من
السنة (قوله وكم بين عبد يسكت الخ) أقول تجليات المقامات تختلف باختلاف همم
العبيد فتارة توجب صمتا وسكوتا وأخرى نطقا بمظاهر العظمة والجبروت بل قد يتعاقب
ذلك بالنسبة للعبد الواحد بحسب تجلى وقته ثم التعبير تارة يكون عن حقيقة بلا تحقق
وذلك حال العلماء واهل البداية فهو يفيد العلم والفهم دون التأثر والتأثير وتارة يكون
عن حقيقة مع تحقق وهو حال اهل المعرفة فيفيد التأثير والانفعال ومن عليك السلام
(قوله تصاونا عن الكذب والغيبة الخ) واعلم أن هذا المقام أقل وأدون مما بعده ومع
ذلك فهو عزيز جدا باعتبار اهل زماننا فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله لاستيلاء سلطان
الهيبة الخ) اى هيبة من له الامر والنهى وهو الحق تعالى اما السكوت لهيبة المماثل من
الخلق فقد يكون حسنا او قبيحا وذلك باعتبار المسكوت عنه فافهم (قوله أفكر ما أقول
الخ) أى أشغل فكرى فى الذى أقوله للحبيب اذا التقينا بعد المفارقة وأتعب نفسى
فى اتقان حجج المقال له ثم انا اذا التقينا أنسى ما اتقنته من تلك الحجج لغلبة سلطان

(وأنشدوا) في معناه ايضا (فيا ليل) من شعر ليلى (كم من حاجة لي مهمة * أريد أن أذكرها لكم (اذا جئتكم لم أدر يا ليل ما هيا) لما حصل لي من لذة الاجتماع (وأنشدوا) فيه ايضا (وكم حديث) أريد أن أذكره (لك) ويستمر عندي (حتى اذا * مكنت من لقياك أنسيته) وقد يكون صمت العبد لما يعرض قلبه من الدهش عند سماع الخطاب عن بعجله حتى يعجز عن الجواب كما دل عليه قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل الآية وسيأتي هذا في كلامه مع ما فيه (والسكوت على ضربين سكوت بالظاهر) وهو سكوت اللسان (وسكوت بالقلب والضمائر) وهو عطف القلب وعطف الضمائر وهي القلوب على القلب لاختلافهما لفظا كما في قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكما أن سكوت اللسان يختلف تارة لخوف الزلل وتارة لاشتغاله بما هو أهم مما أراده كذلك القلب قد يكون سكوته للوثوق بالضمان وهو سكوت المتوكل وقد يكون للرضا بما يجريه الحق عليه مما سبق في الازل وهو سكوت العارف (فالمتوكل يسكت قلبه عن تقاضي الارزاق) للوعد به من ضمانها من مولاه فلا يخشى فواتها (والعارف يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق) اى الموافقة لاوامر الله ونواهيه (فهذا) اى المتوكل (بجميل صنعه واثق) لعلمه بأن ضامنه يوفي بضمانه (وهذا) اى العارف (بجميع حكمه قانع) راض لاختياره له (وفي معناه قالوا يجري عليك صروفه *) تعالى اى حوادثه ونوائبه (وهموم سرك مطرقة) راضية (وربما يكون سبب السكوت (قوله حيرة البديهة) ودهشتها (فانه اذا ورد) على العبد (كشف على وصف البغتة خرست العبارة عند ذلك فلا بيان ولا نطق

(يوجد في بعض نسخ المتن بعد قوله أنسيته وأنشدوا
رأيت الكلام يزين الفتى * والصمت خير لمن قد صمت * فكم من حروف تجر الحتوف * ومن ناطق ود أن لو سكت اه مصححه)

هيبته او محبته على "فانطق وقت ذلك بالحال افاده فكري بسبب ما تقدم (قوله فيا ليل) هو وما بعده قريب مما قبله في المعنى فلا حاجة الى تكرار القول فيه مع وضوحه (قوله من الدهش الخ) الدهش حالة توجب زوال الشعور بسبب ما يفجأ الانسان من الامور العظيمة التي تعجزه عن الجواب لو سئل في هذه الحالة (قوله والسكوت على ضربين الخ) يريد رضي الله عنه ان متعلق السكوت اللسان والقلب وان الكامل من اقدره الله على سكوتهما وعلى الاكمل الباعث عليهما بالاشتغال بالاهم والرضا بما يجريه الحق من تصاريفه في العبيد فذلك من أعظم الاسباب التي توجب الترقي الى مقام العارفين المحققين (قوله لاختلافهما لفظا) اى فالاختلاف بحسب اللفظ يسهل العطف الذي وضعه المغايرة في الذات (قوله لخوف الزلل وقوله بعد لاشتغاله بما هو اهم) يشير بذلك الى مقام المبتدئين وحال الكاملين (قوله للوثوق بالضمان) اى وذلك من أخلاق العامة وقوله وقد يكون للرضا الخ اى وهو من نعوت الخاصة (قوله فالمتوكل يسكت قلبه الخ) قال بعضهم وذلك عند الخواص عمى ورجوع الى الاسباب وذلك لانك رفضت الاسباب ووقفت مع التوكل فصار بدلا عنها فكانك متعلق بما رفضته من حيث اعتقادك الانفصال عنها فحينئذ حقيقة التوكل عند الخاصة الرجوع الى الله في تخليص القلب من علة التوكل يشاهد ان الله لم يترك شيئا مهملا بل فرغ من تقدير الاشياء فهو المريد وشأنه سوق المقادير في المواقيت فالتوكل صرف النفس عن النظر ومطالعة السبب سكونا الى ما سبق في القسمة مع استواء الحال فالطلب لا يجمع والتوكل لا يمنع فمتى كان بخلاف ذلك كان توكله مدخولا وقصده معلولا فافهم (قوله مقابلة للحكم الخ) اى فيكون سكوته بشاهد العلم حالة كونه فانيا عن مراده مستغرقا في مرادات ربه (قوله لعلمه بأن ضامنه) اى المتكفل برزقه يوفي بضمانه اى يعطي ما تكفل له به من الرزق الذي قسمه له (قوله وهذا أى العارف الخ) اى وذلك لفنائه مراده في مراد ربه (قوله وفي معناه قالوا الخ) اى في معنى حال العارف قالوا الخ (قوله وهموم سرك مطرقة الخ) لا تغفل عن سكون الموضوع هو نعت الوفاق لاوامره تعالى ونواهيه (قوله حيرة البديهة الخ) اى وسبب ذلك اما جمال او جلال على ما لا يخفى (قوله فاذا ورد على العبد كشف) اى مكاشفة واشراف على شيء عزيز على وصف البغتة اى على حالة هي مفاجأته بما يفتقه ترتب على ذلك عدم التمكن من القول لا بيان ولا بدونه

وطمست الشواهد هنالك فلا علم ولا حس قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) وهم عالمون بما أجابهم به الامم
وقت التبليغ حق (قالوا لا علم لنا) ويحتمل كما قيل أن يكون هذا أدبا في رد العلم اليه تعالى وانهم لا علم لهم زيادة على علمه بما
بلغوه للامم فالمعنى لا علم لنا زائدا على ما علمت انك أنت علام الغيوب فليس ١٨١ في الآية فما أشار اليه المصنف من
الغيبة وعدم الادراك لانهم قد
اجابوا ويحسن ان يورد هنا قوله
تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ
فهم لا يتساءلون لان الحق تعالى
اذا سأل الامم بقوله ماذا أجبتم
المرسلين فأخذتهم صدمة العزة
وسطوة السؤال حتى ذهلوا عن
الجواب وعن سؤال بعضهم بعضا
عن وجه الصواب (فأما ايثار
أرباب المجاهدة السكوت) على
النطق (فلما علموا ما في الكلام من
الآفات ثم) لما علموا (ما فيه من
حظ النفس واظهار صفات المدح
والميل الى ان يتميز بين أشكاله
وأقرانه (بحسن النطق وغير هذا
من آفات) اللسان (في الخلق
وذلك) اي السكوت (نعت أرباب
الرياضة وهو أحد أركانهم في
حكم المنازلة) من المقامات
(وتهذيب الخلق) ويدل لذلك
الخبر الصحيح ان الرجل ليتكلم
بالكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها
في نار جهنم وقد قال ابو بكر
الصديق لعمر رضي الله عنهما
لما رآه آخذا بلسانه وقال له عمر
مه غفر الله لك هذا الذي أوردني
الموارد وروى ابن عباس آخذا
بثمرة لسانه يقول له قل خيرا تغنم
واسكت عن شر تسلم فحفظ اللسان
غالبا من أهم الامور فانه ترجمان ما في القلب وسلامته من الزلل يستلزم ثقته بقلبه وينبغي التحفظ ايضا عما يقوم مقام اللسان
من اشارة وكتابة ونحوهما فانه كمن ساكت هو متكلم

(قوله وطمست الشواهد الخ) اي وانطمست بواسطة قوة التجلي والوارد الرباني (قوله وهم عالمون الخ) اي وانما أدهشهم عن الجواب ما فاجأهم من خطابه سبحانه وتعالى اياهم فقوله حق قالوا لا علم لنا اي حين سؤالهم فنفي علمهم باعتبار وقت سؤالهم (قوله زيادة على علمه بما بلغوه الخ) الاولى ان يقول بما أجابهم به الامم بعد ان بلغوهم (قوله فليس في الآية الخ) اي على هذا الاحتمال (قوله ويحسن ان يورد هنا الخ) اي لان فيه الذهول والغيبة عن الجواب بواسطة سطوة السؤال (قوله فاما ايثار أرباب الخ) في قوة جواب عن سؤال في المقام محصله ان في النطق فوائد ومصالح فلم قدم أرباب المجاهدة السكوت عليه فأجاب عنه بقوله فاما ايثار الخ الذي حاصله ان السلامة مقدمة على الغنيمة ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح شعر

وقائلة مالي أراك مجانبا * امورا وفيها للتجارة مربح

فقلت لها مالي لربحك حاجة * فنحن اناس بالسلامة نفرح

(قوله فلما علموا الخ) يشير الى ان الآفات تحذر ولو كانت باعتبار حقيقة الحال او درجة الكمال (قوله وذلك اي السكوت نعت أرباب الرياضة) اي وأما العارفون عن تسابق الحقائق اليهم الانوار فلا يسكتون بل ينطقون بالحكمة فيؤثر قولهم في قلب السامع حيث انه مقدس الاصل طيب الفرع لان عبارات اللسان تتبع حركات القلوب فمن كان ناقص النور رفع عبارته عن النقص ومن كان عن هوى فكذلك ومن كان عن نور تام أفاد السامع نورا تاما كذلك فافهم (قوله ويدل لذلك) اي لتقديم السكوت على النطق لكون السلامة فيه وفي النطق قد يكون الضرر في الدين بحيث لا يشعر به المتكلم لقوة غفلته وعمى بصيرته (قوله لا يلقي لها بالا الخ) اي لكونه يستخف بها مع انها يترتب عليها انه يهوي بها في نار جهنم لعظم جرمها باعتبار ما في نفس الامر (قوله لما رآه آخذا بلسانه الخ) الضمير المستتر في رأى يعود على عمر والبارز يعود على الصديق فالمعنى لما رأى عمر الصديق آخذا بلسانه وقوله هذا الذي أوردني الخ مقول قول الصديق رضي الله عنه وقوله قبل مه غفر الله لك مقول قول عمر (قوله وروى ابن عباس الخ) الشاهد فيه قوله واسكت عن شر تسلم (قوله غالبا) احترز به عما اذا طلب القول بشاهد علم الشريعة (قوله فانه ترجمان الخ) اي فهو من امارات ما عليه الانسان من الاخلاق والاحوال اذ من مال قلبه الى شئ تفوه به لسانه غالبا (قوله يستلزم ثقته بقلبه) اي وذلك قيل لسان العاقل في قلبه وقلب الجاهل في لسانه (قوله وينبغي التحفظ الخ) اي فحكم ما يقوم مقام اللسان حكم اللسان لان غوائل اللسان تعرض له ايضا

(وقيل ان داود الطائى رحمه الله لما أراد أن يقعد) اى يعتزل (فى بيته) ليسلم من آفات اللسان فى الجدال والخصام (اعتقد) اى عزم على (ان يحضر مجالس ابى حنيفة رحمه الله اذ كان تلميذا له ويقعد بين اقرانه) من العلماء (ولا يتكلم فى مسئلة) اى لما اراد ذلك قال لنفسه لا اعتزل حتى أجالس أصحابى الذين كنت اجالسهم فى الفقه سنة ولا اتكلم فجالس معهم ولم يتكلم بحيث كانت تمر به المسئلة وهو اشهى الى الكلام فيها من العطشان الى الماء البارد ولا يتكلم (فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة) وهى الصمت (سنة كاملة قعد فى بيته عند ١٨٢ ذلك وآثر العزلة) على المخالطة ومن لم يجاهد نفسه الى ان تتغير أخلاقه الذميمة الى الجميلة لا يفيده مجرد حبسها فانه اذا حبسها بغير قصد رياضة أخلاقه ثم سيبها رجعت الى حالها وكانت سلامته وقت حبسها خاصة واخلاقه الذميمة باقية (وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا كتب كتابا واستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره) بكتابة غيره خوفا من العجب وأخذا بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول اخبرنا عبد الله بن محمد الرازى قال حدثنا ابو العباس محمد بن اسحق السراج قال سمعت احمد ابن الفتح يقول سمعت بشر بن الحرث يقول اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم) لان فى ذلك مخالفة لهوى النفس وردا لها عن هواها واعجابها بأحدهما يكون اما لاستحسانها الشئ ولو كان ما استحسنته لا يخالف الشرع لكنه يحملها على الشغل به عما هو أولى منه او لاضافة ما استحسنته اليها وحمدها عليه ونسيان كونه من فضل الله (وقال سهل بن عبد الله لا يصح لاحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة) غالبا لان الصمت مع مخالطة الناس متعذر غالبا فاذا اخلا بنفسه حتى تعود السكوت امكنه ان يسكت مع المخالطة وقد يمن الله تعالى على العبد بالقوة على مخالفة النفس فيصمت مع المخالطة وان لم يتقدمه خلوة (ولا تصح له التوبة) من فضول الكلام وزلل اللسان (حتى يلزم نفسه الصمت) غالبا لان الغالب ان من كثر كلامه كثر خطؤه (وقال ابو بكر الفارسى من لم يكن الصمت وطنه) اى مقامه بأن لم يصمت بقلبه ولسانه وسائر جوارحه (فهو فى الفضول) بكثرة اقواله ووساوسه وتشعب أفكاره .

(قوله وقيل ان داود الخ) تقدم الكلام على ذلك وانما أعاده لمناسبة المقام (قوله ليسلم من آفات اللسان فى الجدال الخ) قال بعضهم شعرا

اياك اياك المراء فانه * الى الشر دعاء وللشر جالب

(قوله قال لنفسه الخ) اى فلابد من مجاهدة النفس قبل الخلوة والعزلة حتى تثمر خلوته الفوائد والا كانت مجرد حبس للنفس بدون ثمرة تدوم (قوله وكان عمر الخ) فيه تنبيه على قوة مراقبته لافعال نفسه رضى الله تعالى عنه (قوله ونهى النفس عن الهوى) اى فالخير كله فى مخالفة الهوى كما ان الشر كله فى موافقته (قوله اذا أعجبك الكلام فاصمت الخ) محصله الحث على مخالفة ما تدعو اليه النفس وما تميل اليه ولو كان مما لها بشاهد العلم وذلك لاجل البعد عن حظوظها خشية من دسائسها (قوله واعجابها الخ) شروع فى بيان وجه طلب مخالفة النفس بايضاح دليله (قوله لكنه يحملها على الشغل به) اى وذلك حجاب يحجب عما هو أولى منه وهو الشغل عن تفضل بذلك عليه (قوله حتى يلزم نفسه الخلوة) اى لانها من جملة رياضة النفس وتمرينها على دوام السكوت ومن الاسباب المسهلة له (قوله متعذر غالبا) احترز به عن النادر بالنسبة لبعض الكمل (قوله وقد يمن الله تعالى الخ) مفهوم قوله قبله غالبا وقوله فيصمت مع المخالطة اى مثل ما تقدم عن داود الطائى (قوله حتى يلزم نفسه الصمت) اى سواء كان الكلام عاديا او شرعيا او غير ذلك لان الالفاظ حلية المعانى والمعانى قلبية وما يبرز من بساط يظهر أثره فيه والعبد قبل الخلوة والتوبة لم يتقدس قلبه فيخشى عليه من عطب العبارة ولذا قيل الناس ثلاثة متكلم ممنوع ومتكلم مسموع ومتكلم مدفوع فالممنوع ما تنفع عبارته وتؤثر اشارته والمسموع ما تستحلى عبارته وتفهم اشارته والمدفوع ما تمجه الاسماع ولا يحصل به انتفاع والله أعلم (قوله لان الغالب الخ) ومنه ما اشتهر من كثر لغطه كثر سقطه اى فلله (قوله فهو فى الفضول) اى فالسلامة فى السكوت باللسان والقلب على معنى انه لا يخوض فيما لا يعنيه قولا وفعلا قالبا وقلبا ووقوفا مع الحدود التى حدها الشرع

لانه اذا كان مشغوفا باعلام غيره بما تضمنه قلبه كان متكلما (وان كان صامتا) بلسانه لانه تارة يشير الى مقصوده بيده وتارة بعينه وتارة بغيرهما كما مر ولهذا قال (والصمت ليس بمخصوص) وقوعه (على اللسان لكنه) يقع ايضا (على القلب والجوارح كلها وقال بعضهم من لم يستغنم السكوت) اى لم يعرف فضيلته و يعده غنيمة (فاذا نطق نطق باللغو) لقلة خوفه من آفات اللسان (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ممشاد الدينوري يقول الحكماء ورثوا) بكسر الراء (الحكمة بالصمت والتفكر) لان الحكمة وضع الشئ في محله فمن لم يثبت بقلبه وجوارحه حتى يعرف الصواب من الخطأ لم يكن حكيما ووقع في الخطا (وسئل ابو بكر الفارسي عن صمت السر) وهو جمع العبد همته على ماهو الاولى به (فقال ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل) بأن يجمع العبد همه على ماهو الاولى به في وقته (و) لهذا (قال ابو بكر الفارسي اذا كان العبد ناطقا فيما يعنيه وفيما لابد منه فهو في حد الصمت) اى لافضول عنده وان كان ناطقا فيما لا يعنيه فليس بصامت والحاصل ان كلامه وفكره فيما يحتاج اليه لا يخرج به عن الصمت وفيما لا يحتاج اليه يخرج به عنه وان سكت بلسانه (وروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك) اى اذكره (كثيرا لعل قلبك يرى الله تعالى) فاذا كنت من الدائمين على ذكره كنت ممن يعبد الله كأنه يراه ومن لا يقصد في سوا يعبد سواه ويلزم من ذلك عادة أن لا يكلم الناس الا لحاجة مهمة (وقيل لذى النون المصرى من أصون الناس لنفسه) من الوقوع في الآفات كالغيبة والنميمة (فقال املكهم للسانه) لان من ملك لسانه حتى لا يتكلم الا بما يثاب عليه فقد سلم من الآفات وصان نفسه عن الوقوع فيها (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (ما من شئ) من الجوارح (بطول السجن أحق من اللسان) اى أحق منه بذلك (و) لهذا (قال على بن بكار جعل الله لكل شئ) من الجوارح غير اللسان (بابين) بمعنى مصراعين (وجعل للسان أربعة أبواب) بمعنى مصاريع (فالشفتان مصراعان والاسنان) العليا والسفلى (مصراعان) فمراده ان ماعدا اللسان من الجوارح يكفي فيه باب واحد له مصراعان وان اللسان لا يكفي فيه الا بابان لكل باب مصراعان

(قوله كان متكلما) اى بالقوة لا بالفعل (قوله والصمت ليس بمخصوص الخ) اقول بحسب ذوق ان صمت القلب صمت لغيره فهو السبب الاقوى في صمت اللسان وباقي الجوارح (قوله من لم يستغنم السكوت الخ) اقول فيه مبالغة حيث جعل السلامة غنيمة (قوله ورثوا الحكمة الخ) اى فالصمت مع التفكر هو ماء حياة شجرة الحكمة بسبب ما يرد على القلب في حالتهما من واردات الرب سبحانه وتعالى (قوله فمن لم يثبت الخ) فيه ارشاد شرعي وسياسي وذوقي فعلى الكيس الحاذق أن يتفكر ويتذكر قبل أن يتكلم فان وجد خيرا أقدم والا أحجم (قوله فقال ترك الاشتغال الخ) محصله عدم تضييع الحال بما لا يجدي من الماضي والاستقبال فالمقصود من العبد قصر قوله على ما يعنيه فيكون حينئذ في حد الصمت وبضدها تتميز الاشياء (قوله والحاصل الخ) اى حاصل المقصود من الصمت حصر القول والفكر فيما يعني في الوقت الحاضر لا مجرد السكوت فمن اشتغل بما يعنيه كان في حد الصمت ولو كان متكلما ومن اشتغل بما لا يعنيه خرج عن حد الصمت وان كان ساكتا (قوله كلم الناس قليلا الخ) من اشارته يعلم ان الخير في قلة اللغو وكثرة الذكر فهي مدارج يترقى عليها العبد حتى يصل الى مقام الاحسان والقرب (قوله لعل قلبك يرى الله) اى لعله يصفو له حال المراقبة في جميع حركاته وسكناته (قوله ويلزم من ذلك الخ) اى باعتبار حال العامة اما الخاصة فلا حاجة ولا ضرورة تدعوهم الى غيره تعالى لان ذلك عندهم نقص وتفرق وعمى بصيرة والله اعلم (قوله فقال املكهم للسانه) فيه تنبيه على ان ذلك من أقوى أسباب السلوك والترقي لخدمة الملوك واعلم أن محل ما ذكر اذا لم يكن في الكلام اذن شرعي او ذوقي والا فالكلام أفضل وامارة الاذن الشرعي تعلق الامر به وجوبا او ندبا وامارة الاذن الذوقي انطلاق اللسان بدون احتشام قال الشاذلي نفعنا الله ببركات علومه الولي يكون مشحونا بالعلم والحقائق لديه مشهورة حتى اذا أعطى العبارة كان كالاذن من الله تعالى له اه (قوله احق من اللسان) اى لان غوائله من أكبر مفسدات الدين كالغيبة والنميمة وغيرهما من كبائر الذنوب (قوله وجعل للسان الخ) فيه تنبيه للعبد على دوام مراقبته لاقواله

فعلم ان اللسان أحق بالسجن من غيره وقيل لبعضهم ما جلوسك فى هذه الصومعة فقال لست براهب وانما أنا حارس كلب لسانى سبع ضار ان أطلقته آذانى وآذى الناس (وقيل ان ابابكر الصديق رضى الله تعالى عنه كان يمسك فى فيه حجرا كذا سنة ليقل كلامه) لانه كلما تحرك الحجر فى فيه تذكر به ما جعله له فيشتد حذره من زلل اللسان واذا كان هذا حذر من سماه النبى صلى الله عليه وسلم صديقا لمبالغته فى الصدق قولا وفعلا فكيف بغيره ممن لا يقع منه الصدق الا نادرا (وقيل ان اباحمزة البغدادى رحمه الله كان حسن الكلام فهتف به هاتف فقال له تكلمت وأحسنت بقى) عليك (ان تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك) بكلام لا يثاب عليه (حتى مات ومات قريبا من هذه الحالة) اى حالة سكوته (على رأس اسبوع او أقل) منه (او أكثر) نبهه الهاتف على ان يجمع لنفسه بين احسانه فى سكوته وكلامه فاحسانه فى سكوته ان يسكت عما لا يثاب عليه وفى كلامه ان يتكلم بما يثاب عليه (وربما يكون السكوت يقع على المتكلم) اى يطلب منه (تأديبا له لانه أساء أدبه فى شئ) ارتكبه كان استحسن حاله ومقاله وأضاف ذلك الى نفسه ونسى كونه من فضل ربه (كان الشبلى اذا قعد فى حلقته) مع أصحابه (ولا يسألونه فى الكلام) يقول ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون وربما يقع السكوت على المتكلم لان فى القوم من هو أولى منه بالكلام) فيما هو فيه (سمعت ابن السماك رحمه الله يقول كان بين شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ صداقة فجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل له فى ذلك فقال الصواب هذا) اى ان لا أحضره (فما زالوا به حتى حضر يوما مجلسه وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ فلما أخذ يحيى بن معاذ فى الكلام سكت ثم قال ههنا من هو اولى بالكلام منى وأرتج عليه) اى تعذر عليه الكلام كانه أطبق عليه كما يرتج الباب اى يغلق (فقال) لهم (شاه قلت لكم الصواب ان لا أحضر مجلسه) (قوله فأبيتم نبه الحق تعالى بذلك يحيى ليتأدب ويبحث عن مجلسه ليعطيه حقه وينزله منزلته ويكون متعلما منه لا معلما له (وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى فى الحاضرين وهو انه يكون هناك من ليس بأهل لسماع ذلك الكلام) بأن لا يستحقه (فيصون الله تعالى لسان المتكلم) عن ان يلقى ذلك الكلام لغير أهله (غيرة) عليه (وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله) كما حكى عن عيسى عليه السلام انه قال لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها او وضعها فى غير محلها فيفوت الانتفاع بها (وربما كان سبب السكوت الذى يقع على المتكلم)

وافعاله وعليه ان يزيد فى مراقبته للسانه حذرا من فلتاته (قوله لسانى سبع الخ) جملة مستأنفة أفاد بها ان اللسان قد يكون أذيته بالغة فى الضرر والتشبيه انما هو فى مطلق الضرر وان كان ضرر المشبه يعود على النفس كالغير (قوله كان يمسك فى فيه الخ) اقول واذا ثبت ذلك عن الصديق الاكبر فكيف يكون الحال بالنسبة لامثالنا ممن لا يذكر فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله يقع على المتكلم الخ) اى مع ثبوت الفضيلة فى الكلام وقوله لانه أساء أدبه فى شئ اى كأن تكلم بدون اذن له فيه اذ القلوب معادن الاسرار فاذا برزت المعانى منها بدون اذن برزت ظلمانية كالشمس زمن الكسوف لا تكاد تقبل اثقالها ولا تشم لبعدها ولا تسمع لحجابها قال ابو الحسن كلام المأذون له يخرج وعليه حلاوة وطلاوة وكسوة وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد على الآخر (قوله كان الشبلى الخ) محصله الاشارة الى ان السكوت عن سؤال أسباب النجاة وطرق الوصول يكون سببه غفلات حصلت للمريدين فى حال سيرهم وسلوكهم (قوله لان فى القوم الخ) اى فيكون حق الصمت السماع لمن هو أكبر منه فلا يتكلم بالحقيقة فى حضرته اذ المستمعون للحقائق عيال على المتكلم فيها وهى أقواتهم منه لانهم يطلبون منه اقوام المعانى كما يطلبونه اقوام الابدان وينتفعون بها فى نفوسهم كما ينتفعون بالقوت فى أبدانهم وعلى المتكلم مراعاتهم بما يسعه عقولهم وتقبله قلوبهم رأفة بهم ورحمة (قوله سمعت ابن السماك الخ) تقدمت هذه القصة مع الكلام عليها فلا تغفل وانما أعادها لمناسبة المقام (قوله وأرتج عليه) يقرأ على صيغة المبنى للمجهول (قوله لمعنى فى الحاضرين) اى لمعنى يوجب نقصانهم وحجبهم عن مقامات المقربين بسبب كثرة ملابستهم لظلمات الغفلات

ان بعض الحاضرين) لا يصلح له ذلك الكلام بأن (كان معلوم الله سبحانه من حاله انه) حيث (يسمع ذلك الكلام) بنفسه
حاله (فيكون) ذلك (فتنة له اما لتوهمه انه) اى الكلام (وقته) وحاله اى المطلوب له (ولا يكون) وقته (اولانه) بسماعه له
(يحمل نفسه ما لا يطيق) بأن يكون بحيث لو سمعه اثارت فى قلبه أحوال تكون سبب ضرره وهلاكه لضعفه عن حمل ما يرد عليه
(فيرحمه الله عز وجل بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام اما صيانة له او عصمة عن غلطه) وهذا من باب اللطف بالسامع والشفقة
عليه (وقال مشايخ هذه الطريقة ربما يكون السبب فيه) اى فى السكوت عن الكلام (حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن)
كالانس (اذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن) يستمعون ١٨٥ لان الجن مكلفون كالانس (سمعت
الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول اعتللت) اى مرضت (مرة بمرو فاشتقت) الى (أن أرجع) منها (الى نيسابور فرأيت فى المنام كان قائلا يقول لى لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد فان جماعة من الجن استحلوا كلامك) واتفعوا به (ويحضرون مجالسك فلاجلهم تجلس ههنا) ولا تسافر (وقال بعض الحكماء) رحمهم الله (انما خلق للانسان لسان واحد وعينان واذنان ليسمع ويبصر اكثر مما يقول) اى فينبغى أن يكون كلامه أقل من سماعه ورؤيته ولذلك حكمة أخرى وهو ان العبد لما احتاج ان يسمع ويرى من جهتيه تفضل عليه الحق بعينين وأذنين وأما اللسان فترجمان عما فى الضمير فلا يحتاج الى تعدده (ودعى ابراهيم بن أدهم الى دعوة فلما جلس) مع القوم عليها (أخذوا
فى الغيبة فقال عندنا يؤكل الخبز قبل اللحم وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار) بذلك
(الى قوله تعالى ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) هذا من باب التلطف فى التنبيه على انكار الغيبة وهو
مطلوب لاسيما اذا كان من تمكنها لا يحتمل الامر والنهى لعظمته فى نفسه أو لصغر قدر الآمر والناهى والاولى بمن ابتلى بذلك
أن يعدل الى الحكايات والامثال لتنبيه المغتاب من نفسه على زلله وينكف عن غيبته فان عجز عن ذلك عرض بحديث آخر غير
ما هم فيه ليشتغل المغتابون عما هم فيه (وقال بعضهم الصمت) عن مكافأة المؤذى (لسان الحلم) أى يدل على حلم من أوذى (وقال
بعضهم تعلم الصمت كما تتعلم الكلام) لتوقع كلامك فى محله (فان كان الكلام يهديك) الى الخير (فان الصمت يقيك) الشر

(قوله ان بعض الحاضرين الخ) محصله ان السبب اللطف بالسامع او ارادة حفظه من الغلط رحمة من الله وفضلا (قوله اما لتوهمه انه وقته الخ) اى فيكون فى هذه الحالة متشبعا بما لم ينل ممن يقال له طرماذ على ما حكاه ابو عمرو الزاهد فى كتاب اليواقيت وانشد عليه لبعض الرجاز شعرا

سات فى يومى على معاذ * سلام طرماذ على طرماذ

(قوله اولانه بسماعه له يحمل نفسه الخ) اى مع ان المطلوب منه حملها على الجد فى العبادة تدريجا لا دفعة خوف الملل (قوله كالانس) اقول بل ربما كان الانس اقوى فى ذلك باعتبار ما هو مشاهد فى اهل وقتنا (قوله فرأيت فى المنام الخ) اى فحبسه عن الخروج يلزم منه حبس نطقه عن غير هذا المنتفع (قوله انما خلق للانسان الخ) محصله ان حكمة وحدة اللسان هى الاشارة الى طلب قلة النطق طلبا للسلامة التى هى مقدمة على الغنيمة (قوله ان يكون كلامه اقل الخ) اى لان السماع والابصار المشروعات من نوع الغنيمة وقلة القول ولو مشروعا من طرق السلامة والسلامة مقدمة (قوله من جهتيه الخ) التثنية باعتبار كل من سمعه وبصره فلكل جهة وذلك لا ينافى ان الادراك بالسمع من الجهات كلها فالجهة بالاضافة الى السمع من قبيل المفرد المضاف (قوله فترجمان عما فى الضمير) أى وهو واحد فناسبه وحدة اللسان (قوله وهو مطلوب) أى لكونه من الاخلاق المحمدية اذ ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كره شيأ من أحد لم يشافهه بالزجر بل كان يقول ما بال أقوام يفعلون كذا (قوله بمن ابتلى بذلك الخ) الاشارة الى من لا يحتمل الامر والنهى لعظمته فى نفسه أو لصغر قدر الآمر والناهى (قوله فان عجز عن ذلك) أى عن الحكايات والامثال ومثل ذلك ما اذا علم عدم نفعها وقوله عرض الخ أى لان ذلك كله من قبيل النصح مع الاخوان المؤمنين وهو واجب شرعى (قوله الصمت عن مكافأة المؤذى الخ) أى محله اذا كان فيما يخص

وان كانت الوقاية دون الهداية ولهذا قيل اذا كان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب (وقيل عفة اللسان صمته وقيل مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك) وعلى غيرك (وسئل أبو حفص اى الحالين للولىّ أفضل الصمت أو النطق فقال لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت ان استطاع عمر نوح) ليسلم (ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله عز وجل ضعفى عمر نوح حتى ينطق) ليهتدى الى الخير (وقيل صمت العوام) يكون (بألسنتهم) عن فضول الكلام (وصمت العارفين) يكون (بقلوبهم) عن فضول الفكرة فى غير المرام (وصمت المحبين) يكون (بالتحفظ من خواطر أسرارهم) أن تشير الى غير محبوبهم (وقيل لبعضهم تكلم فقال ليس لى لسان فأتكلم فقيل له اسمع فقال ليس فىّ مكان فاسمع) أشار بذلك اما الى التبرى من الحول والقوة فى سائر حركاته وسكناته ومعانيه اللائقة به أو الى استغراقه فيما انعم الله به عليه حتى شغله به عن غيره (وقال بعضهم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لسانى الا من قلبى) لكونى أثبت بقلبى فلا أنطق الا بما صح فيه ووزنته بميزان الشرع (ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبى الا من لسانى) لانى لما سهلت علىّ المعانى وصارت العلوم والحكم نصب عينى وصار الحق يجريها تفضلا علىّ من غير احتياج الى تفكر صار قلبى يسمع من لسانى أى ينتفع ويعيش بما أجراه الحق عليه (وقال بعضهم لو أسكت لسانك لم تنج من كلام قلبك) لان الكلام فى الفؤاد واللسان مترجم عما فيه وما فيه هو حديث النفس ولا تقدر على اسكانه (ولو صرت رميما لم تخلص اى من حديث نفسك) فكيف تقدر على اسكانه وأما الروح فهى عند جماعة من الصوفية معنى له تعلق بالله تعالى وصفاته وقيل قرب منه ومناجاته وعند كثير منهم كما مر بيانه أول الكتاب مع زيادة جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه فلا التفات لها الى حديث النفس لكمال شغلها عنه ولهذا قال (ولو جهدت كل الجهد) فى ان تكلمك روحك

الانسان من الحقوق لان العفو حينئذ أفضل من المكافأة لا اذا كان فيه حق للحق فلا يعد الصمت عنه من الحلم بل هو من الجهل (قوله وان كانت الوقاية دون الهداية) أى وذلك لان الوقاية من نوع السلامة وهى مقدمة على الغنيمة كالهداية وانما قدمت الوقاية مع انها أقل من الهداية بعدا عن خطر الهداية (قوله وقيل عفة اللسان الخ) أى فالعفة كما تثبت للنفس والجملة تثبت أيضا للجوارح (قوله وقيل مثل اللسان الخ) اى فله العدوى مثل السبع بل هو اضر اذ عدوى السبع على الغير فقط وعدوى اللسان على النفس وعلى الغير على ان ضرر السبع دنيوى وضرر اللسان دينى ودنيوى ولا يخفى الفرق (قوله لو علم الناطق الخ) أى فلكل من النطق والصمت ضرر فعلى المكلف العمل فيهما بالهدى المحمدى ليغنم او يسلم فافهم (قوله عن فضول الفكرة) أى مثل التفكر فيما نهى عنه أو كان نقصا بالنسبة لحال المتفكر ومقامه (قوله وصمت المحبين الخ) اى ولذلك قال سيد العشاق فى تائيته

ولو خطرت لى فى سواك ارادة ٭ على خاطرى سهوا قضيت بردتى

ومراده بالردة الرجوع عما يلزم لمقام المحبة لا المتعارفة كما لا يخفى (قوله اما الى التبرى الخ) أى لفنائه عن أفعال نفسه فى أفعال الحق تعالى بواسطة ترقيه الى مقام الجمع وقوله أو الى استغراقه الخ أى بواسطة فنائه عن نفسه أيضا بوصوله الى مقام جمع الجمع (قوله وقال بعضهم مكثت الخ) فيه تنبيه على كمال طهارة أسراره وزيادة اشراق أنواره حيث ترقى الى درجة استفتاء القلوب وأخذ الحكم من حقيقة المطلوب فكان نفعنا الله به ممن عنى السيد الكامل صلى الله عليه وسلم بقوله استفت قلبك الحديث فافهم (قوله لو أسكت لسانك الخ) يشير الى أنه ينبغى للعبد الرجوع الى الحق فى حفظه نفسا وجوارح ظاهرة وباطنة اذ لا قدرة على شئ من ذلك الا له تعالى (قوله وأما الروح الخ) ذكرها فى مقابلة النفس بناء على تغايرهما وقد قيل بذلك فى طريق القوم فان النفس عندهم هى متعلق المجاهدات حتى تفنى عن حظوظها وتصل الى مقام شرفها وأما الروح فهى بذاتها من عالم النور ولا تلابس شيئا من الظلمات والله أعلم (قوله غير داخل فيه الخ)

أى وذلك لانها من المجردات على ماعليه أهل التحقيق (قوله لانها كاتمة للسر) اى ولهذا كانت من عالم الغيب والامر بشاهد قوله جل اسمه قل الروح من أمر ربى (قوله بل لابدّ أن يقطع الخ) أى حقيقة الزهد الاعراض عن جميع حظوظ النفس وحظوظ الجوارح الظاهرة والباطنة (قوله وقيل لسان الجاهل مفتاح حتفه) أى سبب فى موته وذلك لانه يقوه من غير قلبه أو عن قلبه المظلم بظلمات المخالفات والجهالات بسائر العلوم اللازمة لصفاء القلوب وزيادة تذكرها ويقظتها واعلم انه لما كانت فلتات الجوارح غير اللسان يمكن تلافيها وتداركها ولا كذلك اللسان كانت جرائمه أهلك للنفس فعلى العاقل مراعاة حفظه دائما وأبدا ولهذا قيل ماندم من سكت فتدبر (قوله اذا سكت الخ) حمله الشارح على ذكر اللسان وذلك من نوع القصور فالاولى حمله على الاعم من ذكر اللسان والقلب بل عادة المحبين لزيادة غيرتهم على محبوبهم يكون ذكرهم له قلبيا قال الشاعر

أغار عليه اذا ذكرواله * حديثا كأنى لا أحب له ذكرا

(قوله فلا يمكنه السكوت عنه) أى لان حياته انما تكون بدوام ذكر محبوبه ولهذا المشهد أشار العارف الفارضى حيث قال فى ميميته

أدر ذكر من أهوى ولو بملامى * فان أحاديث الحبيب مدامى

ليشهد سمعى من أحب وان نأى * بطيف سلام لا بطيف منامى

فلى ذكرها يحلو على كل صيغة * وان مزجوه عذّلى بخصام

الى آخر ما قال (قوله والعارف اذا سكت عن ذكر معروفه هلك) أى لان المحبة اذا صدقت لا تظهر على المحب العارف بنطقه وانما تلوح على شمائله ولحظه فلا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب ولا يطلع على أسرارها الا المقرب المطلوب ولذا قيل

شعرا تشير فأدرى ما تقول بطرفها * وأطرق طرفى عند ذلك فتعلم

وذلك لان محبة الخواص من العارفين خالصة تقطع العبارة وتدق الاشارة فلا تتضح بالنعوت ولا تعرف الا بالحيرة والسكوت فافهم (قوله من عد كلامه من عمله الخ) أى وذلك لانه قد ذاق العلم ووفق للعمل به فعلم ان حصائد اللسان مهلكة قد توجب القتل بل الخلود فى النار مع القتل أعاذنا الله من ذلك

---

*(باب الخوف)

هو فزع القلب الخ أقول ذلك باعتبار العامة اما الخاصة رضى الله تعالى عنهم فلا خوف عندهم ولا حزن وذلك لانهم يعدون الوعيد وعدا والعذاب عذبا لانهم يشهدون المبلى فى البلاء والمعذب بكسر الذال المعجمة فى العذاب فقد عدموا ما وجدوا فى جانب ما شاهدوا ومن أجل ذلك قال قائلهم شعرا

سقمى فى الحب عافيتى * ووجودى فى الهوى عدمى

(قوله وسببه تفكر العبد الخ) أقول ذلك بحسب الظاهر فى الوجود الخارجى والا

(لم تكلمك روحك لانها كاتمة للسر) والمراد ان العبد اذا صمت بلسانه لا يكتفى به بل لابد أن يقطع عن نفسه فضول الفكر عن قلبه (وقيل لسان الجاهل مفتاح حتفه) يعنى قتله بسبب عثرة لسانه ففيه تنبيه على التحذير من كثرة الكلام وقد يغلط اللسان غلطة يكون فيها قتل النفس وهلاكها فى الدنيا وفى الآخرة (وقيل المحب اذا سكت) عن ذكر محبوبه (هلك) بقلقه بنيران شوقه اليه فلا يمكنه السكوت عنه بل يتروّح من كربه ويستريح من شدة حبه عنه بما يجريه الحق على لسانه من ذكره (والعارف اذا سكت) عن ذكر معروفه (هلك) بما فيه من شريف أحواله اذ شأن العارف كمال شغله بربه والكتمان لما وجد وشأن المحب الهيمان طلبا لما فقد (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من عد كلامه من عمله) الذى يحاسبه الله عليه ويسأله عنه (قل كلامه) لكونه يتثبت فيه خوفا من عاقبته فلا يتكلم (الا فيما يعنيه) أى يحتاج اليه

(باب الخوف)

هو فزع القلب من مكروه يناله أو محبوب يفوته كما سيأتى وسببه تفكر العبد فى المخوفات

فالسبب في الحقيقة انما هو سابق عناية الله تعالى واحسانه حيث وفق العبد الى هذا المقام الجليل (قوله كتفكره في تقصيره الخ) أفاد بذلك ان الخوف يختلف باختلاف أحوال الخائف من قوة وضعف فقد يكون الخوف من سطوات الوعيد أو من فوات أمر سعيد أو من خوف الحجاب والبعد عن درجة الاحباب وعلى كل حال هو من أسباب الخيرات وتزايد الحسنات (قوله والخوف ممدوح) أي للثناء على الخائف اللازم منه طلبه (قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا) المراد بالطمع انما هو الرجاء الذي هو تعلق القلب بمرغوب فيه مع الاخذ في الاسباب وذلك لان الطمع مذموم عقلا وشرعا كما لا يخفى ووجه الدلالة من الآيات المذكورة الثناء على الخائفين وما أعده الحق تعالى للخائف فيها (قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان) شروع في تعداد النعم الفائضة على المؤمنين في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا منها سواء الدينية والدنيوية ومقام الرب سبحانه وتعالى موقفه الذي تقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحوال العباد من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل أو هو مقحم للتعظيم والمراد بقوله تعالى جنتان يحتمل انه على معنى ان للخائف الانسي جنة وللخائف الجني جنة فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد منكما جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل عليه بها أو روحانية وجسمانية (قوله ويدعوننا رغبا ورهبا) أي راغبين في الثواب وراجين الاجابة أو راغبين في الطاعة وخائفين من العقاب والمعصية أو للرغبة والرهبة وكانوا لنا خاشعين أي مخبتين متضرعين أي دائمي الوجل وحاصل المعنى ان الانبياء المذكورين نالوا ما نالوا من احسان الله تعالى بسبب اتصافهم بهذه الصفات الحميدة المذكورة في الآية الشريفة فمن كان من هذه الامة على مثل هذه الصفات ثبت له مثل أو قريب مما ثبت لهم صلوات الله وسلامه عليهم غير انه يشترط أن تكون أحوالهم دائرة بين الرجاء والخوف على ما دلت عليه متابعة السيد الكامل صلى الله عليه وسلم لان تحكيم الرجاء دائما أو الخوف دائما مذموم شرعا لما يترتب على كل من التفريط او القنوط وذلك المذكور في الآية هو المطلوب من العبد فاذا قاموا بما طلبه الحق منهم قام لهم بما طلبه من نفسه لهم فضلا منه واحسانا لان المقصود من العارفين الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية وذلك بالتزام أحكامها ومدار ذلك على أمور ثلاثة التعظيم للحقوق والاعراض عن كل مخلوق والاستسلام تحت جريان المقادير والاحكام وقد يعبر عن ذلك بامتثال أمره والاستسلام لقهره وتدبير (قوله لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى) أي لا يدخلها أصلا ان دام على الخوف بمعونة التوفيق أو المراد نار الخلود لا نار التطهير هذا وفي الخبر المذكور تنبيه على فضل الخشية والبكاء وقد يذكر ثم ما

(قوله

كتفكره في تقصيره واهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه وكتفكره فيما ذكره الله في كتابه من اهلاك من خالفه وما أعده له في الآخرة وقد يعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهب والخيفة والخشية كما ستأتي الاشارة اليه مع زيادة والخوف ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا) وقال ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال ويدعوننا رغبا ورهبا (أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيري العدل) رحمه الله (قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلويه الدقاق) بضم اللام المشددة (قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عامر بن أبي الفرات قال حدثنا المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى) أي من خوفه منه

(حتى يلج اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى عبد ابدا) رواه الترمذى وقال حسن صحيح والمنخر بفتح الميم وكسرها (حدثنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن ابراهيم المهرجانى قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن الشرقى قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا يحيى بن سعيد القطان ١٨٩ قال حدثنا شعبة قال حدثنا قتادة عن أنس قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم) أى من الاهوال المخوفة (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه الشيخان وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن لم يخف الله خاف من كل شئ ثم بين الخوف فقال (الخوف معنى متعلقه) يوجد (فى المستقبل لانه) أى العبد (انما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب ولا يكون هذا الا لشئ يحصل فى المستقبل فاما ما يكون فى الحال موجودا) أو وجد فى الماضى (فالخوف لا يتعلق به والخوف من الله سبحانه هو ان يخاف) العبد (أن يعاقبه الله اما فى الدنيا واما فى الآخرة وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى) فلا تخافوهم (وخافون ان كنتم مؤمنين وقال فاياى فارهبون ومدح المؤمنين) من الملائكة (بالخوف فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم) فوقيته تعالى ليست بمكان بل بالاجلال والتعظيم وكمال الاقتدار وبتنزيهه عن مماثلة خلقه وقد يطلق الخوف من فوقهم على العذاب بحذف مضاف أى

يخافون عذاب ربهم من فوقهم (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الخوف) أى مطلقه (على) ثلاث (مراتب الخوف والخشية والهيبة فالخوف من شرط الايمان

(قوله حتى يلج اللبن فى الضرع) أى حتى يدخل فيه بعد انفصاله عنه وهو من المحال العادى فالمعنى حينئذ ان من بكى من خشية الله لا يدخل النار أصلا (قوله ولا يجتمع غبار فى سبيل الله) أى ابتغاء مرضاة الله ولاعلاء كلمة الله ودخان جهنم فى منخرى عبد أبدا أى اذا مات فى الجهاد أو عاش على سداد التوفيق والعمل بشاهد المتابعة (قوله لو تعلمون ما أعلم الخ) أقول لما كان علمه صلى الله عليه وسلم من علم الشهود علق الحكم به فلا يقال ان الاهوال قد ذكرت مفصلة وذكرت أسبابها كذلك وعلم ذلك المؤمن واطلع عليه ولم يتأثر بشئ من ذلك على ان من يضلل الله فلا هادى له واعلم انه بدوام المتابعة لسيد الانام والجد فى العمل والنامى نيام تحصل ثمرة انتفاء الخوف اذ العمل على وجه المتابعة يدور على ثلاث حصول البشارة بزوال الخوف والحزن لقوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية والحياة الطيبة بالرضا والقناعة لقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الآية وظهور حصول الخلافة بتسخير الكائنات لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية (قوله من خاف الله تعالى الخ) أقول وذلك ظاهر وآثاره جلية اذ من كان كذلك كان تجلية الجلال فهو حينئذ مرتد برداء الهيبة وبالضد يعلم حكم ضده (قوله معنى متعلقه يوجد فى المستقبل) أى فالفزع الذى هو معنى الخوف متعلقه وهو المخوف منه يوجد فى المستقبل والحاصل ان الخوف لا يتعلق الا بما كان وجوده فى المستقبل لا بما وقع فى الماضى أو الحال (قوله فالخوف لا يتعلق به) أى بل الذى يتعلق به انما هو الاسف والحزن (قوله اما فى الدنيا واما فى الآخرة) أى والاول يكون للمحبوبين والثانى لعوام المؤمنين (قوله وقد فرض الله الخ) أى حكم وقضى وأمر العباد انهم يخافونه وذلك بشاهد العلم أقول ومن اشارة الجملة الشرطية فى قوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين يخاف على من تجرد عن الخوف سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى (قوله وقال فاياى فارهبون) أقول صريح الآية الامر بالخوف منه تعالى دون غيره فلا ينبغى لعاقل آمن بما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يخاف غيره تعالى اذ لا فاعل غيره سبحانه وتعالى (قوله ومدح المؤمنين من الملائكة) أى والثناء عليهم به يقتضى طلبه منهم (قوله وقد يطلق الخوف الخ) أى وعليه فالفوقية حقيقية (قوله الخوف على ثلاث مراتب) أى فهى أنواع اطلاق الخوف كما ذكره الشارح (قوله فالخوف من شرط الايمان) أى ولذا علق عليه فى الآية الشريفة فيلزم ان من آمن ايمانا كاملا أن يخاف الله تعالى اذ من صدق بالوعيد خاف

وقضيته) فإيمان العبد بقدر الخوف (قال الله تعالى وخافون إن كنتم مؤمنين والخشية من شرط العلم) وقضيته فعلم العبد بقدر الخشية (قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى به تعالى (والهيبة من شرط المعرفة) وقضيتها فمعرفة العبد بقدر الهيبة (قال الله تعالى ويحذركم الله نفسه) ولما كان العارفون مختلفين بربهم عمن سواه حذرهم من نفسه ولم يذكر شيئا من عقابه وبما قاله علم أن الخوف يطلق على الثلاثة وأن الخوف الثانى أخص من الأول ونظيره الهبة تنقسم إلى هبة وهدية وصدقة كما هو مقرر فى محله وهذا لا ينافى قول بعضهم الخشية حال من مقام الخوف والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وفسر بعضهم الخشية بأنها خوف مقترن بتعظيم وبذلك فسرت قراءة إنما يخشى الله من عباده العلماء لأنه مدح العلماء الذين وصفهم الله بالخشية فإن العبد إذا تفكر فى ذنبه وشدة عقاب ربه رهب وهرب وخشى أن لا تقبل توبته فإذا من عليه بالعلم وعلم أنه يقبل التوبة رجع إليه واعتدل خوفه ورجاؤه وصار من العلماء العاملين لله على الخشية لعلمه بصفاته وهو أنه شديد العقاب غفور رحيم (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد ابن على الحيرى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله يقوم به الشاردين)

وقوعه (قوله وقضيته) أى لأن الإيمان والتصديق بالوعد والوعيد يقتضى الخوف وكذا يقال فيما بعده (قوله والخشية من شرط العلم) أى من لوازمه وهى أتم من الخوف وأعلى منه فقوله فعلم العبد بقدر الخشية أى لأن من علم ما للحق من الجلال والعظمة والإنعام وباقى صفات الكمال يثبت له معنى الخشية منه (قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى فهم الذين تثبت لهم حقيقة الخشية منه تعالى وليس المراد مطلق العلماء بل المراد العلماء بالله كما صرح به الشارح لأنهم هم العالمون بما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لأن مدار الخشية على معرفة المخشى والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما قال صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله وأتقاكم له وغير العلماء بمعزل عن هذه المعرفة ولا سيما الكافرين فيمتنع إنذارهم لذلك (قوله والهيبة من شرط المعرفة) أى التى تتحقق بواسطة الشهود وبعد رفع الحجب (قوله فمعرفة العبد بقدره الهيبة) أى لإشرافه عيانا على مظاهر الأسماء والصفات والأفعال (قوله ولم يذكر شيئا من عذابه) أى لأن السبب عند مثل هؤلاء فى جدهم واجتهادهم إنما هو إجلال الله تعالى وهيبته فهم رضى الله تعالى عنهم لا التفات لهم لغيره تعالى لا عذابا ولا بغضا ولا خوفا ولا أمنا (قوله يطلق) أى مطلقه على الثلاثة أنواع أى الخوف والخشية والهيبة (قوله وأن الخوف الثانى) أى المعنون عنه بالخشية أخص من الأول الذى هو أعم (قوله ونظيره الهبة الخ) أى فالهبة نظير الخوف فى الانقسام إلى ثلاثة أنواع وذلك باعتبار أن يراد منها مطلق العطاء (قوله إلى هبة وهدية وصدقة) الأولى للمثل غالبا والثانية للأعلى كذلك والثالثة للأقل كذلك (قوله وهذا لا ينافى الخ) أى جعلها أى الخشية نوعا من أنواع الخوف لا ينافى جعلها حالا من مقامه إذ الحال قد يكون مقاما من مقاماته التى هى أنواعه (قوله والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى) أى لأنها تجنب ما حذر عنه الشارع لخوف الوعيد فهى من ثمراته (قوله والتقوى معنى جامع الخ) أى ولذا قال الجنيد فى بيان حقيقتها حين سئل عنها أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك (قوله بأنها خوف مقترن بتعظيم) أى وذلك الاقتران منشؤه الالتفات إلى عدم قبول التوبة بعد الهرب بطوارق جلال اسمه ونعته تعالى بشديد العقاب والحاصل أنه بهذا الالتفات المتقدم اعتدل الخوف والرجاء حيث تحقق العبد بالعلم والعمل على الخشية (قوله فإن العبد) أى المجرد عن العلم بدليل ما سيذكره بعده ويحتمل أن المراد به الغافل عن علم أن الله غفور رحيم فقوله فإذا من عليه بالعلم أى بالرجوع إليه وتذكره بعد الغفلة عنه وهذا أظهر (قوله واعتدل خوفه ورجاؤه) أى فكان يعامل الله بالخوف فى حال صحته وبالرجاء فى حال شدته ومرضه (قوله الخوف سوط الله) أى مثله فى سوقه السائرين من النفوس وقوله يقوم به الشاردين أى يعدلهم به

أي الهارب بمعاصيهم (عن بابه) فلا يردهم عنه الا خوفهم من عذاب ربهم تبارك وتعالى وسطوته (وقال أبو القاسم الحكيم الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهبة يلتجئ الى الهرب اذا خاف) من شيء (وصاحب الخشية يلتجئ الى الرب ورهب وهرب يصح أن يقال انهما واحد معنى مثل جذب وجبذ فاذا هرب انجذب في مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فاذا كبحهم) أي منعهم (لجام العلم) بان من الله عليهم بالعلم (وقاموا بحق الشرع) وعلموا أن لا ملجأ من الله الا اليه وان رحمته واسعة (فهو) أي ما اتصفوا به من ذلك (الخشية) حاصله انه مدح العلماء الذين وصفهم الله بالخشية فان العبد اذا تفكر في ذنبه وشدة عقاب ربه رهب وهرب أي خشي انه لا يقبل توبته فاذا من عليه بالعلم وعلم انه يقبل التوبة رجع اليه واعتدل خوفه ورجاؤه وصار من العلماء العاملين لله على الخشية لعلمه بصفاته وهو انه شديد العقاب غفور رحيم ولعلمه بما أجراه الله عليه من المعصية والتوبة عنها فاذا نظر الى وقوع المعصية خاف واذا نظر الى أنه تعالى من عليه بالتوبة رجا واعتدل خوفه ورجاؤه كما ذكر ودامت طاعته ومراقبته وخشيته (سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت عبد الله ابن محمد الرازي يقول سمعت أبا عثمان يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سراج القلب به يبصر) بواسطة العلم (ما فيه من الخير والشر) فالخوف في الحقيقة حامل له على التثبت لتمييز الخير من الشر وتمييزه بالعلم لا بالخوف

و يقيدهم الى الاستقامة (قوله أي الهارب بمعاصيهم) الباء في قوله بمعاصيهم للسببية كما لا يخفى (قوله يلتجئ الى الهرب) أي يرجع الى الله اذا خاف وعيده (قوله يصح أن يقال انهما واحد معنى) أي وهو الرجوع الى الطاعة (قوله فاذا هرب انجذب في مقتضى هواه) أي عنه ففي بمعنى عن فهو بمعنى قوله فاذا كبحهم لجام العلم الخ وهذا ينافيه قوله كالرهبان مثال لمن كان منصرفا في هواه بشاهد حظ نفسه قبل ان تدركه عناية الجذب هذا ما ظهر في جمع أطراف كلامه فانظره ويحتمل ابقاء في على معناها ويكون بيانا للحال بعده بملابسة الحظ وذلك مما يلوح من كلامه وفيه تأمل فتدبره (قوله فاذا كبحهم) أي ردهم بلجام العلم أي العلم الذي هو كاللجام حيث علموا بواسطة أنواره ما يضرهم وما ينفعهم وقوله وقاموا بحق الشرع أي بأن عملوا به وتحلوا بثمرته وقوله فهو الخشية الجملة جواب قوله فاذا كبحهم الخ (قوله فهو الخشية) أي وهي أعلى من مطلق الخوف والهيبة أشرف من الخشية اذ لا تكون الا عن شهود بعد رفع الحجب عن العبد المقرب والحاصل ان الخوف سببه مجرد الايمان والخشية سببها الايمان المصاحب للعلم والهيبة سببها الايمان والعلم المقارن للمشاهدات والمعاينات (قوله حاصله انه مدح العلماء) محصل كلام الشارح ان مراد المؤلف الثناء على العلماء بما يترتب على علمهم من الرجوع الى الطاعة واعتدال الخوف والرجاء بعد افراط الخوف بملابسة المخالفات واسترسال النفس في الشهوات وذلك بنظرهم في أسمائه تعالى وصفاته فرأوا انه كما وصف نفسه بانه شديد العقاب الموجب للرهبة والهرب قد وصفها كذلك بانه غفور رحيم الموجب للرجاء والرجوع اليه فاعتدل بذلك خوفهم ورجاؤهم كما ذكر ودامت طاعتهم ومراقبتهم وخشيتهم فتأمله (قوله الخوف سراج القلب الخ) أقول ولذلك قيل اذا أردت أن تعرف قدرك عند مولاك فانظر فيما يقيمك فيه لان المنازل على حسب المنازل فان وجهك الى الدنيا فقد أهانك وان شغلك بالخلق فقد صرفك وان وجهك الى العمل فقد أعانك وان فتح لك في العلم فقد أرادك وان فتح لك بابا الى مناجاته فقد قربك وان واجهك بالبلاء فقد هداك وان صرفك عن الاعراض فقد ادبك وان رضيت به وعنه فقد فتح لك باب الرضا منه وهو أعظم الابواب وأكبرها وأتقاها قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله الرضا باب الله الاعظم وسراج العابدين وجنة الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى انا الله لا اله الا أنا خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وفي الحديث من أراد أن يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله ينزل العبد حيث ينزله العبد من نفسه (قوله به يبصر الخ) أي بواسطة نور القلب العلمي يبصر ما فيه من الخير والشر فيدوم أو ينكف (قوله على التثبت) أي التوقف عن المخالفات وغيرها حتى يتبين هذا من ذلك بذوق العلم على

(سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الخوف أن لا تعالل نفسك بعسى وسوف) بل تطلب ما تأمن به وتهرب مما تخافه وهذا فى الخوف المعتدل لان الناقص لا يحمل على طلب ولا هرب والمفرط يوقع فى القنوط واليأس من رحمة الله وكلاهما منهى عنه فالذى يحمل العبد على مسارعته الى خلاصه مما يخافه هو المعتدل وصاحبه لا يعالل نفسه بعسى ولا بسوف بل يهرب فى الحال من كل مخوف (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سمعت ابا عمر الدمشقى يقول الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان) لانها أعدى الاعداء وأقربهم وألزمهم للانسان اذ لا يمكن الخلاص منها ولانه لا قدرة له على الا بميل نفسك الى الشهوات وان كان هو الذى يزينها لها ويذكرها بأنواعها فكان الحذر منها أشد منه ولذلك كانت أعدى عدو للانسان كما جاء فى الخبر (وقال ابن الجلاء الخائف من تؤمنه المخوفات) أى تجعله فى أمان بأن يأمن منها فى حال طروقها عليه فلا يؤثر فيه لغيبته عنها بخوف الله ومن غاب عن الاشياء غابت عنه ولان من علم أنه لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا الله تعالى لم يخف غيره من سبع ونار وغيرهما كما وقع للسيد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فمن لم يخف غير مولاه أمن من كل مخوف وان خاف من بعض المخلوقات فانما يخاف أن يسلطه الله عليه ويكون خوفه من البعوضة أن يسلطها عليه أشد من خوفه من الفيل وخوفه من الهر الذى يتأنس به عادة أن يسلطه عليه أشد من خوفه من الاسد ومن خاف الله خافه كل شئ كما جاء فى الخبر. وسببه أن غلبة الخوف من الله تعالى على باطن الخائف من آثار مشاهدة الجلال ومن تجلى عليه بالجلال كساه ملابس الهيبة فهابه كل شئ فالخائف تارة يخاف من المخوفات وتارة يأمنها والثانى أعلى

ان أصل الباعث على كل خير العلم لان الخوف وغيره من المقامات لا يتحقق للعبد الا بما ينكشف له بنوره ويؤيد ذلك خبر من أراد الله به خيرا يفقهه فى الدين وكفى العلم شرفا أن يدعيه من ليس متصفا به ويشرف به من تحلى بنعته (قوله أن لا تعالل نفسك الخ) أقول ذلك نتيجة الخوف وثمرته لا نفسه وحقيقته اذ هو الفزع من الوعيد واشارات التهديد فالخوف هو الباعث للعبد على أن لا يعالل نفسه بعسى وسوف اذ مقتضاه الرجوع بالفعل عن جميع المخالفات والاخذ فى الجد فى الطاعات من غير توان ولهذا المعنى اشار عارف وقته حيث قال فى تائيته

وجد بسيف العزم سوف وان تجد ✱ تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

وأقبل اليها واخلها مقبلا اقبلا ✱ وصيت انهض انقبات وصيق

(قوله وهذا فى الخوف المعتدل) أى ما تقدم من قوله ان لا تعالل نفسك الخ انما هو فى الخوف المعتدل اى المتوسط لا الناقص الذى لا يحمل على شئ ولا المفرط المؤدى للقنوط (قوله الخائف من يخاف الخ) الغرض من ذلك الحث على مخالفة النفس اذ جبل الضرر ثابت بمتابعة هواها فان الشيطان يسهل ان تبعده عن نفسك بنحو الاستعاذة وغير ذلك من الوارد ولا كذلك النفس فينبغى حينئذ الخوف منها أكثر وايضا فان الشيطان يمكن علم دسائسه فتجتنب ولا كذلك النفس لانها روّاغة ختالة خداعة (قوله من تؤمنه المخوفات) أى لاستغراقه فى فناء الافعال فى فعله تعالى فلا يرى فاعلا غيره سبحانه وتعالى وذلك لما تحقق عنده من الخوف والجلال والعظمة له تعالى وبها قد غاب عن كل شئ سواها ولا يخفى ما فى قوله تؤمنه المخوفات من المبالغة الرقيقة الآخذة بمجامع القلوب نسأل الله بركة انفاس أحبابه (قوله ولان من علم الخ) أى وعلم ذلك لازم للخوف كما هو ظاهر (قوله كما وقع للسيد ابراهيم الخ) أى كما وقع له وقت القائه فى نار نمروذ حين هبط عليه جبريل قائلا له ألك حاجة حيث قال له اما اليك فلا وعلمه بحالى يغنى عن سؤالى (قوله وان خاف من بعض المخلوقات الخ) جواب عما يقال انا كثيرا نرى من تحقق بالخوف منه تعالى ومع ذلك يقع له الخوف من بعض المخلوقات والجواب انه انما خاف التسليط ومرجع ذلك الخوف منه تعالى (قوله فالخائف تارة يخاف من المخوفات) أى من تسليط الله اياها عليه فالخوف من فعله تعالى لا من مخلوقاته (قوله والثانى اعلى) أى لاستغراقه

في

(وقيل ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه) ويتألم على حاله وماهو فيه من فساد دينه لانه خوف يسير (انما الخائف) أى الخوف المحمود (من يترك مايخاف أن يعذب) هو (عليه) أى بسببه فالخوف المحمود ماصان العبد عن الاخلال بشئ من المأمورات أو الوقوع فى شئ من المنهيات (وقيل للفضيل) بن عياض (مالنا لا نرى خائفا فقال) لمن قال له ذلك (لو كنتم خائفا لرأيت الخائفين لان الخائف لايراه الا الخائفون) لان الخائف انما يعرف خوفه بقيامه بأوامر ربه وبعده عن مناهيه فمن لم يعرف من الخائفين الامزيجا فى ظاهره بما كاد عباد الله أن يخاصه لم يعرفهم حقيقة وانما يعرفهم حقيقة

من عرفهم بحركاتهم وسكناتهم وتحفظهم فى كلامهم واستماعهم ونظرهم وسائر ماهم فيه ولا يعرف ذلك الا من كمل علمه وتحقق به فى نفسه وعرف أمثاله من الناس فيميل اليهم بطبعه لرجاء منفعته ولذلك قال (وان الثكلى) وهى التى فقدت ولدها (هى التى تحب أن ترى الثكلى) لمعرفتها بما عليه من صفات الثكلى أولمساعدتها لها على ماهى فيه من الحزن والبلاء (وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لوخاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة) لان خوفه من الفقر يحمله على أن يشح بماعنده على نفسه وعياله ويخل بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحق زكاته ويقع فى كثير من المحرمات لتحصيل المال كالتدليس والغش فى العيوب وتعاطى المعاملات الفاسدة فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطى أسباب دخول الجنات ولما غلبت عليه الشهوات (وقال شاه الكرمانى علامة الخوف الحزن الدائم) لان الخوف انما يتعلق بفوات محبوب اوحصول مؤلم فى المستقبل فيتوالى على قلب العبد الفكر فيه ويورثه الهم والحزن الطويل ولو وقع المخوف بسرعة لم يحزن الاعلى مافات (وقال ابو القاسم الحكيم من خاف من شئ) كأسد اونار (هرب منه ومن خاف من عزوجل الى الله هرب اليه)

فى الخوف منه تعالى وغيبته عما سواه (قوله ليس الخائف الذى يبكى الخ) مراده ان الخوف قد ينشأ عنه البكاء فى وقت وبلابس الخائف بعد ذلك شيأ من المخالفات مع ان هذا ليس من المطلوب بل هو ماأثمر دوام الانقياد على وفق المتابعة بشاهد الحال والحاصل ان المقصود دوام مراقبة جلال الله تعالى بالتأمل فيما جاء من وعيده على لسان رسوله الاكرم صلى الله عليه وسلم حتى يتلبس بذلك دوم خوفه فيثمر انقياده ومتابعته لسيد الكمل عليه الصلاة والسلام (قوله لو كنت خائفا لرأيت الخائفين) أى وبشير اليه خبر المؤمن مرآة المؤمن فمن تحقق بمعنى الخوف الكامل نظر مثله بواسطة أنوار وارداته ومال بقلبه اليه لوجود المناسبة التامة فهى علة الاجتماع فى كل شئ (قوله من عرفهم بحركاتهم الخ) أى لابمجرد صورهم وحكاية أخلاقهم (قوله وان الثكلى الخ) أقول ذلك عنوان وعبارة عن المناسبة الموجبة للاجتماع سواء فقد الولد أولا وانما خص الثكلى بالذكر لافتقاد حظ نفسها من الولد فهى مثل الخائف فى ذلك بمقتضى خوفه (قوله مسكين ابن آدم لوخاف الخ) الغرض بهذا تحصيل الغفلة عليه لانه لو حرص على فعل المأمورات واجتناب المنهيات خوف العقاب بالنار على تضييعها مثل حرصه على حفظ المال خشية الفقر لدخل الجنة مع السابقين وهذا من قبيل التنزل والاحق الخوف من الاول دون الثانى على ان الثانى منقصة فى الدين وأى منقصة لان سببه عدم الوثوق بوعد ربه قال صاحب الحكم العطائية قدس الله سره اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك قلت لانك أتيت بالشئ على غير وجهه ووضعته فى غير محله حيث تركت ماأمرت بالقيام به وقت بما كفيت أمره قال فى التنوير وكيف يثبت لك عقل او بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك فيما طلب منك ولذلك قيل ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن الآخرة وطلب منا الدنيا والله أعلم (قوله الحزن الدائم) اى بدوام الخوف لانه ثمرته ونتيجته فامارة الخوف الحزن الدائم وذلك خلق محمدى (قوله من خاف من شئ هرب منه) أقول مع ان ذلك جهل ونقص اذ من علم ان المقدر كائن لامحالة وغير ذلك مستحيل لايخاف غيره تعالى وقد ثبت فى صحيح الخبر ماأصابك لم يكن ليخطئك فمن علم مصادر الافعال رجع فى كل شئ

لان الخوف حقيقة كما مر انما يكون من الله لانه الفاعل لكل مخوف فاذا خاف العبد غير الله مع غفلته عن الله هرب منه واذا ذكر الله وخشى ان يسلطه عليه هرب الى الله اى رجع اليه فلا يهرب من المخوفات الا الغافل عن الله والا فمن علم انها مسخرة بيد الله هرب ورجع الى الله القادر على خلاصه منها لا غيره (وسئل ذو النون المصرى رحمه الله تعالى متى يتيسر) اى يسهل (على العبد سبيل الخوف) اى طريقه ١٩٤ (فقال اذا انزل نفسه منزلة السقيم) الذى (يحتمى من كل شئ مخافة طول السقام) فانه انزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها الا بالله وأدام النظر فى ذلك سهل عليه أمر الخوف اى عمل بمقتضاه وبعد عما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة فى ارتكاب المخالفة لهواه لما يؤمله فى عقباه ولذلك شبهه بالمريض الذى يحتاج الى الادوية ويتحمل فى تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه رجاء العافية من سقمه وبلواه (وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المؤمن) اى العارف الكامل بأحكام ربه عليه (لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته) وفى نسخة روعه اى فزعه من الآفات التى تقع فى اعماله المطلوبة منه (حتى يخلف) اى يجاوز (جسر جهنم وراءه) لانه الصراط الذى هو آخر المخاوف اذ جاء فى الخبر انه جسر ممدود على متن جهنم (وقال بشر الحافى الخوف من الله ملك لا يسكن الا فى قلب متق) لانه لا يهوى ولا يكمل ويحمل على الخير ويصرف عن الشر الا فى قلب تطهر من الشهوات بأنواع الكسب والمجاهدات او بمن الله بطهارته من غير كسب وتكلفات كما ان الملك لا تسكن فى محل الاوساخ والقاذورات واذا نزلت بموضع وبه قذر غسل من ساعته ونظف لان شرفهم يتنافيها (وقال ابو عثمان الحيرى عيب الخائف فى خوفه السكون الى خوفه لانه أمر خفى) لان من سكن الى مقام شريف منعه سكونه من الارتقاء الى ما هو أكمل منه كما مر

اليه تعالى اذ لا مؤثر غيره والله اعلم (قوله لان الخوف حقيقة الخ) اى وحيث كان ذلك هو الخوف المشروع فلا مفر منه الا اليه تعالى فينبغى الرجوع بالكل للكل (قوله فقال اذا انزل نفسه الخ) اقول ما ذكره من التقريب للمعقول بما نألفه والا فلا سقم بضر حقيقة الا فى المخالفات والخروج عن المتابعات لا فى الامراض الحسية بل هى قد تكون من انجع أدوية النفس دينا ودنيا باعتبار الثمرة والفائدة المترتبة عليها ولا سيما ان صحبها صبر وعدم جزع وشكوى من المبتلى (قوله لا يطمئن قلبه) اى خوفا من فوات ما شاهده من على المقامات وسنى التجليات ويؤيد ما ذكر ما قيل المخلصون على خطر عظيم فعادة الله فى خلقه انه كلما ازداد القرب زاد الخوف لزيادة علم المقترب بسطوات قهره تعالى (قوله الخوف من الله ملك الخ) يصح ان يقرأ بكسر اللام وسر التعبير به الاشارة الى التخلى عن القاذورات المعنوية كما يخلى مكان الملك عن الحسية منها والتحلى بالكمالات المعنوية كما يحلى مكان الملك بالزينة الحسية ويصح ان يقرأ بفتح اللام وذلك لانه نورانى لا يسكن الا فى محل الانوار اذ لا تجتمع الظلمات والنور فى محل واحد وفى وقت واحد فالقلوب طور تجلى الحق تعالى ومحل أنواره ومهبط أسراره (قوله أو بمن الله بطهارته) اى بطريق الفضل والهبة وسابق العناية ومع ذلك فطريق الكسب هو الاغلب (قوله عيب الخائف الخ) خصه بالذكر لرعاية المقام والا فغيره من المقامات مثله فعلى الكامل أن لا يعتمد على عمله بل يتبرأ منه بشهود المتفضل عليه مع ذوق قول الحق لنبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقوله عيب الخائف الخ الغرض منه بعد ذكر ثمرة الخوف التحذير من مهاويه مثل السكون الى مقامه فانه مانع من الارتقاء الى ما هو أكمل منه قال صاحب الحكم كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته قلت وذلك على ثلاثة أوجه الاول انطباع وجودها من حيث النفع والضر وذلك بالاعتماد عليها والاستناد اليها الثانى انطباعها من حيث الجمال والاستحسان الموجب للحب وذلك يقتضى العبودية لها الثالث انطباعها من حيث الشهوة وذلك يقتضى الغفلة بها ومعنى انطباعها فى مرآة القلب ارتسامها فيه على وجه لا يقبل غيرها وصور الاكوان اعيان الموجودات وحقائقها ومرآة القلب بصيرته وانما لا يشرق القلب مع ما ذكر لانه ليس له الا وجه واحد اذا توجه لشئ انقطع عما

(وقال الواسطي الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد وهذا اللفظ فيه اشكال) لان الخوف مطلوب فكيف يكون حجابا بين الخائف وربه (و) جوابه أن يقال (معناه) اى اللفظ المذكور (ان الخائف متطلع لوقت ثان وابناء الوقت) وهم الصوفية (لا تطلع لهم في المستقبل وحسنات الابرار سيآت المقربين) فعدوا الخوف الذى هو تطلع لوقت ثان حجابا وهفوة لان تطلع العبد الى غير وقته تفرقة واشتغاله بوقته جمع واعترضه بعضهم بأن ذلك ١٩٥ لا يدل على تفرقة خارجة عن مقام الخوف لان متعلق كل مقام من ضرورة التخلق به ملاحظته فهو جمع لا تفرقة قال والاولى أن يقال العبد اذا وقف وسكن مع حالته في الخوف استحسن مقامه فيه وكونه استعان به على خلاصه من المكروهات ونشاطه في الطاعات فوقوفه معه مع استحسانه له حجاب بينه وبين ربه بمعنى انه منعه من انتقاله الى ما هو أعلى منه وأقرب الى ربه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن على الهاوندى يقول سمعت ابراهيم ابن فاتك يقول سمعت النورى يقول الخائف يهرب من ربه الى ربه) اى من معصيته الى طاعته ومن سخطه الى رضاه اذ لا مهرب من الله الى غيره كما مر (وقال بعضهم علامة الخوف التحير) اى القلق في أسباب النجاة والفكرة في الخلاص مما يوجب العقاب (والوقوف على باب الغيب) ومن لازم تسلله الباب رجى له نيل الثواب فضلا عن خلاصه من العقاب (سمعت ابا عبد الله الصوفي يقول سمعت على بن ابراهيم العكبرى) بضم العين والباء (يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل عن الخوف فقال هو توقع العقوبة مع مجارى الانفاس) اى أزمنتها لان الخوف يرفع عن القلب الحجاب ويفعله المراقبة برضا الاكرم الوهاب (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسين بن احمد الصفار يقول سمعت محمد ابن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول .

بما سواه والله أعلم (قوله الخوف حجاب بين الله وبين العبد) اى بين كمالات الله وبين العبد على معنى انه ينقل عن الشغل بالاهم من الحال الى التطلع الى طوارق الاستقبال وذلك ينافى قولهم الصوفى ابن وقته لا ينظر الى ماض ولا الى استقبال (قوله متطلع لوقت ثان) اى لان حقيقة الخوف انزعاج القلب في الحال بما يتوقع في المستقبل مما لا يلائم النفس وذلك تفرق واشتغال بغير الاهم من وظائف الحال (قوله وحسنات الابرار سيآت المقربين) اى فمقام الخوف وتحققه للابرار بمنزلة حسنة وهو حجاب وسيئة باعتبار المقربين وذلك لعلو هممهم فلا يرضون الا به تعالى (قوله واعترضه بعضهم الخ) أقول فيه ان التفرقة وان لم تخرج عن الخوف الا انها تخرج عما هو أكمل منه من المقامات المطلوب من العبد منازلتها ويحصل ذلك الحث على علو الهمة بالانتقال عن مقام الخوف الى ما هو أعلى منه فتسعد به باتصاف (قوله قال والاولى الخ) أقول هو وجيه أيضا كالذى قبله (قوله الخائف يهرب من ربه الى ربه) اى لانه لا يرى فاعلا غيره تعالى فهو اذا خاف شيأ هرب منه اليه بخلاف الجاهل الذى يخاف بجهله غيره (قوله علامة الخوف التحير) أقول التحير من لوازم الخوف ومن ثمراته لان شأن الخائف دوام التحير فيما به خلاصه ووقوفه على باب غيب الامان بوسائط سر القبول فيدوم على شهود الجلال عسى ان يحظى بمظاهر الجمال (قوله والوقوف على باب الغيب) اى لاستمطار الرحمات الربانية من طريق الفضل والاحسان (قوله فقال هو توقع العقوبة الخ) أقول لعل ذلك باعتبار حال من حضره والا فقامه البسط بالمشاهدات لا القبض بالخوف ولذا حكى ان الشبلى رأى قوما مجتمعين على شاب بسط وضرب مائة سوط فما استغاث ولا تألم مع كونه نحيل الجسم ثم بعد ذلك ضرب سوطا واحدا فاستغاث وتألم فتعجب الشبلى من حاله فتبعه وسأله عن صبره على المائة وصياحه وتألمه من سوط واحد فقال له يا أخى العين التى كنت أعاقب من أجلها كانت في المائة ناظرة الى فكنت التذ لاستغراقى في مشاهدتها وفي السوط الاخير احتجبت عنى فبقيت مع نفسى فتألمت اه فلما كان مثل الطبيب يداوى كل أحد بما يناسبه قال ما تقدم باعتبار حال من حضره كما ذكرنا والا فهو على بساط الانس لا يبقى للخوف في ساحته وجود والله اعلم (قوله فما فارق الخوف الخ) اقول هو باعتبار حال العامة ولذا قيل في قوله تعالى والكافرون لهم عذاب شديد ان عذاب

سمعت اباسليمان الداراني يقول مافارق الخوف قلبا الاخرب) لان الخوف درجات ومن انتقل الى مقام ثم رجف لم يحذرهما يفسده عليه اولا يكمله اولا يرقيه الى ماهو أعلى منه فسد عليه ماهو فيه فلا يستغنى مقام عن الخوف لكن شتان مابين خوف العذاب وخوف العتاب وخوف الحجاب وخوف فراق الاحباب (وسمعته) ايضا (يقول سمعت عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن يقول سمعت اباعثمان يقول صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا) لان الورع هو تجنب مايحذر فكل خوف لايثمر تجنب الخوف فليس بخوف صحيح (وقال ذوالنون) المصري (الناس على الطريق مالم يزل عنهم الخوف فاذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق) الامزان الخوف ١٩٦ لايستغنى عنه مقام (وقال حاتم الاصم لكل شئ زينة وزينة العبادة الخوف) اذ لاتكمل عبادة وتحفظ عمايشينها الا بالخوف (وعلامة الخوف قصر الامل) لان من قصر امله حسن عمله لخوف هجوم موته وهو ينفع العاصي حيث يتخلص من زلله والمطيع حيث يجذبه فى بلوغ أمله (وقال رجل لبشر الحافى أراك) اى أظنك (تخاف الموت) فاسبه (فقال القدوم على الله عز وجل شديد) فيه دليل على كمال تعظيمه لمولاه وشدة حضوره بسؤاله عن تقواه وهذا بحسب مايغلب على قلب العارف مما يحدثه الحق فيه فتارة يخاف اللقاء وتارة يشتاق اليه ويحبه وهيبته له تختلف تارة خوفا على نفسه من التقصير وتارة املا لما يرجوه من فضل العليم الخبير (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول دخلت على الامام ابي بكر بن فورك عائدا) له فى مرضه (فلما رآني دمعت عيناه فقلت له ان الله سبحانه وتعالى يعافيك ويشفيك فقال لى ترانى أخاف الموت انما أخاف مما وراء الموت) كان لايقبل عملى وان تطرقه آفة (اخبرنا على بن احمد الاهوازى قال اخبرنا احمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن عثمان قال حدثنا القاسم بن محمد قال حدثنا يحيى بن يمان عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن موهب عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر قال لا ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ان لايقبل منه) ذلك فيه دليل على ان الخوف يكون مع [illegible] الى طاعة العبد لكونه لايعرف صحة عمله ولا قبوله لما قد يطرق الاعمال من الآفات

المؤمنين غير شديد بخلاف الكافرين لانهم ماشاهدوا المعذب بكسر الذال المعجمة فى العذاب بخلاف المؤمنين فالعذاب على شهود المعذب عذب والثواب على الغفلة عن المنعم صعب فالخوف من منازل العوام وانما الخواص الهيبة وهى أقصى درجة يشار اليها فى الخوف لان الخوف يزول بالامن ولا كذلك هى فهى تنافى الخوف فى ذلك والحاصل ان الغرض مماذكر الحث على دوام العبد على الخوف ليدوم له صدق السير حيث هو السائق وقد أشار الشارح الى ان الخوف يختلف باختلاف مقامات الخائفين فمنهم من يخاف العقاب لبقاء نفسه ومنهم من يخاف العتاب والحجاب وذلك باعتبار من ترقى الى درجة المشاهدات ومنهم من ترقى عن ذلك الى درجة المعاينات والمكاشفات يخاف فراق الاحباب وكل هذا باعتبار حال العامة اما باعتبار حال الخاصة فكل ذلك نقص عندهم وتفرق لفنائهم عما سواه تعالى وجمع همهم عليه فافهم (قوله صدق الخوف هو الورع) اى ثمرته الورع عن المخالفات (قوله الناس على الطريق) اى على طريق الاستقامة مالم يزل عنهم الخوف اى مدة عدم زواله فاذا زال عنهم الخوف فقد ضلوا عن الطريق وخرجوا عن الاستقامة (قوله وزينة العبادة الخوف) اى لانه به يتحقق التخلى عن قاذورات المخالفات وبذلك تحفظ الزينة عما يشينها من الدنس (قوله وعلامة الخوف قصر الامل) اى لانه هو الباعث على الخوف والسائق لحسن العمل (قوله فقال القدوم على الله شديد) ان قلت صفة المؤمن محبة لقاء الله قلت هو كذلك على معنى انه يميل الى فعل مايقربه الى الله تعالى ويبعده عما يسخطه وذلك لاينافى هيبة القدوم على الحق تعالى كما لايخفى وهذا فيه تنبيه على كمال هذا الاستاذ باشارة اشتغاله بمولاه وعدم التفاته الى ماسواه من نعيم وعذاب وهذا شأن الكمل ممن اجتباهم الله تعالى (قوله كان لايقبل عملى) اقول ذلك يقوى ما كتبناه قبل ووجه التقوية ان مراده بما وراء الموت هو هول هيبة اللقاء وهو الذى يناسب مقام مثل هذا الشيخ وبه تعلم ما فى قول الشارح كان لايقبل عملى (قوله فيه دليل الخ) اى وفيه دليل آخر على

(وقال ابن المبارك رحمه الله الذى يهيج الخوف حتى يسكن فى القلب دوام المراقبة فى السر والعلانية) اذا المعامل على دوامها انما هو قوة الخوف من اطلاع المنظور فبتوالى الخوف على القلب تحصل المراقبة وعلامة سكون الخوف فى القلب توالية فيه حتى يصير كانه ساكن فان الاعراض لا بقاء لها (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن يقول سمعت ابا القاسم بن ابى موسى يقول سمعت محمد بن احمد يقول سمعت عليا الرازى يقول سمعت ابن المبارك رحمه الله يقول ذلك) اى الذى يهيج الخوف الخ (وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول اذا سكن الخوف القلب) بان توالى عليه (أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه) لان الخوف يحجز عنها ويمنع من الوقوع فيما اشتملت عليه من الآفات ومن ثم كانت الدنيا رأس كل خطيئة وخوف الله تعالى باب كل خير 197 (وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الاحكام) اى بتصرف الله فى خلقه من هداية واضلال وعافية ومرض وغيرها فمن قوى علمه بذلك لم يأمن على نفسه وان كان فى أفضل المقامات والاحوال وهذا العلم سبب الخوف لا نفسه فهو عنه بسببه كما عبر النووى عن الزهد بقصر الامل (وقيل الخوف حركة القلب وقلقه من جلال الرب) وعظمته فمتى استشعر القلب نظر الرب اليه فى حالته التى هو فيها وان كانت أفضل عباداته اضطرب وقلبه واقشعر جلده ووجل كما قال تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم (وقال ابو سليمان الدارانى ينبغى للقلب أن لا يكون الغالب عليه الا الخوف فانه اذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب ثم قال) اتباعه له (يا احمد) لما رأى منه ميلا الى الرجاء (يا احمد) اى قوم (بالخوف ارتفعوا فاذا ضيعوه نزلوا) ومع ذلك فاذا استقامت أحوال العبد كان الكمال فى استواء الخوف والرجاء فى القلب من غير اخلال وهو الذى أوصى به ابو بكر عمر رضى الله عنهما بقوله ليكون العبد راغبا راهبا لا يتألى على الله ولا يقنط من رحمته أخذا من الغالب فى القرآن من ذكر الترغيب والترهيب مقترنين ويدل له قول عمر رضى الله عنه لو نادى مناد من السماء أيها الناس انكم كلكم داخلون النار الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا هو ولو نادى مناد انكم كلكم داخلون الجنة الا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أنا هو وقال بعضهم هذا فى غير حالة الاحتضار اما فيها فالاولى غلبة الرجاء وحسن الظن وقال الغزالى رحمه الله تعالى ان غلب على العبد داء القنوط واليأس فالرجاء أفضل او داء الامن من مكر الله فالخوف أفضل (وقال الواسطى الخوف والرجاء

عدم منافاة ذلك للكمال فى الطاعة كما أشار اليه الشارح (قوله حتى يسكن فى القلب دوام المراقبة) اى وبدوامها يهيج الخوف ويتوالى على القلب حتى كانه حال ونازل به لا ينتقل عنه (قوله أحرق مواضع الشهوات منه الخ) اى بواسطة فناء النفس الامارة فى نفسه فيتطهر القلب من حظوظ شهواتها الخبيثة وبفنائها وموتها تحيى النفس اللوامة فتحث الانسان على فعل الشريف وتنهاه عن الخسيس (قوله وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الاحكام) اى وبذلك ينظر فى خطر السوابق وخفاء اللواحق فتخفى حقيقة الاسباب بشهود ما فى الباب ومثل هذا فى الكمال تفرق وتضييع للوقت بلا فائدة فحال الكمال البسط بشهود تجليات الجمال وغاية التسليم والرضا بفعل العليم الحكيم (قوله قوة العلم الخ) اى فسببه الاعظم قوة العلم بمجارى الاحكام اى بأنه لا فاعل غيره تعالى ولا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل فعلم العبد بذلك كله وبحقيقته بذلك سبب أعظم فى دوام خوفه منه تعالى (قوله من جلال الرب) وهو مقام الكمل من المقربين فشأنهم دوام الهيبة ثم اذا تعلو الى المشاهدات تحلوا حينئذ بمقام الانس (قوله ينبغى للقلب الخ) اقول محله ما دام العبد صحيحا والا فالذى ينبغى له فى حالة المرض قوة الرجاء (قوله فاذا استقامت أحوال العبد الخ) اى والاستقامة انما تكون بالدوام على الامتثال وقوله كان الكمال فى استواء الخوف والرجاء فى القلب مراده بذلك العمل بكل فيما يناسبه بشاهد علم النقل (قوله لا يتألى على الله) اى لا يقسم عليه بواسطة قوة رجائه ولا يقنط من رحمته بسبب افراط خوفه بل يكون حاله الاعتدال فيهما (قوله هذا) اى ما تقدم من تغليب الخوف فى غير حالة الاحتضار واما فيها فالاولى غلبة الرجاء مطلقا فى حق الكامل وغيره (قوله وقال الغزالى الخ) اقول هو فى غاية من التحقيق (قوله وقال الواسطى الخ) اقول قد تقدم عد الخوف سائقا والرجاء قائدا والعكس

زمامان) مستوليان (على النفوس) يحفظانها (ان لا تخرج الى رعوناتها) اى سكونها الى حالها واستحسانها ماهى عليه من طاعتها او بجزعها و يأسها من فضل ربها عند مخالفتها فالخوف والرجاء يصدانها عن رعونتها لانها اذا استحسنت أحوالها وركنت الى اعمالها زجرها الخوف وان يئست من فضل ربها وقنطت لسوء حالها جذبها الرجاء للسلامة (وقال الواسطى) أيضا (اذا ظهر الحق على السرائر) بأن أظهر الله تعالى لها سبحانه من جماله وجلاله ما شغله عن احساسه بنفسه فضلا عن غيره من المخلوقات (لا يبقى فيها فضلة) من الاحساس (لرجاء ولا لخوف قال) المستملى قال الاستاذ (الامام) القشيرى رحمه الله (وهذا فيه اشكال) على من لم يعرف اصطلاح القوم لان الخوف ١٩٨ والرجاء مطلوبان فكيف ينبغى فقدهما وجوابه ان يقال (ومعناه) انه (اذا اصطلمت) اى استأصلت (شواهد الحق تعالى الاسرار) بأن أطلع الله العبد من جماله وجلاله على ما أشغله عن احساسه بنفسه (ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان) بفتح الحاء والدال قال الجوهرى الحدث والحديث والحادثة والحدثان بمعنى (والخوف والرجاء من آثار بقاء الاحساس بأحكام البشرية) مع اضطرار العبد لا يطالب منه الخوف والرجاء اذ لا اختيار له حينئذ فى فقدهما بخلافهما مع اختياره (وقال الحسين بن منصور من خاف من شئ سوى الله تعالى اورجا سواه أغلق عليه أبواب كل شئ) من الخير لان غير الله تعالى لا يقدر على تحصيل نفع ولا دفع ضر لانه تعالى هو المنفرد بالافعال (وسلط على العبد) أى فضلا من الله (لكان أشر عليه من أقوام (وسلط عليه المخافة) اى الخوف من العقاب لكونه التفت الى غيره (وحجب قلبه بسبعين حجابا) لذلك وذكر السبعين للمبالغة لا للحصر كما قيل به فى قوله تعالى ان تستغفر (قوله لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (أيسرها الشك) اى التردد الاعتبارى من نظره الى الاسباب الظاهرة وغفلته عن انه تعالى هو المنفرد بالافعال فليس ذلك منه شكا فى انه الفاعل او غيره والا لكان كافرا وانما هو تردد اعتبارى كما قلنا (وان مما أوجب على العبد (شدة خوفهم فكرتهم فى العواقب) التى لا يعلمها الا الله (وخشية تغير أحوالهم) لانه تعالى يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل ولا يقع الا ما سبق فى علمه والعبد لا يدرى أين يصير لكنه ان رأى نفسه على الصراط القويم غلب على ظنه نجاتها وان رآها بعكس فالشأن عليها ما هو وان غلبت طاعاته يخاف التغيير والتبديل ولا يغتر بحالته التى هو عليها

وكل صحيح (قوله زمامان) اى بالنسبة لاصحاب النفوس الحسية بسبب بقاء حظوظها لا فى الذى غلبت على قلبه أحوال الحقيقة حتى اصطلمته أخذا مما يأتى اذ لا مجال للخوف والرجاء فيه (قوله اذا ظهر الحق) اى غلب على السرائر وذلك باعتبار الكمل من عباد الله غير ان لهم مقام الهيبة والاجلال لا يفارقهم أصلا وحينئذ فلا سكون لهم مع ذلك (قوله ومعناه انه اذا اصطلمت الخ) اى وذلك بالفناء عن النفس ثم الاكمل من هذا الرجوع منه الى الاحساس مع دوام تجلى الهيبة (قوله من خاف من شئ سوى الله تعالى الخ) اى وهو لا يكون الا من غلبت جهالاته فوقف مع أسباب المطلب الظاهرة وغفل عن الفاعل المختار فى الحقيقة (قوله أغلق عليه الخ) اى بأن يكله ويرجعه الى جهله حتى يعامله بمقتضاه فيغلق عليه الابواب ويعسر عليه الاسباب (قوله لكان اشر عليه من أقوام) وذلك بما أودع فيه الله من قوة الايلام عند تسلطه دون ما لم يسلطه عليه (قوله وسلط عليه المخافة) اى زيادة على ما كان عنده (قوله وحجب قلبه) اى عن شهود المؤثر الفاعل (قوله كما قيل به) اى من ارادة المبالغة لا الحصر وفيه انه تقدم له فى هذه الآية القول بارادة الحصر فلا تغفل (قوله اى التردد الاعتبارى) اى الحاصل ذلك من قصر نظره الى الاسباب باعتماده عليها غفلة عن الفاعل الحق مع اعتقاده انه الفاعل لا فاعل غيره والا كان كافرا كما ذكره الشارح (قوله وان مما أوجب الخ) مراده بيان الباعث على الخوف ومحصله انه شدة تفكر العبد فى العواقب وخشية تغير الحال لان مجرد أسباب النجاة الظاهرة لا توجب الاطمئنان لانه لا معقب لحكم الله تعالى فأسباب النجاة امارات فقط على السلامة يشاهدها العبد وان كانت العبرة بما فى نفس الامر وعلم الله الازلى (قوله لكنه ان رأى الخ) محصله ان الذى يتحقق للعبد فى الوقت من أعماله وحركاته امارات على ما يكون له من عمرانها مما يسر او يضر فاذا طرق قلبه احتمال التغيير والحال فى عقبه ترتب عليه مقتضاه من سرور او حزن

(قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) اى يظنون (وقال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فكم من مغبوط فى أحواله انعكست عليه الحال) التى هو فيها (ومنى) بضم الميم وكسر النون اى وقدر له (بمقارفة) اى مخالطة (قبيح الاعمال فبدل بالانس وحشة وبالحضور غيبة) فلا يغتر العبد بحالته التى هو فيها وان سكنت نفسه اليها وأثنى عليه الناس بها (سمعت 199 الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله ينشد كثيرا

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ۞ ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ۞ وعند صفو الليالى يحدث الكدر

سمعت منصور بن خلف المغربى رحمه الله يقول كان رجلان اصطحبا فى الارادة) اى المشيئة وفى العبادة (برهة) بضم الباء وكسرها اى مدة طويلة (من الزمان ثم ان أحدهما سافر وفارق صاحبه) اى مضى (وأتى عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه) بمعنى عنه وفى نسخة له (خبرا فبينا هذا الآخر كان فى غزاة يقاتل عسكر الروم اذ خرج على المسلمين رجل مقنع فى السلاح يطلب المبارزة فخرج اليه من ابطال المسلمين واحد فقتله الرومى ثم خرج اليه آخر فقتله ثم ثالث فقتله فخرج اليه هذا الصوفى) الذى كان صاحبه (وتطاردا) وتضاربا (فحسر الرومى) قناعه (عن وجهه فاذا هو صاحبه الذى صحبه فى الارادة والعبادة سنين فقال هذا له ايش الخبر فقال له انه) يعنى نفسه (ارتد وخالط القوم) الذين صحبهم من الكفار (وولد له أولاد واجتمع له مال فقال وكنت تقرأ القرآن بقراآت كثيرة فقال لا أذكر منه حرفا فقال له هذا الصوفى لا تفعل وارجع) عن صحبة هؤلاء الى ما كنت عليه (فقال لا أفعل فلى فيهم مال وجاه فانصرف أنت عنى والا فعلت بك ما فعلت بأولئك) الثلاثة (فقال له الصوفى اعلم انك قتلت ثلاثة من المسلمين وليس عليك أنفة فى الانصراف فانصرف أنت وأنا أمهلك) الى ان ترجع (فرجع الرجل مولياً فتبعه هذا الصوفى وطعنه فقتله فبعد تلك المجاهدات ومقاساة تلك الرياضات) منه (قتل على النصرانية)

(قوله قال الله تعالى وبدا لهم الخ) دليل على ما قبله اى ظهر لهم من فعله تعالى ما لم يكن لهم فى حساب وذلك لوقوفهم مع الاسباب وغفلتهم عن تصاريف الحق فى الخلق (قوله الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) اى بحسب ما لابسوه من المخالفات ومفسدات الاعمال وهم بجهلهم يحسبون يظنون انهم يحسنون صنعا (قوله فكم من مغبوط الخ) أشار بذلك الى ان العبرة بما سبق من حكم الحق وقضائه بمقتضى حكمته وحينئذ فلا يغتر الموفق ظاهرا ولا يقنط المقصر ولذا ثبت والمخلصون على خطر عظيم اى من خوف التغيير فى سابق العلم الازلى والمغبوط هو من يتمنى غيره مثل ما ثبت له من الخير مع عدم ميل ذلك الغير الى زوال نعمته عنه (قوله فبدل بالانس) اى بدل أنسه بظاهر حاله وحشة اى خوفا وفزعا وقوله وبالحضور غيبة اى وبدل بقربه المتوهم له بعدا والعياذ بالله تعالى من ذلك (قوله فلا يغتر العبد بحالته الخ) اى لان العبرة بالقبول لا بما هو فى ظاهر الحال مدخول ومعلول اه (قوله أحسنت ظنك) اى بسبب جهلك ووقوفك مع الواقع فى الحال والغفلة عما يجرى به الحق فى الاستقبال صيرت ظنك حسنا ولم تخش قدر السوء مع ان حوادث الحق التى لا تلائم النفس قد تقع عندما تحسن وتصفو فعلى كامل العقل التيقظ والبعد عن طرق الغفلة اه لان يدرك النجاة وبعبارة أخرى يقال أحسنت ظنك أيها المغرور بالايام ومثلها الليالى اذ حسنت بزهرتها وزينتها فى الظاهر ولم تخف سوء ما يأتى به القدر اى لم تخش ما يجرى به الحق تعالى من المقدرات التى يسوء وقوعها بالعبد وسالمتك الليالى اى جعلتك فى سلم وأمن بحسب ما ظهر فيها من تصاريف الحق فى الحال الملائمة للحظ فاغتررت بها اى صرت فى غرور وغفلة حيث وقفت معها ولم تتأمل فيما يحدثه الله تعالى مما لا يلائم الحظ وقوعه والحال والعادة انه عند صفو الوقت يحدث الكدر اى ما يكدر النفوس اه (قوله كان رجلان الخ) أقول فى ايراد مثل هذه العبارة غاية التخويف وما أظن مثل هذا المرتد الا انه كان من المنافقين فى حالته الاولى والا فيبعد كل البعد ان من يذوق حلاوة الايمان بقلبه مدة طويلة انه يصدر منه مثل ذلك والله أعلم (قوله فبعد تلك المجاهدات الخ) أقول وقد ثبت فى صحيح الاخبار ما يدل على مثل هذا ففى الحديث الشريف ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة

(وقيل الظاهر على ابليس ما ظهر) بعد مجاهدته ورياضته (طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فأوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن مكرك) فنبكي خوفا من مكرك بنا بالتغيير والتبديل كما وقع لابليس (فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري ويحكى عن السري السقطي رحمه الله انه قال اني لانظر الى أنفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال ابو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تعالى ينظر الى نظر السخط) والمقت (واعمالي تدل على ذلك) ٢٠٠ اى لكثرة غفلاته واسوء أدبه في معاملاته مع الله ومع خلقه (وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقي آدم عليه السلام فيها ما لقي) مما هو معروف (ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي) من الردة وغيرها (ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام) ويقال بلعم بن باعورا من علماء بني اسرائيل (كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي) حيث كفر وصار مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث مع انسلاخ ايمانه على صدره (ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدرا من المصطفى صلى الله عليه وسلم (و) مع ذلك (لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال) اللهم (اني قد اجترأت البارحة على الله تعالى) حيث (سألته الجنة وأنا مقصر في نفسي ولا تصلح احوالي لسؤالها وكان حقي أن أسأله يجيرني من النار (وقيل خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا) اى منفردا (عنهما منكسرا) ذليلا (فدعا الله سبحانه تعالى وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع غدا) اى يوم القيامة (بيني وبين ذلك العاصي فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني قد استجبت دعاءهما جميعا ورددت ذلك الصالح) لاغتراره بعمله (وغفرت لذلك المجرم) لتفويضه أمره الى ربه ونظره الى عمله بعين النقص (وقال ذو النون المصري قلت لعابد) المجنون (لم سميت مجنونا قال لما طال حبسي عنه) اى عن رؤيته تعالى في الدنيا (صرت مجنونا لخوف فراقه في الآخرة) بأن لا أراه فيها

حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار الحديث، وقد أشار الى ذلك أيضا صاحب الحكم العطائية حيث قال سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار فالله سبحانه وتعالى يرزقنا حقيقة الاعتبار (قوله وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر) اى من الطرد وتأبيد اللعنة والبعد عن الرحمة بواسطة ما كتسبه على حسب سابق حكم القضاء الازلي (قوله طفق) اى شرع جبريل وميكائيل يبكيان (قوله ما لكما) استفهام تقريري مع انه العالم بما تكنه السرائر وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعلم (قوله هكذا كونا) اى فينبغي للعاقل الكامل أن يدوم على الخوف خشية التغيير اذ لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل واضافة المكر يجب صرفها عن معناها المتعارف لاستحالة ارادة الحقيقة في حقه تعالى (قوله اني لانظر الى أنفي الخ) قالمداواة لبعض العارفين ممن يداوي بمثل ذلك والافضل مع كمال شأنه نعمته البسط بشهود التسليم لفعل العليم الحكيم (قوله اى لكثرة غفلاته) انظار هذا من الشارح نفعنا الله بعلومه مع غزارة علمه وكماله حيث حمل كلام ابي حفص على مثل هذا الوجه الذي لا يليق الا بالعامة ثم ان أريد من ذلك القصور عن أداء حق الحق تعالى والتقصير فيه حسبما هو اللائق له تعالى فلا بعد والله أعلم (قوله وقال حاتم الاصم الخ) أقول قد جمع في الوعظ أسباب الاغترار حيث جعلها من أكبر أسباب النجاة جزاه الله عنا خيرا (قوله ومع ذلك لم ينتفع الخ) اى وقد قيل له انك لا تهدي من أحببت (قوله حيث سألته الجنة الخ) أقول ذلك منه لهضم نفسه وارشاد غيره والا فسؤال الجنة مندوب اليه (قوله فأوحى الله تعالى الخ) فيه تنبيه على عدم رؤية الاعمال وعدم الاغترار بشريف الاحوال حيث ذلك من الوقوف مع الاسباب والغفلة عن شأن رب الارباب فالله يرزقنا السلامة مع التسليم وتفويض امورنا الى العزيز الحكيم (قوله وغفرت لذلك الخ) اى ولهذا قد أشار صاحب الحكم حيث قال رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (قوله قال لما طال حبسي الخ) أقول ذلك من قبيل هضم النفس والا فرؤية الله تعالى في مراقبته

تعالى فى الدنيا وبمعنى مشاهدته بالابصار فى الآخرة ثبتت لعوام المؤمنين فضلا عن خواصهم (قوله لوان ما بى الخ) الغرض افادة ان ما يرد عليه من خشية أسباب الفتن الموجبة لهلاك العبد لا يتحمله صخر من الحجر فكيف يتحمله شخص ضعيف القوة خلق من عنصر الطين الخالى عن الصلابة (قوله ما رأيت رجلا الخ) اى فقد كان رضى الله عنه بالنسبة لنفسه تجليه الجلال بشاهد العلم ونور المعرفة (قوله قطع الخوف كبده) أقول وقد ثبت عن الصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه انه كان يشم من فيه رائحة الكبد المشوى وذلك لكثرة خوفه من الله تعالى (قوله فقال لانها عزلت الخ) اى وفى ذلك الاشارة الى حكمة تغير الانسان عند الموت بلون الصفرة وذلك لكون الانسان وقت حضور أجله يخشى تزحزحه عن درجة كماله من الايمان فيصفر لونه ثم اذا أمن بعد ذلك يبعث ووجهه مشرق (قوله ويحكى عن أحمد الخ) فيه تنبيه على ان من أعظم أسباب الاستقامة استصحاب الخوف منه تعالى ومن أعظم أسباب العطب سكون النفس وطمأنينتها واغترارها بسعة رحمته تعالى مع التهاون فى الاوامر والنواهى الالهية

(باب الرجاء)

اعلم أن حقيقة الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه مع الاخذ فى الاسباب وهو مندوب اليه بهذا المعنى بخلاف الطمع فانه محرم فالرجاء حينئذ من قبيل طلب غائب وانتظار مفقود وذلك من أضعف منازل العوام لانه معارضة من وجه ودعوى من وجه آخر وله فائدة واحدة نطق به التنزيل ووردت به السنة وهى تبريد حرارة الخوف لئلا يفضى بالعبد الى اليأس فهو دواء لمرض الخوف وهو لا يعرض الا للعوام من العبيد اما الخواص منهم فالرجاء عندهم شكوى وعمى اذهم دائما على بر الالطاف وغرق بحر الجود وتحت قابلية الاحسان فلم يدع لهم ما شاهدوه مستزادا ولما كوشف لهم عنه فى الدارين مرادا فالرجاء عندهم وهن وعقال فى الارادة وعلة ووصمة فى المحبة فما ترك وجود الحق لهم غرضا ولا ابقى جوده لهم رجاء ولا غادر حبه لشئ من الكونين فى قلوبهم أثرا فالعارفون المحققون لم يبق لهم امل يتعلقون به ولا غرض يسترقهم فيقفون معه فى اقل أقل ما لاطفهم به من اجل اجل ما تنتهى اليه رغباتهم ولهذا اشار سيد الكمل صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن نعيم أهل الجنة حيث قال لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان ذلك لهم من حظ النفس من الجنة فما ظنك بما لهؤلاء من حظ قلوبهم من الله عز وجل ثم اعلم ان من اسباب الرجاء التوبة وحسن الظن بالله تعالى لان العبد اذا تأمل وجد ما منه اليه انما هو احسانه من افضاله وعطاؤه من امتنانه حيث أوجده من العدم وامده بالنعم من باب الكرم وجعله مؤمنا من غير سالفة ولا قدم بل هو جوده وكرمه وامتنانه قال أبو حبيب البدوى رحمه الله تعالى لم نر خيرا فقط الا من ربنا فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط الا منه وقال الشاذلى نفعنا الله به أما نحن فلا نحب

(وفى معناه أنشدوا * لوان ما بى على صخر لانحل له *) اى أهرمه وأسقمه (فكيف يحمله خلق من الطين وقال بعضهم ما رأيت رجلا أعظم رجاء لهذه) وفى نسخة فى هذه (الامة ولا أشد خوفا على نفسه من ابن سيرين) حيث نظر الى عمله بعين النقص وحسن ظنه بالمسلمين فرجا لهم العفو عما يقع منهم (وقيل مرض سفيان الثورى فعرض دليله) اى ما يستدل به على مرضه (على الطبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء) اليه (وجس عرقه) اى نبضه (ثم قال ما علمت ان فى الحنيفية مثله) فى كمال خوفه وتغيره (وسئل الشبلى لم تصفر الشمس عند الغروب فقال لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام) اى مقام التمام (وكذا المؤمن اذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام فاذا طلعت الشمس طلعت مضيئة كذلك المؤمن اذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق) اى يضىء (ويحكى عن احمد بن حنبل رضى الله عنه انه قال سألت ربى عز وجل ان يفتح على بابا من الخوف ففتح على به (فخفت على عقلى فقلت يارب) أعطنى (على قدر ما أطيق فسكن) عنى (ذلك) فعلم ان الخوف يتنوع بتنوع المخوف منه وان توالبه على العبد يرقيه الى أعالى الدرجات ويحفظ عليه ما يخاف منه الفوات والله أعلم * (باب الرجاء) *

بالمدح بمعنى الامل وسيأتي بيانه وسببه الدوام على الاعمال الصالحة وهو ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى من كان يرجو لقاء الله) أي بالبعث والجزاء (فان اجل الله لآت) وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الاهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عمرو بن مسلم الثقفي قال حدثنا الحسن ابن خالد قال حدثنا العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا من عنده قلت لشهر يرحمك الله زودني زودك الله فقال نعم حدثتني عمتي أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن نبي الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قال ربكم عز وجل يا (عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيأ غفرت لك ما كان منك) من الهفوات (ولو استقبلتني بملء الارض خطايا وذنوبا استقبلتك بملئها مغفرة فاغفر لك ولا ابالي) فيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى للتائبين حيث يغفر لهم جميع ذنوبهم ويؤيده

غير الله تعالى فقال له رجل قد أبى ذلك جملة يا سيدي بقوله جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فقال انا لم نر محسنا الا الله تعالى فلا نحب سواه وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله الحديث (قوله وسببه الدوام على الاعمال) أي بخلاف الطمع اذ هو امل الخير مع ترك اسبابه ولذا حرم شرعا (قوله وهو ممدوح ومطلوب) أي مثنى على فاعله اللازم منه طلبه (قوله قال الله تعالى) استدلال على ما قدمه من قوله وهو ممدوح ومطلوب (قوله من كان يرجو لقاء الله) أي كرامته فالمراد بلقاء الله كرامته وادخال الماضي في قوله من كان يرجو للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والدوام والاستقامة على رجاء لقاء الله وحينئذ فليعمل على طريق المتابعة ليتوصل الى كرامته يوم لقاء ربه فانه لآت وكل آت قريب (قوله فليعمل عملا صالحا) في نفسه لائقا بذلك المرجو ولا يشرك بعبادة ربه أحدا شركا خفيا أو جليا كما فعل المبعدون من المرائين والكافرين ووضع المظهر موضع المضمر مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلة الامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا (قوله يا عبدي الخ) اذا تأملت اضافة التشريف تفهم سر حكمة التخفيف فالله تعالى يحقق لنا صحة الانتساب لنندرج في زمرة الاحباب (قوله ما عبدتني الخ) ما مصدرية ظرفية أي مادمت تعبدني على حسب الطاقة مع الرجاء المشروع وعدم الشرك في العبادة غفرت لك ما كان منك أي محوت جميع سيئاتك وتجاوزت لك عنها ولو بلغت بالكثرة بحيث لو جسمت لملأت الارض اذ رحمة الله أوسع واعلم أن العباد منقسمون الى تائبين ومنيبين ومخبتين وزهاد واتقياء وأولياء وغيرهم ثم انهم وان اجتمعوا في دائرة الايمان فقد افترقوا في منازل العرفان وتشعبوا في أودية الاحسان قد علم كل اناس مشربهم فالتائبون هم الذين لم يصلوا عين اليقين ولم يشربوا بكأس حقه ولم يتنعموا ببرده فمن يعمل على رجاء الجنة وخوف النار فهم وان كانوا على جانب من الحق ونسبة في الجملة الى المعبود برابطة النسك والعبادة فغاية مرامهم ونهاية قصدهم التمتع بالجنة وما احتوت عليه من النعيم وذلك نزر بالنسبة لطالب العارفين اذ غايته الوصول الى الحق والذات المطلقة التي كل متقيد بقيد الحسن حسنة من حسناتها وشتان بين مشرق ومغرب * فافهم والله أعلم (قوله ورجوتني) أقول لا تظن أن مجرد الرجاء ينفعك حيث كان بدون أخذ في الاسباب فانه حينئذ أمنية وهي عين المنية والخامع التعطيل في كل قال معروف الكرخي طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا متابعة نوع من الغرور فالاماني أودية الشياطين يجولون فيها فافهم (قوله ولم تشرك بي شيأ) أي شركا خفيا أو جليا بان تحض قصدك في طاعتك لذاتي فنفي الشرك نوعيه شرط في غفران الذنوب ولو كثرت (قوله ولو استقبلتني) أي قدمت علي بملء الارض خطايا لو جسمت لاستقبلتك أي اقابلتك بملئها مغفرة لو جسمت كذلك (قوله ويؤيده

قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء الآية وقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له (أخبرنا علي بن احمد قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا ٢٠٣ بشر بن موسى قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال حدثنا أبو سفيان طريف) بالمهملة (عن عبد الله بن الحرث عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى) يوم القيامة (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من ايمان ثم يقول اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ثم يقول وعزتي وجلالي لا اجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي) بل اجعله كمن آمن بي أبدا لان الايمان يجب ما قبله وثمرات الرجاء لمن داوم على الاعمال الصالحة عظيمة ويكفي فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم قال الله ما تقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان دعاني لاجيبنه وان سألني لاعطينه وان استعاذني لاعيذنه وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته فانه يدل على أن هذا العبد محفوظ في سائر اعضائه فلا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يمد يده ولا رجله الا محفوظا من الزلل جاريا على حسن العمل ويدل على انه مجاب الدعوة ثم بين حقيقة الرجاء

(قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء) أي شأنها أن تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وفي نسبة الاصابة الى العذاب المذكور قبل في هذه الآية بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات وأما العذاب فمقتضى معاصي العباد واعلم ان المشيئة معتبرة في جانب الرحمة أيضا فعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور ألا ترى الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون فانه متفرع على اعتبار المشيئة (قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به) أي سواء اليهود وغيرهم ممن اجمع على كفرهم فان الشرع قد نص على اشراك أهل الكتاب قاطبة وان كانت الآية الشريفة وردت في اليهود واعلم أن المراد بالشرك مطلق الكفر وقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء عطف على خبر ان ولفظة ذلك للاشارة الى الشرك وما في معناه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وانه في أقصى مراتب القبح أي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي ولو بدون توبة لمن يشاء من الخلق بلا فرق بين كبائر المعاصي وصغائرها والله أعلم (قوله وخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له) أقول واذا صادفت العبد العناية الالهية تحصل له المغفرة والتجاوز وان لم توجد منه توبة والله أعلم (قوله مثقال حبة شعير من ايمان) أقول والله أعلم ان المراد المبالغة في الغفران للمؤمن ولو قل ايمانه وفضل الله واسع وكرمه عظيم فلا يختص باحد من المؤمنين دون أحد اذ الكل عبيده ومحل لتنزل رحمته (قوله بل أجعله كمن آمن بي ابدا) أي لان حقيقة الايمان واحدة والثواب المرتب على مجرد الايمان كذلك أما ثواب الاعمال فشيء آخر (قوله وثمرات الرجاء) وهي تحقق ما يرجى العبد حصوله بل زيادة الاحسان اليه زيادة عما توقعه بدليل تنكير قوله عظيمة وقوله لمن داوم على الاعمال الصالحة تصريح بالمعلوم من حقيقة الرجاء المشروع على ما لا يخفى والا كان طمعا محرما (قوله قول النبي الخ) أي في الحديث القدسي (قوله بمثل اداء ما افترضت عليهم) يشير الى أن للقرب منه تعالى أسبابا وآكدها أداء ما فرض على المكلفين من الطاعات واعمال البر بمعنى القيام بها في أوقاتها المحدودة لها وان من جملة أسباب القرب القيام بنوافل العبادات بعد أداء المفروضات ومن ذلك يتحقق للعبد المحبة من الله له (قوله حتى أحبه الخ) ليس يخفى عليك أن محبة الله لعبده احسانه اليه أو ارادته ذلك (قوله كنت سمعه الخ) المعنى كما أشار اليه الشرح على حفظ جوارحه الظاهرة والباطنة عن الزلل مع التوفيق للخير فلا تفتر بغيره فما يقال في مثل ذلك (قوله وان دعاني) أي طلب مني شيأ لاجيبنه لما طلب بحكمتي وتقديري وعطف قوله وان سألني على دعاني تفسيري (قوله وان استعاذني) أي طلب التعوذ بي لاعيذنه وامنع عنه ما يسوءه (قوله وما ترددت في شيء الخ) المراد والله اعلم اظهار عنايته تعالى ورعايته لهذا العبد والا فما

فقال (الرجاء تعلق القلب بمحبوب) من جلب نفع أو دفع ضر (سيحصل في المستقبل) وذلك بان يغلب على القلب الظن بحصوله في المستقبل (وكان الخوف) المقابل للرجاء (يقع) متعلقه (في مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما) أي لمحبوب (يؤمل وقوعه في زمن (الاستقبال وبالرجاء) المرتب على العمل الصالح يحصل (عيش القلوب واستقلالها) بالملاذ الاخروية (والفرق بين الرجاء وبين التمني) وهو طلب ما لا طمع ٢٠٤ في وقوعه كليت الشباب يعود (ان التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك) صاحبه (طريق الجهد والجد) في الطاعات (وبعكسه صاحب الرجاء) فانه يسلك طريق ذلك (فالرجاء محمود والتمني معلول) اى مذموم (و) قد (تكلموا) اى الصوفية (في الرجاء فقال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة) ومن المعهود في أعمال الدنيا ان من وضع حبة في ارض طيبة قد رويت قوي رجاؤه وظنه بحصول مطلوبه وعكسه من وضع حبة في ارض سبخة في زمن الصيف وقال الله قادر على ان ينبتها وهذا القول وان كان صحيحا لكن المتبع ما اجراه الله من عادته في خلقه (وقال ابن خبيق) أصل (الرجاء ثلاثة رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب منها فهو يرجو المغفرة والثالث الرجل الكاذب) المغرور (يتمادى في الذنوب ويقول ارجو المغفرة) فيتمناها مع اقامة الزلل فحق الحازم ان لا يزال على وجل وان حسن عمله قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وتقدم في باب الخوف خبر عائشة رضي الله عنها في تفسير هؤلاء (ومن عرف نفسه بالاساءة ينبغي) أي فالاولى (ان يكون خوفه ليوافق غالبا على رجائه) اذ الخوف يقلع به العبد عن الزلات خوفا من العقوبات والرجاء طمع في رفيع الدرجات وكان هذا مقيد لما مر في الباب السابق (وقيل الرجاء ثقة الجود من الكريم الودود وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال) كل منهما ليس برجاء بل الاول سببه لان الثقة بالوعد تحمل العبد على العمل الموعود عليه بالثواب وعلى التوبة الموعود بها بالغفران والصفح عن العذاب

يتبادر من العبارة غير مراد لاستحالته في حقه سبحانه وتعالى (قوله تعلق القلب بمحبوب الخ) أي مع الاخذ في الاسباب والا كان من الطمع المذموم شرعا (قوله يحصل عيش القلوب) أي معيشتها وحياتها وقوله واستقلالها أي تفرغها للملاذ الاخروية فلولا ذلك لهلكت القلوب بسبب قوة طوارق الخوف على النفوس (قوله والفرق بين الرجاء وبين التمني الخ) أي الفرق بين الرجاء الممدوح وبين التمني المذموم وذلك الفرق باعتبار ما يترتب على كل منهما (قوله فالرجاء محمود) أي لكونه مطلوبا شرعا ولما يترتب عليه من الثمرات وقوله والتمني معلول أي لعدم مشروعيته ولما يترتب عليه من الكسل وضياع الاوقات بدون فائدة (قوله علامة الرجاء حسن الطاعة) أي علامته وامارة تحققه وحسنه حسن الطاعة وذلك لان حسن الطاعة شرط في مشروعيته وحسن صدوره من العبد (قوله ومن المعهود الخ) بيان لما قدمه بما تألفه البشريات وتعتاده في أمور دنياهم ليقوى تحقق مثله فيما لاخراهم (قوله وعكسه من وضع الخ) أي وذلك مثل للطمع فانه تامل مرغوب فيه مع التكاسل وايثار الراحة ولذلك كان محرما ومذموما (قوله وان كان صحيحا) أي في نظر الشرع والعقل غير ان عادة الله الجارية في خلقه بخلاف ذلك وان جاز تخلفها (قوله الرجاء ثلاثة) أي باعتبار متعلقه وهو الشيء المرجو (قوله الرجاء ثلاثة) محصله ان الاولين مشروعان دون الثالث وان الرجاء من منازل المؤمن اذ لا يعتمد على شيء سوى ربه (قوله رجل عمل حسنة الخ) أي رجاء رجل عمل حسنة الخ ومثل ذلك يقال فيما بعده (قوله فحق الحازم) أي العاقل الحاذق اذ لا يزال على وجل وخوف من احتمال عدم القبول الجائز في حقه وان حسن عمله لان الحق تعالى لا يسئل عما يفعل ولا معقب لحكمه على ان ذلك لازم في كل شيء من اسباب الخير فلا يصح الاستناد اليها لما تقدم (قوله وتقدم في باب الخوف خبر عائشة) أي وهو قولها قلت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر قال لا ولكن الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه (قوله ومن عرف نفسه بالاساءة الخ) محصله ان الرجاء لا يصح الا ممن تجرد عن الزلات حتى يرجو رفيع الدرجات ومثله عزيز فحينئذ ينبغي ان يكون خوف الراجي من عدم صحة رجائه بواسطة انه قل ان يخلو من الزلات (قوله ومن عرف نفسه الخ) أي ومظنة ذلك الصحة فالاولى ان يناط الخوف بها

والثاني راجع الى المعرفة أو الى المرجو دون الرجاء (وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب) هذا قريب مما قبله وفيه اشارة الى الحضور ودوام العلم بتوالي نعم الله على العبد (وقيل) هو (سرور الفؤاد بحسن المعاد) أي المرجع والمصير وفي نسخة الميعاد (وقيل هو النظر الى سعة رحمة الله تعالى) كل منهما يشمل التمني مع أن الثاني يرجع الى سبب الرجاء دون الرجاء لان النظر الى سعة رحمة الله تعالى يحمل العبد على العمل والتوبة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا علي الروذباري يقول الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر اذا استويا استوى الطير وتم طيرانه واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص واذا ذهبا صار الطائر في حد ٢٠٥ الموت) وذلك لانه تعالى مدح من استقام على طاعته بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين فتفسير الرغب بالرجاء والرهب بالخوف فمتى استقام العبد في أحواله استقام في سلوكه في طاعاته باعتدال رجائه وخوفه ومتى قصر في طاعاته ضعف رجاؤه ودنا منه الضلال ومتى قل خوفه وحذره من مفسدات الاعمال تعرض للهلاك ومتى عدم الرجاء والخوف تمكن منه عدوه وهواه وبعد عن حزب من حفظه ربه وتولاه وبذلك علم وجه التشبيه بينهما وبين جناحي الطائر (وسمعته) أي السلمي (يقول سمعت النصراباذي يقول سمعت ابن أبي حاتم يقول سمعت علي بن شهمردان) باسكان الهاء والراء وفتح الميم (يقول قال أحمد بن عاصم الانطاكي) قد (سئل ما علامة الرجاء في العبد قال أن يكون اذا احاط به الاحسان ألهم الشكر راجيا اتمام النعمة من الله عليه في الدنيا وتمام عفوه في الآخرة) لان من توالت عليه النعم من ربه وجاد وامها وتوالي أمثالها شكرها فان شكره حصل وعد عليه بالزيادة كما قال تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم (وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله) هذا ليس برجاء بل هو راجع الى الفرح بالنعم لانه استبشار بحاصل والرجاء طمع فيما لم يحصل (وقال) أيضا الرجاء (ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب) هذا ايضا ليس برجاء بل هو راجع الى سببه أو الى المعرفة بكرم الله تعالى وصفاته (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول من حمل نفسه على الرجاء) بان نظر الى ما من

الله به عليه

لموافق المنقول في كتب الفروع (قوله والثاني راجع الى المعرفة) أي معرفة مصدر الافعال وقوله أو الى المرجو أي الذي تعلق به القلب دون نفس الرجاء (قوله وقيل هو قرب القلب) أي مراقبة القلب مظاهر نعم الرب والائه تعالى المتوالية على عبده (قوله وقيل هو سرور الفؤاد) أي بما يطرقه من بشائر الوعد فبواسطة قوة ايمان العبد يثق بانجاز الوعد فيسر قلبه بحسن الرجوع اليه تعالى (قوله وقيل هو النظر الى سعة رحمة الله) أي صلاحيتها للشمول لكل من صالح المؤمنين وطالحهم (قوله مع ان الثاني يرجع الخ) أقول ومثله الاول ايضا (قوله هما كجناحي الطائر الخ) محصله الحث على انه ينبغي للعبد ان يكون عمله عليهما حتى لا ييأس ولا يقنط فيهلك والله أعلم (قوله ضعف رجاؤه) أي لضعف شرطه وهو العمل (قوله تعرض للهلاك) أي بسبب فترته عن المأمورات والمنهيات (قوله قال ان يكون الخ) محصله ان الرجاء ما صاحبه التوفيق والا كان من الطمع المذموم (قوله ألهم الشكر) أي وهو دوام عبادة المنعم على حسب الطاقة (قوله بل هو راجع الى الفرح بالنعم) أي وذلك مذموم اذا كان الفرح بها لا من حيث المنعم بها بل لحظ النفس منها فانه ناشئ من عمى البصيرة ويثمر سرورا واسترسالا في العوائد وقلة المبالاة في القبض والصرف وشدة الفرح بالموجود والحزن على المفقود وبذلك يقع الهلاك والخسران اما اذا كانت محبة النعم والفرح بها من حيث المنعم بها فهو ممدوح لان صاحبه قد قام بالشريعة في عين ملاحظة الحقيقة (قوله والرجاء طمع فيما لم يحصل) أي مما تتوقع النفس حصوله في المستقبل فيه أن الفرح بوجود فضله تعالى يصح أن يكون المراد به الثابت في ذاته مما تعلق به رجاؤه وان كان غير حاصل للراجي في الحال اذ لا شك أن الرجاء يفيد ذلك الفرح وهو بهذا المعنى لا يخرج عن حقيقته ومثله يقال فيما بعده نعم يقال ان ذلك لازم للرجاء لا حقيقته (قوله من حمل نفسه الخ) محصله الحث على حمل العمل على اعتدالهما أي بين الرجاء والخوف وذلك المنافي لافراد كل منهما

(تعطل) عن الطاعة لامنه من مكر الله تعالى (ومن حمل نفسه على الخوف) بان تفكر فيما ارتكبه من الزلات (قنط) وايس من رحمة الله تعالى (ولكن) يحمل (من هذه) الجهة (مرة ومن هذه) الاخرى (مرة) بحيث يداوى زيادة الرجاء بالخوف وبالعكس وهذا طريق من اراد أن يستوى رجاؤه ٢٠٦ وخوفه ويستوى على سلوك الطريق (وسمعته) أيضا (يقول حدثنا أبو العباس البغدادى قال حدثنا الحسن بن صفوان قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثنى عن بكر بن سليم الصواف قال دخلنا على مالك بن انس رحمه الله فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال ما ادرى ما أقول لكم) أى عما رأيت الآن من اكرام الله لى ومن صور الملائكة الذين يعاينون روحى بحيث عجزت عن ان اعبر عنه بلسانى (غير انكم ستعاينون من عفو الله تعالى مالم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا) من مكاننا (حتى اغمضناه) فاولياء الله تعالى اعد لهم من النعيم مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وقال يحيى بن معاذ يكاد رجائى لك) يا الله (مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الاعمال لانى اجدنى اعتمد فى الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها) أى احفظها من الآفة (وانا بالآفة) من الرياء والكبر والعجب ونحوها (معروف واجدنى فى الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وكلموا ذا النون المصرى وهو فى النزع فقال لا تشغلونى) أى عن كمال شغلى بربى ومناجاتى له (فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معى) أى لى من التيسير والتقريب (وقال يحيى بن معاذ الهى أحلى العطايا) واطيبها والذها (فى قلبى رجاؤك) لما تجده على من فضلك (واعذب الكلام على لسانى ثناؤك) لكمال شغفى بك.   عذوبة

من المفاسد (قوله تعطل) أى لانه ربما وقف معه فتعطل عن الاعمال أو غيرها من المقامات (قوله قنط) أى يئس من الرحمة وذلك من كبائر الذنوب (قوله ولكن يحمل من هذه الخ) أقول هو قريب مما ذكره بعضهم كالغزالى من التفصيل الذى حاصله ان من قوى رجاؤه وخاف منه العطب طلب له الخوف ومن غلب عليه الخوف وخاف مفاسده طلب منه الرجاء وهو نفيس (قوله فقال ما ادرى) أى لما يرى مما لا تسعه العبارة ولا تفى عن بيانه الاشارة من عظيم فضل الله وجزيل ما انعم الله به واولاه ولاسيما لمثل هذا الامام من عم فضله الانام كيف وهو عالم المدينة الشريفة ذو الفضائل المنيفة رضى الله تعالى عنه وارضاه عنا (قوله غير انكم الخ) أقول ومثل هذا من مثل هذا الامام فى مثل ذلك الوقت الذى يصدق فيه الكذوب بشرى للمؤمنين عظيمة وغير بعيد لرب الكرم التفضل ولو على المسئ كيف وقد أمر عباده بذلك فالله تعالى يحسن لنا ولاخواننا العواقب ويعاملنا بالاحسان (قوله يكاد رجائى الخ) حاصله قوة الرجاء منه فى سعة فضل الله تعالى وعوائد كرمه سواء مع مصاحبة الاعمال أو مع التجرد عنها بل مع التجرد قد يحسن الرجاء منها اكثر اذ لا اعتماد له حينئذ الا على فضل ربه وحاشى الكريم ان يضيع من هذه صفته ومع الاعمال يكون الرجاء أيضا حسنا اذ سر القبول انما هو الاخلاص والتحفظ من الآفات وكل يسر الا على الموفق والحاصل أن الرجاء هو المطلوب فى حالة المضايق لصاحبه عمل أولا والله اعلم (قوله يكاد رجائى الخ) أقول وهكذا يكون حال الفقير عديم الناصر من جهة الافلاس وعاقبة الناس ان يرجع الى مالك ازمة الرحمات ومبدع سائر أسباب السعادات وحينئذ فالشأن القبول ولاسيما اذا توسل بسيدنا الرسول قال بعضهم

وحمل الزاد أقبح كل شئ * اذا كان القدوم على كريم

(قوله فقد تعجبت الخ) أقول عجبه ليس من اكرامه فى مثل هذا الوقت الذى يزيد فيه اضطراره وفاقته لان الاكرام فى مثل هذه الحالة مرجو لغيره من عوام المؤمنين المقصرين فضلا عن خواصهم العارفين فحينئذ يكون تعجبه مما شاهده من أنواع الاكرام التى لا تسعها العقول ولا تحصرها النقول والله اعلم (قوله الهى أحلى العطايا الخ) الهى منادى فالله تعالى وتلذذا بالتنويه بالوهية الحق تعالى وقوله احلى العطايا أى احقها والذها واحسنها فى قلبى باعتبار شهود مصدرها رجاؤك أى وصول ما ترجوه منك مما لم يكن لاحد من خلقك على فيه منة وقوله واعذب الكلام أى اقواه

(واحب الساعات الى ساعة يكون فيها التاؤل) أى بعوق او بحضور بين يدى ملك بان لا اشتغل بغيرك لما فى ذلك من مراقبتك واستشعار
نظرك الى ودوام الادب حينئذ (وفى بعض التفاسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على اصحابه من باب بنى شيبة فرآهم
يضحكون فقال) منكرا عليهم (اتضحكون لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم مر) الى جهته (ثم رجع) اليهم رجوع
(القهقرى وقال نزل على جبريل عليه السلام وأتى بقوله تعالى نبئ عبادى أنى انا الغفور الرحيم) فيه دلالة على سعة
رحمة الله تعالى وكمال تجاوزه عن
خلقه وعلى ان رجاء العفو
لا ينافيه الانبساط بالضحك ونحوه
والاشق ذلك على خلقه (أخبرنا
أبو الحسن على بن أحمد الاهوازى
قال حدثنا أبو الحسن الصفار
قال حدثنا عباس بن تميم قال
حدثنا يحيى بن ايوب قال حدثنا
مسلم بن سالم قال حدثنا خارجة
ابن مصعب عن زيد بن اسلم عن
عطاء بن يسار عن عائشة رضى
الله عنها قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
تعالى ليضحك من يأس العباد
وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت
بابى وامى يا رسول الله أو يضحك
ربنا عز وجل فقال والذى نفسى
بيده انه ليضحك فقالت لا يعدمنا
خيرا اذا ضحك) اذ الضحك
علامة الرضا وبذلك علم انه تعالى
لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة
فمن اطاعه فبركة طاعته عائدة
عليه ومن عصاه فشؤم معصيته
راجع اليه فان تاب عنها فلا
ييأس من رحمة الله فان ايس منها
فهو جاهل ومن ثم ضحك تعالى
ممن ييأس لانه اتى بشئ عجيب
وهو غفلته عن سعة رحمته او جهله واعتقاده ان معصيته لا يرجع الى ربه منها شئ فضحك ربه مقابلة له بضد حاله فانه لما ايس
من رحمته اسبغها عليه لاسيما بعد توبته (واعلم ان الضحك فى وصفه) تعالى ليس الضحك المعتاد تعالى الله عن ذلك بل هو
(من صفات فعله وهو اظهار فضله كما يقال ضحكت

عذوبة وحلاوة ولذة على لسانى تناولك أى بتعداد صفات كمالك وجمالك اذبه
تنطفى نيران أشواق المودعة بقلبى من غرس محبتك ونعمك وقوله وأحب الساعات
أى اللحظات الى ساعة أى وقت يكون فيه التاولك بقلبى الذى هو كناية عن أعمال البرمع
المراقبة والله أعلم (قوله لو تعلمون ما اعلم الخ) وجهه ان علمه صلى الله عليه وسلم من حق
اليقين وعلمهم من علم اليقين والفرق بينهما ظاهر (قوله نزل على جبريل الخ) فيه اشارة
الى أن ادخال السرور على المؤمنين أفضل من ذكر ما يفزع قلوبهم من مظاهر الجلال
والخوف ولاسيما بالنسبة لمن كمل يقينه واستقامت أعماله وغلب عليه حال الخوف
(قوله نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم) تأمل اضافة التشريف المسوغة فى قالب
العموم مع ايراده تعالى الرحيم بعد الغفور تفهم عموم البشرى والرحمة ولذلك نعت
الرسول صلى الله عليه وسلم بالرأفة والرحمة فتكرير الاشارة بالاحسان ليطمئن قلب
الوجل الواهن (قوله نبئ عبادى) هم الذين عبر عنهم بالمتقين انى انا الغفور الرحيم
وان عذابى هو العذاب الاليم ذلك تقرير لما سبق من الوعد والوعيد وفى المغفرة المذكورة
اشعار بانه ليس المراد بالمتقين من يتقى جميع الذنوب وفى وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة
على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما من مقتضيات الذات وان العذاب انما
يتحقق بما يوجبه من خارج (قوله ان الله تعالى ليضحك من يأس العباد) أقول الاشارة
بذكر الضحك الى انه تعالى على خلاف ما يخطر فى الاوهام وان رحمته وسعت كل شئ
وانه يتم لا فى مقابلة شئ فى الجهل والحمق والغفلة الوقوف مع شئ من الطاعات واليأس
من وقوع المخالفات فعلى الكيس الاخذ بالمتابعات والتسليم لسابق التقديرات
(قوله فقالت لا يعدمنا خيرا الخ) يؤخذ من ذلك ان فرحها رضى الله عنها بالرضا منه
تعالى وذلك عين الكمال لانه من شأن أهل المقامات والاحوال فذلك دليل على صدق
حالها رضى الله تعالى عنها (قوله فقالت لا يعدمنا خيرا الخ) أى فاذا ثبت رضاه عنا
فشأن كرمه انه لا يعدمنا خيرا بل يعمنا باحسانه والقصر منا بالكرم أولى فى كل
من الآخرة والاولى (قوله فان أيس منها فهو جاهل) أى بجهله بمجارى القضاء والقدر
حيث هما الاعلة ولا سبب قال قائلهم

بلا عمل منى اليه اكتسبته ❊ سوى محض فضل لا بشئ يعال

(قوله بل هو من صفات فعله) أى الذى هو انعامه على خلقه (قوله كما يقال ضحكت

الارض بالنبات) أى اخرجته منها (وضحكه) الاولى فضحكه تعالى (من قنوطهم اظهار تحقق فضله الذى هو ضعف) بل اضعاف طول (انتظارهم له) المرتب عليه يأسهم (وقيل ان مجوسيا استضاف الخليل ابراهيم عليه السلام) أى طلب منه أن يضيفه (فقال) له (ان اسلمت اضفتك فقال المجوسى اذا اسلمت فأى منة تكون لك على فمر المجوسى) أى جاوزه (فاوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه نحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا عليك) من الحرج (فمر ابراهيم عليه السلام خلف المجوسى واضافه فقال له المجوسى أى شئ كان السبب فى الذى بدا لك فذكر له ذلك فقال له المجوسى أهكذا يعاملنى) وفى رواية نعم الرب رب يعاتب نبيه فى عدوه (ثم قال اعرض على الاسلام) فعرضه عليه (فأسلم) ووجه تعلق هذا بالرجاء انه تعالى يجعل الاسباب الضعيفة موصلة لغفران الذنوب العظيمة فاذا علم العبد بذلك تعلق قلبه بمحبوبه من جلب نفع أو دفع ضرر وفيما ذكره اشارة الى ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة حيث بسطها لاعدائه وبسط رحمته الدنيوية تعم الكافر والمؤمن بخلاف الاخروية كما قال تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ولما رأى المجوسى فضل الله وكرمه فى معاتبة نبيه لاجل عدوه وشكر ذلك جازاه الله بتوفيقه للاسلام (سمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله يقول رأى الاستاذ ابو سهل الصعلوكى رحمه الله ابا سهل الزجاج فى المنام وكان يقول بوعيد الابد) أى بان الله تعالى اذا توعد على معصية بعقاب فلا بد من وقوعه وهو غفلة منه عن شرطه فان ذلك يغفره اذا شاء كما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا) يحتمل ان يكون الله غفر له اعتقاده المذكور لغفلته عن شرطه ويحتمل انه تاب عن اعتقاده قبل موته ولم يعلم الرائى حاله فلما رآه فى المنام وسأله عن حاله اخبره بما ذكر (سمعت أبا بكر بن اشكيب يقول رأيت الاستاذ ابا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقلت له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى بحسن ظنى بربى) مرتين (ورؤى مالك بن دينار فى المنام فقيل له ماذا فعل الله بك فقال قدمت على ربى بذنوب كثيرة محاها عنى حسن ظنى به تعالى) لقوله تعالى انا عند ظن عبدى بى وقد عرفت ان الرؤيا اما مبشرة أو منذرة

الارض بالنبات الخ) التشبيه فى مطلق التجوز بلفظ الضحك عن معناه المتعارف الى اظهار الانعام أو النبات (قوله وقيل ان مجوسيا الخ) فى هذه القصة تنبيه على انه لا ينبغى الاغترار بالعمل ولا القنوط من الخطيئة ولا احتقار مخلوق لكفره أو فسقه اذ العواقب مجهولة واسباب السلامة قد تكون معلولة ولا اعظم للذنوب فى جانب الرحمة فقد تكون النجاة من عظيم الآثام بقليل بذل الطعام وقد يزل قدم ذى الكمال بعد مجاهدته الايام والليال فالله يرزقنا السلامة والتسليم لجارى أفعال العزيز الحكيم (قوله أهكذا يعاملنى) الغرض افادة ان شأن الحق تعالى معه انه يقابل قبيح أفعاله بحسن افضاله وانه اذا كان هذا شأنه فى وقت نفرة العبد فكرمه بعد تحقق الايمان يرجى به التوفيق والتسديد (قوله ووجه تعلق هذا بالرجاء الخ) محصله ان من اسباب الرجاء العلم بسعة الفضل وانه لا يقتضى كبير كلفة بل قد يترتب على أقل شئ من العبد (قوله تعلق قلبه بمحبوبه) أى دون غيره من سائر الكائنات (قوله وبسط رحمته الدنيوية الخ) جملة مستأنفة لافادة ان النعم الدنيوية تعم الكافر والمسلم الصالح والطالح بخلاف الاخروية فهى خاصة بالمؤمنين العصاة والموفقين (قوله ولما رأى المجوسى) أى بواسطة عين الاعتبار بما قذفه الله فى قلبه من نور الاستبصار (قوله فقال وجدنا الامر أسهل الخ) أقول فى ذلك تنبيه على انه قد غفر له ما كان يعتقده اما لما ذكره المؤلف من رجوعه عنه وتوبته منه واما لعدم تقصيره فى ذلك الاعتقاد حيث كان هو الذى اداه اليه اجتهاده بعد البحث على حسب الوسع (قوله فقال بحسن ظنى بربى) أى وله الاشارة بقول بعضهم شعرا

فقرى لمعروفك المعروف يغنينى * يا من ارجيه والتقصير يرجينى
ان أوبقتنى الخطايا عن مدى شرف * نجا بادوا كما الناجون من دونى
أوغض من أملى ما ساء من عملى * فان من حسن ظنى فيك يكفينى

فمن غلب عليه الخوف حتى يخشى عليه من اليأس من رحمة الله تعالى اراه الله في نومه من يعتقد صلاحه فيعرفه سعة رحمة الله
للخلق فيقل مخافته ويسلم من اليأس فتكون الرؤيا في حقه مبشرة ومن غلب عليه توالى الغفلات ثم من الله عليه بالتوبة واشتغل
بالاعمال الصالحة وغفل عما هو فيه من حسن حاله عما كان فيه قبل اراه الله في نومه من يعتقد صلاحه وحذره من ادنى الشبه
فيقول كيف حالك فيقول الساعة كما تخلصت من الحساب فتكون الرؤيا في حقه منذرة وحاملة له على تدارك ما فات ويقول
لنفسه اذا كان مثل هذا الصالح كما تخلص من الحساب فكيف يكون حالي (وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هو خير
منهم) وفي رواية في ملأ خير من ملئهم وان اقترب الى شبرا اقتربت اليه ذراعا وان اقترب الى ذراعا اقتربت اليه باعا وان اتاني
يمشي اتيته هرولة * أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني قال اخبرنا ٢٠٩ يعقوب بن اسحق قال حدثنا علي بن
حرب قال حدثنا أبو معاوية ومحمد
ابن عبيد عن الاعمش عن أبي
صالح عن أبي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ذلك) ورواه مسلم ايضا
وفيه دلالة على ان العبد اذا عمل
يسيرا من الطاعة اعطاه الله من
الاجر كثيرا وهو داخل في قوله
والله يضاعف لمن يشاء والمراد
بالقرب والاتيان في الخبر في حق
العبد سرعة الامتثال وفي حقه
تعالى سرعة الاجابة وكثرة
الاثابة (وقيل كان) عبد الله (بن
المبارك يقاتل علجا) هو الكافر
الغليظ الشديد (مرة فدخل
وقت صلاة العلج فاستمهله) مدة
(فامهله فلما سجد للشمس اراد ابن
المبارك أن يضربه بسيفه فسمع
من الهواء قائلا يقول واوفوا
بالعهد ان العهد كان مسؤلا
فامسك) عنه (فلما سلم المجوسي)
من صلاته (قال له لم امسكت عما
هممت به فذكر له ما سمع فقال له
المجوسي نعم الرب رب يعاتب وليه في عدوه فأسلم وحسن اسلامه) فيه دلالة
على كرم الله تعالى وهذه الحكاية كحكاية استضافة المجوسي ابراهيم عليه السلام (وقيل انما أوقعهم في الذنب حين سمى) يعني
أوقعهم تسمية الله (نفسه عفوا) وفي نسخة غفورا فاغتروا بكونه عفوا عن الذنوب بغفارته وعادوا فيها بلا توبة لذلك مع غلبة
شهوتهم وهواهم وغفلوا عن الشرط في قوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا (وقيل لو قال تعالى لا اغفر الذنوب لم يذنب
مسلم قط كما انه لما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به لم يشرك به مسلم قط) في كل منهما نظر (ولكن لما قال و يغفر ما دون ذلك
لمن يشاء طمعوا في مغفرته) وعفوه (ويحكى عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه قال كنت انتظر مدة من الزمان ان يخلو
المطاف لي فكانت ليلة ظلماء فيها مطر شديد فخلا المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول) فيه (اللهم اعصمني اللهم اعصمني) مرتين

(قوله فمن غلب عليه الخوف) محصله ان الرؤيا تختلف باختلاف أحوال العبيد بمقتضى الحكمة العلية (قوله انا عند ظن عبدي بي الخ) معناه اني احقق ما ظنه في وانا معه بالحفظ والعلم والنصرة وقوله اذا ذكرني أي اثنى علي ثم فصل الذكر باعتبار أحواله فقال ان ذكرني في نفسه أي بعيدا عن الخلق وعن الاشتغال بهم ذكرته في نفسي على معنى اني اتحفه بانواع الكرم التي لا يعلمها الا الله تعالى وان ذكرني في ملأ أي جماعة ذكرته في ملأ هو خير منهم أي في جماعة أشرف وافضل منهم وذلك هو الملأ الاعلى وقوله وان اقترب أي تقرب الي حتى بعبادتي شبرا أي شيئا قليلا اقتربت اليه ذراعا أي منحته اكثر من فضلي واحساني وقوله وان اقترب الي ذراعا أي وان زاد في اسباب التقرب من رحمتنا زدناه من احساننا وقوله وان أتاني الخ المعنى على سرعة الاجابة والقبول من الحق تعالى وسرعة الامتثال والعمل من العبد والله أعلم (قوله وقيل كان عبد الله الخ) فيه حث على الوفاء بالعهود واشارة الى ان النجاة تترتب على اخف سبب وعلى سعة الفضل والامتنان ومقابلة الاحسان بالاحسان (قوله لم امسكت الخ) ان قلت باي وجه اطلع على همه بقتله قلت لعله بامارة أو بنور نحتا في قلبه فنظر ذلك ببصيرته والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده (قوله وقيل انما أوقعهم الخ) أي أوقع معاشر الخلائق حين سمى نفسه عفوا أي بسبب جرأتهم على المخالفة تسميته تعالى نفسه باسم العفو والغفور فعلوا من ذلك انه لا بد لهذه الاسماء من مظاهر لاستحالة تعطلها فلابسوا الخطايا من أجل ذلك ثم الذي علموه صحيح غير انهم بواسطة القضاء الازلي قد غفلوا عن اسباب النجاة وشرط القبول على حسب ما جاء عن سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم (قوله في كل منهما نظر) لعل وجهه حمل الشرك على المعنى المراد منه وهو مطلق الكفر وحمل المسلم على مطلق من له انقياد ظاهري وقد وقع الكفر بعد الايمان والعياذ بالله تعالى بعد ثبوت قوله جل شأنه ان الله لا يغفر ان يشرك به فيجوز كذلك وقوع المعصية لو ثبت عدم قبول التوبة منها

(فسمعت هاتفا يقول لي يا ابن ادهم انت تسألني العصمة وكل الناس يسألوني العصمة فاذا عصمتكم فلمن ارحم) وفي نسخة فعلى
من ارحم وفي ذلك دلالة على انه سبق في علمه انه لا بد من وقوع المعصية والرحمة وقد تقع الرحمة ولا معصية فمن رحمته عصمة
الانبياء وحفظ الاولياء وقد قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا واراد بهاذكر ان ينبه ابراهيم بن ادهم على
ان لا يسأله ما ليس له به علم كما في قصة نوح عليه السلام اذ سؤال العبد العصمة سؤال عما لا علم له به فقد يكون في معلومه تعالى
انه ممن يعصي فسؤاله المغفرة أولى به ٢١٠ واقرب لعبوديته ويجوز أن يسأل العبد ربه ان يحفظه ويصونه عن سائر المعاصي
واما العصمة فمن خصائص الانبياء
وبالجملة فقد اختلف في جواز
سؤالها لغيرهم فقائل منع لانه
يؤدي الى تعطيل التوبة وفي
الصحيح خبر لو لم تذنبوا لذهب
الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم
يستغفرون فيغفر لهم وقائل
يجوز وقد سألها الامامان مالك
والشافعي ويشهد له خبر النسائي
واذا خرج أحدكم من المسجد
فليسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم اعصمني من
الشيطان وهذا أحسن وان قال
الزركشي الحق انه ان قصد
بالعصمة التوقي عن المعاصي في
جميع الحالات فممتنع لانه سؤال
مقام النبوة وان قصد الحفظ من
الشيطان والتحصن من افعال
الشر فلا باس به (وقيل رأى
أبو العباس بن شريح في منامه
في مرضه الذي مات فيه كأن
القيامة قد قامت واذا الجبار
سبحانه يقول اين العلماء قال
فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم
قال فقلنا يا رب قصرنا واسأنا قال
فاعاد السؤال كانه لم يرض به واراد
جوابا آخر فقلت اما انا فليس في
صحيفتي الشرك وقد وعدت ان
تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال) فيه دلالة على جواز الغفران لمن لم قيل قيل
يشرك بالله كالآية التي اشار اليها وعلى بشرى عظيمة لابن شريح وهو انه مغفور له وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف
بتقصيره رجا المغفرة (وقيل كان رجل شريب) أي كثيرا لشرب للخمر (جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له) وكان صالحا ينكر
عليه ذلك (اربعة دراهم وامره أن يشتري) بها (شيأ من الفواكه للمجلس) أي لاهل مجلسه (فمر الغلام بباب مجلس) الشيخ (منصور
ابن عمار وهو يسأل الفقير شيأ ويقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع له الغلام الدراهم)

بخبر الله تعالى نعم ربما يقال ان المراد بالمسلم الفرد الكامل وهو الذي يكون موفقا المقظة
القلب ومثله في هذه الحالة لا يلابس معصية ولا كفر افتامل ولا تك أسير التقليد (قوله
فسمعت هاتفا الخ) محصله الزجر عن سؤال العصمة للاشارة الى ان سؤالها يرجع الى طلب
تعطيل مظاهر بعض الاسماء الالهية وهو لا يصح ولانه سؤال ما لا علم له به اذ قد يسبق في
القضاء عصيانه والتوبة عليه بظهور الرحمة الالهية ولانه يرجع أيضا الى طلب مقام
النبوات اذ العصمة من خواصهم فبعد ان زجره هذا الهاتف تضمن زجره تنبيهه على عمله
بما هو الاليق به وهو سؤال المغفرة والرحمة تدبره فانه نفيس (قوله فاذا عصمتكم الخ)
يشير بذلك الى ان متعلق الرحمة عام بالقضاء ازلا وباجابة مثل هذا السؤال يصير خاصا
وذلك غير جائز اذ لا تغيير ولا تبديل لما سبق به القضاء (قوله فمن رحمته عصمة الانبياء) أي
قبل النبوة وبعدها سهوا وعمدا سواء كانت صغائر أو كبائر بل ومن المكروهات وخلاف
الافضل على الصحيح في كل ذلك الا لغرض التشريع وقوله وحفظ الاولياء والفرق بينهم
وبين الانبياء هو جواز المخالفة بالنسبة لهم دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام (قوله
ويجوز أن يسأل العبد الخ) ان قلت هذا يرجع الى سؤال العصمة قلت لا لجواز طرو
المخالفة في مقام الحفظ ولا كذلك في مقام العصمة (قوله الى تعطيل التوبة) أي وذلك
لا يصح ويحرم سؤاله لاستحالته (قوله لو لم تذنبوا الخ) ليس الغرض من ذلك اباحة
المعاصي بل افادة ان طاعة العبد ومخالفته قد سبق القدر بهما وحينئذ فلا بد من
تحققهما (قوله وقد سألها الامامان مالك الخ) أي سألاها على وجه خاص كما يرشد اليه
الخبر المذكور فلا يخالف المتقدم من منع سؤال العصمة المطلقة (قوله وهذا أحسن) أي
القول بجواز سؤال العصمة أحسن من القول بالمنع (أقول) اذ كان مراده سؤالها على
وجه خاص كالعصمة من الشيطان كما في الخبر فسلم وان كان مراده جواز طلب العصمة
المطلقة فكيف يقال فيما يلزم ذلك من محذور التعطيل المتقدم حكايته فحينئذ يكون قوله
وان قال الزركشي الخ هو الوجه اذ لا محذور فيه فتامل والله أعلم (قوله وقيل رأى
أبو العباس الخ) فيه دليل قوي على سعة الرحمة وعدم بعد المغفرة ولو مع ملابسة التقصير
وهو كذلك حيث الله هو أكرم الكرماء وأرحم الرحماء بل لا كرم ولا رحمة الا له تعالى
(قوله وقيل كان رجل الخ) فيه دليل على أن الرحمة قد تكون في حال ملابسة ما به السخط
فالعبرة حينئذ بما سبق في العلم القديم بحكمة مولانا الحكيم (قوله منصور بن عمار الخ)

لانه رأى ان سيده يرضى بذلك أو رأى ان هذا أولى مما أمره به سيده وهان عليه مشقة الضرب والالم من سيده حتى لا يقع في هذا المنكر الشديد وظنه منصور انه مالك الدراهم (فقال) له (منصور ما الذي تريد) مني (ان ادعو لك به فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه) بالعتق لاخلص مما يد خلق فيه مما لا أحبه (فدعا لي) منصور (بذلك وقال) له ما الدعوة (الاخرى قال أن يخلف الله تعالى على دراهمي) التي دفعتها للفقير لاردها الى سيدي وأقول لا افعل ما امرني به فرأى منصور بعد عله باني رقيق ان سيدي يرضى بافعلته (فدعا لي بذلك ثم قال وما) الدعوة (الاخرى فقال أن يتوب الله على سيدي) بان يوفقه للتوبة مما هو مرتكبه لاستريح من ضرره بالكلية (فدعا) بذلك (قال وما الاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم) أي جلسائه (فدعا منصور بذلك فرجع الغلام الى سيده فقال له لم ابطأت فقص عليه القصة) فاثر فيه صدقه واستحسن فعله (فقال له وبم دعا فقال سألت لنفسي العتق) فدعا لي به (فقال اذهب فانت حر) لوجه الله (وايش) المدعو

به (الثاني) وفي نسخة الثانية (فقال أن يخلف الله على الدراهم) لاردها لك (فقال لك أربعة آلاف درهم فقال وايش الثالث) وفي نسخة الثالثة (فقال أن يتوب الله عليك فقال تبت الى الله تعالى وايش الرابع فقال أن يغفر الله تعالى لك ولي وللقوم وللمذكر) لي بقوله من دفع للفقير أربعة دراهم دعوت له اربع دعوات وهو منصور (فقال هذا الواحد ليس الي) بل الى الله تعالى (فلما بات) وصدق في توبته (رأى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك تراني) وفي نسخة ترى أني (لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين) عندك فيه دلالة على انه تعالى اكرم الاكرمين وانه يجازي بالخير الكثير على العمل اليسير وهو موضع الاستدلال على الرجاء

لان سيد الغلام لما تكرم باليسير غفر الله له وللغلام ولمن كان سببا في ذلك (وقيل حج رباح القيسي حجات كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب) على رأى من يرى هبة الاعمال الصالحة (الهي وهبت من حجاتي كذا كذا للرسول صلى الله عليه وسلم وعشرة منها للاصحابه العشرة رضي الله عنهم واثنتين منها للوالدين والباقي للمسلمين ولم يخص منها شيئا لنفسه فسمع هاتفا يقول هو ذا يتسخى علينا لاغفرن لك ولابويك ولمن شهد شهادة الحق) اراد الله بذلك حسن نيته وبركة قصده بان عرفه ان كرم الله أوسع واعم (وروى عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي انه قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة قال فاخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان) يعني ما نسبة (هذا منك قالت ابني قلت أولم يكن لكم جيران) يحملونها (قالت نعم ولكنهم صغروا أمره) وحقروه (فقلت ايش كان هذا فقالت هو مخنث) بالمثلثة وبكسر النون وبفتحها (قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا ونمت تلك الليلة فرأيت كانه اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض

قيل انه كان مجاب الدعوة نفعنا الله ببركاته (قوله لانه رأى ان سيده الخ) مراده الحمل على طريق يجوز معه تصرف الغلام في الدراهم غير أن قوله أو رأى ان هذا أولى الخ لم يظهر لي وجهه لان ذلك لا يبيح له التصرف فانه لا يباح الا باذن السيد أو علم رضاه فحرر (قوله ان يخلف الله على دراهمي الخ) الاضافة لادنى ملابسة والا فهي دراهم سيده (قوله فرأى منصور الخ) أي حتى أقره على ذلك ودعا له (قوله فقال يتوب الله الخ) أقول انما قال يتوب الله على سيدي ولم يقل يتوب سيدي لان توبة العبد لا تكون الا بتوفيق الرب يشاهده قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا (قوله فاثر فيه صدقه الخ) أقول كان الاولى أن يقول فاثر فيه سر اجابة دعاء الداعي بواسطة صدق الغلام (قوله فقال لك أربعة آلاف درهم) انظر سر المضاعفة بواسطة الصدق فالله تعالى يرزقنا طهارة القلوب (قوله وللمذكر لي الخ) منه يعلم صدق ايمانه وذلك يشاهده قوله تعالى ان الذكرى تنفع المؤمنين (قوله بل الى الله تعالى) أي والذي للخلق انما هو التوسل والشفاعة فقط (قوله ما كان اليك) أي ما كان في وسعك أن تفعله وقوله تراني الخ هو بضم التاء أي اتظن (قوله وانه يجازي بالخير الكثير) أي الدنيوي والاخروي حيث اخلف على الغلام الاربعة دراهم أربعة آلاف درهم ووفق السيد ومن معه للتوبة وغفر للجميع (قوله واثنتين منها للوالدين) يقرأ على صيغة التثنية (قوله يتسخى علينا) أي يتكرم علينا مع أنه من جنس الاشحاء على الخير وقوله لاغفرن لك أي ويجوز بظهر الكرم الالهي ابقاء ثواب حجاته له مع التفضل على من وهب لهم بمثل ما تفضل به عليهم وفضل الله واسع (قوله فاخذت مكان المرأة) أي رحمة بها ورجاء للاجر (قوله ولكنهم صغروا أمره) أي عدوه صغيرا بواسطة استهانتهم به وقوله فقلت ايش كان أي لاي سبب ثبت هذا (قوله بالمثلثة الخ) أي وهو من يتخلق بخلق الاناث (قوله قال فرحمتها الخ) أي

يفعل بي منكرًا فقلت من أنت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي) وكلامهم في مع بركة دعاء الرجل وامي لي وشفقتها على فيه دلالة على انه تعالى يجازي بالخير الكثير على العمل) اليسير (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول مر أبو عمرو البيكندي يومًا بسكة فرأى قومًا ارادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكي) عليه (قيل انها أمه فرحمها أبو عمرو فتشفع له اليهم وقال هبوه مني) وفي نسخة لي (هذه المرة فان عاد الى فساده فشأنكم) واياه (فوهبوه منه) وفي نسخة له (فمضى أبو عمرو فلما كان بعد ايام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال في نفسه لعل الشاب عاد الى فساده فنفي من المحلة) فبكت عليه امه (فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت له مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب اجله قال لا تخبري الجيران بموتي فلقد آذيتهم وانهم يشمتون بي ولا يحضرون بجنازتي فاذا دفنتيني فهذا خاتم لي مكتوب عليه باسم الله فادفنيه معي فاذا فرغت من دفني فتشفعي لي الى ربي عز وجل قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته وهو يقول انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم) فيه دلالة على انه تاب توبة بالغة حتى انه تبرك باسم الله وتشفع به وبدعاء امه والتوبة تمحو ما قبلها وفاء بقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا (وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم) أي لعبيدي ٢١٢ (اني لم اخلقهم لاربح عليهم وانما خلقتهم ليربحوا علي) لانه تعالى غني عنهم وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون المراد منه اثابتهم على عبادتهم له (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ابا بكر الحربي يقول سمعت ابراهيم الاطروش يقول كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة) نهر بغداد (اذ مر بنا قوم احداث) أي شبان (في زورق يضربون بالدف ويشربون) الخمر (ويلعبون) بالملاهي (فقلنا لمعروف اما تراهم يعصون الله تعالى مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يده) وفي نسخة يديه (وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة) لان ذلك فعالك وانت القادر عليه وعلى ازالته (فقالوا له انما سألناك ان تدعو عليهم فقال اذا قد فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم) واذا تابوا زال عنكم ما تكرهونه فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم وهذا من كمال المعرفة والسياسة في تغيير المنكر الذي لا يتمكن العبد من ازالته لقوة الجاه والسطوة فسلك معروف في ازالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله في ان يغير أحوالهم عما هي عليه لانه تعالى الفاعل بهم ما هم فيه فقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فأعلمهم بذلك ان التغيير في هذا الوقت لمثل هؤلاء انما هو بالدعاء لهم بالتوبة وبين ذلك بقوله اذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم (سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد المزكي قال حدثنا أبو زكريا يحيى بن يحيى الاديب قال حدثنا الفضل بن صدقة قال حدثني أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضي صديقًا لي وكان يودني واوده) بفتح الواو فيهما أي يحبني واحبه من الود بتثليث الواو وهو المودة أي المحبة (فمات يحيى فكنت اشتهي ان أراه في المنام فاقول له ما فعل الله بك فرأيته ليلة في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي الا أنه وبخني ثم قال لي يا يحيى خلطت علي في دار الدنيا فقلت أي رب اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

رق لها فلبي لما أصابها من فقد ولدها مع الاستهانة به (قوله رحمني ربي الخ) أي ولذا قيل كلما خطر ببالك كان الحق بخلاف ذلك وحينئذ فلا ينبغي الاعتماد على الطاعات ولا اليأس مع المخالفات (قوله مع بركة دعاء الرجل الخ) فيه انه لم يتقدم ذكر دعاء من الرجال فلعل هنا سقطا فحرر (قوله اجتاز) أي مر (قوله ففعلت وصيته) يعني دفن ما عليه اسم معظم مع الميت ممنوع منه شرعا (قوله فيه دلالة على انه تاب الخ) أي والتوبة هي السبب في رجاء الخير منه تعالى (قوله والتوبة تمحو الخ) أي ويا له خير التوبة تجب ما قبلها من الذنب او كما ورد (قوله الا ليعبدون) أي الا لامرهم بالعبادة فاللام للصيرورة والعاقبة وذلك بالنسبة لمن سبق في علمه القديم وحكمته الازلية أنهم يصيرون كذلك فلا يقال بالخلف في الخبر بواسطة مشاهدة أكثر الخلق على غير طريق العبادة بل على الضلال والبهتان (قوله فرفع يده الخ) أقول ذلك منه من قبيل التخلق بالخلق المحمدي حيث قال في كفار قريش اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون يشهود ان الفاعل المختار هو الله سبحانه وتعالى وان كل كائن فبقدرته وارادته فسأله ان يغير حالهم من عقوق المعاصي الى امتثال الطاعات وذلك بواسطة ما منحه الله تعالى من الرأفة والرحمة بعباد الله لا عجزا عن الانكار لمعرفته أن مجرد الانكار لا ينفع ولا يؤثر فافهم ما اشرت اليه تعلم ما في الشارح مما عول عليه (قوله كان يحيى الخ) فيه تنبيه على سعة الفضل والرحمة وأنه ما

قد يكونان ان يخلط في العمل الحسن بالقبيح بل ان يتجرد مع صحة الايمان كيف وقد أمر عباده بالعفو والاحسان ولو في حق من تعدى من نوع الانسان فالرب أولى بالكرم اذ هو ولي سائر النعم (قوله وتاب صاحبها الخ) أقول انما قيد بذلك نظرا لحكم النقل والا فلا قيد باعتبار حكم العقل (قوله بمعنى الايجاب الخ) أي لا بمعناه الذي هو الترجي في حقه تعالى (قوله من اعترف له بذنبه الخ) قيد بضمير الحق تعالى ليحترز به عن اعتراف العبد بذنبه لغيره فانه معصية اخرى تزيد على معصية الفعل

(باب الحزن)

أقول وهو لا يكون الا من قلب حي تألم من المعاصي وحزن على فوات الطاعات بطلب هذه وينفر من تلك لما أحس به من ألم أو ملائمة ولما يجده من مرارة وحلاوة فحزن على ما فاته من الموافقات على حسب همته وندم على ما فعله من الزلات والقلب الميت لا يحس بشيء من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال ابن مسعود رضي الله عنه المؤمن يرى نفسه من ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا فاطاره فحقيقة الحزن انقباض الصدر لما فات من مخالفة الامر والتلهف على ما وقع فيتمنى انه لم يكن وقع وقال بعضهم الحزن هو انقباض القلب لفوات محبوب أو خوف حصول مكروه فيجد حسرة خوف الفوات أو وجود الفوات وذلك عذاب حاضر لا فائدة له الا التشمير في المستأنف فان أفاد عملا أو نهوضا الاستدراك الممكن منه كان حسنا جميلا والا فليس بشيء بل هو زيادة في الاغترار وقد يزداد صاحبه جرأة ورؤية للنفس فيكون سببا لطرده من حيث يراه سبب قربه ولقد سمعت عن شيخنا أبي عبد الله النوري رحمه الله يقول رأيت في حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا استكمل الرجل النفاق ملك عينيه يرسلهما متى شاء وقال بعضهم الحزن من منازل العامة اذ هو انخلاع عن السرور وملازمة الكآبة بتأسف على فائت أو توجع لممتنع وانما كان من منازل العامة لان فيه نسيان المنة والتفاتا الى رقة الطبع وهو في مسالك الخواص حجاب لان معرفة الله تعالى جلا نورها كل ظلمة وكشف سرورها كل غمة فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقيل ان عتبة الغلام دخل على رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه وهذا العجب الذي لم أره في شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة من أولى بهذا مني وقد أصبح الله لي مولى وأصبحت له عبدا شعر

يرغبني الملك الوحدني ۞ اميل من اليمين الى الشمال

ويأخذني لذكركم اهتزاز ۞ كما نشط الاسير من العقال

اه (قوله ثم هو قد يكون محبوبا الخ) أي فاذا نشأ عن فوات أمور الآخرة فهو محبوب مثاب عليه بخلافه على فوات الحظوظ التي تؤدي الى المخالفات فهو حينئذ مذموم مأزور فاعله أما اذا كانت الحظوظ مشاهد العلم ولا تنافي الانقياد فالحزن على فواتها محبوب مثاب صاحبه عليه غير ان الافضل الرضا (قوله الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) أي وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس خوف الاعراض

الله عليه وسلم انك قلت اني لاستحي ان اعذب ذا شيبة) أي شاب في الاسلام وتاب صاحبها من زلاته (بالنار فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيي الا انك خلطت علي في دار الدنيا) فيه دلالة على انه غفر له بحسن ظنه بربه مع عمله الصالح وان كان قد خلطه بشيء لاعترافه بذنبه فقد قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله بمعنى الايجاب والوعد لا بمعنى الترجي فقد وعد تعالى من اعترف له بذنبه ان يرزقه التوبة والمغفرة

(باب الحزن)

هو قبض يرد على القلب لفوات محبوب أو توقع مؤلم وقد ينسى سببه ثم هو قد يكون محبوبا وقد يكون مذموما كما سيأتي (قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن * اخبرنا علي ابن احمد بن عبدان قال اخبرنا أحمد بن عبيد قال اخبرنا علي بن تميش قال حدثنا احمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا اسامة بن زيد الليثي عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت عطاء بن يسار قال سمعت ابا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول ما من شئ يصيب العبد المؤمن من وصب) أى مرض (أو نصب) أى تعب (أو حزن أو ألم) وفى نسخة أو هم (يهمه) أى يقلقه (الا كفر الله عنه من سيئاته) لصبره على ما ابتلى به والحزن تارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فمتى كان فى قبض العبد انساع للنظر فى أسبابه أو الحيلة فى الخلاص ٢١٤ منه كان فيه تفرقة ومتى ترا كم القبض وتوالى سمى كمدا و بينهما حالة تسمى شجا وهى ان يخطر ببال العبد السبب الذى احزنه وكان مجهودا وجزا نشراحا فى صدره بما من عليه من الحزن وسأل الطاسى شيخه ما علامة الشجا فقال دوام البكاء ممزوجا بفرح لعلمه معرفة النعمة عليه فى الحزن والبكاء اذا عرفت ذلك فنقول (الحزن) حال (يقبض القلب عن التفرق فى أودية الغفلة) وهذا فى الحزن القوى (والحزن من أوصاف أهل السلوك) فى الطريق (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله) أى من الطريق اليه (فى شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين) لان من حزن على التقصير جد فى التحصيل ومن خشى الفوات استعجل قبل الممات (وفى الخبر ان الله يحب كل قلب حزين) لان الحزن على الحسرات وفوات الاوقات فى البطالات من نعم الله تعالى على العبد (وفى التوراة اذا أحب الله عبدا جعل فى قلبه نائحة) تجلب الحزن له (واذا ابغض الله عبدا جعل فى قلبه مزمارا) يجلب له الفرح (وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان دائم الفكر) فيما يحصل به الثواب (وقال بشر ابن الحارث الحزن ملك) أى كالملك (فاذا سكن فى موضع لم يرض أن يساكنه أحد) لان الحزن اذا نزل فى القلب عمره وغمره حتى لا يبقى فيه شئ ذ كر لغير ما هو محزون عليه (وقيل القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب) بكسر الراء كالخوف بل أولى لان الخوف من مقدمات الحزن (كما أن الدار اذا لم يكن فيها ساكن تخرب وقال أبو سعيد القرشى بكاء الحزن يعمى) البصر (وبكاء الشوق يغشى البصر ولا يعمى)

والا فات وعنه أيضا خوف الموت وعن الفضل حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش هذا والظاهر انه الجنس المنتظم بجميع احزان الدنيا (قوله ما من شئ الخ) وفى رواية اخرى ما أصاب المؤمن من مصيبة الا وله فيها اجر حتى الشوكة يشاكها (قوله الا كفر الله عنه من سيئاته) أى حيث صبر واحتسب ولم يشك (قوله كان فيه تفرقة) أى لان همته لم تجتمع على ما تجلى عليه الحق تعالى به وذلك بواسطة ما بقى فيه من ذلك الاتساع (قوله وبينهما حالة الخ) أقول البينية باعتبار قوة النظر فى أسباب متعددة لعلم منها ما به حزنه فى الاول بخلاف الثانى فان قوته بمجرد سبب وما به حزنه لا غير وفرق بين الحالتين (قوله وكان مجهودا) أى يشاهد العلم بحيث لا ينافى دوام الانتباه (قوله وجز انشراحا الخ) أى باعتبار شهود صدره (قوله لعلمه معرفة النعمة الخ) علة لثبوت الفرح له أى فقرحه لشهود ان حزنه وبكاءه من النعم لما يترتب له على ذلك من جزيل الاجر منه تعالى (قوله الحزن حال يقبض الخ) أى الحزن الكامل يكون كذلك فكلامه فى حزن على فائت مما يتعلق بالآخرة لا على ما يتعلق بحظوظ النفس (قوله والحزن من أوصاف أهل السلوك) أى لانه من ثمرة اعمالهم وتجليات عبودياتهم فى حال سيرهم (قوله يقطع من طريق الله) أى الطريق المعنوى الموصل الى احسان الله وكرمه ورضاه (قوله ان الله يحب كل قلب حزين) ليس يخفى عليك ان محبة الله للعبد انما هى احسان الله اليه أو ارادته ذلك له (قوله جعل فى قلبه نائحة) المراد بالنائحة وكذا المزمار الآتى فى كلامه ما يوجد فى قلب العبد بخلق الله سبحانه وتعالى من دواعى وبواعث الخير والشر (قوله كان متواصل الاحزان الخ) اعلم أن ذلك انما هو باعتبار تصوراته احوال امته صلى الله عليه وسلم بمقتضى رأفته ورحمته الجبلية له والا فحاله صلى الله عليه وسلم وكماله لا يضاهى (قوله الحزن ملك الخ) مراده الحزن الكامل الذى يجمع صاحبه همته عليه حتى استأصل قلبه بتقلبات أحواله ولم يبق فيه مساغ لغيره (قوله فاذا سكن فى موضع الخ) أنت خبير بان المحمود من الحزن هو الذى لم يصل الى حد الافراط المؤدى لليأس والقنوط الذى هو من الكبائر ففى الخبر انه صلى الله عليه وسلم قال خصلتان ليس فوقهما شئ من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله ويقال خمسة فى الذنب أعظم من الذنب احتقار الذنب والاصرار على الذنب والمجاهرة بالذنب والجراءة على الذنب واليأس من غفران الذنب فافهم (قوله بل أولى الخ) أى لان مقام الحزن فوق مقام الخوف (قوله بكاء الحزن يعمى البصر) أى فتأثير الحزن أقوى من تأثير الشوق والدليل على ذلك ما فى قصة يعقوب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ويشهد له أيضا حسن العيان أيضا اذ لا راحة ولا حظ فى

(قال الله تعالى وابيضت عيناه) أي بدل سواده ما بياضا بكائه (من الحزن فهو كظيم) أي مغموم مكروب يملأ بين الغيظ الحزن اذ الحزن يمنع من الطعام والشراب ويكثر معه الهموم والغموم فتصعد من المعدة ابخرة رديئة مظلمة تكون سببا لزوال الادراك من العين وقت البكاء هذا بكاء الحزن وأما بكاء السرور فممزوج بفرح (وقال ابن خفيف الحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب) والفرح (وسمعت رابعة العدوية رجلا يقول واحزناه فقالت له قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس) يعني لم تتفرغ للاستغاثة بقولك واحزناه ولذلك قال بعض العارفين واحزناه على الحزن لانه لو ترك قوله على الحزن لاحتمل أن يكون قوله واحزناه من الخوف فبين مراده بقوله على الحزن أي فقده (وقال سفيان بن عيينة لو أن محزونا بكى في امة) من الامم (لرحم الله تلك الامة ببكائه) فيه دلالة على ان المحزون شديد الاضطرار الى ما حزن عليه وعند الاضطرار وعد الله بالاجابة فقال امن يجيب المضطر الآية (وكان داود الطائي الغالب عليه الحزن وكان يقول بالليل الهي همك عطل على الهموم وحال بيني وبين الرقاد) فيه تضرع الى الله أن يفرج عنه ما هو فيه بان ينيله ما هو به مما هو فوق ذلك كمقام التوحيد والجمع (وكان يقول كيف يتسلى من الحزن) أي ينكشف عنه ا[illegible] عليه المصائب في [illegible] دلالة على كمال طا[illegible] همته بان ينيله ما [illegible] الحزن يمنع من [illegible] الهموم والغموم [illegible] تعلق قلبه بمطلوب بشر يفسر بعده وله (والخوف يمنع من الذنوب) لكونه سببا للتوبة وهي سبب للمغفرة [illegible]

شيء الحزين مع انه من الدا آت المهلكة للنفوس (قوله وابيضت عيناه من الحزن) أي الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقد قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب عليه السلام من يوم فراق يوسف الى يوم لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب عليه السلام روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من اجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله قط وفيه دليل على جواز البكاء والحزن عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت موت ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك (قوله وأما بكاء السرور الخ) ذكره لمناسبة ذكر ضده وهنالك فرق آخر غير ما ذكره الشارح وهو ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة (قوله حصر النفس) أي انحصارها اذ لا ينشرط فعل (قوله فقالت له قل الخ) أقول فالكمال حالها فهذا التعبير كانها اهتدت على الكامل من الحزن اذ لا يخرج عن الاحساس سواه (قوله لو ان محزونا بكى الخ) أقول وفي صحيح الخبر ان العبد اذا أذنب الذنب فقال يا رب اغفر لي قال الله تعالى اذنب عبدي ذنبا وعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به اشهدكم اني قد غفرت له الحديث فعلم العبد أن الرب يغفر الذنب من مشاهدة كرم الرب وجماله وعلمه بانه يأخذ به من مشاهدة جلاله ولولا اجتماعهما له في موضع واحد ما انتفع باستغفاره فافهم (قوله لرحم الله تلك الامة) انظر كون رحمة الله الامة من أجل بكاء الباكي تعلم فضيلة البكاء وما يعطيه الحق تعالى في مقابلته حيث كان بكاؤه مشروعا (قوله وكان يقول بالليل الخ) اعلم ان الكامل من يكون نظره للفضل والعدل لا للذنب والعيب ولذا قال يحيى بن معاذ ان أنالهم فضله لم يبق لهم سيئة وان اقام عليهم عدله لم يبق لهم حسنة وفيما أوحى الله الى بعض انبيائه عليهم السلام قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فاني ان أقمت عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي المذنبين لا يقنطوا فاني لا يتعاظمني ذنب اغفره لهم وقال تعالى في كتابه العزيز نبئ عبادي اني أنا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب وقال تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة فكله على السواء في حقه سبحانه وتعالى (قوله فيه تضرع الى الله الخ) أي فيما استغاث به تضرع وابتهال وما ذكره الشارح لا يتعين اذ قد يصل الى مقام التوحيد والجمع في وقت ويعود الى الاحساس في آخر ثم هو اذا عاد استغاث مما عاد اليه شوقا الى ما كان فيه (قوله من تجدد عليه المصائب) أي ولو كان ذلك بالقوة مما يتوقع أو بالفعل ويكون ذلك أشد تاثيرا (قوله الحزن يمنع من الطعام الخ) يفيد كلامه ان الخوف أتم واشرف من الحزن وتقدم قبل هذا ما يفيد العكس فلعل الاختلاف بحسب

(وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل فقال بكثرة أنينه) لان من تراكم عليه ألم الحزن عسر عليه التعبير بلسانه وانما يتنفس ويتروح بأنينه (وقال سرى السقطى) متمنيا الدرجة الحزن (وددت ان حزن كل الناس) المحزونين (القى على) لانال كمال ما اعطاه الله لهم على حزنهم (وتكلم الناس فى الحزن فكلهم قالوا انما يحمد حزن الآخرة) أى الحزن على فوات الخيرات الاخروية (واما حزن الدنيا فغير محمود) لان المقصود انما هو العمل الاخروى (الا اباعثمان الحيرى فانه قال الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة المؤمنين) وان كان حزن الدنيا لان الحزن على فوات النعم واللذات المباحة اذا نزل بالعبد وصبر عليه محمود (مالم يكن بسبب معصية لانه ان لم يوجب تخصصا) بارتفاع الدرجات (فانه يوجب تمحيصا) ومحو الذنوب اما اذا كان بسبب معصية فلا نزاع انه مذموم (وعن بعض المشايخ انه كان ٢١٦ اذا سافر واحد من أصحابه يقول ان رأيت محزونا فاقرئه منى السلام) ابردعلى فانتفع بدعائه وفيه دلالة على فضيلة المحزونين لكمال معرفتهم بربهم وفيه انه عرف بعض أصحابه بذلك لان المحزونين رأيتهم آحاد فى الصالحين (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها هل طلعت اليوم على محزون) فيه دلالة أيضا على ذلك (وكان الحسن البصرى لا يراه أحد الاظن انه حديث عهد بمصيبة) لما به من الحزن (وقال وكيع لما مات الفضيل) بن عياض (ذهب الحزن اليوم من الأرض) لما كان به من كمال الحزن (وقال بعض السلف أكثر ... يجده المؤمن فى صحيفته من ... الهم ... البلايا التى ... الوراثة مع ...

... قول سمعت محمد بن على المروزى يقول سمعت احمد بن أبى روح يقول سمعت أبى ... السلف يقولون ان على كل شئ زكاة وزكاة العقل) ... فى القلب (طول الحزن) ... رة القلب من سائر شواغل الدنيا المانعة له من نوال الآخرة (سمعت الشيخ ... بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سألت اباعثمان الحيرى ... الحزن) أى وأنت سائل عنه فانه نعت عن نفسه ولولا فراغك منه لما سألت عنه ... سل عنه ثم اجتهد فى تحصيله كمالا اسؤال لان كمال الحزن يشغله عن السؤال عنه

مالا يحل ذلك فى الحزن ثم اذا كان المحق لما الحزن يمنعه من الطعام زيادة عن منعه من الذنوب فلا ينافى ما تقدم من أن الحزن أفضل فالحمل على هذا أولى (قوله بكثرة أنينه) أقول الحمل ذلك باعتبار بعض أفراد المحزونين والا فهو قد يلوح على صفات الوجوه وان لم يوجد الانين (قوله وددت الخ) غاية غرضه رغبته فى زيادة الاجر والافعال الصالحة المندوب اليها (قوله فكلهم قالوا الخ) أقول ذلك منهم شاهد علم الذوق وعلوا الهمة والافعلى المنقول من أحكام الشرع يترجح ماذهب اليه الحيرى والمدار فى كل على التسليم والرضا بما يجرى به القضاء (قوله مالم يكن بسبب معصية) أى بان كان لا يحصل المباح الذى فاته الا بمقارفة معصية فحزنه حينئذ حزن على فوات المعصية فهو فى هذه الحالة غير محمود بل هو مذموم (قوله لانه ان لم يوجب تخصصا) اى ان لم ينشأ عنه تخصصه بارتفاع الدرجات فلا أقل من ان ينشأ عنه التمحيص للذنوب وهو كذلك بموافقة المنقول فى أحكام الفروع (قوله ان رأيت محزونا الخ) مراده من شغله الحزن واستغرق حتى غيبه عن حظ نفسه لا مطلق المحزون وهو بالمعنى الذى قلناه عزيز نادر كما ذكره الشارح (قوله هل طلعت الخ) أى فيكون الخير باقيا لاستبقائه لاهل هذه الفضيلة العظيمة التى هى صفة الحزن (قوله وكان الحسن البصرى الخ) أى فكان نفعنا الله ببركاته متخلقا بالخلق المحمدى اذ ثبت فى الخبر أنه كان دائم الاحزان صلى الله عليه وسلم (قوله اكثر ما يجد المؤمن الخ) فيه بيان افضلية الحزن بفضله ما يترتب عليه من الاجر (قوله بخلاف ما على البلايا) أى فلا دخل لها فى تحصيل حقيقته للعبد مثل الاشتغال ... (قوله كان السلف يقولون الخ) أقول يصدق الحزن لفوات اعمال الآخرة المقربة ... لها ولفوات ما به التنعم فى الدنيا مالم يكن بسبب معصية كما تقدم (قوله فقال ...) حمله على الفرد الكامل من الحزن وهو الذى اذا قام بالعبد الحزين فلا يكون ... الشئ ولا السؤال عنه ثم دله على تحصيل مثل هذا الحال بقوله فاجتهد الخ

(تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث أوله باب الجوع)